

ديوان أسامة بن منقذ

حققه وقدم له

حامد عبد المجيد

وكيل إدارة نشر التراث العربي
بوزارة المعارف العمومية

الدكتور أحمد أحمد بدوي

مدرس بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

عالم الكتب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

دیوان
اسامه بن منقذ

الطبعة الثانية
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م



بيروت - المزرعة بناية الايمان - الطابق الاول - ص.ب. ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٢٨٥٩ - برقية : نابعلبكي - تلکس : ٢٣٣٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الذكر أحمد أحمد بدوي

(١)

في يوم الأحد السابع والعشرين من جمادى الآخرة ، سنة ١٤٨٨ هـ (يولييه سنة ١٩٩٥ م) ولد أسامة بن منقذ ، في أسرة توارثت إمارة شيزر ، وهي مدينة في الشمال الغربي لحماة ، تبعد عنها خمسة عشر ميلا ، وتقع على هضبة ، يحيط بها نهر العاصي من جهات ثلاث ، وتنهض فيها قلعة شامخة حصينة ، وكان لهذه القلعة قيمتها في عصر الحروب الصليبية ؛ لمركزها الحربي الحصين ، ومكانها بين الولايات السورية ؛ فكانت مطمح الطامعين ، من أمراء المسلمين والصليبيين .

ولد أسامة لأب صالح ، يقضى وقته بين تلاوة القرآن ، الصيد في النهار ، ونسخ كتاب الله في الليل ، ووالدة شهرت بالشجاعة والنخوة والإقدام . وقد تركه والده منذ صغره يقتحم الأخطار ، ويركب الصعب من الأمور ؛ فلا ينهيه عن أن يمضى إلى حية يحز رأسها ، ويلقى بها في الدار مئنة ، وهو ثابت رابط الجأش ، ولا يحول بينه وبين مصارعة الأسود بشيزر ، وقتل ما يصرعه منها ؛ وهكذا شب جريئا لا يهاب . ومما ساعده على ذلك أنه كان يشترك مع أبيه في رياضته المفضلة عنده ، وهي الصيد .

إلى جانب هذه النشأة التي تعدّ للحرب والنضال ، تلقى أسامة الثقافة التي كان يتلقاها الأمراء في ذلك العصر ؛ فدرس الحديث ، والفقه ، والأدب ، والنحو ، واللغة ، وحفظ الكثير من الشعر ، وأخذ من ذلك بنصيب واف ، يشهد له به كتبه ، وما ضمت من أحاديث كثيرة متنوعة الأغراض ، ومن ماثور كلام البلغاء من المتقدمين ، وما استشهد به من شعر ومثور ، وما اقتبسه من شعر السابقين ، وما أورده في شعره من ألفاظ لغوية استعملت في معانيها الدقيقة ، مما لم يكن يجري إلا على أقلام كبار البلغاء . أخذ ذلك عن كبار الأساتذة ، كما كانت البيئة التي عاش فيها بيئة أدبية ممتازة ؛ فقد كان الأمراء من بني منقذ ممن يقصدهم الشعراء والأدباء ، كما أنهم كانوا هم علماء شعراء ، ويحفظ الأدب كثيرا من أشعار أبيه وأعمامه .

كان أسامة أنيرا لدى عمّه أبي العساكر سلطان حاكم شيزر ، ولما لم يكن له عقب ، اتخذ أسامة ابنا له ، وكان يرى فيه الأمير المستقبل لشيزر ، ووارث الملك من بعده ؛ فكان يكلفه من الأمور ما يتطلب شجاعة وبراعة ، واشترك أسامة في المعارك التي دارت بين أسرته وبين الصليبيين ؛ دفاعا عن مدينتهم (شيزر) . وعاش أسامة في تلك المدينة ، بين حب والده وعطف عمّه ، غير أن هذا لم يلبث بعد أن رزق أولادا في آخر أمره ، حتى دبّ الوهن والفتور إلى العلاقة التي تربطه بأسامة ، وبدلا من حبه وعطفه عليه ، أخذ الحسد والحقد يأخذان مكانهما من قلبه . خوفا على أولاده من مكانة أسامة ، وحذرا أن يثول الملك إليه دونهم ، فضى أسامة إلى الموصل ، لدى عماد الدين زنكي ، الذي صار أكبر أبطال الحروب الصليبية في وقته ، وأول خطر حقيق داهم الصليبيين ،

فانتظم أسامة في جنده ، وحارب تحت قيادته في عدة معارك ، ولكنه لم ينس
 وطنه الأقل شيزر ، عندما هاجمه الفرنج والروم سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م)
 فقد مضى إليه ، وأبلى بلاء حسنا في الدفاع عنه ، وربما كان قد عزم على البقاء
 في شيزر ، بين أهله الذين فقدوا والده سنة ٥٣١ هـ . غير أن عمه أبا العساكر
 لم يرض عن مقام أسامة بشيزر ، فقد أيقن أنه أصبح خطرا على مملكته ، وأن
 ليس لأبنائه سلامة إذا ظل أسامة في شيزر ، فأمره وإخوته بالرحيل ، فقتلتوا
 في البلاد ، وكان في ذلك الخير لهم ، فانهم نجوا من الزلازل التي هدمت شيزر ،
 وقضت على بني منقذ بأسرهم ، وذهبت بملكهم سنة ٥٥٢ هـ .

مضى أسامة يوم أخرج من شيزر إلى دمشق ، واتصل بحاكمها : معين الدين
 أنر ، واعتمد هذا الحاكم على أسامة في تصريف الشؤون السياسية ، وقد نجح أسامة
 في ذلك ، نجاحا رفع مكانته في دمشق ، واستطاع في تلك الحقبة أن يتصل
 بالفرنج عن قرب ، وأن يعرف الكثير من عاداتهم وأخلاقهم . ولكن المقام
 لم يصف لأسامة بدمشق ، ويظهر من تلك القصيدة التي أرسلها إلى معين الدين
 أنر يعاتبه فيها — أن السر في نبو المقام بأسامة يعود إلى وشايات ، حملها الساعون
 إلى معين الدين ، صدقها ، فانحرف قلبه عنه . يداننا على ذلك قول أسامة :

بلغ أميري : معين الدين مالكة من نازح الدار ، لكن وده أمم
 هل في القضية يامن فضل دولته وعدل سيرته بين الوري علم
 تضيق واجب حق ، بعدما شهدت به النصيحة ، والإخلاص ، والخدم

وما ظننتك تنسى حق معرفتى « إن المعارف فى أهل التهى ذم »
ولا اعتقدت الذى بانى وبذك من ود ، وإن أجلب الأبداء ، ينصرم
لكن ثقاتك مازالوا بغشهم « حتى استوت عندك الأنوار والظلم »
والله مانصحو ، لما استشرتهم وكلهم ذو هوى فى رأى متهم
كم حرقوا من مقال فى سفارتهم وكم سعوا بفساد . ضل سعيهم
ويبدو من تلك القصيدة ، وما فيها : من حياة ، وحرارة ، وقوة ، أن أسامة
كان يضمهر فى قلبه فيضا من الحب لمعين الدين ، وقد ختم قصيدته بعد هذا
العتاب الطويل ، بقوله :

فاسلم ، فاعشتلى ، فالدهر طوع يدي وكل ما نالنى من يؤسه نعم
ترك أسامة دمشق ، وسافر إلى القاهرة ، فوصل إليها فى جمادى الثانية
سنة ٥٣٩ هـ (نوفمبر سنة ١١٤٤ م) ، فى عهد الخليفة الحافظ لدين الله ،
وكان معه والدته ، وزوجه ، وأخوه محمد ، فأكرمه الخليفة أيما إكرام . وأقطعه
إقطاعا ، عاش به فى رغد من الحياة ، وخفض عيش . ولم يشأ أسامة فى أول
الأمر أن يزج بنفسه فى الأحداث السياسية المصرية ، حتى إذا ولى الظافر ألقى
بنفسه فى خضم هذه الأحداث ، حتى ليروى المؤرخون أنه اشترك فى المؤامرات
التي انتهت بقتل الوزير ابن السلار ، والخليفة الظافر . ورأى أسامة أن يعود
بعد هذه الخطوب والحوادث إلى دمشق ، برغم أن الصلة كانت وثيقة بينه
وبين الوزير المصرى الجديد : طلائع بن رزيك .

عاد أسامة إلى دمشق سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) ومضت عشيرته لتلحق به ، ولكن السفينة التي كانت تحملهم أصابها عطب عند عكا ، التي كانت في يد الصليبيين ، فذهب الفرنج ما معهم من المتاع ، وساموهم سوء العذاب ، حتى إذا وصلوا إلى دمشق ، كانوا قد فقدوا كل ما حملوه معهم من مصر . وكان لذلك أكبر الأثر الأليم في نفس أسامة . وقد اتصل أسامة في دمشق بحاكمها نور الدين محمود ، أكبر أبطال الحروب الصليبية في عصره ، وكثيرا ما أرسل إليه الوزير المصري طلائع قصائد يحثه بها على أن يتوسط لدى نور الدين محمود ، حتى تجتمع كلمة سوريا ومصر على جهاد العدو المشترك ، ولكن هذه القصائد لم تثمر ثمرتها ، ولم يصغ نور الدين إليها .

ويظهر أن كبر سن أسامة قد حال بينه وبين الاشتراك في الوقائع الحربية التي شنها نور الدين ، وإن كان قد ساهم في بعضها ، فقد حدثنا أبو شامة في كتابه : الروضتين ، عما أبداه أسامة من ضروب البسالة في حصار قلعة حارم

ويظهر أنه وجد بعد زهاء عشر سنين ، قضاها في دمشق ، أنه في حاجة إلى الراحة ، والبعد عن تكاليف السلطان وخدمة الملوك ، ففضى إلى حصن كيفا ، وهناك عكف على البحث والدرس والتأليف ، وربما اختار أسامة هذا المكان لما كان فيه : من مكتبات ضخمة غنية . ولكن هذه العزلة التي أرتضاها أسامة ، قطعها عودة صلاح الدين إلى دمشق ، وقد رأى فيه أسامة البطل المنقذ للبلاد ، ففضى إليه ، واستقبله صلاح الدين استقبالا حسنا ، فقد كانت تربطه به صلات وثيقة ، عندما كانا

معا في بلاط نور الدين محمود، فأعطاه صلاح الدين دارا وإقطاعا دارة ، وجالسه وآنسه ، وذاكره في الأدب، وكان يستشيريه فيما يلم به ، وإذا مضى إلى الغزو كاتبه، وأخبره بوقائعه ، وكان صلاح الدين معجبا بشعر أسامة ، مشغوبا بقراءة ديوانه ، وتأمل خواطره ، واستحسان روائع قصائده ، وكان ولده: مرهف جليس صلاح الدين ، وصاحبه في الحلّ والترحال .

عاش أسامة في دمشق يشكو الكبر ، وثقلت الحياة عليه لطول عمره ، حتى إذا كان الثالث والعشرون من رمضان سنة ٥٨٤هـ (نوفمبر سنة ١١٨٨م) توفي أسامة، بعد أن أربى على التسعين ، ودفن في سفح جبل قاسيون بدمشق .

(٢)

ترك أسامة عدة كتب ، عرفنا منها :

١ - كتاب الاعتبار ، الذي نشره المستشرق الفرنسي هرتويغ درنبورج (Hratwig Derenbourg) وقد سجل فيه أسامة ذكرياته ومشاهداته: من معارك حربية وأحداث سياسية في مصر والشام، وهو يصوّر الوقائع التي دارت بينه وبين الفرنج، في صدق وإخلاص ، ويعلق على ما يرى ، ويشيد بالبطولة ، سواء أكانت من المسلمين أم من الصليبيين، ويدون ما رآه من أعمال الأبطال، ولو كانوا من صغار الجند ، ويقيد الحوادث الفردية الغريبة، وينقل إلينا ضوضاء المعارك، ويصف صلة المسلمين بالفرنج يومئذ في السلم والحرب ، ويصوّر طبائع الفرنج وأخلاقهم وعقائدهم، ويحوى تأملات لأسامة بشأن طول العمر ، وألحق بالكتاب قصصا

ونوادر شاهد بعضها ، وسمع بعضها من ثقة . وقيمة الكتاب في أن ما رواه من حوادث تاريخية ومعارك ، سجلها بعد أن رآها ، فكان فيها شاهد عيان ؛ ولذا كان من أهم ينابيع التاريخ لتلك الحقبة من عصر الحروب الصليبية . وقد كتبه أسامة وهو ابن تسعين سنة .

٢- كتاب لباب الآداب ، نشره الأستاذ أحمد محمد شاكر ، وقد رتبته مؤلفه على سبعة كتب ، الأول في الوصايا ، والثاني في السياسة ، والثالث في الكرم ، والرابع في الشجاعة ، والخامس في الأدب بمعنى مكارم الأخلاق ، وقسمه خمسة عشر فصلا ، وهو يورد في هذه الكتب ما يتعلق بها ، مما جاء في القرآن الكريم ، ثم ما ورد من أحاديث تتصل به ، ثم يورد المأثور من أقوال الحكماء ، والكتاب السادس في البلاغة ، يتحدث فيه عن إعجاز القرآن ، وأورد جوامع كلم الرسول ، ونماذج من كلام البلغاء ، وذكر كثيرا من محاسن الشعر الموجز البليغ ، الدال على مكارم الأخلاق ، وقطعا لأغراض مختلفة من الشعر ، والكتاب السابع في الحكمة ، نهج فيه نهج سلفه من الأبواب ، والكتاب يدل على اطلاع واسع ، وذوق دقيق في الاختيار .

٣- كتاب العصا ، وقد أورد فيه شواهد نثرية وشعرية ، تتحدث عن العصا التي عرفت في التاريخ ، وأثبت فيه أيضا كثيرا من شعره .

٤- كتاب البديع ، وقد جمع فيه ما تفرق في كتب العلماء المتقدمين المصنفة في نقد الشعر . وذكر محاسنه وعيوبه ، وقد انتقد هذا الكتاب ابن أبي الإصبع في كتابه بدائع القرآن . ومن الكتاب نسخة خطية بدار الكتب ، وقد أعدناه للنشر .

٥ - كتاب المنازل والديار ، قالت عنه دائرة المعارف الإسلامية : إنه ترجمة كتبها عن نفسه عام ٥٦٨ هـ (١١٧٢ م) ، في أثناء إقامته في حصن كيفا ، والدافع له على كتابته زلزال أغسطس سنة ١١٥٧ م ، وهو يتضمن شواهد شعرية كثيرة عن المنازل . والديار . والأطلال . والربع . والدمن ، والرسم ، وغيرها . والمتحف الآسيوي بلنجراد نسخة منه .

٦ - مختصر مناقب أمير المؤمنين : عمر بن الخطاب ، لابن الجوزي .

٧ - مختصر مناقب أمير المؤمنين : عمر بن عبد العزيز ، لابن الجوزي أيضا .
والكتابان مخطوطان بدار الكتب .

٨ - تاريخ القلاع والحصون .

٩ - أخبار النساء .

١٠ - التاريخ البدرى ، وقد جمع فيه أسماء من شهد بدرا من الفريقين .

١١ - التجائر المربحة ، والمساعي المنجحة .

١٢ - النوم والأحلام .

١٣ - الشيب والشباب .

١٤ - التأمل والتسلى .

١٥ - ذيل يتيمة الدهر .

١٦ - أخبار النساء .

وهذه الكتب العشرة قد نسبها إليه مؤرخوه ، أو أشار إليها في كتبه التي بين أيدينا .

(٣)

لم يكن معروفا من شعر أسامة سوى ما تفرق في كتبه : الاعتبار ، والعصا . ولباب الآداب ، وما تفرق في كتب مؤرخيه : تريدة القصر ، والروضتين ، في أخبار الدولتين ، وتاريخ الإسلام للذهبي ، وشذرات الذهب ، وجمهرة الإسلام ، ذات النثر والنظام . ولكن أسامة كان له ديوان جمعه بنفسه ، وعنى به من بعده ابنه مرهف ، وكان صلاح الدين مشغوبا به ، كما ذكرنا ، وقد رآه ابن خلكان ، وذكر أنه بأيدي الناس . وقد عثرت دار الكتب على نسخة خطية من هذا الديوان^(١) ، وهي النسخة التي قمنا بتحقيقها وموازتها بما له من شعر متفرق في الكتب ، وسنلحق بالديوان في الطبقات المقبلة إن شاء الله ما عثرنا عليه في هذه الكتب ، ولم يكن مذكورا في الديوان .

وقد رتب أسامة ديوانه على حسب الأغراض : فباب للغزل ، وآخر لشكوى الفراق ، وغيرهما للوصف ، إلى غير ذلك من أغراض الشعر الغنائي ، ولكن ديوانه قد خلا من الهجاء . ويظهر أنه قد أصر على ألا يكون في شعره هذا اللون ، برغم الدوافع التي كانت تسوقه إلى أن يهجو ، حتى لقد قال :

| | |
|---------------------------------|------------------------------|
| ظلمت شعري ، وليس الظلم من شيعي | يطيعني ، حين أدعوه ، وأعصيه |
| يهمُّ أن يذكر القوم الأتباع بما | فيهم ، فأزجره عنهم ، وأثنيه |
| وليس من خلق ثلب الغنى وإن | جنى . ولا ذكر ذى نقص بما فيه |

وفى ذلك مسحة من ترفع الإمارة التى تحول بينه وبين النزول إلى مستوى
النشأتم والمهاترة .

ولما اختار أسامة أن يرتب ديوانه على الأغراض ، كان يجزئ القصيدة
الواحدة ، فيضع غزلها مثلاً فى باب الغزل ، ومديحها أو نغرها فى باب المديح
أو الفخر ، وكان هو يشير إلى ذلك حين يعرض قصائده . ولهذا النظام فائدته
فى تتبع الدراسة الفنية ، لكل فن من فنون الشاعر على حدة ، وإن كانت الحاجة
تدعو ، عند دراسة بناء القصيدة ، إلى دراسة أجزائها كلها ، لمعرفة الجو الذى
توحى به ، وإدراك مدى الصلة التى تربط بين عناصرها .

ويبدو ، لأول ما نقرأ الديوان ، أن أسامة لم يدون كل ما قاله من الشعر ،
لأنه لم يرض عن كل ما صدر منه . لحذف منه ما لم يرقه ، حيث يقول :

كلما رددتُ فى شعري النظر بأن ضعف العى فيه ، وظهر
ليس يرضينى ، ولا يمكننى بجد ما قد شاع منه ، واشتهر
فأجيل الفكر فى تقليله فإذا قل اختصرت المختصر
وبه فقر إلى ذى كرم إن رأى ما فيه من عيب ستر

وذلك يدل على تطلع أسامة إلى مثل أعلى ، كان يبغي أن يصل إليه مستوى
شعره ، ولا بد أن كان لذلك أثره فى تهذيب أسامة لشعره ، وأخذه إياه بالتقويم
والتنقيح ، حتى ظهر شعره فى هذا الثوب من القوة والجزالة ، مما يذكرنا بشعر
الفحول ، الذين سموا بفنهم عن أن يكون مظهرًا للتلاعب بالألفاظ ، أو الجرى

وراء محسن لفظي ، من غير أن يكون في البيت معنى جليل ، أو خاطر سام ، أو شعور صادق ، أما أسامة فليده ما يقوله ، في أسلوب قوى ، وعبرة رصينة .

وتتدفق خواطر أسامة في قصيدته ، ويرتبط بعضها ببعض ، حتى يصبح البيت لبنة ، في بناء ملتحم مؤتلف ، خذ مثلاً قوله :

لا تجزعنْ نخطب فكلّ دهرك خطب
وحادثات الليالي مملّة ، ما تغب
تروح سلماً ، وتغدو على الفتى ، وهى حرب
ولا تضقّ باصطبار ذرعاً ، إذا اشتدّ كرب
فصبر يومك مرّة وفي غد هو عذب
كم صابر الدهر قوم فأدر كوا ما أحبوا
وكلّ نار حريق يخشى لظاها ستخبو

ترفيه التحام الخواطر وتسلسلها ، ولا تجد ذلك في مقطوعاته القصيرة فحسب ، بل في قصائده الطويلة أيضاً ، حتى ليخيل إليك أحياناً أنك تقرأ قطعة مثورة ، لا قصيدة منظومة . ويطول نفس أسامة أحياناً حتى تبلغ القصيدة تسعين بيتاً ، كذلك التي كتبها على لسان نور الدين ، يعدد فيها وقائعه مع الفرنج .

وينهج أسامة في كثير من الأحيان المنهج التقليدي ، فيبدأ قصائده بالغزل حين يفتخر ، أو يمدح ، أو يشكو ، وحيناً يبدأ موضوعه من غير مقدمة غزلية ،

كهذه القصيدة التي بعث بها إلى معين الدين أنر ، وقد لقي الفرخ وهزمهم ،
فقال أسامة .

كل يوم فتح مبين ، ونصر . واعتلاء على الأعادي ، وقهر

ومضى في قصيدته .

ولكثر ما اطلع أسامة على الشعر القديم ، كان يضمّنه بعض قصائده . حتى
قد اتهمه بعض سامعي شعره بالسرقة من غيره ، وليس فيما فعل أسامة سوى
التّضمين ، الذي تراه في قوله ، يخاطب معين الدين أنر :

وأنت أعدل من يشكى إليه ، ولي شكية ، أنت فيها « الخصم والحكم »
وما ظننتك تنسى حق معرفتي « إن المعارف في أهل النّهي ذم »
لكن ثقاتك ما زالوا بغشهم حتى « استوت عندك الأنوار والظلم »

وفي هذه الأبيات تضمين من قصيدة المتنبي : واحر قلباه ممن قلبه شيم .
أما قصيدة أسامة التي مطاعها :

أطاع الهوى من بعدهم ، وعصى الصبر فليس له نهى عليه ، ولا أمر
فقد ضمّنها من شعر أبي فراس ، كهذا البيت ، ومن شعر المتنبي ، وأبي صخر
الهللي ، وغيرهم . وليس التّضمين بكثير في شعر أسامة . وأكثره ما جاء في
هاتين القصيدتين .

تلمس في شعر أسامة الجلال والوقار ، فلا هزل فيه ولا مزاح ، إلا قليلا
نادرا ، وليس في باب الملاح الذي عقده ، فضلا عن قصره ، سوى قليل من

الفكاهة، ولعل من أرقها قوله، وقد كان له جار من الأمراء يعرف بابن طليب،
وقعت في داره نار، فاحترقت، فقال أسامة :

أنظر إلى الأيام ، كيف تقودنا قسرا إلى الإقرار بالأقدار
ما أوقد ابن طليب قط بداره نارا ، وكان هلاكها بالنار

(٤)

وجدت الأحداث الكبرى التي مرت بأسامة صداها في شعره ، وصور
آثارها في نفسه تصويرا قويا ، ولعل من أقوى هذه الآثار عمقا في نفسه ،
اضطراره إلى أن يفارق وطنه الأول : شيزر ، الذي شهد مدارج طفولته ،
وملاعب صباه ، وملاهي شببته . وقد وجد أسامة البقاء في هذا الوطن ،
شقاء لا يطيقه ، بعد أن جفاه عمه ، وقلب له ظهر الحجن ، فكتب إلى أبيه
قصيدة، يحدثه فيها عما يعتلج في صدره من الهم ، ويشكو إليه ما كدر صفاء عيشه
من القدر ، وما ناله من سوء العقوق ، ويقول له :

أشكو إلى عليك هماً ضاق عن كتمان صدرى ، وما هو ضيق
وطوارقا للهم ، أقرىها الكرى وتلظّ بي صبحا ، فما تنفرق

وينبئه بأنه قد صمم على فراق دار الهون ، ما دام الحقد عليه قد وجد سبيله
إلى قلوب ذوى قرباه ، فيقول له :

دعني وقطع الأرض ، دون معاشر كلّ على ، لغير جرم ، مُحَقَّق

تغلى على صدورهم ، من غيظهم فتكاد ، من غيظ على ، تحرق
أعيا على رضاهم ، فيئت من إدراكه ، ما النجم شيء يلحق
قد أفسدوا عيشى على ، وعيشهم فأنا الشقى بهم ، وبى أيضا شقوا
فضل الأقارب برهم وحنوهم فإذا جفوني فالأبعاد أرفق
وكان أسامة راضيا عن نفسه بهذا الارتحال ، الذى نأى به عن الضيم ،
وبعد به عن أن يسام الخسف والهوان ، واستقبل بعده عن وطنه راضيا به ،
ما دام ذلك فى سبيل احتفاظه بأنفته وعزة نفسه :

أأسام خسفا ، ثم لا آبى ، فلست إذا أسامة
هيات ، لا ترضى المعأ لى صاحباً يرضى اهتضامه

وألقى أسامة بنفسه فى المعارك تحت لواء عماد الدين زنكى ، ولم ينقص
عليه مقامه يومئذ سوى وشاة أو غروا صدر أبيه عليه ، فاضطر أسامة إلى أن
يرسل إلى أبيه استعطافا ، يزيل به من نفسه أثر هذه الواقعة ، التى لم يحدثنا
التاريخ عنها شيئا ، فكتب أسامة إليه :

يا ويح قلبى من شوق ، يقلقله إلى لقاءك ، ماذا من نواك لى
وناظر قرحت أجفانه ، أسفا عليك ، فى لحنة من دمعه غرق
وبعد ما بى ، فاشفاقى يهددنى بشوب رأيك بالتكدير والرتق
وأن قلبك قد رانت عليه ، من السواشين بى ، جفوة يهماء ، كالفسق
أما كفاهم نوى دارى ، وبعذك عن عيني ، وفرقة إخوان الصبا الصديق

وأنتى كل يوم قطب معركة درية السمر والهندية الدلق
 أغشى الوغى مفردا من أسرقى، وهم هم إذا الخيل خاضت لجة العلق
 وموضى منك لا تسمو الوشاة له ولا يغيره كيسى ولا حمقى
 وكان موقفه من دمشق حين نبت به ، كموقفه من وطنه الأول ، فارقتها ،
 غير راض باحتمال الهوان ، برغم ما ألمسه فى شعره من حبه لمعين الدين ،
 إذ يقول له :

ولست آسى على الترحال عن بلد شهب البزاة سواء فيه والرخم
 تعلقت بجبال الشمس منه يدى ثم انثنت ، وهى صفر ، ملؤها ندم
 أما حياته بمصر، فقد مرّ عليه بها من تقلبات الزمان، وعبر الأيام ، وتنقل
 الملك والسلطان ما صحّ أن يقول معه :

خمسون من عمرى مضت، لم أتعظ فيها ، كأتى كنت عنها غائبا
 وأنت على بمصر عشر بعدها كانت عظة كلّها وتجاربا
 شاهدت من لعب الزمان بأهله وتقلب الدنيا الرقوب عجائبا
 ولعلّ الأزمات السياسية التى مرّت به فى مصر، كانت تملأ صدره بالهمّ حيناً،
 والنقمة على الزمن الذى دفع به إلى مصر، فيقول :

يامصر، مادرت فى وهى ولا خلدى ولا أجالتك خلواتى بأفكارى
 ما أنت أول أرض مسّ تربتها جسمى، ولا فيك أوطانى وأوطارى
 لكن إذا حمت الأقدار كان لها قوى تؤلف بين الماء والنار

ولكن أسامة برغم هذه الأزمات التي كانت تدفعه حيناً إلى الثورة ، والتي لا بد أن تلم بمن يخوض لحة السياسة - وجد في مصر ما كان يصبو إليه : من مال ومجد ، كان شديد الأسف عليه ، حين أفلت من يده ، نحس بذلك في قوله :

نلت في مصر كل ما يريجي الـ آمل : من رفعة ومال وجاه

فاستردت ما خولتني ، وما أسرع نقص الأمور عند التناهي !

كنت فيها ، كأتني في منام زال منه ما سر ، عند انتباهي

فلا جرم كان شديد الحنين إلى مصر ، بعد أن فارقتها ، وكان يتمنى أن يلي

دعوات الملك الصالح ، التي وجهها إليه مرة بعد أخرى ، يدعوها فيها إلى العودة

والعيش معه . وهنا يحسن بي أن أقف قليلاً ، أيقن رأى الملك الصالح فيما أتهم

به أسامة : من المشاركة في قتل الظافر ، فالصالح يرى أسامة براءة تامة من هذا

الإثم ، ويراها نقي الصفحة ، طاهر اليدين ، وها هو ذا يرسل إلى أسامة ، يدعوها

إلى مصر ، ويحدثه عن الوزير عباس الذي قتل ابنه نصر الخليفة الظافر ويقول له :

على أنه قد نال بالغدر من بني نبي الهدى ما لم ينله بنو حرب

وهل نال منهم آل جرب وغيرهم من الناس فوق القتل والسبي والنهب

غدا والغا كالكلب ظلماً وحزبه دماءهم ، لاحاطه الله من حزب

وياليت لو كان فيه من الوفا لمالكه بعض الذي هو في الكاب

وحاشاكم ، ما ختم العهد مثله ولا لكم فيما جرى منه من ذنب

ومن مثل ما قد نالكم من دتوه يحاذر أن تدنو الصّحاح من الحرب

كان لكثرة الترحال أثره في شعر أسامة ، فكثيرا ما شكا الفارقة والافتراق ،
وكثرة جوبه البلاد . وتحسّ في هذا الشعر لوعة الحرمان ، وألم الشوق إلى الوطن
المفارق ، والآل الغائبين ، فتسمعه يقول :

أهكذا أنا باقى العمرِ مغتربٌ ناءٍ عن الأهل والأوطان والسكن
لا تستقرّ جياذى فى معرّسها حتّى أرقّوعها بالشّدّ والظعن
ويقول :

أين السّرورُ من المروع بالنوى أبدا ، فلا وطنٌ ولا خلانٌ
عيدُ البريّة موسم لعويله وسرورهم فيه له أحزان
وإذا رأى الشّمل الجميع تراحت فى قلبه الأمواه والنيران

فكان هذا الرّحيل الدّائم ، مصدر ألم لأسامة ، يؤزّق حياته ، وينغصص
عليه عيشه . وكان له أثره فى مسح شعره بمسحة من الحزن والأسى ، وكثرة حديثه
عن الوداع والفراق .

كما كان لتبدّد ثروته ، نهب بعضها عقب الحوادث التى جرت بعد مقتل
الظافر . وغرق بعضها فى البحر عند خروج أسرته من مصر — أثره البالغ
من نفسه . وأثره القوى فى شعره ، شكا ذلك إلى الملك الصالح ، وطلب منه
المعونة . فقال له :

أنا أشكو إليك دهرا لحي عو دى . وأعراه ، فهو يئس سليب
وخطوبا رمى بها حادث الدهر سوادى . وكلّهن مصيب

أذهبت تالدى وطارفى الطارى ، فضاء المورث والمكسوب
فهو شطران بين مصر وبحر ذا غريق فى ، وذا منهوب

ويظهر أنّ الفقر قد عضه بناه حيناً من الدهر ، حتى رأيناه يصف نفسه بأنه
لا يفترق فى حقيقة الأمر عن سائليه الذين يهرعون اليه ، ظانين فيه الغنى
واليسار :

ولكنّ مستورى كظاهر حالهم فما حيلتى؟ والحظ حرب الفضائل
وكان أكبر ما يؤله فى حالة العسرة التى ألمت به ، هو أن شمت به أعداؤه ،
أخذ يطمئن نفسه بأن سوف يستعيد مع الأيام ماله المفقود ، وحيناً يقول لهم :

متى رآن الشامتون ضرعاً لنكبة تعرقنى عرق المدى
هل برّنى الخطب سوى وفرى الذى كان مباحاً للنوال والتدى

فإذا نزلت كارثة زلزال شيزر ، فذهبت بملك أهله وبأهله ، أخذ يبكىهم ،
ويندب حظهم ، ويرثى منازلهم ، ويسائل الزمن عن ماضى مجدهم ، ويتألم لبقائه
من بعدهم ، ويمدح ما اتصفوا به : من سامى الخلال ، وطيب الفعال . وبرغم
ما كان بينه وبينهم : من إحزن وبغضاء ، عزّ عليه فقدهم ، وتمنى أن لو استمرت
حياتهم ، واستمر ما بينه وبينهم من فرقة ونفور ، فقد كانوا برغم ذلك مصدر فخاره ،
وينبوعاً لقوته واعتزازه . قال أسامة من قصيدة طويلة يصف فيها هذا الخطب ،
وكيف كان له شديد الوقع فى نفسه ، فهو يتطلب الأسى ، فلا يجد أسوة
يقتدى بها :

قالوا: تأس ، وما قالوا: بمن ، وإذا أفردت بالرزء ما أنفك أسوانا
ما استدرج الموت قوماً فى هلاكهم ولا تخرمهم مثنى ووحداً

فكنت أصبر عنهم صبر محتسب وأحمل الخطب فيهم ، عز أوهانا
وأقتدى بالورى قبلى ، فكم فقدوا أخا ، وكم فارقوا أهلا وجيرانا
ويدفع عن نفسه أن يظن به ظانٌ وقوفه من هذه الكارثة، وقوف من لا يعنى
بها ، ولا يأبه لها ، فيقول :

لعل من يعرف الأمر الذى بعدت بعد التصاقب من جراه ، دارانا
يقول بالظن إذ لم يدر ما خلقى ولا محافظتى من حان أو بانا :
أسامة لم يسؤه فقد معشره كم أوغروا صدره غيظا وأضعانا
وما درى أنت فى قلبى لفقدهم نارا تلظى ، وفى الأجفان طوفانا
بنو أبى ، وبنو عمى ، دعى دمهم وإن أرونى مناواة وشتانا
كانوا سيوفى ، إذا نازلت حادثة وجتى ، حين ألقى الخطب عريانا
وختم تلك القصيدة الباكية بالدعاء لهم ، فقال :

سقى ترى أودعوه رحمة ملأت مثوى قبورهم روحا وريحانا
وألبس الله هاتيك العظام ، وإن بلين تحت الثرى ، عفوا وغفرانا

ولما علت سن أسامة ، ووهن منه العظم ، أخذ يشكو طول العمر ، وثقل
الحياة عليه ، فحينما يجد فى الموت أعظم راحة تنقذه من ضعفه ، وحينما تنهال
عليه ذكريات شبابه وصباه ، ويوازن بين ضعفه اليوم، وقوته فى عهده السالف ،
فقد كانت كفه مألفا للسيف والرمح ، فصارت تحمل العصا ، يمشى بها كما

يمشى الأسير منقلا بالكبل ، وحينئذ يأسف على أنه لم ينل في شببته ، من المتع
والملاذ . ما كان جديرا أن يظفر به في عصر الشباب ، إذ يقول :

وما ساءنى أن أحال الزمان لى ليلى نهارة ، وجهلى وقارة
ولكن يقولون : عصر الشباب يكون لكل سرور قرارا
فوجدى أنى فارقته ولم أبل ما يزعمون اختبارا

ومن أكبر ما أتر فيه يومئذ أنه رزق ابنة بعد أن تجاوز أربعا وسبعين سنة ،
فوجد اليتيم ينظرها ، وكان تفكيره في يتمها وضعفها مجابة لحزنه وبكائه :

رزقت فروة ، والسبعون تخبرها أن سوف تيتيم عن قرب ، وتنعانى
وهى الضعيفة ، ما تنفك كاسفة ذليلة ، تتمرى دمعى وأحزانى

وصور لنا أسامة نفسه محنًا على عصاه ، قد تقوس ظهره ، وصارت العصا
وئرا لهذا القوس ، يمشى مشى الحسير ، قد آده ثقل السنين ، فهو يمشى كالمقيد
بعثاره ، أو كالأسير فى قيده ، فلا جرم كان شديد الضيق والبرم ، حين يرى نفسه
عاجزا عن تلبية داعى الحرب إذا دعاه :

رجلاى والسبعون قد أوهنت قواى عن سعى إلى الحرب
وكنى إن توب داعى الوغى لئيه بالطنع والضرب

وكان شديد الضيق والبرم أيضا حين يرى نفسه وحيدا ، قد مضت لداته
وأترابه ، فعاش غريبا فى جيل غريب عنه ، فكان يتأوه قائلا :

ناء عن الأهلىن والأوطان . والأتراب ماتوا

ولبس عيش المرء قارقه الأحبسة واللذات
فلام أشقى بالبقا ، وكم تعذبني الحياة

(٥)

يصور لنا شعر أسامة صلته بأبيه وإخوته : بهاء الدولة منقذ ، ونجم الدولة محمد ،
وعز الدولة ، وشمس الدولة عبد الرحمن ابن أخيه محمد - قوية وثيقة ، يضمحل لأبيه
الحب وخالص الإجلال ، ويعنى أكبر ما يعنى ، بأن يكون راضيا عن خطواته ،
وأهدافه ، كتب إلى أبيه يستأذنه في فراق شيزر بعد أن ساءت حياته فيها
قصيدة طويلة ، منها :

فاسمح ببعدي عنهم برضاك لي إن الذي ترضى عليه موفق
حتى إذا آثر أسامة البعد كتب إلى أبيه قصائد يشوق فيها إليه ، ويحدثه
عن آماله في لقائه والحياة معه ، فإذا سمع أسامة أن تغيرا ألم بقلب والده عليه ،
بعث إليه يستعطفه ويسترضيه ، ومن ذلك قوله :

مالي وللشفعاء فيما أرتجى من حسن رأيك في ، وهو شفيعي
أعذبت لي من جود كفك موردى فصفا ، وأمرع من نذاك ربيعي
وبك اعتايت ، وطلت من ساميته نفرا بجحدك لا بحسن صنيعي
وقضى ببعدي عنك دهر جائر وإلى جنابك إن سلمت رجوعي

وكتب مرة إليه من مقتربه قصيدة منها :

بي لوعتان عليك ، يضعف عنهما جلدى : من الأشواق والإشفاق
فالشوق أنت به العليم ، وغالب الإشفاق مما أنت فى ملاقى

وقد أثرت هذه القصيدة فى نفس والده ، فكتب إليه :

أظنّ أتى بعد بعدك باقى أبجى عن الأشواق بالأشواق
أبا المظفر ، دعوة تشفى الظما منى ، وإن أضحى بها إحراقى
لم أستكن أبدا لخطب نازل إلا لبعذك فهو غير مطاق
فاذا أطعت الوجد فىك أطاعنى قلبى ، ويبدى إن عصبت شقاقى
فاذا ذكرتك خلت أنى شارب ثمل سقاه من المدامة ساقى

ولعلّ والده رأى هذه القصيدة غير مبينة عما يضره قلبه لولده من لاجع
الشوق ، فقام أحد مؤدبى أسامة بنظم قصيدة أرسلها إليه يصف فيها حال هذا
الوالد المعذب .

ولما شئت إخوته فى البلاد كانت رسائله إليهم تفيض بالحب وشكوى
الفراق ، فإذا عتب عليه أحدهم ، تقبل عتبه بالعنى ، وصادق الحب والمودة ،
وحدث أن أخاه مجدا أسره الفرنج ، وهو راحل من مصر ، عقب حركة عباس
وابنه نصر ، فلم يمنعه ما كان بينه وبين ابن عمه بشير من صلة مقطوعة أن
يكتب إليه ، مستعينا به على فك أسر أخيه ، مبديا أرق ألوان الاستعطاف ،
إذ يقول من قصيدة :

أنا ابن عمك ، فاجعلنى بفك أنحى من أسره ، لك عبدا ، مامشت قدمي

ولكن ابن عمه لم يتأثر بالشعر ولم يسع في فكك أخيه .

أما صلته بعمّه ، حاكم شيزر ، وابن عمه ، فيظهر أنّه حاول جاهدا الإبقاء على الصلة التي تربطه بهما ، وبذل في سبيل ذلك ما استطاع أن يبذل من عنت ومشقة ، ولعلّ خير ما يصوّر موقفه في تلك الفترة قوله :

وما أشكو تلون أهل ودي ولو أجدت شكيتهم شكوت
مللت عتابهم ، ويثت منهم فما أرجوهم فيمن رجوت
إذا أدمت قوارصهم قوادي كظمت على أذاهم ، وانطويت
ورحت عليهم طلق الحيا كأني ما سمعت ، ولا رأيت
تجنّوا لي ذنوبا ما جتها يداي ، ولا أمرت ، ولا نهيت
ولا والله ما أضمرت غدرا كما قد أظهره ، ولا نويت
ويوم الحشر موعدا ، وتبدو صجيقة ما جنوه وما جنيت

وبعد وفاة عمّه ، حاول أسامة أن يصلح ما بينه وبين ابن عمه ، وأن يعطفه عليه ، ويلين قلبه ، ولكن يبدو أن هذا الجهد لم يؤت ثمرته ، فظلت النفرة بين أسامة وأهله ، حتى مضى زلزال شيزر بهم ، فبكاهم أسامة كما ذكرنا . وكلّ هذا يدلنا على ما امتازت به نفس أسامة : من حبّ يضمّره لأقاربه ، ورغبة خالصة في أن يعيش بينهم ، يظلالهم جميعا الودّ والوثام ، لو استطاع إلى ذلك سبيلا ، ولا ذنب عليه إذا هو أخفق في جهد كان جديرا به أن ينجح ، وأكاد ألمس في شعره أنه لم يسع يوما إلى فصم عروة مودة بينه وبين قريب أو صديق .

ومن أكبر هؤلاء الذين اتصل بهم أسامة ، الملك الصالح طلائع بن رزّيك ،
 ودار بين الاثنين كثير من المراسلات التي تنضح عن ود مكين بين قلوبهما ،
 وإعجاب كل بصاحبه أكبر الإعجاب ، فضئت قصائد الصالح إلى أسامة تدعوه
 إلى مصر حيناً ، وتعتب عليه إثاره البعد عنها حيناً آخر ، وتأخذ عليه أحياناً
 أنه مقلّ في رسائله ، لا يوالى بعث كتبه ، وكثيراً ما حدثه الصالح عما قام به من
 حروب مع الفرنج ، ويطلب منه أن يكون وسيلته إلى نور الدين ، كي يجتمعا معا
 على حرب الصليبيين . وقد شارك الصالح أسامة فيما نزل به من أحداث قاسية
 في حياته ، وكان الصالح معجباً بمواهب أسامة في الحرب والسلام ، يرى فيه
 محارباً شجاعاً ، وشاعراً مفلحاً ، وخطيباً بارعاً ، وحكيماً في إبداء الرأي صائباً ،
 يقول له :

وجهادُ العدوِّ بالفعل والقو ل ، على كل مسلم ، مكتوب
 ولك الرتبة العلية في الأمرين ، مذ كنت إذ تشب حروب
 أنت فيها الشجاع ، مالك في الطعن ولا في الضراب يوما ضريب
 وإذا ما حرّضت فالشاعر المفلح فيما تقوله والخطيب
 وإذا ما أشرت فالحزم لا ينكر أن التدبير منك مصيب
 لك رأى مذ قط إن ضعف الرأى على حاملي الصليب صليب

وهو لذلك يراه خير من يحمل عبء الرسالة إلى نور الدين ، يحرضه على أن
يجمعها معا على حرب الصليبيين في وقت واحد، حتى تشتت وحدتهم، ولا يستطيعوا
الحرب في جهتين ، وذلك كان رأى الملك الصالح ، يجهز الاثنان جيشهما ،
ويسيران معا في وقت واحد إلى أرض العدو ، طلب من أسامة أن يبلغ ذلك
الرأى إلى نور الدين ، إذ قال له :

فانهض الآن مسرعا فبأمتنا لك ، بازال يدرك المطلوب
والق عنا رسالة عند نور الدين ما في إلقاتها ما يريب
قصدا أن يكون متا ومنكم أجل في مسيرنا مضروب
فلدينا من العساكر ما ضا ق بأدناهم الفضاء الرقيب
وعلينا أن يستهل على الشام مكان الغوث مال صبيب

فهو يعد بالجيوش والمال ، ويرى أن اجتماعهما معا على حرب العدو
كفيل بأن يلقي بهم في البحر . أرسل رسالة إلى أسامة يقول فيها :

فلو ان نور الدين يجعل فعانا فيهم مثالا
ويسير الأجناد جهرا ، كي ننازلهم تزا
وينى لنا ولأهل دو لته بما قد كان قالا
لرأيت للأفرنج طرا في معاقلها اعقلا
وتجهزوا للسير نحو الغرب، أو تصدوا القملا

وقام أسامة بدوره من تحريض نور الدين على الغزو ، والاجتماع على رأى الملك الصالح ، فكتب إليه أسامة يقول :

بالغ العبد فى النيابة والتحريض ، وهو المقفوه المقبول
فراى من عزيمة الغزو ما كا دت له الأرض والجبال تميل

وكان رأى أسامة كراى الصالح فى الاجتماع ووحدة الكلمة ، ومضى المالكين
معا إلى الحرب . وقصائده إلى الملك الصالح تحت على هذا التضامن والاتفاق ،
ولكن ذلك لم يخرج عن حد الأمانى ، ولو أنه نفذ يومئذ فربما كان قد تغير
مجرى التاريخ .

كانت رسائل الملك الصالح إلى أسامة كثيرا ما تصف له ما نزل بالقدس :
من محن على أيدى الصليبيين ، وما اتصف به هؤلاء : من الغدر الذى لا يحول
بينهم وبينه هدنة تعقد ، ولا عقد يبرم . وكثيرا ما تحدثت هذه الرسائل عن وقائع
الصالح فى الفرنج ، وغزواته لهم .

ومضت قصائد أسامة تحمل الثناء على الملك الصالح وتشكر أياديه ، وكان
الصالح يبره ، ويرسل إليه خيره ، ولم يكن أسامة يجد غضاضة فى سؤال الصالح
ولا الشكوى إليه ، كتب إليه مرة يقول :

أشكو زمانا قضى بالجور فى ، ولم يزل يجور على مثلى ، ويعتسف
لحت نوائبه عودى ، وأنفد مو جودى ، وشتت شملى ، وهو مؤتلف
وقد دعوتك مظلوما ومرنجيا وفى يدك الغنى والعدل والخلف

ومن شكر أسامة له قوله :

والندى طبعك الكريم ، فما أهنى نوالا تنيله وتثيب
جاءنى والبعاد دونى ، كما جا بت فيا فى البلاد ربح هبوب
وعجيب أن المواهب تسرى ويقيم المسترفد الموهوب

(٧)

ومدح أسامة غير الصالح ، معين الدين أنز حاكم دمشق ، عندما كان فى كنفه ،
وبعد أن فارقه وجاء إلى مصر ، يثنى عليه بالجوهر الذى تعبده فيقول :

معين الدين ، كم لك طوق من بجيدى مثل أطواق الحمام

وحينا يثنى عليه ببلائه فى حرب الصليبيين وانتصاره عليهم ، فيقول له :

أنت سيف الإسلام حقاً ، فلا فل غراريك أيها السيف دهر
بك زاد الإسلام ياسيفه الخـدم عزاً ، وذل شرك وكفر

ومدح الوزير الأفضل عباس بن أبى الفتوح وزير الظاهر ، وابنه نصر على نعمه
وما أولاه من الفضل والكرامة . وفى ديوانه قصيدة ، لا أدرى لمن وجهها ،
مدح فيها بتشجيع العلوم وتوطيد أركان العدل . أما رأيه فى نور الدين محمود :

فهو المحامى عن بلاد الشام جمعا أن تذالا

وميد أملاك الفر نج وجمعهم حالا خلا

ملك يتيه الدهر والدنيا بدولته اختيالا

فاذا بدا للناظرين رأت عيونهم الكمالا

لكنه أخذ عليه شدة زهده ، وحمله الناس على الزهد ، حتى لقد أشبهت أيامه شهر الصوم : في طهارتها ، وامتلائها بالجوع والعطش . وأسامة بهذا يدل على رغبة قوية في أن يستمتع بالمباح الطبية للحياة .

ومدح أسامة كذلك صلاح الدين ، ذا كرا فضله عليه وعلى الإسلام .

(٨)

كان أسامة شديد الاعتزاز بنفسه في ميادين القتال ، شديد الاعتزاز بأسرته ، شديد الثقة بصبره وثباته وتجربته ، وكان ذلك كله ينبوع نغره في شعره ، فما قاله مفتخرا بشجاعته :

لخمس عشرة نازلت الكماة إلى أن شبت فيها ، وخير الخيل ما قرحا
أخوضها ، كشهاب القذف مبتسما طلق المحيا ، ووجه الموت قد كلبها
بصارم من رآه في قتام وغي أفرى به الهام ، ظن البرق قد لحا
أغدو لنار الوغى في الحرب ، إن نحدث بالبيض في البيض والهجمات مقتدحا
فسل كماة الوغى عنى ؛ لتعلم كم كرب كشفت ، وكم ضيق بي انفسحا

وهو يعلم أن مكانته في السلم رهينة بما يبيديه في الحرب من بسالة وإقدام :

إن يحسبوا في السلم منزلتي من العز المنيف
فبما أهين النفس في يوم الوغى بين الصفوف
فطلما أقدمت أقدام الخوف على الخوف
بغزيمة أمضي على حد السيوف من السيوف

وفي كثير من شعره ، افتخر بصبره على المكروه وأحداث الزمان .

ولأسامة نظرات صائبة في الحياة ، أوحى إليه بها تجاربه ، وطول عمره
وما تقلب عليه من حوادث الزمان ، وعبر الأيام .

يرى أسامة لكل شيء في الحياة نهاية ، فلا بقاء لأمر ، ولا خلود لحادث ،
فلسرور غاية ينتهى إليها ، وللأحزان حد تقف عنده ، وإذا كانت الحياة تجري
على هذا المنوال ، فمن الواجب استقبال حوادث الأيام ، بحسن الصبر ، وقلة
الاهتمام ، فإن الشدائد إذا كانت ستنتفضى وتزول ، فمن العبث أن يزيد المرء
آلام نفسه :

خفف عليك ، فلألمور نهاية وإلى النهاية كل شيء صائر
فاستقبل صروف الزمان بالصبر :

اللق الخطوب إذا طرقن بقلب محتسب صبور
فسينقضى زمن الهموم ، كما انقضى زمن السرور

بل إن هذه النظرة تنتهى بصاحبها إلى قلة الاكتراث بما في الحياة من سعادة
وشقاء :

لما رأيت صروف هذا الدهر تلعب بالبرايا
يعلوها هذا ، ويهبط ذا ، وقصرهم المنايا
ورأيتهم مسترجعا نزر المواهب والعطايا

متغابر الأحوال مختلف الضرائب والسجايا
 لا نعمة فيه تدوم ، ولا تنوم به البلايا
 لم أغبط فيه بفا ندة ولم أخش الرزايا

والمرء يتغلب على شدائد الحياة بالصبر :

إذا ما عرا خطب من الدهر ، فاصطبر فإن الليالى بالخطوب حوامل
 فكل الذى يأتى به الدهر زائل سريعاً ، فلا تجزع لما هو زائل
 وليس الصبر وسيلة لتحمل المكروه حتى ينقضى فحسب ، ولكنه الطريق
 إلى نيل الأمل ، والظفر بالأمانى :

اصبر تنل ما ترجيه ، وتفضل من جارك شأواً العلا سبقاً وتبريزاً
 وأستطيع أن أعد أسامة بهذه النظرة إلى الحياة متفائلاً ، إذ هو ، عند الشدة ،
 واثق من زوالها ، وإذا كان الأمر على ذلك فلا معنى لليأس ولا خير فيه :

يا آلف الهم لا تقنط ، فأياس ما تكون يأتيك لطف الله بالفرج
 ثم بالذى يسمع النجوى ، وينجى من البلوى ، ويستنقذ الغرقى من اللجج

وإذا كان كل شيء فى هذه الحياة إلى انقضاء ، فمن الواجب ألا يدع المرء
 فرصة سعادة تمر من غير أن يأخذ منها بالنصيب الأوفى :

وتغتم اللذات إن ممرها مر السحاب

وأوحى إليه تجاربه في الحياة أن القرب من السلطان غير مأمون العواقب ،
ولا شهى الثمرة ، فنادى بالبعد عنه ، وإيثار العيش في حمول وهدوء :
ارض الحمول ، تعش به في نجوة مما تخاف ومن معاندة العدى
أما الحياة في جوار ذوى السلطان ففي خطر دائم ، وقلق لا يهدأ :
لاتقربن باب سلطان ، وإن ملأت هباته غير ممنون بها الطرقا
فإن أبوابه كالبحر ، راكبه مرقع القلب ، يخشى دهره الغرقا
وأسامة ممن يؤمنون بالقضاء والقدر ، ويدين بالخط ، ويرى الرزق مقسوما ،
لا حيلة في تبديله :

فؤض الأمر راضيا جف بالكائن القلم
ليس في الرزق حيلة إنما الرزق بالقسم
دل رزق الضعيف وهو كالحم على وضم
وافتقار القوى تر هبه الأسد في الأجم
أن للخلق خالقا لا مرء لما حكم
ولكن الناس جشعون يتكالبون على الحياة ، ولا يزهدون فيها إلا متكلفين
مكرهين .

(١٠)

وأفرد أسامة في ديوانه بابا للزئاء ، خصّ جزءا كبيرا منه برثاء ولده أبي بكر
عتيق ، وكان قد وصفه بين أترابه قائلا :
عتيق كأللال ، إذا تبدى لسارى الليل من تحت الغيوم
تقول إذا به الأتراب حقوا : أهذا البدر ما بين النجوم

وأكاد ألمس في تشبيهه بالهلال يبدو لسارى الليل ، أنه كان أملاً لأبيه ،
 طالما تمنّاه ، ليكون رفيقاً لولده الآخر مرهف ، فلا جرم كان لموته لذعة ألم
 في قلبه ، أمضته فضى إلى شعره يشكو إليه وقدة الحزن ، ولا سيما أنه نكب به
 وقد قارب الثمانين من العمر ، لا أمل عنده في خلف يأتى به .

وأسامة يحدثنا عن شغل فؤاده الدائم بابه الزاحل ، فيقول :

كيف أنساك يا أبا بكر ؟ أم كي ف اصطبارى ؟! ما عنك صبرى جميل
 أنت ، حيث أتجهت ، فى أسودى عي سنى وقلبي ، عثّل لا تزول

ويصف لنا انصرافه بعد زيارة قبره ، يملأ قلبه الأسى والشجن :

أزور قبرك ، والأشجان تمنعنى أن أهتدى لطريقى حيث أنصرف
 فما أرى غير أحجار منضدة قد احتوتك ، وماوى الذرة الصدف
 فأنثنى ، لست أدري أين منقلبي كأننى حائر فى الليل معتسف

وقد أثار فيه هذا الحادث المؤلم ذكرى من مضى من أهله ، فأخذ يندبهم ،
 ويتوجع لمصيرهم ، بل أثار فيه الألم لحياته القلقة المشردة ، التى لا تأوى إلى وطن :

رمتنى فى عشر الثمانين نكبة من التكل بودى حملها من له عشر
 على حين أفنى الدهر قوى ، ولم تزل لهم ذروة العلياء ، والعدد الدثر
 فلم يبق إلا ذكرهم وتأسفى عليهم ، ولن يبق التأسف والذكر
 وأصبحت لا آل يلبون دعوى ولا وطن آوى إليه ، ولا وفر
 كائن من غير التراب ، فليس لى

من الأرض ذات العرض ، دون الورى ، شبر

ولكن أسامة ينتهى بالتسليم للقدر ، ما دام ذلك مصير الأحياء أجمعين ،
وإن الدنيا كلها - مادام ذلك عقي أمرها - لا تستحق عناء طلبها ، ولا التعب
فى جمع ما يخرج المرء منه وهو صفر اليدين .

(١١)

ليس فى غزل أسامة هذه الحرارة القويّة التى تشعّرنّا بقلب دله الحبّ ،
وأضنته لوعة الغرام ، ولا أكاد أتبين له إحساسا تفرد به ، أو لمحات امتاز بها ،
وليس معنى ذلك أنه لم يذق الحبّ ، بل أرجح أنه ذاقه ، وإن كان لم يشغل
قلبه كلّهُ ، وقد استعمل أسامة تشبيهات الأقدمين وأساليبهم فى وصف عواطف
الحبّ ، ومما يلحظ على غزله أنه شاك حزين ، لا تكاد تلح فيه ابتسامة سرور ،
وقد يرقّ أسامة أحيانا ، ويتخذ أوزانا مرقصة ، ونحسّ ببعض نبضات الحياة
فى غزله ، كقوله :

قل لمن أوحش بالهجر جفونى من كراها
والذى أوهم عيني أنّ فى النوم قذاها :
يا ملولا ، قلبا استرعى عهدا فرعاه
يا ظلوما ، كلبا استعطفته ، صدّ وتاه
زدت فى تيهك ، والشئ إذا زاد تناهى
تنقضى دولة الحسن ، وإن طال مداها
راحتى لو سمع الشكوى إليه ووعاه

غير أنّ الصّم لا تسمع دعوى من دعاها
وهو لو نادى عظامى رمة لبي صداها

هذا وكان أسامة عندما يبدأ غرضاً من أغراض شعره يجعل روح غزله
مناسبة لهذا الغرض . واستمع إلى غزله في مفتتح قصيدة عتاب ، إذ يقول :
ولوا ، فلما رجونا عفوهم ظلّموا فليتهم حكوا فينا بما علموا
ما مرّ يوماً بفكرى ما يريهم ولا سعت بي إلى ما ساءهم قدم
ولا أضعت لهم عهداً ، ولا أطلعت على ودائعهم في صدرى التهم
وعلى هذا النسق مضى ، حتى قال :

وبعد ؛ لو قيل لى : ما ذا تحبّ؟ وما مناك من زينة الدنيا ؟ لقلت : هم
هم مجال الكرى من مقلتي ، ومن قلبي محلّ المنى ، جاروا ، أو اجترموا
وهاك من غزله في قصيدة استعطاف :

أطاع ما قاله الواشى ، وما هرفا فعاد ينكر منّا كلّ ما عرفا

(١٢)

وعتاب أسامة فيه رقة ورفق بالغ ، واستعطافه جدير أن يستل الضّغائن
من القلوب ، تشغرفيه بحرارة العاطفة ، وصدقها ، يقول لابن عمّه يستعطفه :
هبنى أتيت بجهل ما قذفت به فأين حلّك ، والفضل الذى عرفا

ولا ، ومن يعلم الأسرار حلقة من يبرّ فيما أتى ، إن قال ، أو حلفا

ما حدثتني نفسي عند خلوتها بما تعفني فيه إذا انكشفا

وبعد فشعر أسامة من النوع الجزل الفخم ، لا يكاد تجد فيه من الهنات

إلا ما يعدّ ويحصى ، فهو في عصره يوضع في مقدمة الشعراء الذين جدّوا

شباب الشعر ، وكسوه حلة من الفخامة والقوّة والجلال .

أحمد أحمد بدوي

مقدمة

حامد عبد المجيد

يعد أسامة بن منقذ في طليعة رجال عصره أدبا وتصنيفا ، وممارسة لألوان النشاط السياسي في المحيط الذي عاش فيه ، أغرم بالأدب شعره ونثره ، ونهل منه حتى ارتوى ، ووجد في الشعر متنفسا يترجم به عن عواطفه ، ويسجل فيه حسه ومشاعره ، إزاء ما كان يمر به من أحداث عنيفة ، كانت تدفعه إلى القول دفعا ، فكان له مع الزمن ديوان ضخم ، غنى بترديد النظر فيه بين الحين والحين ، يستعيد به ذكريات غالية عنده ، أو يصور لنفسه حوادث قوية مرت به ، وكان يجبل قلبه في أرجائه بالحو حينا والتعديل حينا آخر ، وكان تطلعه إلى مثل أعلى في البيان يدفعه إلى معاودة النظر في شعره بين وقت وآخر ، ليلبغ منه بالتهذيب إلى ما يبغيه من سمو في القول ، وقوة في البيان . واقتدى أسامة في ذلك بما يحفظه التاريخ لكبار رجال القول من إقبالهم على تنقيح شعرهم ، وتلمسهم أسباب الإجادة ، فلا يزالون يغيرون ويحورون في قريضهم حتى يصلوا به إلى الغاية ، ويروا أنهم قد أوفوا على التعبير الذي يبين عما في نفوسهم أوفى بيان وأتمه ، وحينئذ يذيعون شعرهم في الناس ، مغتبطين به ، وإن كانوا قلما يرضون عن أنفسهم ، بل يتطلعون دائما إلى مزيد من الإجادة والالتقان .

وقد غنى أسامة في أثناء حياته بجمع ديوانه ، فكتبه بخطه ، ونقله عنه محبو أدبه ، وراه ابن خلكان في مجلدين بأيدي الناس ؛ وروى منه بعض ما راقه فيه وهو يترجم لصاحبه في كتابه وفيات الأعيان .

وظفر شعره منذ حياته بعناية الأدباء وتقديرهم ، فاختار له العباد الأصفهاني في حريدته ، وقرن ما اختاره له بأسمى عبارات الإعجاب والإجلال ، كما اختار له الرشيد بن الزير في كتابه جنان الجنان . وكان ديوانه مما أحب صلاح الدين الأيوبي صحبته وقراءته ، وترديد النظر فيه بين الحين والحين ؛ حتى لقد دفع ذلك بعض الشعراء إلى معارضته فيما كان صلاح الدين يعجب به من قصائده .

روى العباد الكاتب قال ^(١) : "لزمت خدمة السلطان (صلاح الدين) ، أرحل برحيله ، وأنزل بنزوله ؛ وكنت ليلة عنده ، وهو يذكّر جماعة من شعراء الزمان ، وعنده ديوان الأمير مؤيد الدولة أسامه بن مرشد ، بن سديد الملك على بن منقذ وهو به مشغوف ، وخاطره على تأمله موقوف ، وإلى استحسانه مصروف ؛ وقد استحسن قصيدة له طائية ^(٢) لو عاش الطائيان لأقرا بفضلها ، وأن خواطر المبتكرين لتقصر عن مثلها ، على أن الشعراء المحدثين ما منهم إلا من نظم على رويها ووزنها ، واستمد خصب خاطره من مرزها "

والحق أن شعر أسامة جدير بالحب والتقدير ، فهو من النوع الجزل الفخم ، تستمع إليه فيروك معناه ، وتعجبك حلته المتينة النسيج ؛ التي لم يضح صاحبها بجودتها في سبيل زخرف أوزينة ، فهو من الشعراء الذين ردوا للشعر أسلوبه الرفيع الذي كان له في العصور الزاهرة للشعر العربي ، والذي ساعده على ذلك

(١) يريد القصيدة التي مطلعها :

أجيرة قلبي إن تدانوا وإن شطوا ومنية قسي أنصفوني أو اشتطوا

راجع الديوان ص ٧٨ و ١٧٤ و ٢١١ .

(٢) الروضتين ١ : ٢٤٧ .

ثقافة واسعة من مآثور الأدب الموروث عن أساطين الأدباء وفحولهم، وقد تجلّت هذه الثقافة الأدبية الرفيعة ، فيما اختاره من نصوص ممتازة جمعها في كتابه . لباب الآداب وسواه . فقد كان الرجل واسع الاطلاع؛ معدودا من علماء عصره و كبار مثقفيه ، فلا غرابة أن تأثر أسلوبه بأسلوب هؤلاء الرجال الممتازين ، وأن اقتبس منهم حيناً ، وضمن شعره بعض قولهم حيناً آخر ، فثقافة الشاعر ذات أثر كبير في أسلوبه .

وأسامة يعد بحق في الطليعة بين شعراء عصره الذين خلد الأدب من بين أسمائهم : المهذب بن الزبير وأخاه ، وطلائع بن رزيك ، وعمارة اليمنى ، والعماد الأصمفهانى . ولعل سرتفوقه -فضلا عن ثقافته الأدبية الواسعة التى تحدثنا عنها - أنه كان يعنى بالتعبير عما يمر به فى الحياة من تجاربه الشخصية ، فكان لحياة التجربة فى نفسه أثرها فى قوة شعره .

ولقد هبأ له طول العمر لإنتاجا غزيرا فى الشعر ، جمعه فى ديوان كبير . ولسنا ندرى متى جمع أسامه ديوانه ، وأغلب الظن أنه قام بجمعه فى أنحريات أيامه ؛ ففيه شعره الذى قاله فى شيخوته . ويحوى الديوان معظم شعر أسامه ، فلم نعثر فى مراجعه المختلفة إلا على النادر الذى لم يرد فى الديوان .

ولما كان أسامة هو الذى قام بجمع ديوانه ، واختار أن يقسمه إلى أبواب الشعر الغنائى المعروفة فى عصره ، ورأى أن يجرئ القصيدة الواحدة المشتملة على أغراض متنوعة ، أجزاء يضع كل جزء فى الباب الذى يناسبه - فقد احترمتنا النهج الذى ارتضاه أسامة لديوانه ، وأشرنا كلما أمكنا ذلك - إلى باقى أجزاء

القصيدة في أماكنها المختلفة ، ليتسنى للباحث دراسة نظام القصيدة عند أسامة ،
ومنهج في تأليف قريضه ، وطريقته في التخلص من غرض إلى غرض .

رتب أسامة ديوانه على حسب أغراض الشعر الغنائي ، من غزل ، ومدح ،
ووصف ، ورثاء ، وغيرها ، مبتدئاً بالغزل ، ولعل بدؤه الأبواب بالغزل ، لما
للغزل من صلة بكل قالب ، ولأن القصيدة العربية تبدأ بدءاً تقليدياً بالغزل ،
فرجح ذلك لديه بدء ديوانه بهذا اللون العاطفي المؤثر .

ومضى أسامة يرتب شعره في كل باب على حسب الحروف الأبجدية ، من
غير أن يستغرق هذه الحروف في كل باب ، كما كان مقلاً في القوافي القليلة
الاستعمال كالثناء والذال .

أحسن أسامة في ترتيب ديوانه على الوضع الذي ارتضاه لإذاعة شعره
في الناس ، أم أنه كان من الخير أن ينهج نهجاً آخر في ترتيب ديوان ؟

لأرب أن اختيار أسامة لهذا اللون من الترتيب له مزاياه التي لا تنكر ، من
خلق جو واحد للقصائد ذات اللون الواحد ، مما يهيئ للقارئ أن يدرك فن الشاعر
وطريقته ومنهجه في كل غرض من أغراض شعره .

أما المنهج الذي فضله في ترتيب ديوان الشعراء فهو الترتيب التاريخي الذي
يعرض فيه الديوان شعر الشاعر على حسب تاريخ إنتاجه ، منذ بدأ الشاعر يقرض
الشعر إلى اليوم الذي صمت فيه قلم الشاعر عن القريض .

هذا الترتيب التاريخي هو الذي يبين في وضوح عن تطور فن الشاعر من
الحدث إلى الشيخوخة ، ويجعلنا نصحب الشاعر في كل أدوار حياته ؛ مرحلة

مرحلة ، نعرف نوازع نفسه ، ونبضات قلبه ، كلما تقدم به العمر ، إذ الشعر صدى الأحداث ، ونظرات الحياة ، وتجارب الأيام التي تختلف من أجلها النوازع ، وتتغير أحكام الشاعر على ما يمر به من الظروف والأحوال .

وقد كنا نفضل أن لو أضاف أسامة - وقد اختار ترتيب ديوانه على حسب الأغراض - في رأس كل قصيدة أنشأها ، تاريخ إنشائها ، والظروف التي أحاطت بها ، لنعرف الجو الذي أحاط به عندما قرضا .

وبعد فقد عثرت دار الكتب على نسخة من ديوان أسامة ، كتبت في صفر سنة ثمان وثمانين وستمائة ، بخط النسخ في ثلاثمائة وتسعين صفحة ، وفي كل صفحة ثلاثة عشر سطرا ، وهي النسخة التي قمنا بتحقيقها ونشرها . ولما كان بعض شعر الديوان قد ورد في مراجع أسامة المختلفة ، كريدة القصر ، ومسالك الأبصار ، والروضتين ، ولباب الآداب فقد وازنا بين رواية الديوان وما جاء في هذه المراجع ، مثبتين ما جاء فيها من خلاف إن كان .

وقد شرحنا ما احتاج إلى شرح من ألفاظ الديوان ، لكيلا ندع بين القارئ والاستمتاع بشعر الشاعر عقبة من ألفاظ قد تكون غريبة عليه .

ووضعنا في آخر الديوان عدة فهارس ، تسهل الرجوع إلى أجزاء الديوان وقصائده ، كما رقنا القصائد والمقطوعات ليسهل الحديث عنها في دراسة شعر أسامة ونقده

حامد عبد المجيد

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثَقَى بِاللَّهِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله
الطيبين الطاهرين ، وأصحابه البررة المتقين ، وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين
صلاة دائمة إلى يوم الدين .

أَقَالَكَ اللَّهُ صَفْقَةَ النَّدَمِ ، وَأَقَلَكَ مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ ، وَعَاذَكَ مِنْ خَطَاِ الْمَقَالِ
وَاجْتِرَاحِهِ ، وَحَصَائِدِ اللِّسَانِ وَجِرَاحِهِ ، وَلَا جَعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا قَالَ ، نَدَمَ وَاسْتَقَالَ ،
فَاتَى [كَلَفْتُ ^(١)] بَنَظْمِ الشُّعْرِ فِي غُرَّةِ [العمر] ^(٢) أَظْهَرَ مِنَ الْمَآثِرِ وَالْمَنَاقِبِ ،
[وَأَعَدَهُ مِنَ الذَّخَائِرِ] ^(٣) لِلْعَوَاقِبِ .

فَلَمَّا عَلَتْ سَنَى ، وَانْجَلَتْ جَاهِلِيَّةُ بَاطِلِي عَنِّي ، وَوَضَحَ لِي أَنَّ الشُّعْرَ لَهُوٌ وَهُونٌ ،
وَأَنَّ الشُّعْرَاءَ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَكْبَرْتُ خَطِيئِي وَأَعْظَمْتُهُ ، وَنَدَمْتُ عَلَى تَفْرِيطِي
فِيمَا نَظَّمْتُهُ . عَلَى أَنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ مَا فَهْتُ بِرَفَثٍ وَلَا هَجَاءٍ ، وَلَا مَدَحْتُ لَطْمَعٍ
وَلَا رَجَاؤَ ، تَنَزَّهًا عَنْ رَفَثِ الْمَقَالِ ، وَتَرْفَعًا عَنْ مَنَنِ الرِّجَالِ ، فَخَاوَلْتُ أَنْ أَغْسِلَ
عَنِّي وَضْرَةً ، وَأَعْفَى أَثْرَهُ ، فَعَصَانِي مِنْهُ مَا شَاعَ ، وَمُلِثْتُ بِهِ الْأَفْوَاهُ وَالْأَسْمَاعُ ، فَعَدْتُ
إِلَى تَقْلِيلِهِ وَتَمْحِيطِهِ ، [وَفُتْ] بِتَنْخِيلِهِ وَتَلْخِيطِهِ ، وَفِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ عَيُوبٌ يُشْهَدُ

(١) تَكَلَّفَ لِسْقَطِ الْأَصْلِ بِمَنْحَلِهَا يَنْحَلُّ بِهَا الْمَعْنَى .

(٢) « « « « « يَسْتَقِمُّ الْمَعْنَى .

بها لإنصافي وإفراري ، ويشفعُ في سترها اعترافي واعتذاري ، وأثبت في هذا
الجزء منه ما حصلتُ منه على الاختصار ، لا على الاختيار ، وفيه ما فيه ، مما
لا أنكره ولا أخفيه ، فظهره قائلُ صدقٍ وعدلٍ ، وساتره أخو كرمٍ وفضلٍ ،
وأنا القائلُ :

كلما رددتُ في شِعري النَّظْرَ بأنَّ ضعفَ العِيِّ فيه ، وظهرَ
ليسَ يُرضيني ، ولا يُمكنني بحمدٍ ما قد شاع منه ، واشتهرَ
فأجیلُ الفِكرِ في تَقليله فإذا قَلَّ اختصرتُ المختصرُ
وبه فقرُ إلى ذی كَرَمٍ إن رأى ما فيه من عيبٍ سترَ
وقد جعلتهُ مشتملاً على ستة أبواب :

الباب الأول - الغزل . وينظمُ في سلكه شكوى الفراق ، ووصفُ الحنين
والاشتياق ، ثمَّ ما يجوز أن يلتحق به ، من مكاتبات الإخوان ، ومعاتبات
الخلان ، وما يجذبُ هذا المعنى بأهدابه .

الباب الثاني - الأوصاف .

الباب الثالث - المُلحُ .

الباب الرابع - المديحُ . ويتشَبَّثُ به القولُ في الفخر المتضمنُ مآثرَ الإنسان
وخلالَه ، ثمَّ الحماسةُ الراجعُ معناها إلى التَّمَدُّج بالشجاعة والبسالة

الباب الخامس - الأدب . ويتعلّق بسببه الأمثال ، وما يجري مجراها ،
أو يُلاحظ مغزاها ، ثم وصف الشَّيب والكبر ، ثم الزُّهْد لمن تأمل واعتبر .

الباب السادس - المراثي .

وكلُّ باب من هذه الأبواب المذكورة مرَّتْ على حروف المُعْجَم ، فصلاً
فصلاً ، ليقرب تناول ما يُقصد منه ، والله تعالى المستولُ في رحمةٍ توجب
العُفْران ، وتكفّر جرائم الألسان ؛ إنّه جوادٌ مَنَّان .

باب الغزل

قافية الباء

(١)

قال :

صَاحِبُهُمْ بِرَفْقٍ مَا أَحْصَبُوا^(١) وَتَحَافَّ عَنْ تَعْنِيفِهِمْ إِنْ اذْزَبُوا
وَدَعَ الْعَنَابَ ، إِذَا بَدَتْ لَكَ زَلَّةٌ إِنْ الْهَوَى مُتَجَرِّمٌ^(٢) لَا يُعْتَبُ^(٣)
وَإِمْسَلْ لَهُمْ جَوْرَ الْمَلَالِ ، وَحَمَلُهُ صَعْبٌ ، وَلَكِنَّ الْقَطِيعَةَ أَصْعَبُ

(٢)

وقال :

بِنَفْسِي قَرِيبُ الدَّارِ ، وَالْهَجْرُ دُونَهُ وَبَعْدُ التَّقَالِي^(٤) غَيْرُ بَعْدِ السَّبَابِ^(٥)
أَرَاهُ مَكَانَ الشَّمْسِ بَعْدًا ، وَبَيْنَنَا كَمَا بَيْنَ عَيْنِ فِي التَّدَانِي وَحَاجِبِ
وَهَلْ نَأْنِي قَرَبٌ ، وَمِنْ دُونِ قَلْبِهِ نَوَى قُدْفٌ^(٦) أَعْيَتْ ظُهُورَ الرِّكَائِبِ
تَجَنَّبَنِي لِي الذَّنْبُ الَّذِي مَا جَنَّبَنِي وَلَا هُوَ مَغْفُورٌ بِعِذْرَةِ تَائِبِ

(١) أَحْصَبَ : اقْتَادَ .

(٢) يُقَالُ تَجَرَّمَ عَلَى فُلَانٍ أَيْ ادْعَى ذَنْبًا لَمْ أَضْلِهِ .

(٣) الْعَتَبُ بِالضَّمِّ : الرَّمَا . وَاسْتَعْتَبَ : أَعْطَاهُ الْعَتَبُ ، كَأَعْتَبَهُ .

(٤) تَقَالُوا : تَبَاغَضُوا . وَبَيْنَهُمْ تَقَالُ .

(٥) السَّبَابُ : جَمْعُ سَبَبٍ ، كَالِيسَابِيسِ جَمْعُ بَيْسٍ ، وَهِيَ الْمَفَاذَةُ .

(٦) نَوَى وَنِيَّةٌ وَفَلَاةٌ قُدْفٌ ، مَحْرَكَةٌ وَبِضْمَتَيْنِ وَكُصُورٌ : بَيْدَةٌ .

وملّ ؛ فلو أهدي إلى خياله بدا لي منه في الكرى وجه عاتب
وضنّ ؛ فلو أنّ النسيم يطيعه لحنّني برد الصبا والحنائب^(١)
إذا رجعت بالياس منه مطامعي علقْتُ بأذيال الظنون الكواذب
وأعجب ما خبرته من صبابي به ، والهوى مازال جمّ العجائب
حنّني إلى من خلب^(٢) قلبي داره وشوق إلى من ليس عني بغائب

(٣)

وقال :

حتى متى أنا شائم إيماض بارقة خلوب؟!
والآم ألقى اللائمين عليك بالوجه القطوب؟!
وأعلل النفس العذيلة فيك بالأمل الكذوب
وأقول : تصلحك الخطوب بـ ، وأنت من بعض الخطوب

(٤)

وقال :

نشدتكم يا مدعين سلوة عن الحب ، لم يستحسن الظلم في الحب
وما بالله يلتقي البريء من الضنى حريرة ما يأتي المسىء من الذنب
وكيف استمرّ الجور فيه ، وأوجبت عقوبة ما تمنّجني العيون على القلب

(١) الجنوب : ريح تخالق الشمال ، مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا والجمع جنائب .

(٢) الخلب : بالكسر : لحمة رقيقة تصل بين الأخلاع ، أو السكبه .

(٥)

وقال :

قَرُّ إِذَا عَاتَبْتُهُ كَانَتْ قَطِيعَتُهُ جَوَانِي
مُتَجَرِّمٌ^(١) أَبَدًا يُجْرِعُنِي مَرَارَاتِ الْعَنَابِ
كَمْ سَهَلَتْ عَيْنَاهُ لِي مِنْ وَصْلِهِ وَغَرَّ الطَّلَابِ
حَتَّى وَقَعْتُ ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا التَّلَوُّنُ فِي حِسَابِي

(٦)

وقال^(٢) :

ذَكَرَ الْوَفَاءَ خَيَالُكَ الْمُتَنَابُ فَأَلَمَ ، وَهُوَ بُوْدُنَا مَرَاتِبُ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ خِيَالِ زَائِرٍ مُتَعَبِّ^(٣) ، عِنْدِي لَهُ الْإِعْتَابُ
مُسْتَشْرِفٍ^(٤) كَالْبَدْرِ خَلْفَ حِجَابِهِ أَوْ فِي الْكَرَى أَيْضًا عَلَيْكَ حِجَابُ !
أَنْكَرْتُ هَجْرِي ، وَالزَّمَانُ بِجَوْرِهِ^(٥) يَقْضِي بَأَن يَتَهَاجِرَ الْأَحْبَابُ
حَظَرَ الْوَفَاءَ عَلَى هَجْرِكَ طَائِعًا وَإِذَا اقْتَسَرْتُ ، فَمَا عَلَى عَنَابُ
وَدَى كَعَهْدِكَ ، وَالْدِّيَارُ قَرِيبَةٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْقَطَعَ الْأَسْبَابُ .
ثَبَّتْ ، فَلَا طَوْلَ الزِّيَارَةِ نَاقِصُ مِنْهُ ، وَلَيْسَ يَزِيدُهُ الْإِغْبَابُ^(٦)

(١) تجرم عليه : ادعى عليه الجرم وإن لم يجرم .

(٢) وردت هذه القصيدة أيضا في خريدة القصر : ١٠٣ ، وياقوت : ٥ : ٢٠٣ .

(٣) في الخريدة « متعب » . والتعب مخاطبة الإدلال . والإعتاب مصدر أعبه : أعطاه العني وهي الرضا .

(٤) هذا البيت لم يرد في ياقوت . واستشرف الشيء : رفع بهره إليه ، وبسط كفه فوق حاجبه كالمستظل من الشمس .

(٥) على هامش الديوان « بئدده » .

(٦) ترتيب الأبيات الثلاثة الأخيرة في الخريدة وياقوت يخالف ترتيب الديوان . والإغياب مصدر أغيب إذا نجا .

القوم يوما وغاب يوما .

(٧)

وقال :

نفسى بزهره دُنْيَاها مَعْدَبَةٌ فكيف حال من الدنيا تُعَذِّبُهُ
ومن سَمَتْ لوصولِ الشمسِ هَمَّتُهُ فغيرُ مُسْتَنَكِرٍ إن عَزَّ مطلبُهُ

(٨)

وقال :

واعصِ اضطبارَكَ إن تكفَّلَ الله لك مُسَعِّدٌ ، فالهجرُ يُظهرُ حُوبَهُ^(١)
وَحَسْبَ قَلْبِكَ ما بهِ : من حُبِّهم فعلامَ تَقْرَفُ بالصدودِ نُدُوبَهُ^(٢)

(٩)

وقال :

ليسَ طرفى جارا لِقَلْبى ، ولكن دَمٌ هَذَا بدمعِ هَذَا مَشُوبٌ
خُلْطَةٌ فى تَبَاينِ الحالِ : هذا أَبْداً ظاهراً ، وذَا مَحْجُوبٌ
وَإِطْرَفِى فى كُلِّ نَهْجٍ من الحُبِّ وَجِيفٌ ، وَقَلْبِى المَجْنُوبُ^(٣)
وسهامُ العيونِ أَخْفَى من الوَهْمِ ، ولكنَّ بَيْنَ تَدْمِى القلوبِ

(١) الحوب : الإثم .

(٢) قوف القرحة : قشرها . والتدوب : جمع ندبة وهى أثر الجرح الباقى على الجلد .

(٣) الوجيف : الاضطراب . والمجنوب اسم مفعول من جنبه : قاده إلى جنبه .

(١٠)

وقال من قصيدة كتبها إلى الملك الصالح^(١)، جواباً عن قصيدة كتبها إليه من نظمه :

أطع الهوى ، واغص المعائب واضدِف عن الواثي المراقب
وتغنم اللذات إن ممرها مر السحاب
وانظر إلى الأغصان حاملة شمساً في غياهب
من كل حاوٍ ، قد تكتنفه نعاين الذواب
في وجهه ضدان ، كُلُّ منهما لب سالب :
نار بلا لَفَج تضرم ، وسط ماء غير ذائب
هذى بقايا سحر با بل ، وهى من إحدى العجائب
فخذار يا أسد الشرى من فك الحاظ الربارب^(٢)
غضبان أفديه على ما كان منه : من مغاضب^(٣)
دع ذا ، فاعذر الفقى في غيه ، والفود شائب

(١١)

وقال :

من زين الأخوان الرطب بالشائب ونظم الدر بين الراج والحب
ومن ترى غرس الأغصان حاملة شمساً تردت دياحى الشعر فى كُتب
وقل لشادن آرام الكأس : ألا فانظر إلى ملج فى شادن الغرب^(٤)

(١) هو طلائع بين رزيك (٤٩٥ - ٥٥٥٦) ولي وزارة الخليفة الفاطمى : الفاتر بنصر الله ، ثم وزارة العاضد
وكان شجاعاً حازماً جواداً عارفاً بالأدب شاعراً ولوعاً بغزو الفرنج . (٢) الررب : القطيع من بهر الوحش .
(٣) المغاضب : جمع منغضة وهى ضد الرضا . (٤) شدن الظبي : قوى واستغنى عن أمه .

نَارُ الْحَيَاءِ بِخَدَّيْهِ بِلَا لَهَبٍ قَدْ مَازَجَتْ مَاءَ حُسْنٍ غَيْرَ مُنْسَكَبٍ
سُبْحَانَ بَارِي سِهَامٍ مِنْ لَوَاحِظِهِ مِنْ الْمَلَاخَةِ لَا مِنْ أَسْهُمِ الْغَرَبِ^(١)
إِذَا رَمِينَ قَمَاءُ دُونَ الْقُلُوبِ، وَإِنْ حُرْسَنَ ، مِنْ جُنِّ تَحْمِيٍّ وَلَا جُبِّ
كَانَتْ، وَلَيْلُ الصَّبَا تُخْفِي دَيَاجِرَهُ عَنْ سَبِيلِ النَّهْيِ وَالرُّشْدِ، مِنْ أَرْبَى
أَنْعَصَى النَّصِيحَةَ فِيهَا غَيْرَ مُعْتَذِرٍ وَأَرْكَبُ الْغَىَّ عَمْدًا غَيْرَ مُتَنَبِّ^(٢)
وَأَحْمِلُ الضَّغْنَ فِي وَجْدِيهَا، وَأَرَى حَمَلَ الْهَوَى مِنْ وَقَارِ الْحِلْمِ أَجْمَلَ بِي
حَتَّى إِذَا نَادَتْ السَّبْعِينَ: حَسْبُكَ مِنْ تَعْلِيلِ قَلْبِكَ بِالْآمَالِ وَالْكَذِبِ

(١٢)

وقال :

مُهَفِّفٌ يُجْجِلُ بَدْرَ الدُّجَى فَإِنْ رَأَاهُ اكْتَنَى فِي السُّحْبِ
قَوَامُهُ يُزِرِّي ، إِذَا مَا انْتَنَى مِنْ لَيْنِهِ ، بِالْغُصْنِ الرَّطْبِ
يَبْسُمُ عَنْ دُرٍّ ، تَعَالَى الَّذِي نَظَّمَهُ فِي الْبَارِدِ الْعَذْبِ
الْأَمُّ فِيهِ ، وَهُوَ لِي شَاغِلٌ بِالْهَجَرِ عَنْ لَوْنٍ وَعَنْ عَتَبِ

(١٣)

وقال :

أَدْعُو عَلَى ظَالِمِي ، فَيَغْضَبُ مِنْ دُعَايَ ، قُلْ لِي : عَلَامَ ذَا الْغَضَبِ ؟ !
هَجْرُكَ لِي ظَالِمًا ، وَخَوْفُكَ مِنْ دُعَايَ ، يَا ظَالِمِي ، هُوَ الْعَجَبُ

يَدْعُو لِسَانِي ، وَالْقَلْبُ مِنْ وَجَلٍ عَلَيْكَ أَنْ يُسْتَجَابَ لِي ، يَجِبُ
وَبَعْدُ مَنْ لِي ، لَوْ أَنَّ وَزَرَكَ فِي صَحِيفَتِي فِي الْمَعَادِ يُكْتَتَبُ

(١٤)

وقال :

لَا تَكْثِرَنَّ عِتَابَ مَنْ لَمْ يُعْتَبِ فَمِنْ الْعَمَاءِ قِيَادُ غَيْرِ الْمُصْحَبِ^(١)
بَيْنَ السُّلُوفِ وَبَيْنَ قَلْبِ أَحْيَى الْهَوَى مَا بَيْنَ شَرْقٍ فِي الْبَعَادِ وَمَغْرِبِ
يُصْنَعِي ، فَحَسْبُهُ ارْعَوَى ، وَلَذِكْرٍ مِنْ يَهْوَى أَصَاخَ ، وَلَمْ يُصْخِ لِمُؤْنَبِ
وَالْفَيْ مَا أَبْصَرْتَهُ مِنْ رُشْدِهِ وَالْفَيْشُ نَصَحُ النَّاصِحِ الْمُتَقَرَّبِ

(١٥)

وكتب إلى الملك الصالح بن رزّيك قصيدةً أولها :

كَفَّ عَنِّي وَاشْ ، وَأَغْضَى رَقِيبُ وَنَهَانِي عَنْ التَّصَابِيِ الْمَشِيبِ^(٢)
وَسَتَانِي هَذِهِ الْقَبْصِيدَةُ بِتَامِهَا فِي مِظَانِهَا مِنْ هَذَا الدِّيْوَانِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ،
فكتب إليه الملك الصالح قصيدةً أولها^(٣) :

بَأْنِي شَخْصُكَ الَّذِي لَا يَغِيبُ عَنْ عِيَانِي ، وَهُوَ الْبَعِيدُ الْقَرِيبُ
يَا مُقِيمًا فِي الصَّدْرِ ، قَدْ خَفْتُ أَنْ يُؤْ ذِيكَ لِلْقَلْبِ حُرْقَةً وَوَجِيبُ
وَأَرَى الدَّمْعَ لَيْسَ يُطْفِئُ حَرَّ الْوُجُودِ ، إِنْ جَادَ غَيْثُهُ الْمَسْكُوبُ
كُلَّ يَوْمٍ لِنَارِ شَوْقٍ مَا بَيْنَ ضُلُوعِي بِمَاءِ جَفْنِي لَهَيْبُ

(١) بيت : يعطى الرضا . والمصحب : الملقاد .

(٢) راجع ص ٢٣١ .

(٣) باقى القصيدة ص ١٥٣ و ١٦٤ و ٢٩٦ .

وكذا الصَّبُّ يَحْسُنُ الْجَوْرَ فِي الْحُبِّ لَدَيْهِ ، وَيَعْدُبُ التَّعْذِيبُ
 لَا يَهَابُ الْأَسْوَدَ فِي حَوْمَةِ الْحَرِّ ب ، وَيَقْتَادُهُ الْغَزَالُ الرَّيْبُ
 وَيُجَازِي عَنْ النَّفَارِ مِنَ الْأَحْبَابِ بِ الْقَرَبِ ، إِنَّ ذَا لِعَجِيبُ
 يَا مَلِيحَ الْقَوَامِ ، عَطْفًا ، فَقَدْ يَعْطِفُ مِنْ لَيْلِهِ الْقَضِيبُ الرَطِيبُ
 لَكَ قَلْبٌ أَقْسَى عَلَيْنَا مِنَ الصَّخْرِ ، وَمَا هَكَذَا تَكُونُ الْقُلُوبُ
 وَبِحَكْمِ الْعَدُوِّ تَحْكُمُ الْحَا ظُكَ فِي قَلْبِنَا ، وَأَنْتَ الْحَبِيبُ
 أَنْتَ عِنْدِي مِثْلُ ابْنِ سَبْرَايَ^(١) مِنْهُ الدَّاءُ ، يُرْدِي النُّفُوسَ وَهُوَ الطَّيِّبُ
 مَا لَدُنِّي يُسْقَى بِهِ وَرْدُ خَدَيْكَ ، وَمَرَعَاهُ فَوْقَ خَدِّي جَدِيبُ
 وَلَأَهْلُ الصَّفَاءِ مَا مِنْهُمْ الْآنَ خَلِيلُ إِذَا دَعَوْتُ يُجِيبُ
 مَا ظَنَّنَا نَفُوسَهُمْ بِانْصِدَاعِ الشَّمْلِ يَوْمًا ، وَلَا الْفِرَاقِ تَطِيبُ

قافية التاء

(١٦)

وقال :

يَا مُعْمِلَ الْأَمَالِ ، دَعْ خُدْعَ الْمَنَى فَاِلْيَاسُ يَنْقُضُ كُلَّ مَا أْبْرَمَنَه
 مَرَضٌ^(٢) فَوَادَكَ بِالسُّلُو ، لَعَلَّه مُتَيْسِّرٌ بَعْدَ النَّوَى إِنْ رُمَتَه
 فَنِ الْجَهَالَةِ أَنْ تَوَمَّلَ وَصَلَهُمْ بَعْدَ الْبِعَادِ ، وَفِي الدُّنُو حُرِمَتَه

(١) ابن سبراي هذا طبيب متقدم في صناعته ، كان يتول خدمة الملك الصالح ، وكان في أخلاقه بعض الشراسة والحدة فذلك كان الملك الصالح يبعث به ويداعبه مستدعيا لفرته وحدته مع عليه فضله . (اه من هامش الديوان) .

(٢) التمر يض : حسن القيام على المريض .

قافية الجيم

(١٧)

وقال :

وَنَاقِلِي رَأْيَهُ ضَلَالِي عَنْ نَهْجِي ، وَالْحُبُّ مَالَهُ نَهْجُ :
وَيَحْ بَنَى الْوَجْدَ كُلَّمَا عُدَلُوا فِي خَوْضِهِمْ لِحَّةَ الْهَوَىٰ لِحْوَا
عَلَّكَ تَنْجُو مِنْهُمْ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِيَّاكَ عَنِّي ، حَاشَا أَنْ أَنْجُو
أُنْظُرَ^(١) إِلَيْهَا ، وَلَا^(٢) نَظَرْتُ ، تَرَى شَخْصًا عَنِ الْعَاشِقِينَ يَحْتَجُّ
غُصْنٌ وَدَعُصٌ ، فَالْغُصْنُ مِنْ هَيْفٍ يَمِيسُ لَيْنًا ، وَالْدَّعُصُ يَرْجُ
شَمْسٌ وَلَيْلٌ ، فَاعْجَبْ لَشَمْسٍ ضَحَى تُشْرِقُ ، وَاللَّيْلُ رَاكِدٌ يَدْجُو
رَحِيقُ رَيْقٍ عَذِبٌ ، فِي كَبْدِي مِنْهُ سَعِيرٌ ، وَفِي فَمِي ثَلْجٌ
فِي وَجْهِهَا كَعْبَةُ الْجَمَالِ ، فَلِلْعَيْنِ إِلَى حُسْنِ وَجْهِهَا حَجٌّ

قافية الحاء

(١٨)

وقال^(٣)

نَفْسِي قَدْتُ بِدَرْتَمَامٍ ، إِذَا عَاتَنِي بِالْجِدِّ أَوْ بِالْمِزَاحِ
سَدَدْتُ بِالتَّقْيِيلِ فَاهُ عَلَى مَسِكَ ، وَدُرٍّ ، وَعَقَيْقٍ^(٤) ، وَرَاحِ

(١) هذا البيت والبيتان بعده مما اختاره مسالك الأبصار لأسمامة (١٠ : ٥٠١) .

(٢) هذه رواية الديوان وفي المسالك « فَن » .

(٣) هذان البيتان من اختيار مسالك الأبصار لأسمامة (١٠ : ٥٠١) .

(٤) في المسالك « ورضاب » .

وقال .

بَاحُ بِشَكْوَى مَا بِهِ ، فاستراح
لَمَّا رَأَى كَتَمَانَ مَا يَنْطَوِي
دَاوَى بِمَا أَعْلَنَ مِنْ بَنِهِ
صَبَّ حَمَاهُ الْوَجْدُ طَيْبَ الْكَرَى
مُحَاطِرٌ يَرْكَبُ هَوْلَ الْهَوَى
يَا صَاحِ ، مَا أَصْحَاكَ عَنْ سَكْرَتِي
مُهِفِّهِفٍ^(١) ، صَحَّتْ عَلَى سُقْمِهَا
لِطَرَفِهِ فَتَكَّةُ بَيْضِ الطَّبَا
شَمْسُ نَهَارٍ ، تَرْتَدِي بِالدُّجَى
طَافَ عَلَيْنَا ، وَالدُّجَى رَاكِدٌ
بِقَهْوَةٍ مِنْ خَذِهِ أَشْرَقَتْ
فَظَلْتُ فِي أَمْنٍ غَرَامِي بِهِ
فِي حِنْدَسِي طُرَّتِهِ وَالدُّجَى
نَغْبِطَةٌ جَادَتْ عَلَى بُحُلِهَا
حَتَّى قَضَى الدَّهْرُ بِتَفْرِيقِنَا
فَهَلْ عَلَيْهِ فِي الْهَوَى مِنْ جُنَاحٍ
عَلَيْهِ لَا يُغْنِي إِذَا الدَّمْعُ بَاحُ
قَلْبًا مِنَ الْكَتَمَانِ دَائِي الْجِرَاحِ
وَجِسْمُهُ لِسُقْمٍ نَهَبٌ مُبَاخٍ
أَمَّا ، وَأَمَّا مِثْلُ ضَرْبِ الْقَدَاحِ
عَقَلِي بِأُخْوِي ذِي مِرَاجٍ وَرَاحٍ^(٢)
جُفُونُهُ ، فَهِيَ مَرَاضُ صِحَاحٍ
وَقَدَّهُ هَزَّةُ سُمْرِ الرِّمَاحِ
غُصْنُ مِرَاحٍ ، فَوْقَ حَقِيفِ رَدَاحٍ^(٣)
يُظَلُّنَا مِنْ جُنْحِهِ بِالْجُنَاحِ
وَنَشْرُهَا الضَّائِعُ مِنْ فِيهِ فَاحٍ
مِنْ كُلِّ وَاشٍ ، وَرَقِيبٍ ، وَلَاحٍ
وَنِيرَى غُرَّتِهِ وَالصَّبَاحِ
بِهَا اللَّيَالِي غَلَطًا لَا سَمَاحِ
فَمَا احْتِيَالِي فِي الْقَضَاءِ الْمَتَاحِ

(١) الأُخْوِي : ذو الشَّفَةِ الْحَرَاءِ . الْمَائِلَةُ إِلَى السَّوَادِ . وَالْمِرَاحِ : اسْمٌ مِنْ مِرَاحٍ كَفَرَحٍ : أَشْرُوهُ بِطَرَاخِنَالٍ وَبِحَجَرٍ . وَالْمِرَاحِ الْخَرُ . يُرِيدُ أَنَّ عَقْلِي مَشْغُوفٌ بِمِرَاحِ ذِي ثَغْرِ أُخْوِي وَبِالْمِرَاحِ .

(٢) هَفِيفٌ الرَّجُلُ إِذَا مَشَى بَدَنُهُ فَصَارَ كَأَنَّهُ غُصْنٌ يَمِيدُ . مَلَاةٌ ... وَيُقَالُ : جَارِيَةٌ مَهْفُوفَةٌ وَمَهْفُوفَةٌ : ضَامِرَةٌ الْبَطْنِ دَقِيقَةُ الْخَصْرِ .

(٣) أَرَاكِ الشَّيْءَ : وَجَدَ رِيحَهُ . وَالْمَرَادُ أَنَّهُ غُصْنٌ ذُو رَانِحَةٍ طَيِّبَةٍ . وَالزِّدَاحِ : الثَّقِيلَةُ الْأَوْرَاكِ .

(٢٠)

وقال .

أُرثته غِرَّةٌ^(١) في الهَجَرِ مَصْلَحَتِي جهلاً ، فأفسدني كلَّ ماصِلِها
وقال : لَيْسَ لَهُ قَلْبٌ يُطِيقُ بِهِ صَبْرًا ، وَلَوْ هُمْ بِالسُّلُوانِ لافْتَضَحَا
وَصَبُوءُ الْحَبِّ كَانَتْ قَبْلَ بَذَلْتِهِ^(٢) وَبَعْدَهَا ، فَسَوَاءٌ صَدَّ أَوْ نَزَّحَا
كَالشَّعْرِ يُحْفَظُ مَا لَمْ يُتَذَلَّ ، فَإِذَا حَلَقْتَهُ عَادَ بَعْدَ الصَّوْنِ مُطَرَّحَا

(٢١)

وقال :

عَقَائِلُ^(٣) الْحَيِّ ، أَمْ سَرِبُ الْمَهَا^(٤) سَتَحَا أَفْسَدَنَ مَا كَانَ بِالسُّلُوانِ قَدْ صَلَحَا
بَرَزْنَ كَالْبَانِ فِي الْكُتُبَانِ حَامِلَةٌ شَمْسًا أَضَاءَتْ وَلَيْلًا رَاكِدَا جَنَحَا
فَاقْتَدَنَ بِالْحَبِّ مَنْ أُعْطِيَ مَقَادَتَهُ طَوْعًا ، وَرُضْنًا^(٥) بِحَسَنِ الدَّلِّ مِنْ جَمَحَا
مَنْ كُلُّ غِيْدَاءٍ^(٦) مَكْسَالٍ إِذَا انْتَبَهَتْ تَنَفَّسَتْ عَنْ نَسِيمِ الرُّوضِ إِذْ نَفَحَا
كَانَتْ مُنَى النَّفْسِ لَوْلَا وَاعِظُ لَسَنُ لِلشَّيْبِ أَسْمَعْنِي نَاهِيهِ ، إِذْ نَصَحَا

(١) الغرة بالكسر : النقلة وعدم التجربة .

(٢) البذل : الابتذال : ضد الصيانة .

(٣) العقيلة من النساء : الكريمة المخدرة .

(٤) المهابة : البقرة الوحشية ، شبهت بالمهابة وهي البلورة .

(٥) راض المهر : ذلله .

(٦) الغيذاء : المثلثة لينا .

قافية الدال

(٢٢)

وقال " :

حَتَّامٌ أَرْغَبُ فِي مَوْدَةٍ زَاهِدٍ وَأُرُومُ قُرْبِ الدَّارِ مِنْ مُتَبَاعِدِ
وَالْأَمَّ أَلْزَمَ الْوَفَاءَ لِغَادِرِ وَأَقْرُّ بِالْعُتْبَى لِحَاكِجَانِ جَاوِدِ
وَعَلَامٌ أَعْمَلُ فِكْرَتِي فِي سَادِرِ^(٢) سَاهُ ، وَأَسْهَرُ مُقْلَتِي لِرَاقِدِ
وَأَرَوْضُ نَفْسِي فِي رِضَا مُتَجَرِّمِ فَاتَتْ مَوَدَّتَهُ طَلَابَ النَّاشِدِ
وَأَقُولُ : هِجْرَتُهُ خِخَافَةٌ كَاشِخِ يُغْرِى بِنَا ، وَحِذَارُ وَاشِ حَاسِدِ
وَأُظَنُّهُ يُبْدِي الصَّدُودَ^(٣) ضَرُورَةً وَإِذَا قَطِيعَتُهُ قَطِيعَةٌ عَامِدِ
مَنْ لِي بِنَيْلِ مَوْدَةٍ مَمْدُوقَةٍ^(٤) مِنْهُ ، يَبْهَرُجُهَا اخْتِبَارُ النَّاقِدِ
أَرْضَى بِبَاطِلِهَا ، وَأَقْنَعُ بِالْمُنَى مِنْهَا ، وَأُدْفَعُ غَيْبَهَا بِالشَّاهِدِ
يَا ظَالِمًا^(٥) ، أَقْنَى اصْطِبَارِي هِجْرَهُ وَابْتَرَّ ثَوْبَ تَمَاسُكِي وَتَحَالِدِي
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى وَصَالِكَ ، بَعْدَمَا عَفَيْتَ بِالْهَجْرَانِ سُبُلَ مَقَاصِدِي
وَيَلُومُنِي فِي حِمْلِ ظُلْمِكَ جَاهِلُ يَلْقَى جَوَى قَلْبِي بِقَلْبٍ بَارِدِ
يُزْرِي عَلَى جَزَعِي بِهَمِيرٍ مُسْعِدِ وَيَصُدُّ عَنِ دَمْعِي بِطَرْفِ جَامِدِ
لَمْ لَا تَرَقُّ . لِنَظَرٍ أَرْقَنِهِ وَحَشَا حِشَاهُ الْوَجْدُ جَذْوَةً وَاقِدِ
وَمَرْوِجٌ يَلْقَى الْعَوَازِلَ فِي الْهَوَى بِفُؤَادِ مَوْتُورٍ ، وَسَمْعِ مُعَانِدِ

(١) روى القباد في الخريدة بعض هذا الشعر (١ : ١٠٣) .

(٢) السادر : الذي لا يتم ولا يزال ما صنع .

(٣) في الخريدة " الجفاء " .

(٤) يقال فلان يذوق الرد ، وروده مفلوق وهو مما ذوق في رده : كذاب

(٥) في الخريدة " يا هابرا " .

قَلِقَ الْوَسَادَ كَأَنَّ تَحْتَ مِهَادِهِ أَسَدًا ، وَمَضَجَهُ نِيَابُ أَسَاوِدِ^(١)
 أَتْرَاكَ يَعْطِفُكَ الْعِتَابُ ، وَقَلْبًا يَنْتَنِي الْعِتَابُ عِنَانَ قَلْبٍ شَارِدِ
 هِيَاهُ ، وَصَلَّكَ عِنْدَ عَنَقَا مُغْرِبِ^(٢) وَرَضَاكَ أَبْعَدُ مِنْ سَهَا وَفَرَاقِدِ
 وَمِنَ الْعَنَاءِ طِلَابُ وَدِّ صَادِقٍ مِنْ مَادِقٍ ، وَصِلَاحُ قَلْبٍ فَاسِدِ

(٢٣)

وقال :

إِنْ خَانَ عَهْدَكَ مِنْ تَوَدُّهِ وَنَأَى ، فَلَا يَحْزُنُكَ فَقْدُهُ
 وَاجْهَرُهُ هَجْرَكَ مِنْ مُحِبِّ ، إِذَا تَضَى وَحَاوَهُ لِحْدُهُ
 وَإِذَا سُئِلْتَ عِلَامَ تَهْجُرِهِ ، فَقُلْ : مَا صَحَّ عَهْدُهُ
 وَعِلَامَ أَرْغَبُ فِي مَلُو لِي ، خَائِنٍ ، قَدْ بَانَ زُهْدُهُ
 وَاحْذَرُ مَقَالَهَ مِنْ يَقُو لِي : الْحُبُّ تَخَضُّعُ فِيهِ أَسَدُهُ
 وَإِذَا خَضَعْتَ لِمَنْ يَحْجُو نُكَ فَاِلْبَاءُ لِمَنْ تَعِدُّهُ !
 إِنْ رَاعَ قَلْبَكَ هَجْرُهُ فَعَدَا يَلِينُ لَهُ أَشَدُّهُ
 وَالصَّبْرُ سُمٌّ نَاقِعٌ لَكِنَّ مِنْهُ يُسَارُ^(٣) شُهْدُهُ
 وَإِذَا صَرَفْتَ الْقَلْبَ فَهَو وَكَأَمْسٍ ، لَا يُسْطَاعُ رَدُّهُ
 غَالَطْتَ نَفْسَكَ فِيهِ ، وَالْمَشَى خَوْفٌ يَعْزُبُ عَنْهُ رُشْدُهُ
 وَظَنَنْتَهُ قَصَبًا زِدِيَا ذَلِكَ فِي الْهَوَى ، وَسَوَاكَ قَصْدُهُ

(٢) عتاق مغرب : طائر معروف الاسم لا الجسم

(١) أسود : جمع أسود وهو الحية .

(٣) شار السمل : استدرجه كإشارته .

وَأَنَا الْفِدَاءُ لِبَاخِلٍ بِالْوَعْدِ ، وَالْأَحْلَامُ وَعْدُهُ
أَرْضَى بِيَاظِهِ ، وَيُقْنِي طُنِي تَجَهُمَهُ ، وَرَدُّهُ
لَدُنُ الْقَوَامِ ، يُعَلِّمُ الْأَغْصَانَ كَيْفَ تَمْبِسُ قَدُّهُ
يَفْتَرُّ عَنْ عَذَابِ الْمَقْبَلِ ، يُضْرَمُ الْأَحْشَاءُ بِرُدِّهِ
لَا شَكَّ ، لَوْ لَوْ ثَغْرَهُ مِنْ عَقْدِهِ أَوْ مِنْهُ عَقْدُهُ
لِلنَّعْرِ رَيْقُنُهُ ، وَلِلْوَدِّ الْجَنَى النَّصْرُ خَدُّهُ

(٢٤)

وقال :

يَا مَلُولًا قَلْبًا يَرَى عَمِي لِمَنْ يَهْوَاهُ عَهْدًا
يَا ظَلُومًا كَلَّمَ اسْتَعَطَفْتُهُ تَاهَ وَصَدًا
لَمْ جَعَلْتَ الْهَجَرَ يَا مُو لَائِي ، قَبْلَ الْبُعْدِ بُعْدًا
مَا أَرَى [لِي] ^(١) مِنْكَ فِي حَا لِ الرُّضَا وَالسُّخْطِ بُدَا

(٢٥)

وقال :

مُرُوعٌ بِالْقَلَى ، وَالصَّدِّ ، لَيْسَ لَهُ صَبْرٌ ، عَلَى الْهَجْرِ وَالْإِعْرَاضِ ، يُسَعِّدُهُ
إِذَا اسْتَقَرَّ ^(٢) الْكَرَى أَجْفَانَ مُقْلَتِهِ وَأَفَى الْخِلْيَالِ بِطُولِ الْهَجْرِ يُوعِدُهُ
تَذَكِّي مَدَامُعُهُ جَمْرًا تَسْعَرُ فِي حَشَاهُ ، وَالْجَمْرُ فَيُضِ الْمَاءُ يُجْمَدُهُ

(١) تَكَلَّمَ بِقَضَائِهِ الْوَزْنَ .

(٢) اسْتَقَرَّ فَلَانَا : أَنَاهُ عَلَى غَفْلَةٍ .

(٢٦)

وقال :

لَا تَحْسَبَنَّ اللّوْمَ أَجْدَى بِلِ زَادَهُ كَفًّا وَوَجْدًا
أَبْدَى صَبَابَتَهُ وَلِلْإِعْلَانِ مَا أَخْفَى وَأَبْدَى
نَمَّتْ بِهِ زَفَرَاتُ شَوْقِي ، مَا أَطَاقَ لَهْنٌ رَدًّا
لَا تُكَاثِرُنَّ فَا يَرَى مِمَّنْ تُعْنَفُ فِيهِ بُدًّا
فَرُّ أَعَارِ الظُّلَمَى الْحَاطَا ، وَغُصْنِ الْبَانِ قَدًّا
شُغِفَ الْجَمَالُ بِهِ ، فَلَمْ يَجْعَلْ لِمَا أَعْطَاهُ حَدًّا

(٢٧)

وقال :

قُلْ لِمَنْ لَمْ يَرْعَ عَهْدِي وَالَّذِي ضَيَّعَ وُدِّي :
يَا فَدَتَكَ^(١) النَّفْسُ ، قَدْ أَشْرَفَتْ فِي هَجْرِي وَصَدَّتِي
إِتْمَا وَصَلَكُ مَبْذُولٌ خِلِّ مُسْتَجِدٍّ
فَاقِبِ مِنْ هَجْرِكَ حَفَا لِلَّذِي يَهْوَاكَ بَعْدِي

(١) هذا البيت والبيت الأخير من اختيارات مسالك الأبحار لأسامة (١٠: ٥٠١)

(٢٨)

وقال :

حَالٌ عَمَّا عَهِدْتُهُ مِنْ وَدَادِي وَاعْتَدَى فِي قَطِيعَتِي وَبِعَادِي
وَسَلَانِي ، وَقَالَ : كَمْ جُهْدُ مَا يَبْقَى بِجِسْمٍ مُضْنِيٍّ بِغَيْرِ فُؤَادِ
وَأَطَاعَ الْوُشَاةَ فِيَّ ، وَصَعِبُ أَنْ يُطِيعَ الْحَبِيبُ قَوْلَ الْأَعَادِي
وَهُوَ مِنْ نَظَرِي وَقَلْبِي ، وَإِنْ مَلَّ وَأَبْدَى الْقَلْبَ ، مَكَانُ السَّوَادِ

قافية الراء

(٢٩)

وقال :

كَمْ إِلَى كَمْ أَكْتَمْتُ النَّاسَ وَجَدِي ، وَيُظْهِرُ ؟ !
كَشَفَ الْهَجْرُ مِنْ غَرَامِي مَا كُنْتُ أَسْتُرُ
وَأَقَرَّتْ مَدَامِي بِالَّذِي كُنْتُ أَنْكُرُ
مَا احْتِيَالُ الْمُتَيْمِّمِ الصَّيْبُ ، أَمْ كَيْفَ يَصْبِرُ
رَاقِبَتَهَا الْعَيُونُ ، يَالَيْتَهَا لَيْسَ تَنْظُرُ !
فَهُوَ مِنْ خَشْيَةِ الْمُرَا قِبَ يَهْوَى وَيَهْجُرُ

(٣٠)

وقال :

أُيَرْجَعُ لِي شَرْحُ الشَّبَابِ وَعَصْرُهُ وَكَيْفَ رَجُوعُ اللَّيْلِ قَدْ لَاحَ بَجْرُهُ
رَدَاءُ قَشِيبٍ ، حَالٌ هَالِكٌ لَوْنُهُ وَأَنْهَجُهُ^(١) طَى الزَّمَانِ وَنَشْرُهُ

(١) أَنْهَجَ الثَّوبُ : أَخْلَقَ ، وَأَنْهَجَهُ الْبَلُّ . وَحَالٌ : تَغَيَّرَ لَوْنُهُ .

وكنْتُ به كُلِّ الضَّيِّينِ فَبَزَهَ^(١) المَشْيِبُ ، فَوَيْحَ الشَّيْبِ لَادَرَّ دَرُهُ
 فَيَاسَعِدُ ، كَمْ أَحْسَنَتْ بِي قَبْلَ هَذِهِ فِدُونَكَ رَأَى خَالِصاً لَكَ شُكْرُهُ
 تَرَاءَ مَعِيَ دَاراً بِأَكْثَبَةِ الْحَمَى فَقَدَرَانِ^(٢) مِنْ دَمْعِي عَلَى الْعَيْنِ سِتْرُهُ
 فَإِنْ تَكُ أَطْلَالِي فَقَفْ بِي رَبِّعَهَا لِأَبْرَدَ قَلْبًا قَدْ تَوَهَّجَ بَحْرُهُ
 وَأُفْرَغَ فِيهَا قَطَرٌ دَمْعٍ يُغَيِّرُهُ إِذَا جَادَهَا مِنْ صَيْبِ الْغَيْثِ قَطَرُهُ
 وَعَاهَدْتُ قَلْبِي أَنَّهُ لِي مُنْجِدٌ مَتَى خُتِمَ ، وَالْآنَ قَدْ بَانَ غَدْرُهُ
 وَأَبْدَى الْهَوَى مِنْهُ نَجْهَمَ خَاذِلٍ فَمَنْ خَاتَنِي مِنْ بَعْدِهِ قَامَ عُذْرُهُ
 وَقَدْ كَانَ سُكْرُ الْحُبِّ يَهْفُو بِلَبِّهِ وَمَا خَلْتَهُ يَبْقَى مَعَ الْغَدْرِ سُكْرُهُ
 وَلَمْ أَتَّبِعْ ضَنْئاً بِكُمْ سَقَطَاتِكُمْ لِأَسْبِرُكُمْ ، وَالْكَلِمُ يَدُومِيهِ سَبْرُهُ^(٣)
 وَلَكِنْ أَرَانِيهَا اسْتَهَارَكُمْ بِهَا وَهَلْ يَخْتَنِي فِي حِنْدَسِ اللَّيْلِ بَدْرُهُ

(٣١)

وقال^(٤) :

مَا هَاجَ هَذَا الشَّوْقَ غَيْرُ الذِّكْرِ وَزُورَةُ الطَّيْفِ سَرَى مِنْ مَضِرٍ
 مِنْ بَعْدِ طُولِ جَفْوَةٍ وَهَجَرٍ كَمْ خَاضَ بَحْرًا وَفَلَا كَبْحَرٍ
 يَجُوبُهُ اللَّيْلُ حَلِيفَ ذُعُرٍ حَتَّى أَتَى طَلَانِحًا^(٥) فِي قَفَرٍ
 قَدْ انْطَوَيْنَ مِنْ سُرَى وَضُمَرٍ^(٦) حَتَّى اغْتَدَيْنَ كَهْلَالَ الشَّهْرِ
 يَحْمَلْنَ كُلَّ مَا جِدَّ كَالصَّفَرِ كَأَنَّهُ مُهَنْدٌ ذُو أَثَرٍ^(٧)

(٢) ران : غلب .

(١) بزه : غلبه ونزعه .

(٣) السر : امتحان غورا الجرح .

(٤) اختار صاحب مسالك الأبيات هذه القطعة لأسامة مع اختلاف في الترتيب (المسالك ١٠ : ٥٠٢) .

(٦) الضمر : الخزال .

(٥) طلائع : جمع طليح وهو الممزول .

(٧) الأثر : فريد السيف .

بعيدُ مهوى همة وذكر
فأم رجلي، دون رحل السفر
وها له من زمن وعمر
إذ الصبا عند التصابي عذرى
غراء، أبهى من ليلي البدر
أحسن من شمس يغيب قطر
تبسم عن مثل نظيم الدر
إذا انتنت قبل نُموم الفجر
كأن فاهًا جونة^(١) لعطر
مشى النسيم بمياه الغدير
راكدة ليل تحت شمس تسرى
يالانمي، إن الملام يغرى
لابك ماى: من جوى وفكر
أبيت أرعى كل نجم يسرى
كيف الغراء، وصروف الدهر
كانها تطلننى بوتر

للجد يسى، لا لكسب الوفر
يذكرنى طيب الزمان النضر
ما كان إلا غرة في الدهر
وغاية المنية أم عمرو
بعيدة القرط، هضم الخصر
تفعل بالألباب فعل الخمر
كانه لآلى في نحر
تنفست عن مثل رياء الزهر
وإن مشت مثقلة بالبه^(٢)
رأيت سحرًا أو شبه سحر
ضدان فيها اتفقا لأمر
هيجت أشواقى، ولست تدرى
إذا أراح الليل هم صدرى
كأنما حشيتى من جمر
تقر^(٣) قرحى، وتهيض كسرى
والصبر، لو خبرته، كالصبر

(٣٢)

وقال :

دعاني إلى هجرى بثينة حقة
ولا بأس بالهجران ما لم يكن قلى
من الدهر خوف هجرها آخر الدهر
ولا الصدد، ما لم يبدد المرأة عن غدر

(١) الجوة : السقط .

(٢) البهر : انقطاع النفس من الإعياء .

(٣) قرف القرحة : قشرها .

(٣٣)

وقال :

وَيْحَ الْعَوَازِلِ ، لَا خَلَاقَ لَهُمْ وَهُمُوهَا ، وَلَمْ تَصْدُقْهُمْ الْفِكْرُ
قَالُوا : قَتَى تَسْمُو بِهِ هِمُّ مُسْتَضْفَرٌ فِي جَنْبِهَا الْخَطَرُ
لَا يَنْتَنِي عَمَّا يَهُمُّ بِهِ أَوْ يَنْتَنِي الصَّمَامَةُ الذِّكْرُ
غَرَّتْهُ دُنْيَاهُ بَزْهَرَتِهَا فَصَبَا ، وَمِنْ عَادَاتِهَا الْغَرُّ
فَأَرَتْهُ مِثْلَ الشَّمْسِ طَالِعَةً غَرَاءَ يَعْنِي دُونَهَا الْبَصْرُ
وَبَدَتْ لَهُ عَطْلًا كَأَحْسَنِ مَا يَبْدُو لَعَيْنِ الْمُدْلِجِ الْقَمَرُ
حَتَّى إِذَا مَا الْحُبُّ أَوْقَفَهُ حَيْرَانَ : لَا وِرْدٌ وَلَا صَدْرُ
ضَمِنَتْ لَهُ مِنْ وَصْلِهَا عِدَّةٌ إِنْ نَالَهَا فَلَيْهِنَهُ الظَّفَرُ
أَوْ كَانَ ذَلِكَ لِحَنِّهِ سَيِّئًا فَدَمُ الْفَتَى فِي مِثْلِهَا هَدَرُ

(٣٤)

وقال :

يَا حَاضِرًا بِفَوَادِ نَائٍ غَائِبِ وَالنَّجْمُ أَقْرَبُ مِنْ مَلُولٍ حَاضِرِ
أَبْلُغْ رِضَاكَ مِنَ الْجَفَاءِ فَشِمْتِي وَصَلُ الْمَلُولِ ، وَحَفِظْ عَهْدَ الْغَادِرِ
فَلَا صَبِرَنَّ عَلَيْكَ لَا مِنْ سَلْوَةٍ صَبَرَ الْكَلِيمِ عَلَى أَدَاةِ السَّابِرِ ^(١)
حَتَّى تَعُودَ إِلَى الرِّضَا ، وَيَصْدَكَ الْخُلُوعُ لِقَى الْكَرِيمِ عَنِ الطَّرِيقِ الْجَانِبِ

(١) السبر : امتحان غور الجرح . والكليم : الجريح .

(٣٥)

وقال ^(١) :

وهاً لليلِ خِلْتَنِي من طيبه مَتَفِيئًا في ظلِّ طَيْرٍ طَانِرٍ
لو أَتَيْتِ أَشْرَى بَعْمَرَى مثله أو بالشَّيْبَةِ لم أَكُنْ بالخَاسِرِ
ناهلتُ فيه البدرَ شمسًا تُوجَتُ عند المِزَاجِ بكلِ نَجْمٍ زاهرٍ
ولمْتُ ثَغْرًا ، لو تَأَلَّقَ في دُجَى أغْنَى المَحُولِ ^(٢) عن الغَمامِ الماطرِ

(٣٦)

وقال :

هُبُونِي ، كما زَعَمُوا ، مُذْنِبًا أَسَأْتُ ، وقد جِئْتُ أَسْتَغْفِرُ
فأينَ دَليْلُ الرِّضَا والقَبولِ لِ ، وَحُسْنُ تَجَاوُزٍ مَن يَقْدِرُ
ولم يَبْقَ لي بعدُ ذُلٌّ الخَضو عِ رجاءٍ سِوَى أَنِّي أَصْبِرُ

(٣٧)

وقال :

يا جَانِرًا ، وهَوَايَ يَعرُده منك الذُّنُوبُ ، وَمَنَى العُذْرُ
لا تَحْسَبْنِي ، عَن مَلَالِكَ لي غَرًّا ، وَلَكِنَّ الهَوَى غَرٌّ
وأرى سَبِيلَ الهَجَرِ واضِحَةً مَسْلُوكَةً ، لو كان لي صَبْرٌ

(١) هذه القطعة عدا البيت الثاني مما اختاره مالك الأبيار لأسامة (١٠ : ٥٠٢)

(٢) المحول : الجذب .

(٣٨)

وقال ^(١) :

ما حيلتي في المَلُولِ ، يظلمني وليس إن جَارَ منه لى جَارُ
ودأده كالسَّحَابِ ، منتقل وعهده كالسراب ، غَرَّارُ
آمنُ ما كنتُ منه فاجأني بغذره ، والمملولُ غَدَّارُ
عَوْنِي نليه مدامعُ سُفْح وزفرةٌ دوتَ حرَّها النَّارُ

(٣٩)

وقال :

لا صبرَ لى عن بدرٍ تمُّ مُشرقٍ أضحى له الينُ المشتُّ سرَّاراً ^(٢)
عاتبته ^(٣) فى صدّه قبلَ النوى فكانَ عني زاده إصراراً
وعرته من نَجَلِ العتابِ كآبةً زادت محاسنَ وجهه أنواراً
ورأيتُ أمواهَ الحياءِ بنحده فترقرقت ، حتى استحالتَ قاراً

(٤٠)

وقال :

أنا أفدى مُغرًى بهدى وهجرى وهو شمسي ضحى ، وفى الليلِ بدرى
يُذِبتُ الوردَ خذه ، وبفيه الـ هذب دُرًى ، يُسقى سُلَافَةً نَعْرِ

(١) رويت هذه القصيدة أيضاً في خريدة القصر (١ : ١٠٤) .

(٢) السرار : أواخر النهر .

(٣) هذا البيت والبيت الأخير من اختيارات المسالك لأسامة (١٠ : ٤٠٢)

(٤١)

وقال :

مَنْ عَاذِرُ لِي ! وَمَنْ لِلصَّبِّ يَعْنِرُهُ مِنْ نَاقِضِ الْعَهْدِ يَنْسَانِي ، وَأَذْكُرُهُ
يَقْتَادُنِي نَحْوَهُ شَوْقِي ، وَيَصْرِفُنِي خَوْفِي عَلَيْهِ ، فَأَهْوَاهُ وَأَهْجُرُهُ
تَرَى مُحَاسِنَهُ عَنِّي ، وَتُعَرِّضُ عَنْ قَبِيحِ أَفْعَالِهِ ، أَوْ لَيْسَ تُبْصِرُهُ
يَأْتِي بِمَا سَاءَ نِي عَمْدًا ، فَأَعْنِرُهُ وَيَظْهَرُ الْغَدْرُ لِي مِنْهُ فَأَنْكَرُهُ

(٤٢)

وقال :

حَتَّامَ قَلْبِي بِالْكَآبَةِ مُكَمِّدٌ بِإِكِّ ، وَوَجْهِي لِلتَّجَمُّلِ مُسْفِرٌ^(١)
كَالشَّمْعِ يُشْرِقُ بِالضِّيَاءِ ، وَنَارُهُ مَشْبُوبَةٌ ، وَدَمُوعُهُ تَخَدَّرُ

(٤٣)

وقال :

مَنْ عَذِيرِي مِنْ شَادِنٍ^(٢) لَمْ أَطِقْ عَنْهُ ، مَعَ النَّسِكِ وَالتَّحَلُّمِ صَبْرًا
أَهْيَفُ ، أَنْبَتَ الْجَمَالَ بِفِيهِ ۖ ۖ عَذِبَ دُرًّا سَقَاهُ مَسْكًَا وَنَحْرًا
فَأَعَارَ الْغَزَالَ عَيْنًا ، وَغَضَنَ ۖ ۖ بَانَ لِيْنًا ، وَالْأُخْوَانَةَ تَغْرًا
أَجْتَلَى مِنْهُ فِي ضَحَى الْيَوْمِ شَمْسًا وَأَرَى مِنْهُ فِي دُجَى اللَّيْلِ بَدْرًا
فِيهِ أُنْسٌ ، وَلِلْإِلَاحَةِ فِي عَ بَيْنِهِ مَعْنَى ، تَخَالَهُ الْعَيْنُ دُعْرًا
قَالَ لِي ، إِذْ رَأَيْ غَرَامِي وَصَدَى : أَنْتَ تُخْفِي وَجَدًا ، وَتُظْهِرُ هَجْرًا

(١) أسفر الصبح : أضاء . وأشرق . والتجمل : التصبر .

(٢) شادن الظلي : قوي واستغنى عن أمه .

أنت كالصائم، الذي يَسْتَهِي الماءَ لفرطِ الظَّمَا ، ويكره فطرًا
قُلْتُ: دَغْذا، فأنت شَرِطِي، ولكن لم يدع لي المشيبُ في الجهلِ عُذْرًا

(٤٤)

وقال :

قَالُوا : أَسْلُوْا عَنْ حِمِّي بِيكَ ؟ قُلْتُ : لَا ، وَاللَّهِ ، عُمَرَى
قَالُوا : فَفِيهِ تَبَذُّلٌ يَا بَاهُ مِثْلِكَ ، قُلْتُ : أَدْرَى
لَوْ كَانِ مَسْتَوْرًا لِمَا هُنَاكَ الْغَرَامُ عَلَيْهِ سِتْرِي
وَإِذَا أَبَتْ نَفْسِي هَوَا هُ ، مَعَ الْخِيَانَةِ ، خَانَ صَبْرِي

(٤٥)

وقال :

ظَبْيٌ تَغَارُ الشَّمْسُ مِنْ حُسْنِهِ مَاءُ الْحَيَا مِنْ خَدِّهِ يَقْطُرُ
مُتَبَسِّمٌ عَنْ جَوْهَرٍ رَائِعٍ يَقُوحُ مِنْهُ الْمَسْكُ وَالْعَنْبَرُ
إِذَا مَشَى أَنْجَلَ سَمَرَ الْقَنَّا وَحَارَ فِيهِ عَقْلُ مَنْ يَنْظُرُ
مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى أَنَّهُ إِذَا أُرْدْنَا وَصَلَهُ يَهْجُرُ

قافية الشين

(٤٦)

وقال :

لَا تَزَيِّجِ النَّجَجَ مِنْ مَوَاعِدِهِ فَهِيَ صَبَاحٌ، يَتَجَابُّ عَنْ غَيْشٍ^(١)
مَا هِيَ إِلَّا السَّرَابُ، يَتَّبِعُهُ الظَّمْ آنُ ، حَتَّى يَمُوتَ بِالْعَطَشِ

(١) الغيش : غلبة آثر الليل .

قافية الصاد

(٤٧)

وقال :

يا مَنْ مودَّته سحابٌ زائلٌ وعُهوده في الحبِّ ظلٌّ قالِصٌ
هل في القضية أنْ حُبَّكَ زائدٌ أبداً ، وحظِّي كلَّ يومٍ ناقِصٌ
وتسوبُ ودَّك بالقطيعةِ والقلَى وهواك من كلِّ الشوائبِ خالِصٌ

(٤٨)

وقال :

يا غادرين إلّامَ يثني هجركمُ وملأكمُ أملٍ بجِدٍّ^(١) ناكِص
أنا من هواكم بين حبٍّ زائدٍ بلغ النهاية بي ، وحظُّ ناقِص
أرضي مشوبَ الودِّ منكم بالقلَى وأجكمُ محضَ الودادِ الخالِص

قافية الضاد

(٤٩)

وقال^(٢) :

صدَّ عني وأعرضاً وتناسى الذي مضى
واسمَّرَ الصدودُ وأنفَطَعَ الوصلُ وانقضى^(٣)

(١) الجَدُّ : الخطُّ . والناكسُ : المجهِمُ .

(٢) هذه القصيدة مما روى في الخريدة لأسامة ١٠٤٦١ مع زيادة .

(٣) يده في الخريدة : "واختفت في الهوى ذوو بادت حين أبغضا "

صَحَّ الْآنَ هِجْرُهُ لِي بِمَا كَانَ عَرَضًا^(١)
وَلِذَا اسْتَعْطَفَ الْمَلُوءُ لِي نَجِّنِي وَأَعْرِضًا^(٢)

قافية الطاء.

(٥٠)

وقال :

لَكَ أَنْ أَطِيعَكَ رَاضِيًا أَوْ سَاخِطًا وَأَصُونُ سِرَّكَ رَاجِيًا أَوْ قَانِطًا
وَلِذَا تَسَقَّطَنِي الْوُشَاةُ حَدِيثُكُمْ أَلْفَوْا بِسِرِّكُمْ ضَمِينًا سَاخِطًا
يَلْقَى اللَّوَائِمُ فِيكَ سَمْعًا صَادِقًا عَنْهُمْ ، وَجَاشًا لِلْهَلَامَةِ رَابِطًا
وَيُثِيرُ ذِكْرَكُمْ زَفِيرًا صَاعِدًا مُسْتَنْبِطًا بِلِظَاهِ دَمْعًا سَاقِطًا
يَا هَاجِرًا ، وَافَى الْكَرَى بِخِيَالِهِ مُسْتَدْرِكًا بِالْوَصْلِ هِجْرًا فَارِطًا
لَوْ أَيقَنَ الْوَاشُونَ حَظِّي مِنْكُمْ وَصَبَابِي بِكُمْ لَسَرُّوا الْغَائِبَاتِ

(٥١)

وقال :

يُقَرُّ بِالذَّنْبِ يَجْنِيهِ ، فَأَحْسَبُهُ قَدْ جَاءَ مُسْتَدْرِكًا بِالْعُذْرِ مَافِرَطًا
وَلَيْسَ يَقْصِدُ إِلَّا أَنْ يُعْرِفَنِي أَنَّ الْإِسَاءَةَ عَمْدٌ لَمْ تَكُنْ غَلَطًا

(١) بعده في الخريدة: "كل عيب بين في الخط ويخفى مع الرضا"

(٢) بعده في الخريدة: "ليت من ملني وأنحل جسمي وأمرضا"
"عاد بالوصل أو قضى في بالعدل إذ قضى"

قافية الظاء

(٥٢)

وقال :

أَحْفَظْتُ^(١) قَلْبِي بِغَدْرِكُمْ وَالْقَلْبُ أَذْنَى الْعَدْرِ يُحْفَظُهُ
وَأَضَعْتُ عَهْدَ الْهَوَى ، وَبِهِ أَقْسَمْتُ أَنْ لَا زِلْتُ أَحْفَظُهُ
وَمَا أَنْتُمْ وَجَدِي يُكْفِّرُ مَا أَصْبَحْتُ أَسْمَعُهُ ، وَالْحَظُّهُ
هَبْ أَنْكُمْ مَاؤُ وَبِي ظَمًا أَفَلَسْتُ عِنْدَ قَدَاهُ الْفَظُّهُ

قافية العين

(٥٣)

وقال :

يَا مُوعِدِي بِالْوَصْلِ وَعَدًا لَا يَرَى فِيهِ الْمُؤْمَلُ لِلتَّقَاضِي مَوْضِعًا
أَصْبَحْتُ فِي حُبِّكَ كَالِدَاعِي الصَّدَى مَا إِنْ لَهُ حَظٌّ سِوَى أَنْ يَسْمَعَ
لَكِنَّ حَظَّ هَوَاكَ مِنْ جِسْمِي ضَنَى بَادٍ ، نَقَى نَوْمِي ، وَأَفْنَى الْأَذْمَعَا

(٥٤)

وقال :

أَطِيعُ هَوَى عَصَاءٍ ، وَهُوَ يُضِلُّنِي وَمَا أَنَا فِيهَا لِلنَّهْيِ بِمُطِيعٍ
وَيُسْمِعُنِي دَاعِيَ الْهَوَى مِنْ بِلَادِهَا وَإِنِّي لِدَاعِي النَّصِيحِ غَيْرُ سَمِيعٍ
وَأَحْفَظُهَا ، وَهِيَ الْمُضِيعُ لِعَهْدِهِ فَيَا عَجَبًا مِنْ حَافِظٍ لِمُضِيعٍ

(١) أحفظه : أغضب .

قافية الفاء.

(٥٥)

وقال :

أَطَاعَ مَا قَالَهُ الْوَاشِي وَمَا هَرَقَا فَعَادَ يُنْكِرُ مِنَّا كُلَّ مَا عَرَفَا
وَصَدَّ حَتَّى اسْتَمَرَ الْهَجْرُ مِنْهُ ، فَلَوْ أَلَمْ يَبِ مِنْهُ طَيْفٌ فِي الْكِرَى صَدَقَا
يُحِبُّنِي ، وَعِنْدِي لَهُ الْعُتْبَى ، فَوَاعِجِبَا مِنْ مُعْتَبٍ^(١) مَا جَنَى جُرْمًا وَلَا اقْتَرَفَا
مَلَكَتُهُ طَائِعًا قَلْبًا تَعَسَّفَهُ وَقَلْبًا يَمْلِكُ الْأَحْرَارَ مَنْ عَسَفَا
لِي مِنْهُ مَا سَاءَنِي : مِنْ هَجْرِهِ ، وَلَهُ مَنِي الرِّضَا بِقَضَايَاهُ ، وَإِنْ جَنَفَا
أَلْقَاهُ بَعْدَ النَّصَا فِي مُعْرَضَا حَقَقَا وَبَعْدَ إِقْبَالِهِ بِالْوُدِّ مُنْحَرَفَا
يَا هَاجِرِينَ لِلْأَذْنِبِ^(٢) سَوَى مَلِكٍ دَعَا ، فَهَبُوا إِلَى دَاعِيهِ إِذَا هَتَفَا
مَالِي أَرَى بَيْنَنَا ، وَالْدَّارُ جَامِعَةٌ قَرِيبَةٌ ، مِنْ تَجَنُّبِكُمْ نَوَى قُدُّفَا^(٣)
لَا تَعَجَلُوا بِفِرَاقٍ سَوْفَ يُدْرِكَا كَفَى بِنَا فُرْقَةً ، رَيْبُ الْمُنُونِ ، كَفَى
صَلُّوا فَوَادًا ، إِذَا سَكَنْتُ رَوْعَتَهُ هَفَا ، وَدَمْعًا إِذَا نَهْنَهْتُ وَكَفَا
لَكُمْ هَوَايَ ، وَإِنْ جُرْتُمْ ، وَجُورُكُمْ مُسْتَحْسَنُ مِنْكُمْ ، لَوْلَمْ يَكُنْ سَرَفَا^(٤)
كَذَلِكَ حَظِّي مِنَ الْأَحْبَابِ : مَنْ سَكَنْتُ نَفْسِي إِلَيْهِ حَبَابِي الْهَجْرَ وَالشَّقَا^(٥)
حَتَّى لَقَدْ غَيَّرَ الْجَدُّ الْعَثُورُ ، فَلَا لَعَا لَهُ ، مَا جَدًّا مَا كَانَ مُطْرَفَا^(٦)

(١) المعتب : طالب العتي : وهى الرضا . (٢) فى رواية على هامش النسخة « جرم »

(٣) النوى القذف : البعده . (٤) الدرف : ضد القصد .

(٥) الشف : البغض . (٦) تمام القصيدة صفحة ١٢٥ . والمطوف : الرجل لا يثبت على محبة أحد لاله .

(٥٦)

وقال :

وْمُهْفَهَفٌ ، بى من حَنُورٍ جُفُونُهُ سُكْرٌ ، يُقْقِرُّ عَنْهُ سُكْرُ الْقَرْقَفِ ^(١)
أَبْدًا أَوَّاصِلُهُ ، وَبَهْجَرُ عَامِدًا وَمِنْ الْعَنَاءِ وَدَادُ مَنْ لَمْ يُنْصَفِ
يَسْتَعَذِبُ الْقَلْبُ اللَّيْلُ عَذَابَهُ وَأَهَالَهُ ، لَوْ أَنَّهُ لَمْ يُسْرِفِ
عَطَى الْجَمَالُ عَلَى ذَمِيمِ فَعَالِهِ وَالْمَوْتُ يَسْتَرُهُ صِقَالُ الْمُرْهَفِ

(٥٧)

وقال :

لَا تَغْتَرِزْ بِخَوَلٍ خَصِرِ أَهْيَفِ فَالْمَوْتُ فِي حَدِّ الْحَسَامِ الْمُرْهَفِ
وَتَوَقَّ فَتْكَ نَازِرٍ مُتَمَرِّضٍ ^(٢) يَسْطُو سَطًا مُتَغَشِّرِمٍ مُتَعَجِرِفِ
ظَمْنِي مِنَ الثَّغْرِ الْبُرُودِ ، فَمَنْ رَأَى ظَمَانًا مِنْ بَرْدٍ يُعَلِّ ^(٣) بَقْرَقَفِ ^(٤)
مَنْ لِي بَوْضِلٍ مُمَاطِلٍ بِدْيُونِهِ يَعِدُّ الْقَضَاءَ مَعَ الْبِسَارِ ، فَلَا يَنْفِي
فِي ^(٥) وَجْهِهِ مَاءُ الْمَلَاخَةِ حَائِرُ وَبِخَذِّهِ وَرَدُ الْحَيَا لَمْ يَقْطَفِ
فَكَأَنَّ وَشْيَ عِذَارِهِ فِي خَذِهِ نَمَلٌ تَسْرِبُ فَوْقَ وَرْدٍ مُضْعَفٍ ^(٥)

(٥٨)

وقال :

مُسْتَصْفَرُ الذَّنْبِ ، إِنْ عُدَّتْ إِسَاءَتُهُ وَكَلَمُهَا فِي الْحَشَا يَدْمَى ، وَيَنْقَرِفُ ^(٦)
مِثْلُ الْقَذَاةِ بَعِينَ الْمَرْءِ يَحْقَرُهَا وَدَمْعُهُ أَبْدًا مِنْ وَخْزِهَا يَكْفُ

(١) القرقف : الخمر . (٢) تَمَرِّضُ : ضَعْفٌ فِي أَمْرِهِ .

(٣) الْبَرْدُ بِالسُّكُونِ : الرِّيقُ . وَبِالتَّحْرِيكِ : حُبُّ الْغَامِ . وَاللُّغْلُ : الشَّرْبُ بَعْدَ الشَّرْبِ .

(٤) هَذَا الْبَيْتُ وَمَا بَعْدَهُ مِنْ اخْتِيَارَاتٍ مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ لِأَسَاءَةِ (١٠ : ٥٠٣)

(٥) مُضْعَفٌ : أَصَابَهُ مَطَرٌ ضَعِيفٌ .

(٦) الْكَلَمُ : الْجُرْحُ . وَيَدْمَى : يَخْرُجُ مِنْهُ الدَّمُ . وَقَرَفَ الْقَرْعَةُ قَشْرَهَا .

(٥٩)

وقال :

قُلْ لِلَّوَانِمِ : كُفُّوا عَنِ مَلَامِكُمْ فَإِنَّهُ يَسْتَبِيرُ الْهَمَّ وَالْأَسْفَا
لَا تُذَكِّرُونِي تَجَنُّبِهِ ، وَهَجْرَتَهُ خَبُّهُ شَاغِلٌ عَنْ كُلِّ مَا سَلَفَا
إِذَا عَرَضْتُ عَلَى قَلْبِي إِسَاءَتَهُ هَفَاً^(١) ، وَأَنْكَرَ مِنْهَا كُلَّ مَا عَرَفَا
وَأِنْ هَمَمْتُ بِبَصِيرٍ عَنْهُ وَاجْهَنِي مِنْ وَجْهِهِ بِشَفِيعٍ زَادَنِي شَغَفَا

(٦٠)

وقال :

بَاحَتْ بِسَرِّكَ أَدْمَعٌ تَكْفُ فِالْأَمِّ تُنْكَرُ ، وَهِيَ تَعْرِفُ
هَلْ يُغْنِيَنَّ عَنْكَ الْجُودُ ، إِذَا شَهِدَ النُّحُولُ عَلَيْكَ وَالْكَفُّ

منها :

أَخْفَى غَرَامِي ، وَهُوَ مُشْتَهَرٌ بِأَدِّ ، وَأَسْتَرَهُ ، وَيُنْكَشِفُ
أَسْنَى لِعُمُرٍ ، ضَاعَ مُذْهَبُهُ^(٢) فِي حُبِّكُمْ ، لَوَرَدَهُ الْأَسْفُ
وَهَوَى عَيْنٌ بِرَغَى ذِمَّتِهِ فَأَضَاعَهُ الْمُتَلَوُّنُ الطَّرْفُ^(٣)
أَنْفَقْتُ فِي كَسْبِي مَوَدَّتَهُمْ شَرَحَ الشَّبَابُ^(٤) ، فَأَعُوزَ الْخَلْفُ
وَصَدَفْتُ عَنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ ، وَمَا قَالُوهُ فِيَّ بِسَمْعِهِمْ شَنْفُ^(٥)
وَتَنَكَّرُوا ، حَتَّى كَانَتْهُمْ مَا أَنْكَرُوا وَدَّى ، وَلَا عَرَفُوا
وَلَهُمْ لَدَيَّ . عَلَى مَلَاهِمُ وَدَّ يَخْلِبُ الْقَلْبَ مُلْتَحِفُ^(٦)

(١) هفا : خفق .

(٢) المذهب : الداهب .

(٣) الطَّرْف : من لا يثبت على صاحب . (٤) مرغ الشباب : أوله .

(٥) الشنف : القوط . (٦) الخلب بالكر : لحية رقيقة تصل بين الأملع . أو الكبد .

بَنَى وَيَذْنُهُمْ ، وَإِن قَرُبُوا مِنْ هَجْرِهِمْ أَبَدًا ، نَوَى قُدْفُ
يَا جَانِرِينَ ، وَهُمْ أَعَزُّ عَلَى قَلْبِي مِنَ الطَّرْفِ الَّذِي طَرَفُوا
أَغْرَاكُمْ بِالْهَجْرِ عَلَيَّكُمْ أَنِّي بِكُمْ مُسْتَهْتَرٌ كَلَفُ^(١)

(٦١)

وقال :

مَا بِالْمَلَأَةِ حِينَ تَعْرِضُ مِنْ خَفَا إِن لَمْ تَحْنُ فَابْلُغِ رِضَاكَ مِنْ ابْلَحَا
فَالْيَأْسُ مِنْكَ ، إِذَا صَدَدْتَ ، خِيَانَةً وَإِذَا مَلَّتْ رَجُوتُ أَنْ تَتَعَطَّفَا
إِنِّي لَأُضَعِّفُ عَنْ صُدُودِكَ سَاعَةً وَأُرَى قُوَايَ عَنِ الْخِيَانَةِ أَضْعَافًا

قافية القاف

(٦٢)

وقال :

حَتَّى مَتَى يَا قَلْبُ ، لَا تَسْتَفِيقُ ! حَسْبُكَ ، قَدْ حُمِلَتْ مَا لَا تُطِيقُ
أَضْنَاكَ إِشْفَاؤَكَ مِنْ غَدْرِهِمْ وَمَا عَسَى يُجْدِي حِذَارُ الشَّفِيقِ
إِنْ أَخْلَقُوا عَهْدَكَ ، أَوْ بَدَّلُوا فَكُنْ بِحُسْنِ الصَّبْرِ عَنْهُمْ خَلِيقُ
وَاعْزِمِ عَلَى سُلُوكِهِمْ عَزْمَةً تَذْنِيكَ بَعْدَ الرِّقِّ حَرًّا طَلِيقُ
لَا تَبْكِهِمْ إِنْ تَزَحَّتْ دَارُهُمْ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرَ الْخَلَى الْمُفِيقِ
لَنْ تَعْدَمَ الْأَعْوَاضَ عَنْهُمْ ، وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنْ أَنْتَ تَرَجَلْتَ ضَيْقُ
دَعْ ذَا ، فَمَا النَّاسُ سِوَاءً ، وَلَا يَلْقَى الْفَتَى فِي كُلِّ أَرْضٍ صَدِيقُ

(١) تمام القصيدة ص ١٢٦ . والمستهتر بالشيء : المولع به لا يبالى بما فعل وشتم له .

وهبك تلقى عوضاً عنهم أراجعُ عصرُ الشباب الأنيق
عَلِقَتْهُمْ حِينَ رَدَاءِ الصَّبَا ضَافٍ، وَغَصْنِي دُو اعْتِدَالٍ وَرَيْقٍ
حَتَّى إِذَا أَشْرَبَ قَلْبِي لَهُمْ حُبًّا جَرَى فِي الْجَسَمِ جَرَى الرَّحِيقِ^(١)
أَلْتَسُّ الْأَعْوَاضَ عَنْهُمْ ، لَقَدْ أَتَيْتُ مَا لَيْسَ بِمِثْلِي يَلِيقُ !
أَرُوْعُهُم بِالْعَنْبِ مُسْتَصْلِحًا وَتَحْتَ ذَلِكَ الْعَنْبِ قَلْبُ شَفِيقٍ
يَرَعَى لَهُمْ مَا ضَيَّعُوا ؛ إِنَّهُ زَيْنٌ ، عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ ، رَفِيقٌ

(٦٣)

وقال^(٢)

قَرُّ إِذَا عَاتَبْتَهُ^(٣) شَغَفًا بِهِ غَرَسَ الْحَيَاءُ بَوْجُنَيْهِ شَقِيقًا
وَتَلَهَّبَتْ نَجَلًا ، فَلَوْلَا مَاؤُهَا مَتَرِقُ فِيهَا^(٤) ، لَصَارَ حَرِيقًا
وَأَزُورَ عَنِّي مُطَرِّقًا ، فَاضْلَنِي أَنْ أَهْتَدِيَ نَحْوَ السَّلْوِ طَرِيقًا
فَلْيَلْحَنِي مَنْ شَاءَ فِيهِ ؛ فَصَبَوْنِي بِهِوَهِ سَكْرٌ لَسْتُ مِنْهُ مُفِيقًا

(٦٤)

وقال^(٥)

أَنْظُرْ شِمَاءَةَ عَاذِلِي وَسُرُورَهُ بَكْسُوفٍ بَدْرِي ، وَاشْتِهَارَ مَحَاقِهِ
عَطَى ظِلَامُ الشَّغْرِ مِنْ وَجَنَاتِهِ صُبْحًا تَضِيءُ الْأَرْضَ مِنْ إِشْرَاقِهِ
وَهُوَ الْجَهْلُ ، يَقُولُ : هَذَا عَارِضٌ هُوَ عَارِضٌ ، لَكِنْ عَلَى عُشَاقِهِ

(١) الرحيق : الخرا أو أطيها .

(٢) هذه القصيدة مما روى لأسامة في ياقوت ٢٠٥ : ٥ وخريدة القصص ١ : ١٠٣ ولم تذكر الخريدة البيت الأخير .

(٣) في ياقوت « عَاتَبْتَهُ » . (٤) في ياقوت والخريدة « فِيهِ » .

(٥) هذه القصيدة مما روى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٢ ..

(٦٥)

وقال :

بُئِيسَةُ ، ما أَعْرَضْتُ عَنْكَ مَلَلَةً ولا أَنَا عما تَعْلِبِينَ مُهَيِّقُ
ولكن خَشِيتُ الكَاشِحِينَ فَإِنِّي على سَرَّاءٍ مِنْ أَنْ يَذِيعَ شَفِيقُ
فَأَصْبَحْتُ كَالْهَيَّانِ ، عَيْنَ مَوْرَدٍ بَرُوداً ، ولكن ما إِلَيْهِ طَرِيقُ

(٦٦)

وقال^(١) :

لِللَّهِ لَبِئْنَا الَّتِي رُحِبَتْ لَنَا فِيهَا الْمَسْرَةُ فِي مَجَالِ صَبِيٍّ
ما شَابَهَا لولا مَشِيبُ ظَلَامِهَا كَدْرٌ ، ولا رَاعَتْ بِوِاشٍ مُحَنِيٍّ
فلو اسْتَطَعْتُ خَضْبُتُهَا بِسَبِيبِي وَجَعَلْتُ لَوْ نَ صَبَاحُهَا فِي مَفْرِقِي

(٦٧)

وقال :

يَا لَأَنَمِي ، أُنْظُرُ إِلَى قَبْرِ فِي الْأَرْضِ فِي وَجَنَاتِهِ شَفَقُ
وَبِحَدِّهِ وَرَدٌ ، إِذَا نَظَرْتُ عَنِّي إِلَيْهِ تَنَازَرُ الْوَرَقُ
سَبْحَانَ مَنْ أَذْكَى بَوَجَّتِهِ نَارَ الْحَيَاءِ ، وَلَيْسَ يَحْتَرِقُ

(١) هذه القطعة مما روي لأسامة في مسالك الأبحار (١٠٠: ٥٠٣) .

(٦٨)

وقال :

وَعَزَّالٍ فِي فِيهِ رَاحٌ وَدُرٌّ وَعَقِيقٌ رَطْبٌ ، وَمِسْكٌ فُتِيقٌ^(١)
شَبَّهُوا دُرَّ ثَغْرِهِ بِالْأَقَاحِي لَيْسَ لِلْأَفْحُوانِ ذَاكَ الْبَرِيقُ
بَنَى سُكْرٌ مِنْهُ وَنَحْرٌ ، فَلَا أُرَى قَى لِهَذَا ، وَلَسْتُ مِنْ ذَا أَفِيقُ

قافية الكاف

(٦٩)

وقال :

عَادَيْتَنِي حِينَ عَادَيْتُ الْوَرَى فَيْكَ هَجَّرَ الْقَلَى وَالتَّجَنَّى كَانَ يَكْفِيكَ
أَحِينَ خَالَفْتُ فَيْكَ الْخَلْقَ كَأَهُمْ أَطَعْتَ بِي وَاشِيَاءَ بِالْهَجْرِ يُغْرِيكَ !
تُصَدِّقُ الطَّيْفَ ، يَسْعَى بِي ، فَتَهْجُرُنِي وَأُكْذِبُ الْعَيْنَ فِيمَا عَايَنْتَ فَيْكَ
تَزِرُهُ مُحَاسِنُكَ اللَّاتِي خُصِصَتْ بِهَا عَمَّا يَشِينُ ، وَمَا يَهْوَاهُ شَانِيكَ
أَغْضَيْتُ مِنْكَ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا زَمْنًا وَخَلْتُ أَنَّ الرُّضَا بِالْجُورِ يُرْضِيكَ
فَمَا نَهَاكَ وَلَوْ عَى عَنْ مُبَاعَدَتِي وَلَا ثَنَاكَ خُضُوعِي عَنْ تَعْدِيكَ
بِاللَّهِ يَا غُصْنَ بَانَ ، حَامِلًا قَرًّا صُلِّ مُغْرَمًا بِكَ يُغْرِيه تَجْنِيكَ
يَدْنُو ، وَهَجْرُكَ يُقْصِيهِ ، وَيُبْعِدُهُ وَتَنَتَّنِي عَنْهُ ، وَالْأَشْوَاقُ تُدْنِيكَ
سُكْرَانٌ فِي الْحُبِّ ، لَا يَلْدِي أَسْكْرُهُ لِسِحْرِ عَيْنِكَ ، أَمْ لِلْخَمْرِ مِنْ فَيْكَ

(١) فتيق : قوى الراحة .

قافية اللّام

(٧٠)

وقال :

أَمَا فِي الْهَوَى حَاكُمٌ يَعْدِلُ وَلَا مَنْ يَكْفُ وَلَا يَعْدُلُ
وَلَا مَنْ يَفُكُّ أُسَارَى الْغَرَا مِ وَالْوَجْدِ مِنْ ثِقَلٍ مَا حُمَلُوا
وَلَا مُنْصَفٌ عَالَمٌ أَنَّهُ إِذَا قَالَ بِالظَّنِّ يُسْتَجْهَلُ
إِذَا هُوَ لَمْ يَدْرِ مَا يَلْتَقِي أَخُو الْوَجْدِ مِنْ دَانِهِ يَسْأَلُ
لِيَعْلَمَ أَنْتَ سَهَامَ الْغَرَامِ قَبْلَ إِصَابَتِهَا تَقُولُ
وَأَنْ الدَّمُوعَ إِذَا مَا سُفِحَ أَنْ أَثَرُنَا لَظَى فِي الْحِشَا يُشْعَلُ
وَإِنْ قَالَ: هُنَّ مَيَاهٌ ، فَقُلْ : صَدَقْتَ ، وَفِي الْمَاءِ مَا يَسْمَلُ^(١)
سَاكِينُ أَهْلِ الْهَوَى ، مَا لَهُمْ مُجِيرٌ ، وَلَا لَهُمْ مَوْتَلُ
وَلَا رَاحِمٌ لَهُمْ يَسْتَدِ يَمُ حُسْنَ الْمَعَاةِ مِمَّا بُلُوا
قَتِيلُهُمْ مَالَهُ وَاتَرُ وَمَظْلُومُهُمْ أَبَدًا يُحْدَلُ
وَلِإِعْلَانِهِمْ لِلْهَوَى فَاضِحٌ قَتُولٌ ، وَكِتْمَانِهِمْ أَقْتَلُ
وَإِنْ بَحَدُوا الْحَبَّ خَوْفَ الْوُشَا ةَ أَقَرَّتْ بِهِ أَدْمَعُ تَهْمَلُ
وَفِي سُقْمِهِمْ ، إِنْ هُمْ أَنْكَرُوا صَبَابَتَهُمْ ، شَرَحَهَا الْمُجْمَلُ
وَكُلُّهُمْ خَاضِعٌ ، يَسْتَكِينُ لِلظُّلَمِ ، أَوْ وَالْهُ^(٢) يُعُولُ

(٢) الوله : الحيرة والخوف . وأعول : رفع صوته بالبكاء .

(١) سئل عنه : قاتما .

وَعَيْشُهُمْ تَعَبٌ كُلُّهُ وَبِالْمَوْتِ رَاحَتُهُمْ تَحْصُلُ
 بِنَفْسِي مُسْتَهْتَرٌ بِالْضِدْوِ دِ ، حَازَ الْجَمَالَ ، وَلَا يُجْمَلُ^(١)
 جُنُونِي بِهِ أَبَدًا زَائِدٌ وَمَاضِي غَرَامِي مُسْتَقْبَلُ
 مَلِيحٌ بِإِجْمَاعِ كُلِّ الْأَنَا مِ ، سِوَاءُ مَحَبَّةٍ وَالْعَدْلُ
 مِنْ الْحَوْرِ ، رِضْوَانُهُ بِخُلَّةٍ وَرِيقَتُهُ الْبَارِدُ السَّلْسَلُ
 وَمَا ذُقْتُهَا ، غَيْرَ أَنَّ الْعِيُونَ شَهَادَتُهَا أَبَدًا تُقْبَلُ
 بِخَيْلٍ عَلَى مُقْلَتِي بِالرَّفَا دِ ، وَلَسْتُ عَلَيْهِ بِهَا أَجَلُ
 سَقَامِي مُسْتَصْفَرٌ عِنْدَهُ وَأَمْرِي مُطَرَّحٌ مُهْمَلُ
 يَرَانِي مِنْ حُبِّهِ فِي السَّيَا قِ^(٢) ، وَهُوَ بِمَا بِي لَا يَحْفَلُ
 أَغَاتِبُهُ وَهُوَ لَا يَرَعَوِي وَأَعِذُّهُ ، وَهُوَ لَا يَقْبَلُ
 فَلَا الْوَضْلُ لِي فِيهِ مِنْ مَطْمَعٍ وَلَا الْهَجْرُ فِيَّ لَهُ مَحْمَلُ
 وَلَا فِيهِ عَاطِفَةٌ تُرْتَجَى وَكُلُّ بَلَانِي بِهِ مُشْكِلُ
 وَسُكْرِي مِنْ حُبِّهِ لَا أَفِيقُ مِنْهُ ، فَأَعْلَمَ مَا أَعْمَلُ
 وَبَعْدُ ، فَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ مَقَالِي ، فَإِنِّي بِهِ أَهْزَلُ
 وَمَا أَنَا بِالْحُبِّ ذُو خَبْرَةٍ وَلَا هُوَ لِي عَنْ عَلَا مُشْغِلُ
 وَلَكِنْ كَمَا قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ : نَقُولُ وَلَا نَفْعَلُ

(١) أَجَلَ الصَّانِعَةِ : حَسَنَهَا وَكَثَّرَهَا .

(٢) يُقَالُ فُلَانٌ فِي السِّيَاقِ أَيْ فِي التَّرَعُّعِ . وَالسِّيَاقُ تَرَعُّعُ الرُّوحِ .

(٧١)

وقال :

قَالُوا : قَلَاكَ ، وَمَلَّا فَقُلْتُ : حَاشَا ، وَكَلَّا
مَا صَدَّعَنِي مَلَالًا وَإِنَّمَا يَتَحَلَّى
وَهُوَ السَّوَادُ لِعَيْنِي لَا بَلْ أَعَزُّ وَأُغْلَى
وَكَلَّمَا زَادَ عَزًّا عَلَيَّ ، قَدْ زِدْتُ ذُلًّا

(٧٢)

وقال :

كَمْ ذَا التَّجَنُّيْ ، وَكَثْرَةُ الْعِلَلِ لَا تَأْمَنُوا مِنْ حَوَادِثِ الْمَلَالِ
وَلَا تَقُولُوا : صَبُّ بِنَا كَلَفٌ فَأَوَّلُ الْيَأْسِ آخِرُ الْأَمَلِ
وَلَسْتُ مِمَّنْ يُرِيدُ شَقَّ عَصَا الذَّنْبُ ذَنْبِي ، وَالْحُبُّ يَشْفَعُ لِي
هُبُونِي أَخْطَاطُ عَامِدًا ، فَهَبُوا نَجَلَةَ عُذْرِي مَا كَانَ مِنْ زَلَى
وَاعْتَمُوا الْقَرَبَ قَبْلَ يَفْجُؤَنَا الْبَـيْنُ فَكُلُّ مَنْهُ عَلَى وَجَلِ

(٧٣)

وقال :

قُلْ لِلْمَلُولِ الَّذِي أُعْيَا تَلَوْنُهُ : تُرَى مَلَائِكَ هَذَا غَيْرَ مَمْلُولٍ
إِذَا تَجَاهَلْتُ عَمَّا سَاءَ مِنْهُ أَتَى مِنَ الصَّدُودِ بِذَنْبٍ غَيْرِ مَجْهُولٍ
وَمَا جَنَى قَطُّ إِلَّا جِئْتُ مُعْتَذِرًا إِلَيْهِ ، لَكِنَّ عُذْرِي غَيْرُ مَقْبُولٍ

(٧٤)

وقال :

كَيْفَ الْخِلَاصُ لِقَلْبِي مِنْ يَدَيِ قَرِ
بُحْرِي لَدِيهِ جُبَارٌ^(١) ، لَا قِصَاصَ لَهُ فِي حَكْمِهِ ، وَدَمِي فِي الْحَبِّ مَطْلُوءٌ
أَسِيرٌ نَازِرُهُ بِالْوَجْدِ مَغْلُوءٌ

(٧٥)

وقال :

أَحِبَّابَنَا ، إِنْ كَانَ هِجْرُكُمْ غَدْرًا ، فُودَى غَيْرُ مَسْتَقِيلٍ
أَوْ كَانَ مِنْ مَلِكٍ طَرَا ، فَعَسَى تَطَرًّا مَلَالَةً ذَلِكَ الْمَلَلِ
وَالصَّبْرُ دَائِي ، أَوْ تَفَاجَيْتِي بُشْرَى الرِّضَا ، أَوْ رَاحَةُ الْأَجَلِ

(٧٦)

وقال :

يَلُومُونَنِي فِي حُبِّ لَيْلَى ، وَإِنِّي لَا تُكْرِمُهَا عَنْ عُرْضَةِ اللَّوْمِ وَالْعَذْلِ
وَقَالُوا : هَوَاهَا خَائِلٌ لَكَ ، فَاسْلُهَا وَمِنْ لَوْمِهِمْ ، لَا مِنْ هَوَايَ لَهَا ، خَبَلِي
هِيَ الشَّمْسُ ، تَبْدُو فِي رَدَائِ مِنْ الدَّجَى عَلَى خُوطٍ^(٢) بَانٍ ، فِي كَثِيبٍ مِنَ الرَّمْلِ
تَهَادَى تَهَادَى الظِّلُّ هَوْنًا ، كَأَنَّمَا تَخَافُ عَثَارَ الْحَزْنِ فِي الدَّهْسِ^(٣) السَّهْلِ
وَتَنْظُرُ مِنْ عَيْنِي مَهَاةٍ^(٤) ، كَفَاهُمَا وَأَغْنَاهُمَا تَحُلُّ الْمَلَاةَ عَنْ تَحُلِّ

(١) الجبار بالضم : الهدير . يقال ذهب دمه جبارا .

(٢) الخوط بالضم : الغصن الناعم .

(٣) الدهس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب . والحزن : ما غلظ من الأرض .

(٤) المهامة : البقرة الوحشية .

(٧٧)

وقال من قصيدة كتبها إلى الملك الصالح ، أولها :

ما خَطَرَ السُّلُوَانُ فِي بَالِي فَمَا الَّذِي أَطْمَعَ عُذَّالِي
وَجَدِي بِهِمْ فِي الْيَوْمِ كَالْأَمْسِ ، مَا غَيْرَهُ مَا حَالَ مِنْ حَالِي
أَهْوَى ، وَمَا حَظَى مِنْهُمْ كَمَا أَهْوَى ، وَلَا قَلْبِي بِالسَّالِي
لِحَاجَةٍ فِي الْحُبِّ ، مَا تَحْتَهَا سَوَى صَبَابَاتِي وَبَلْبَالِي^(١)
لِي الْقَلْبِي مِنْهُمْ ، وَمِنْ لَأْنِي فِيهِمْ طَوِيلُ الْقِيلِ وَالْقَالِ
وَمَا أَبَالِي بِالَّذِي نَالَنِي لَوْ أَتْنِي مِنْهُمْ عَلَى بَالِ
يَا قِرَأَ فِي غُصْنٍ^(٢) بَانَ عَلَى نَقَا^(٣) مَهْوُولٍ غَيْرِ مُنْهَالِ
مَيْلَكَ الْوَاشِي ، فَمَا حَبْلَتِي فِي أَهْبِيفِ الْقَامَةِ مِيَالِ
مُسْتَهْتَرٍ^(٤) بِالْهَجْرِ أَلْقَاهُ فِي الْأَحْلَامِ ، وَهُوَ الْمُعْرِضُ الْقَالِي
نَاطِرُهُ الْفَتَّاكَ لَا نَاطِرُ عَلَى تَعْدِيهِ ، وَلَا وَالِي
يَحْكُمُ فِي أُرُوَاحِنَا طَرَفُهُ حَكَمَ أَبِي الْغَارَاتِ فِي الْمَالِ

(٧٨)

وقال :

وَإِذَا مَرَرْتَ عَلَى الدِّيَارِ فَقَفْ بِهَا وَاسْأَلْ مَعَالِمَهَا بِدَمْعِ سَائِلِ
مَا ظَنُّهَا بِطَاعِينَ أَغْصَانِ النَّقَا مَا سَتَ مُنْصَلَّةً بِأَسْهُمِ بَائِلِ
هَدَرَ الْهَوَى دَمَهُ ، لِأَنَّ لِحَاطِلَهُ أَرْدَتْهُ ، أَمْ أَقْنَى بِقَتْلِ الْقَاتِلِ

(١) البلبال بالفتح : الوسواس والبرحاء في الصدر . وبالكسر : مصدر بلبله : هيجبه وحركه .

(٢) في هامش النسخة " غوط " .

(٣) النقا من الرمل : القطة تنقاد محمودة .

(٤) المستهتر بالشئ . (بالفتح) المولع به لا يبالي بما فعل فيه وشتم له .

(٧٩)

وقال :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِمَنْ يُعَاتِنِي فَاسِدٌ فَاهُ الْعَذَبِ بِالْقُبَلِ
وَأُضْمُهُ ضَمَّ الشَّفِيقِ ، كَمَا صَمَّتْ جُفُونُ الْعَيْنِ لِلْمُقَلِ
فِيحَارُ مِنْ كَلْفِي ، وَيُشْرِقُ فِي خَدَّيْهِ وَرْدُ الْحُسْنِ وَالْحَجَلِ
وَيَعُودُ بَعْدَ الْعَتَبِ مُعْتَذِرًا عُذْرُ الْمُسِيءِ إِلَى ، مَنْ زَلَّى

(٨٠)

وقال ^(١) :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِمَنْ يُعَاتِنِي وَفِي عَلَى فَمِهِ يَقْبَلُهُ
وَيُرِيدُ يُوضِحُ وَجَهَ حُجَّتِهِ وَاللَّثْمُ يُعَجِّلُهُ ، وَيُنْجِلُهُ
حَتَّى إِذَا أَضْجَرَّتْهُ سَتَرْتُ مَا بَيْنَ فِي وَفِيهِ أَتَمَلُهُ
وَيَعُودُ مُعْتَذِرًا لِبِشْغَلِي عَنْهُ بَعْدِي لَسْتُ أَقْبَلُهُ

(٨١)

وقال :

كُنْتُ بَنِي ، غَيْرَ أَنْ لَمْ أُطِقْ كِتْمَانَ فَيْضِ الْمَدْمَعِ الْهَامِلِ
السَّافِحِ السَّائِبِ الْمَاطِرِ

(١) روى هذا الشعر في مسالك الأبحار (١٠ : ٥٠٤) .

ولَيْسَ يُدْرَى ، لِقَدْىِ جَائِلٍ فِي الْعَيْنِ فَاضَتْ أَمْ هَوَى دَاخِلٍ

فَاضِحٍ غَالِبٍ ظَاهِرٍ

كَلُورِقٍ^(١) لَا يُدْرَى عَلَى هَالِكٍ نَاحَتْ ، أَمْ ارْتَاخَتْ إِلَى رَاحِلٍ^(٢)

نَازِحٍ غَائِبٍ هَاجِرٍ

قافية الميم

(٨٢)

وقال^(٣) :

| | |
|--|---|
| وَلَوْ ، فَلَمَّا ^(٤) رَجَوْنَا عَدْلَهُمْ ظَلَمُوا | فَلَيْتَهُمْ حَكَمُوا فِينَا بِمَا عَلِمُوا |
| مَا مَرَّ يَوْمًا بِفِكْرِي مَا يَرِيهِمْ | وَلَا سَعَتْ بِي إِلَى مَا سَاءَهُمْ قَدَمُ |
| وَلَا أَضَعْتُ لَهُمْ عَهْدًا ، وَلَا أَطْلَعْتُ | عَلَى وَدَائِعِهِمْ فِي صَدْرِي أَلْتُهُمْ |
| فَلَيْتَ ^(٥) شَعْرِي بِمَا اسْتَوْجَبْتُ هَجْرَهُمْ | مَلُّوا ، فَصَدَّهُمْ عَنْ وَضَلِي السَّاءُ |
| حَفِظْتُ مَا ضَيَعُوا ، أَغْضَيْتُ حِينَ جَنَوْا | وَقَيْتُ إِذْ غَدَرُوا ، وَاصِلْتُ إِذْ صَرَمُوا |
| حُرِمْتُ مَا كُنْتُ أَرْجُو مِنْ وَدَادِهِمْ | مَا الرِّزْقُ إِلَّا الَّذِي تَجْرَى بِهِ الْقَسَمُ |
| مَحَاسِنِي ، مِنْذُ مَلُونِي ، بِأَعْيُنِهِمْ | قَدْىِ ، وَذِكْرِي فِي آذَانِهِمْ صَمُّ |

(١) الورقاء : الحامئة .

(٢) ارتاح إليه : حزن إليه .

(٣) رويت هذه القصيدة أيضا في الخريدة ١ : ١٠٧ ومعجم البلدان ٥ : ١٠٠ والروضتين ١ : ١١٣

(٤) في الخريدة (ولمّا) .

(٥) لم يرو معجم البلدان هذا البيت واليهتين بعده .

وبعد ، لو قيل لى : ماذا تحب ، وما
هم مجال الكرى من مقلتي ، ومن
تبدلوا بي ، ولا أبغى بهم بدلاً
مناك من زينه الدنيا ؟ لقلت : هم
قلبي محل المني ، جاروا أو اجترموا^(١)
حسبي هو ، أنصفوا في الحكم ، أو ظلموا^(٢)

(٨٣)

وقال :

أقصر ، فلو في حبهم لم^(٣) وناصحُ العاشقين منهم
ما الغيُّ والرشدُ بالملامة والإ
بالعدل فيهم ، وشقوتي بهم
طرفي أعمى عن عيهم ، فإذا
أصم عن نصيح من يعنني
وهم إذا خطرة التوهم نا
ضلالة في الغرام : يكذب رأ
فلا تردني جوى بلومك ، إن الحـب نارُ بالعدل تضطرم
لو يعلم الحاسدون حظي ، وما ألقاه منهم ، وفيهم ، رحوا
فوضت أمري إليهم ، ثقة بهم ، فلما تحكّموا ظلّوا
وما كذا تحفظ المواثيق في الحـب ، وترعى العهود والدم
فيها هفوة ، ندمت على ما كان منها ، لو ينفع الندم
وما احتيال الفتى إذا عثر الجسد ، وزلت بسعيه القدم

(١) اجترم : أذنب .

(٢) تمام القصيدة ص ١٤٦ .

(٣) اللهم محرّكة : الجنون .

(٨٤)

وقال^(١) :

لا تَسْتَعِرْ جَلَدًا عَلَى هِجْرَانِهِمْ فُقُوكَ تَضَعُفٌ عَنْ صُدُودِ دَائِمِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ رَجَعْتَ إِلَيْهِمْ طَوْعًا ، وَإِلَّا عُدْتَ عَوْدَةً رَاغِمِ

(٨٥)

وقال :

قُلْ لِمَنْ تَاهَ بِالْجَمَالِ عَلَيْنَا : مَا عَسَى دَوْلَةُ الصَّبَا أَنْ تَدُومَا
عَنْ قَلِيلٍ^(٢) نَرَى قِوَامَكَ ذَا الْمَأْنَسِ ، قَدْ عَادَ ذَا اعْتِدَالِ قَوِيْمَا
وَنَرَى طَرْفَكَ السَّقِيمَ وَقَدْ صَحَّ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ مَرِيضًا سَقِيمَا
وَنَرَى جَمْرَ وَجْنَتِكَ وَقَدْ عَا دَ رَمَادًا ، وَبَقْلَهُنَّ هَشِيمَا
وَنَادَى : عَدُلْ مِنْ اللَّهِ أَنْ أَصْبَحَ ذَاكَ النَّهَارُ لَيْلًا بَيْهِيمَا

(٨٦)

وقال :

جُفُونُ تَسْتَهْلُ^(٣) دَمًا وَجِسْمٌ مُشْعَرٌ سَقَمًا
وَأَنَّهُ مُوجِعٌ تُبْدِي مِنَ الْأَشْجَانِ مَا كَتَمَا
وَقَلْبٌ لَوْ فُرِيَ^(٤) بِمِيسَمِ النَّيْرَانِ مَا عَلِمَا
وَحَالٌ لَوْ رَأَاهَا شَامَتٌ أَوْ حَاسِدٌ رَحِمَا

(١) هذا البيتان من مختارات مسالك الأبيصار لأسامة (١٠ : ٥٠٤) .

(٢) في هامش الديوان " قريب " . (٣) اشتد انصبابه .

(٤) فراه : شفه .

(٨٧)

وقال :

مَلَّ ، وَأَبْدَى نَجْمَهُمُ السَّامِ وَضَاعُ وُدِّي فِي الظَّنِّ وَالْتِهَمِ
وَحَانَ عَهْدِي ، وَقَلَّما اجْتَمَعَ الْحُسْنُ وَرَغَى الْعَهْدِ وَالذَّمِّ
وَصَدَّ عَنِّي ، فَصَرْتُ أَجْتَنِبُ النَّوْمَ ، حَذَارَ الصُّدُودِ فِي الْحُلْمِ
وَلَسْتُ أَدْرِي مَاذَا جَنَيْتُ سِوَى أَنِّي عَنْ الرُّشْدِ فِي هَوَاهُ عَمِي

(٨٨)

وقال :

يَا نَاسِيًا عَشْرَةَ التَّصَافِي وَخَافِرًا^(١) حُرْمَةَ الدِّمَامِ
إِلَامَ أَغْتَرُّ بِالْأَمَانِي فَيْكَ كُتِمَتْ طَرِيقُ الْجَهَامِ^(٢)
كَأَنِّي ، فِي الَّذِي أُرْجَى بُلُوغَهُ مِنْكَ ، فِي الْمَنَامِ
وَطَالِبُ الْوَصْلِ مِنْ مَلُولٍ^(٣) كَطَالِبِ الْمَاءِ فِي الضَّرَامِ

(٨٩)

وقال :

يَرِينِي مَا أَرَى مِنْكُمْ ، وَيَلْطِفُنِي إِلَى هَوَاكُمُ وَفَاءُ لَسْتُ أَسَامَهُ^(٤)
كَأَنِّي أُمُّ بَوٍّ^(١) تَسْتَرِيبُ بَمَا تَرَاهُ مِنْهُ ، وَلَا تَنْفَكُ تَرَامَهُ^(٤)

(١) حفر به وخفزه خفرا وخفورا : قفض عهده وغدره ، كما خفزه .

(٢) الجهام : السحاب لا ماء فيه أو قد هراق مائه .

(٣) يقال أملني وأمل على : أبرئني فهو ملول وملولة وهي ملول وملولة .

(٤) البو : الحوار . وقيل جلده يحشى تباً أو ثمناً ما أو حشيشاً ليعطف عليه الناقة إذا مات ولدها ثم يقرب إلى أم
التفصيل لترامه فتدر عليه . والبو أيضاً ولد الناقة . ورثمت الناقة ولدها : عطفقت عليه ولزمته .

(٩٠)

وقال :

أَجْبِدُوا عِيَالَهُوَ بِالْأَدْمُجِ السُّجْمِ^(١) وَبُحْ ، فَمَا الْحُبُّ فِي حَالٍ بِمَكْتَمٍ
أَسْمَعَتْ يَا دَاعِي الْأَشْوَاقِ ذَا كَلْفٍ نَأْنِي الْمَحَلِّ ، وَإِنْ لَمْ تَدْعُ مِنْ أُمِّ^(٢)
لِلَّهِ أَنْتَ ، فَمَا أَعْرَاكَ مِنْ مَلِكٍ يُنْسِي الْعَهْدَ ، وَمَا أَرْعَاكَ لِلذَّمِّ
وَقُلْ لِمَنْ لَأَمْ : مَا السُّلْوَانُ مِنْ خُلُقٍ وَلَا مُلَاءَمَةُ اللَّوَامِ مِنْ شِيَمِي
أَهْوَى بِلَا مَلِكٍ يُسَلِّي ، وَلَا طَمَعٍ يُمَلِّي ، وَلَا رِيْبَةٍ تُزْرِي بِذِي كَرَمٍ
فَمَا وَفَانِي بَرْتُ الْعَهْدَ مَتَكَّتْ وَلَا هَوَايَ بَوَاهِيَ الْعَقْدِ^(٣) مُنْصَرِمٍ
يَزِيدُهُ كَرَمًا مَرُّ السِّنِّ كَمَا زَادَ الْمُدَامَةَ إِشْرَاقًا مَدَى الْقَدَمِ^(٤)

(٩١)

وقال :

مَا أَنْصَفُوا فِي الْحَبِّ إِذَا حُكِّمُوا سَلَوْا ، وَقَلْبِي بِهِمْ مُغْرَمٌ
أَحْيَيْتُهُمْ فِي عُفْوَانِ الصَّبَا وَلَيْلُ فَوْدِي حَالِكٌ أَسْتَحْمُ^(٥)
حَتَّى إِذَا عَصَرُ الشَّبَابِ انْقَضَى وَأَشْرَقَتْ فِي لَيْلِي الْأَنْجُمُ
صَدُّوا ، وَأَنْسَاهُمْ ذِمَامَ الْهَوَى مَا اخْتَلَقَ الْوَأْشُونَ وَالْأَوْمُ
فَنَ تَرَى يُحْفَظُ عَهْدَ الْهَوَى إِنْ ضَيَّعُوهُ ، وَهُمْ مَا هُمُ
وَالْحَبُّ كَالْأَرْزَاقِ بَيْنَ الْوَرَى يُرْزَقُ ذِمَامُهُ ، وَذَا يُحْرَمُ
سَعَى بَنِي الْوَأْشَى إِلَيْهِمْ ، فَمَا تَبَيَّنُوا الْحَقَّ ، وَلَا اسْتَفْهَمُوا
وَسَمِعُ مِنْ مَلٍّ قَبُولٌ لِمَا يُزْخَرُفُ الْكَاشِخُ أَوْ يَزْعُمُ

(١) سِجْمُ الدَّمْعِ : سَال . (٢) مِنْ أُمِّ : مِنْ كَتَبَ .

(٣) الْعَقْدُ : الْعَهْدُ . (٤) بَاقِي الْقَصِيدَةِ ص ١٩٤ .

(٥) الْفَوْدُ : نَاحِيَةُ الزَّأْسِ . وَالْأَنْجُمُ : الْأَسْوَدُ .

وَلَا وَمَنْ أَشْرَبَ قَلْبِي لَمْ حُبَّاجَرِي مِنْ حَيْثُ يَجْرِي الدَّمُّ
مَا خُتِمَ عَهْدًا ، وَلَا فَاهَ لِي بِمَا رَوَى الْوَاشُونَ عَنِّي فَمُ
فَلَوْ رَأَوْا قَلْبِي رَضُوا كُلَّ مَا يُعْلِنُهُ فِيهِمْ ، وَمَا يَكْتُمُ
دَغْ ذَا ، فَمَا يُسْمَعُ عُنْدَ الْهَوَى بَعْدَ التَّقَالِي ، فَالْقَلَى أَبْكُمُ
بِرَاءَةُ الْمَمْلُوكِ مَسْنُورَةٌ وَعُذْرُهُ الْوَاضِحُ مُسْتَهْمٌ^(١)
وَلَوْ سَعَى الطَّيْفُ بِهِ فِي الْكَرَى لَقِيلَ : هَذَا الْمُنْزَلُ الْمُحْكَمُ
فَاصْبِرْ عَلَى جَوْرِ الْهَوَى ، إِنَّهُ بِهِ تَقْضَى الزَّمَنُ الْأَقْدَمُ

(٩٢)

وقال^(٢) :

قَسَمًا بَمَنْ لَمْ يَبْقَ خَوْ فُ رَقِيهِ لِي مِنْهُ قَسَمًا^(٣)
خَافَ الْوَشَاةَ ، فَصَدَّ ، حَتَّى فِي الرِّقَادِ ، إِذَا أَلَمَّا
لَا خَاطِرَنَ بِمُهْجَتِي فِي حَبِّهِ ، إِمَّا ، وَإِمَّا

(٩٣)

وقال :

قُولَا لَدَا الْغَضْبَانِ : يَا ظَالِمًا يَغْضَبُ ، أَنْ أَدْعُو عَلَى ظَالِمِي
أُظْهِرْهُ أَنْتَ ، وَإِلَّا فَلِمُ تَخْشَى دُعَانِي دُونَ ذَا الْعَالَمِ
يَا رَبِّ ، لَا يُقْبَلُ عَلَيْهِ - وَإِنْ جَارَ - دُعَاءُ الْمُغْرِمِ الْهَانِمِ

(١) أبهم الأمر : اشتبه كاستهم .

(٢) روى هذا الشعر في مسالك الأبيصار (١٠ : ٥٠٥) .

(٣) القسم بالكسر : التعجب .

(٩٤)

وقال :

لَمَّا رَأَوْا وَجْدِي بِهِمْ تَجَرَّمُوا^(١) وَأَلْزَمُونِي الذَّنْبَ ، وَالْجَانِي هُمُ
قَالُوا : اسْتَزَارَ طَيْفَنَا ، تَبَّأَ لَهُ مِنْ مُغْرَمٍ ، وَهَلْ يَنَامُ الْمَغْرَمُ
أَيْنَ شُهُودٍ مَا أَدَّعَى مِنْ حُيْنًا أَيْنَ الشَّهَادُ ، وَالْجَوَى ، وَالسَّقَمُ
أَيُّهُ دُمُوعٌ كَلَّمَا غِيَضَتْهَا^(٢) تَدَفَّقَتْ ، وَمَا زَجَّ الدَّمْعَ دُمُ
أَخْفَى الْمَلَأَ عَنْهُمْ مَايَ : مِنْ بَرَجٍ قَلَاهُمُ ، وَالْمَلَأَ أَبْكَمُ
كَذَبْتُ فِيهِمْ مَا رَأَيْتُ مِنْ قَلِي فَلَيْمَ أَطَاعُوا فِيَّ مَا تَوَقَّعُوا

قافية النون

(٩٥)

وقال :

مُحِيًّا مَا أَرَى ، أَمْ بَدُرُ دَجَنٍ وَبَارِقُ مَبِيسِمٍ^(٣) أَمْ بَرَقُ مُزْنٍ^(٤)
وَتَغَرُّ ، أَمْ لَالٍ ، أَمْ أَقَاجٍ وَرَيْقُ ، أَمْ رَحِيقُ بِنْتُ دَنٍ
وَلَحْظُ ، أَمْ سِنَانُ رَكْبِهِ بِأَسْمَرٍ مِنْ نَبَاتِ الْخَطِّ لَدِنٍ
وَأَيْنَ مِنَ الظُّبَا أَلْحَاطُ ظَلِي ثَنَانِي عَنْ سُلوَى بَالْتَنَانِي
إِذَا جَاءَ الْمَلَأُ لَهُ يُجْرِمُ مَحَاهُ وَجْهَهُ بِشَفِيعِ حُسْنٍ

(٢) غيَّضَ دمه : نقصه .

(٤) المزن : السحاب .

(١) تجرَّم عليه : ادعى عليه الجرم وإن لم يجرم .

(٣) المَبِيسَمُ كُنْزَل : التَّغَرُّ . وَتَقَعَد : التَّبَسُّمُ .

فيا مَنْ مِنْهُ قَلْبِي فِي سَعِيرٍ وَعَنِي مِنْهُ فِي جَنَاتِ عَدَنٍ
حَبَاكَ هَوَايَ مَنِي مُحَضٍّ وَدٍّ تَنَزَّهَ عَنْ مُدَاجَاةٍ^(١) وَضَغِنٍ
وَقَبْلَكَ مَا تَمْلِكُهُ حَيْبٌ وَلَا سَمَحَتْ بِهِ نَفْسِي لِحَدَنٍ
أَحِينَ خَلَبْتَنِي ، وَمَلَكَتْ قَلْبِي قَلْبَتَ نُلْطَلَّتِي ظَاهِرَ الْمِجَنِّ
فَهَلَّا قَبْلَ يَعْلُقُ فِي فَوَادِي هَوَاكَ ، وَقَبْلَ يَغْلُقُ^(٢) فِيكَ رَهْنِي
تُسَاوِرُنِي هُمُومِي بَعْدَ وَهْنٍ^(٣) فَتَرِي كُلَّ جَارِحَةٍ بَوَهْنٍ
أَلَمْ يَكِفِ الْعَوَادِلَ مِنْكَ هَجْرِي وَقَبْلَكَ مَا يُجْنُ مِنْ التَّجْنِي
إِذَا فَكَّرْتُ فِي إِتْفَاقِ عُمْرِي ضَيَاعًا فِي هَوَاكَ قَرَعْتُ سِنِّي
وَأَسْفُ ، كَيْفَ أَخْلَقَ عَهْدُودِي وَأَتَى كَيْفَ أَخْلَفَ فِيكَ ظَنِّي
وَأَوْجَعُ مَا لَقِيتُ مِنَ اللَّيَالِي وَأَيَّ فِعَالِهَاتِي لَمْ يَسُونِي
تَقْلُبُ قَلْبَ مَنْ مَثَوَاهُ قَلْبِي وَجَفْوَةً مَنَ طَبَّقْتُ^(٤) عَلَيْهِ جَفْنِي

(٩٦)

وقال :

إِصْلَاحُ قَلْبِكَ أَعْيَانِي ، فَأَحْيَانِي وَالْيَأْسُ مِنْكَ إِلَى السُّلْوَانِ الْجَنَانِي
كَمْ ذَا التَّجْنِي ، وَمَا ذَنْبِي إِلَيْكَ سِوَى حُبِّي ، فَصَفْعًا عَنِ الْمُسْتَغْفِرِ الْجَنَانِي

(١) المداجاة : المداواة .

(٢) غلق الرهن في يد المرتين : إذا لم يقدر على افككاكه .

(٣) الوهن من الليل : الطاقاة منه . وقيل هو نحوه من نصف الليل ، أو هو بعد ساعة منه . وقيل هو حين دبر الليل . والوهن في آخر البيت : الضعف .

(٤) في خريدة القصر " ضمنت " وقد ذكر العباد من هذه القصيدة ص ١٠٣ ثمانية أبيات : الثلاثة الأولى والثلاثة الأخيرة والسادس والثالث عشر :

هواك أخطأتني قصدي، وكنت أرى أن الهوى منك يُدِينِي ، فأقصاني
أغراك ظنك أنني لا يطاوعني قلبي إذا سُمْتُه صبراً بهجراني
ولست أنكرُ منه فرطَ صبرِهِ لَكِنَّهُ عن هوى بالهون ينهاني

(٩٧)

وقال :

يَا رَبِّ خُذْ بِيَدِي مِنْ ظَلَمٍ مُقْتَدِرٍ عَلَى قَدِّ لَجٍّ فِي صَدْدِي وَهَجْرَانِي
لَيْنٍ قَسَاوَتِهِ لِي ، أَوْ قَيْسَرٍ لِي صَبْرًا ؛ لِأَحْظَى بَوْضِلٍ أَوْ بُسْلَوَانٍ
أَوْ فَاطِفٍ جَمْرَةَ خَدَيْهِ ، وَأَيْقُظَ جَفْنَ نَبِيهِ الَّذِينَ أَرَا قَاءَ مَاءَ أَجْضَانِي

(٩٨)

وقال :

إِذَا أَوْحَشْتَنِي جَفْوَةَ الْخَلِّ رَدَّنِي إِلَيْهِ وَفَاءً بِالْإِخَاءِ ضَائِنٍ
كَأَنِّي أُمُّ الْبَوِّ^(١) تُنْكِرُ شَخْصَهُ وَيُعْطِفُهَا وَجْدٌ بِهِ وَحْنِينَ

(٩٩)

وقال :

يَا لِلَّهِ يَا مُغْرَى بِهِجْرَانِي وَيَا مُسِيحَ الدَّمْعِ أَجْضَانِي
هَلْ فِي الْقَضَايَا أَنَّ مَنْ مَا جَنَى يَخْضَعُ بِالْعُذْرِ إِلَى الْجَانِي

(١٠٠)

وقال :

إلى كم أُرجمُ فيك الظُنونا وأدفعُ بالشكِّ عنك اليقيناً
وَأملُ عطفَكَ بعدَ الجفا ، وقسوةَ قلبِكَ لى أن تَليناً
وأصبرُ للهجرِ صبرَ الأسيرِ على قده^(١) ، صاغراً مُستكيناً
وَأبى ، وقد خُنتَ عهدَ الهوى ولم ترعَ ذمته ، أن أخوناً

(١٠١)

وقال :

زدنى جوى ياحبهم ، وأضلّنى
لا تنهني عنهم ، فإنّ صبابى
أحييتهم ، أزمان غصني ناضراً
حتى عسا^(٢) ، وعصى بنان الحاني
فارجع بيابنك ، لست أول أمرٍ
شقّ الغرامُ عصاه بالصبان

(١٠٢)

وقال :

أياهاجرًا كتباً زدتُ في
ترفّق بقلبٍ إذا ما ذكرُ
محلّك منه محلّ السوا
خضوعي له زاد هجرانه
ت بدا للمحدث كتمانهُ
د من ناظرٍ أنت إنسانهُ

(١) يقال أمره بالقد : بالسير من الجلة غير المدبوع .

(٢) عسا النبات عسوا : غلظ واشتد .

(١٠٣)

وقال ^(١) :

يَا مُعْرِضًا ^(٢) ، رَاضِيًا وَغَضْبَانًا وَهَاجِرِي هَاجِعًا وَيَقْظَانًا ^(٣)
صَدَدْتُ ^(٤) ، إِمَّا لَهْفَةٍ فَرَطْتُ مَنِي ، وَإِمَّا ظُلْمًا وَعُدْوَانًا
طَيْفُكَ ، مَا بِالْهُ يَهْجُرُنِي مَنَ أَعْلَمَ الطَّيْفَ بِالَّذِي كَانَا

(١٠٤)

وقال :

يَا فِتْنَةً عَرَضَتْ لِي بَعْدَ مَا عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الْآلِهَةِ وَاقْتَادَ الْهَوَى رَسَنِي ^(٥)
هَلَاً ، وَلِبَلِي غَرِيبٌ ^(٦) ، وَأُنْجِه غَوَارِبٌ ، وَشَبَابِي نَاضِرُ الْغُصْنِ

(١٠٥)

وقال :

أَحْبَبْتُهَا فِي عُفْوَانِ الْجَبَا وَقُلْتُ : إِنَّ الشَّيْبَ يُسْلِينِي
فَزَادَنِي شَيْبِي جُنُونًا بِهَا حَتَّى كَأَنَّ الشَّيْبَ يُغَرِّبُنِي
وَالشَّبَابَ الشَّيْبُ ، لَا مِيزَةَ بَيْنَهُمَا عِنْدَ الْحَبَائِزِ !

(١) رويت هذه الأبيات في الخريدة ١ : ١٠٦ .

(٢) في الخريدة « يا هاجرا »

(٣) في الأمل « وسنانا » والتصويب من الخريدة

(٤) في الخريدة « هجرت » .

(٥) الزمن : الحبل وما كان من زمام على أف .

(٦) أسود غريب : حالف .

قافية الهاء

(١٠٦)

وقال :

يَا هَلَالًا إِذَا تَبَدَّى رَأَاهُ السُّورَى لَا يَمَلُّ رَاعُوهُ مِنْهُ
وَرَأَى الْهَلَالَ فِي كُلِّ شَهْرٍ لَيْلَةً ، ثُمَّ تُعْرَضُ الْعَيْنُ عَنْهُ
لَمْ يَخُنْ عَهْدَكَ الَّذِي لَمْ يُطْعَ فِيكَ نَصِيحًا ، فَلِمَ ، قَدَاكَ ، تَخُنُهُ ^(١)
كُلُّ حُسْنٍ فِي الْخَلْقِ مُجْتَمِعٌ فِيكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا تَسْنُهُ ، وَضُنُّهُ
إِنْ تَكُنْ مَا رَأَيْتَ مِنْ جَمْعِ الْإِحْسَانِ وَالْحُسْنِ فِي الْمَلَايحِ فَكُنُهُ

(١٠٧)

وقال :

قُلْ لِمَنْ أَوْحَشَ بِالْهَجْرِ جُفُونِي مِنْ كَرَاهَا
وَالَّذِي أَوْهَمَ عَيْنِي أَنَّ فِي النَّوْمِ قَذَاهَا
يَا مَلُولًا ، قَلَمَا اسْتُرْ عِيْ عُهُودًا فَرَعَاهَا
يَا ظُلُومًا كَلَمَا اسْتَعَطَفْتُهُ صَدَّ وَتَاهَا
زِدْتَ فِي تِيهِكَ وَالشَّيْءُ إِذَا زَادَ تَنَاهَى

(١) جزم الفعل للضرورة . وما استفهامية لا جازمة .

تَتَقَضَّى دَوْلَةُ الْحُسْنِ ، وَإِنْ طَالَ مَدَاهَا
رَاحَتِي لَوْ سَمِعَ الشَّكْوَى إِلَيْهِ ، وَوَعَاهَا
غَيْرَ أَنْ الثَّمَّ لَا تَسْمَعُ نَجْوَى مَنْ دَعَاهَا
وَهُوَ لَوْ نَادَى عِظَامِي رِمَّةً لَبَيَّ صَادَاهَا
مُتَلِفٌ بِالْهَجْرِ نَفْسِي وَإِلَيْهِ مُشْتَكَاهَا
مُسْتَقَلٌّ كُلِّ مَا تَلَقَّاهُ فِيهِ : مِنْ أَذَاهَا

(١٠٨)

وقال^(١) :

تَخْفَى عَلَى ذُنُوبُهُ فِي حَبَّةٍ وَيَرَى ذُنُوبِي قَبْلَ أَنْ أُجْزِيَهَا
فَكَأَنَّهُ عَيْنِي تَرَى عَيْنِي ، وَلَا يَبْدُو لِي الْعَيْبُ الَّذِي هُوَ فِيهَا

(١٠٩)

وقال :

بُنِيَتْ أَنَّهُمْ بَعْدَ الْعِبَادِ نَسُوا عَهْدِي ، وَقَالُوا : مَضَى أَمْسٌ بِمَا فِيهِ
وَهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ : مِنْ هَوَى وَقَلِيَّ إِنْسَانُ عَيْنِي ، قَبِيحٌ بِي تَنَاسِيهِ
وَكَلَّمَا اقْتَرَفُوا ذَنْبًا يُزْهَدُنِي أَقَامَ حَبِّي لَهُمْ عُذْرًا يُعْفِيهِ

(١) البيان من مزيات المسالك لأسماء (١٠ : ٥٠٦) .

قافية الياء

(١١٠)

وقال :

يَغَالِطُنِي فِيكُمْ هَوَايَ ، فَأَنْتَنِي إِلَيْكُمْ ، عَلَى انْكَارِ مَا قَدْ بَدَأَ لِيَا
كَعْظَمَةَ أُمِّ الْبَرِّ (١) تَرَأُّمُ شِلْوُهُ (٢) وَقَدْ رَأَبَهَا مِنْهُ الَّذِي لَيْسَ خَافِيَا (٣)

(١١١)

وقال :

يَا سَائِلِي عَمَّا بَيْنَهُ سِرُّ الْحُبِّ عَلَانِيَهُ
أُنْظُرْ إِلَى جَسَدِي ، لَتُنْخَبِرَكَ الْعِظَامُ الْعَارِيَهُ
عَنْ مُهْجَةٍ بِالْهَجْرِ قَدْ تَلَفَتْ وَعَيْنِ جَارِيَهُ
وَصَبَابَةٍ لَا أَسْتَطِيعُ أَثْبُتُهَا ، هِيَ مَا هَبَهُ
وَلَمِنْ أَلُومٍ ، وَإِنَّمَا عَنَى عَلَى الْجَانِيَهُ

(١١٢)

وقال :

يَا قُرُّ ، أَعْجَبُ مَا فِيهِ دُرٌّ بِدِيعُ النَّظْمِ فِي فِيهِ
قَدْ زِدْتَ فِي التَّيِّهِ ، وَمَنْ لَا يَرَى مَثَلًا لَهُ يُعْذَرُ فِي التَّيِّهِ

(١) انظر ما سبق في شرحه ص ٤٣ .

(٢) الشلو : العضو والجسد من كل شيء .

(٣) البتان من اختيارات المسالك لأسامة (١٠ : ٥٠٦) .

ما قاله في شكوى الفراق ، ووصف الحنين والاشتياق

قافية الباء

(١١٣)

قال :

أَحْبَابَنَا مَنْ غَابَ عَنْ يَوْمِهِ فسيانَ عِنْدِي بَعْدَهُ وَاقْتِرَابُهُ
إِذَا الْمَيِّتُ وَارَى شَخْصَهُ عَفْرُ الثَّرَى فَهَلْ يُدِينُهُ أَنْ يَقْلَ تَرَابُهُ
وَكُلُّ غَرِيبِ الدَّارِ فَالْأَرْضُ دُونَهُ وَإِنْ كَانَ حَيًّا فَالْحَمَامُ اغْتِرَابُهُ

(١١٤)

وقال :

أَلْمِيَاءُ^(١) ، إِنْ شَطَّتْ بَنَى الدَّارُ عَنَوَةً فَدَارَكَ أَجْفَانِي الْقَرِيحَةُ وَانْخِلَبُ^(٢)
تَدَانَتْ بَنَى الْأَهْوَاءُ ، وَالْبَعْدُ بَيْنَنَا وَمَا فُرْقَةُ الْأَحْبَابِ حَزَنٌ وَلَا سَهْبُ^(٣)
وَلَكِنَّمَا الْبَيْنُ الْمُشْتُ هُوَ الْقَلَى وَإِنْ قَرَبُوا ، وَالْبُعْدُ أَنْ يَبْعَدَ الْقَلْبُ
وَكَمْ مَهْمَةٍ^(٤) تَسْتَهْوِلُ الشَّمْسُ قِطْعَهُ طَوْتُهُ لَنَا الْأَشْوَاقُ نَحْوَكِ وَالْحَبُ
عَقَلْتُ بِهِ الْعَيْسَ^(٥) الْمَرَا سِيلَ بِالْوَجَى^(٦) إِلَيْكَ ، فَأَدْنَيْتُنَا الْمَطْهَمَةَ^(٧) الْقُبُ^(٨)

(١) لمى كرضى لمى وكرى لميا : اسودت شفته ، وهو ألى وهى لميا .

(٢) انخلب بالكسر : لحمة رقيقة تصل بين الأضلاع ، أو الكبد ، أو جهاها .

(٣) السهب : الغلالة . والحنن : ما غلظ من الأرض .

(٤) المهمة : المغازاة البعيدة .

(٥) العيس بالكسر : الإبل البيض يحالط بياضها شقرة .

(٦) الوجى : الحنى وهو أن برق القدم والحافر .

(٧) المطهمة : التامة الخلق .

(٨) انخيل القب : الضوا مر .

فلما وصلنا (برقعيد) ^(١) تحاشدت على صباباتي ، وعثني الركب
ولج اشتياقي ، كنت أتهم النوى عليه ، إلى أن زاد سورة ^(٢) القرب
فأيقنت أن لا قرب يشني من الجوى ولا ينقضي ذا الحب أو ينقضي النحب ^(٣)

(١١٥)

وقال :

يا آمري بالصبر ، إني ألين موعده الغروب
والصبر محمود العواقب ، لو أطاقت القلوب
لكن أباه على أحشاء يقلقلها النحب
ومدامع كالبحر ، لا يربح لمفعمه نضوب

(١١٦)

وقال ^(٣) :

يادهر ، مالك لا يصدك عن إساءتي العتاب
أمرضت من أهوى ، وبيا بي أن أمرضه الحجاب
لو كنت تنصف كانت الأمراض بي ^(٥) ، وله الثواب

(١) برقعيد : بلدة في طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين (ياقوت) .

(٢) سورة النحر وغيرها : حديثها .

(٣) النحب : الأجل .

(٤) هذه القطعة مما روى لأسامة في ياقوت ٢ : ١٩٧ ونريدة القصير ١ : ٥٠٠ .

(٥) الرواية في ياقوت « ل » .

(١١٧)

وقال :

عَلَامَ يَادَهُرُ ، بِالْعِدْوَانِ تَحْبِسُنِي فِي غَيْرِ جَنْسِي ، وَلَمْ أَفْقَدَ ، وَلَمْ أَغِبْ
هَلَّا بِأَذْنِي الْعَذَائِينَ اقْتَنَعَتْ لَنَا فَالذَّبْحُ أَرْوَحُ مِنْ تَعْلِيْبٍ مُغْتَرَبٍ

(١١٨)

وقال :

رَمَتْنَا اللَّيَالِي بِاقْتِرَاقٍ مُشْتَبٍ أَشْتَى ، وَأَنَاثَى مِنْ فِرَاقِ الْمُحْصَبِ^(١)
تَحَالَفَتِ الْأَهْوَاءُ ، وَانْشَقَّتِ الْعَصَا وَشَعْبَهُمْ وَشَكُّ النَّوَى كُلِّ مَشْعَبٍ^(٢)
وَقَدْ نَثَرَ التَّوْدِيْعُ مِنْ كُلِّ مُقْلَةٍ عَلَى كُلِّ خَدٍّ لَوْ لَوْأَ لَمْ يُثَقِّبْ

(١١٩)

وقال :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو عَيْشَةً قَدْ تَنَكَّدَتْ عَلَيَّ ، وَدَهْرًا قَدْ أَلَحَّتْ نَوَائِبُهُ
تَنَكَّدَرُ مِنْ بَعْدِ الصَّفَاءِ نَمِيرُهُ وَأَحْزَنَ مِنْ بَعْدِ السَّهْوَةِ جَانِبُهُ
وَقَصَّرَ كَفِّي عَنْ نَوَالٍ تُنِيلُهُ وَزَاوَلَهَا عَنْ نِيلٍ مَا أَنَا طَالِبُهُ

(١) المحصب : موضع رى الجمار ، نى .

(٢) المشعب : الطريق .

(١٢٠)

وقال :

إلى كم أُنْعَى بالسرى والسَّابِيبِ^(١) وَيُصَدِّعُ شَمْلِي بِالنَّوَى وَالنَّوَابِ
فَنَ لَاقَهُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ مَنْزِلُ فَمَا مَنَزَلِي إِلَّا ظُهُور النَّجَابِ^(٢)
وَمَنْ رَأَاهُ خِلُّ يُسْرِ بِقُرْبِهِ فَيَا وَيَجَ قَلْبِي مِنْ فِرَاقِ الْأَقَارِبِ
فَلِي كُلَّ يَوْمٍ مِنْ جَوَى الْهَمِّ صَاحِبُ يُجَدِّدُ أَحْزَانِي عَلَى فَقْدِ صَاحِبِ
وَلِي مَنْزِلُ مَا مَسَّ جَلْدِي تَرَابُهُ وَلَا فِيهِ أَتْرَابِي ، وَمَلَهَى مَلَاعِبِي

(١٢١)

وقال :

أَمْسَبْتُ مِثْلَ الشَّمْعِ : يُشْرِقُ نَوْرُهُ وَالنَّارُ فِي أَحْشَائِهِ تَتَلَهَّبُ
حَيْرَانٌ ، وَجْهِي لِلتَّجْمِلِ^(٣) ضَاحِكٌ طَلَّقَ ، وَقَلْبِي لِلْهَمِّ مُمَقَّطٌ

قافية الجيم

(١٢٢)

وقال :

لَمْ يَنْهَ الْعَدْلُ ، لَكِنْ زَادَهُ لَهَجًا وَالْعَالُ مَا يَزِيدُ الْمُسْتَهَامَ شَيْجًا
أَضَعْتُ نَصْحَكَ فِيمَنْ لَيْسَ بِسَمْعِهِ وَلَا يَرَى فِي ضَلَالَاتِ الْهَوَى حَرَجًا

(٢) النجائب : جمع نجيبة ، وهي الناقة الكريمة .

(١) انظر ما سبق من شرحه ص ١ .

(٣) التجميل : التصبر .

ما قلبه حاضرُ النجوى ، فبردعه الذِّ
مُدله ، فارقَ الأحبابَ أغبطَ ما
يستخبرُ الدَّارَ عنهم صبوةً ، فإذا
فاضتْ بِقَانِي الدِّمِ المنهلُ مقلتهُ
يا ويحه من جوى يغدو عليه ، ومن
أفدى خيالاً سرى ليلاً ، فأشرقَ الدِّ
عجبتُ منه ، تخطى الهولَ معترضاً
إذا رأيتُ حبابَ الرّاجِ مُستظلاً
يألى من الين ، لازالت مَظِيهْمُ
سارت بإنسان عيني في هَوادِجِها
فارقتهم ، فكأنى ماسررتُ بهمُ
أهى ، ولا نهيةً في سمعه ولحاً
كانوا ، وكانَ بهم جذلانَ مُبتهجاً
أعيتَ عليه جواباً ناحَ أو نشجاً^(١)
فكلُّ راءٍ رآها ظنّها ودجاً^(٢)
جوى يروحُ ، إذا ليلُ الهمومِ دجاً
نياً بأنواره ، والصبحُ ما انبلجاً
أرضَ العدا ووشاةَ الحى ، كيف نجاً
ذكرتُ ذاك الرضابَ العذبَ والبلجاً^(٣)
حسرى ، إذا ارتحلتُ ، معقولةٌ يوجى^(٤)
فأرأتُ منظرًا من بعدهم بهجاً
يوماً ، وقد عشتُ مسروراً بهم حجاً

قافية الحاء

(١٢٣)

وقال :

كَمَّ الْجَوَى الْقَلْبُ الْقَرِيحُ فَأَذَاعَهُ الدَّمْعُ الْقَضُوحُ
إِنَّ الدُّمُوعَ لَهَا لَسَةٌ إِنَّ بِالْأَسَى لَسَنُ فَصِيحُ

(١) نشج الباكى نشيجا : غص بالبكاء فى حلقه من غير انتخاب .

(٢) الودج : عرق فى العنق .

(٣) البلج : قنطرة ما بين الحاجين .

(٤) الوجى : الحنى . رابع ص ٥٤

وَإِذَا الدَّمُوعُ تَزَحْنُ فَالزَّفَرَاتُ بِالشَّكْوَى تَبُوحُ
أَحْبَابَنَا ، كَمْ ذَا يُشْتَّتْ شَمَلْنَا الْبَيْنُ الطَّرُوحُ^(١)
وَكَمْ التَّفَرُّقُ ؟ ! آَنَ أَنْ تَدْنُو الدِّيَارُ ، وَأَنْ تَرَوْحُوا
مَاذَا يُجِنُّ مِنَ الْحَيْنِ إِلَيْكُمْ الْقَلْبُ الْقَرِيجُ
أَنَا بَعْدَكُمْ كَالْوَرَقِ^(٢) فِي أَغْصَابِهَا أَبَدًا تَنُوحُ
لَكِنَّا غَاضَتْ مَدَا مَعَهَا ، وَلِي دَمْعٌ سَفُوحُ
مَرْجَتُهُ بِالْدَّمِ مَقْلَةٌ إِنْسَانُهَا أَرْقُ جَرِيجُ
يَا لَأَنَمَى^(٣) فِيهِمْ سَهْرٌ تُوْنَامُ عَنْ لَيْلِي النَّصِيحُ
يَلْحَى الْمُرُوعَ بِالنَّوَى وَهُوَ الْخَلِي الْمُسْتَرِيحُ
يَالِي مِنَ الْحَسِرَاتِ ، كَمْ تَغْدُو عَلَى ، وَكَمْ تَرُوحُ
لَمْ يَبَقْ مِنْ لَدُنِّي وَأَتَرَابِ الصَّبَا خِلُّ نَصُوحُ
غَالَتُهُمُ الدُّنْيَا ، رَصَدَ عَ شَمَلَهُمْ زَمَنٌ نَطُوحُ
أَنَا بَعْدَهُمْ مَيَتْ ، وَلِي مِنْ جَسَمِي الْبَالَى ضَرِيحُ
فِيهِ ذِمَّا^(٤) رُوحٌ مِنْبَتُهَا غَبُوقٌ أَوْ صَبُوحُ
وَلَقَلَّمَا تَبَقَى ، وَكَمْ تَبَقَى مَعَ التَّعْذِيبِ رُوحُ
أَفَلَا لِقَاءً يَذْهَبُ الْحَسِرَاتِ ، أَوْ مَوْتُ مُرِيحُ

(١) الورق : جمع ورقاء ، وهي الحسامة .

(٢) الدماء : بقية النفس .

(٣) طرحه . رماده وأبعده .

(٤) في هامش الديوان (بأنا صهي) .

(١٢٤)

وقال :

يَا نَازِحِينَ واصْطَبَارِي وَالْأَسَى يُجِمْ^(١) ذَا دَمِي ، وَهَذَا يَنْزَحُ
لَا أَسْأَلُ الْآيَامَ تَعْوِضًا بَكُمْ لَأَنهَا بِمِثْلِكُمْ لَا تَسْمَحُ
غَيْبُكُمْ ، وَأَشْبَاحُكُمْ يَنْظُرِي كَانَهَا إِنْسَانُهُ ، لَا تَسْبِرُ
وَلَا نِيَمُ يَلُومُ فَيْكُمْ ، وَالْهُوَى يُصْحِبُهُ^(٢) طَوْرًا ، وَطَوْرًا يَجْمَحُ
يَلِجُ فِي نُصْحِي ، وَمَا أَشْغَلَنِي بِالْيَيْنِ وَالْهَجْرَانِ عَمَّنْ يَنْصَحُ

قافية الدال

(١٢٥)

وقال :

يَا دَارُ ، إِنْ بَحَلْتَ عَلَى مَغْنَاكِ سَارِيَةَ الْعِيَادِ^(٣)
فَلَا مُطْرَنَكَ مِنْ دُمُو عِي مَا يَنْوِبُ عَنِ الْغَوَادِي
كَمْ حَلَّ رَبْعَكَ مِنْ غَضَبِضِ الطَّرْفِ مَمْنُوعِ الْوَدَادِ
يَسْتَوْقِفُ الْأَبْصَارَ فَهِيَ عَلَيْهِ حَائِثَةُ صَوَادِي
فَرَمَتْ جُورَهُمُ اللَّيَالِي بِالْتَشْتِ وَالْبِعَادِ
وَصُرُوفُ هَذَا الدَّهْرِ تَطْرُقُ بِالْجَوَادِثِ ، أَوْ تَقَادِي
يُحْسِنُ لَا عَمْدًا ، وَيَا تَيْنِ الْإِسَاءَةِ بِاعْتِمَادِ

(٢) أصحب : ذل وافتاد .

(١) أجم الماء : تركه يجتمع .

(٣) في أساس البلاغة : سقطت العياد وهي أمطار الربيع بعد الوسمي . الواحدة عيدة .

مالى وللايام ؟ ! كم تُصِبي نوافِدها^(١) فؤادى
 رنّقن^(٢) من وردى، وأمهـل جورها عمداً مرادى^(٣)
 وقصّدتنى نوابٍ والبنن بلا اقتصاد
 ومنها :

وإليك أشكو برحهم كل يوم فى ازدياد
 حظّر الشورور على فؤاد لا يسرّ بمُسْتَفَاد
 لولا تألمه لما يلقى لعدّ من الجّاد

(١٢٦)

وقال :

أَتُظَنُّ صَبْرَكَ مُنْجِداً إِنْ أَنْجَدُوا هِيَاةَ : لَيْسَ لِمُسْتَهَامٍ مُسْعِدُ^(٤)
 إِنْى لِأَحْسَبُ أَنَّ قَلْبَكَ ذَاهِلٌ عَمَّا سَيَلِقَى فِي غَدٍ أَوْ جَلَدُ
 هَذَا الْفِرَاقُ هُوَ الْفِرَاقُ ، فَإِنْ تُطَقْ جَلَدًا ، فَيُعَادُ الْلِقَاءُ الْمَوْعَدُ^(٥)
 قَالُوا : غَدًا لِنَوَى الْأَحْبَةِ مَوْعِدُ وَالْدَّهْرُ أَجْمَعُ بَعْدَ لَيْلَتِنَا غَدُ
 فَإِلَامَ تَحْتَبَسُ الدَّمُوعَ ، وَلِلنَوَى ذُنُوحُ ، وَأَيُّ ذَخِيرَةٍ لَا تَنْفَدُ
 حَمَلَتْ نَفْسَكَ يَاضِعِيفُ مِنَ الْهَوَى مَا لَيْسَ لِلْجَلَدِ الْخَلْقُ بِهِ يَدُ
 وَوَرَدَتْ جَهْلًا مُورِدًا لَا مَصْدَرُ عَنْهُ ، فَقَدْ أَلْهَاكَ ذَاكَ الْمُورِدُ

(١) أصمى الصيد : رياء قتل مكانه . والنوافذ : السهام النافذة .

(٢) رنقه : كدده .

(٣) المراد بالفتح : مرعى الإبل ، من راد النعم فى المرعى ربادا .

(٤) أسعد : أعان . وأنجد : دخل نجدا . (٥) الموعد : يوم القيامة .

أَنى جَسَرْتَ عَلَى الْفِرَاقِ وَأَنْتَ فِي قُرْبِ الدِّيَارِ بِهِمْ مَعْنَى مُكْمَدُ
فَارَقَهُمْ ثَقَّةً بِصَبْرِكَ عَنْهُمْ فَاصْبِرْ لِنِيرَانِ الْأَسَى يَا مُوقِدُ
لَوْ رُضْتَ قَلْبَكَ فِي الدُّنُوِّ بِهِجْرَهُمْ لَعَلَّتْ بَعْدَ الْيَنِّ هَلْ تَنْجَلِدُ

(١٢٧)

وقال :

مَا يُنْكِرُ الْأَخْلِيَاءُ مِنْ كَدَى لَا جَزَعِي مُسْعِدِي ، وَلَا جَلْدِي
خَانَ اصْطِبَارِي ، وَغَاضَ بَعْدَ نَوَى الْأَحْبَابِ دَمْعِي ، وَكَانَ مِنْ عُدْدِي
وَكَلَّمَا أَضْرِمْتَ حَشَايَ لَذَكْرَاهِمُ ، تَأَوَّهْتُ ، ثُمَّ قُلْتُ : قَدَى ^(١)
فَلَوْ رَمَتْ بِالْشَّرَارِ بَعْدَهُمْ أَخْنَاءُ صَدْرِي ، مَا قُلْتُ : وَيْكَ قَدَى
أَحْبَابِنَا ، دَعْوَةً أَحْسَى لَهَا - لَوْ أَسْمَعْتَكُمْ - بَرْدًا عَلَى كَبْدِي
أَهْ لِعَيْشِي ، مَا كَانَ أَنْعَمَهُ بِقُرْبِكُمْ ، وَالزَّمَانُ طَوَّعَ يَدِي
أَيَّامٌ وَرَدَى مِنْ مَاءِ أَوْجِهِكُمْ عَذَبٌ ، وَقَلْبِي بَعْدَ الْوُرُودِ صَدَى
فَفَرَّقْتَنَا النَّوَى ، فَوَاطَمَنِي إِلَى ارْتِشَافِ الْعُقَارِ ^(٢) مِنْ بَرْدِ
وَيَا أَمْعَى الْبَرِّي ، أَعْيْذُكَ مِنْ لَوْمِي ، فَكُلُّ الْعُقُوقِ فِي فَنْدِي ^(٣)
أَفْضَى مَعِيَ عِبْرَةَ النَّجْمِ لِإِسْعَافًا لِبَاكِ بَعِيرَةِ الْكَدِّ

(١٢٨)

وقال :

دَعُونِي أُتِّجْ ، مَا مِثْلُ وَجْدِي يُجْعِدُ عَسَى جَهْرَاتُ فِي الْجَوَانِحِ تَمُحْدُ
أَجْشَمُ نَفْسِي كَتَمَ مَا أَنَا كَاظِمٌ عَلَيْهِ ، وَمَا لِي بِالَّذِي رَمْتَهُ يَدُ

(١) قد : اسم فعل مرادة ليكن ، واسم مرادف لحسب . (٢) العقار : الحمار .

(٣) الداء بفتح الفاء والنون : إنكار العقل من الهرم أو المرض ولا يستعمل في غير الكبير .

ووجدى بمن فارت، لولا تجلدى وما قدر^(١) ما يجدى على التجلدى!
كوجد ليدي، أو كوجد منم ومن مالك مع من فقدت وأربد^(٢)

(١٢٩)

وقال :

أيلام مسلوب الفؤاد فقده جحد الغرام ، فأنبتته شهوده
والسر في يوم الوداع كأنه قبس تضرم في الظلام وقوده
وإذا أقرت بالهوى زفراته لم يغن عنه ، وإن أصر، جحوده
برح الخفاء ، وبان بأسك منهم فإلام أنت جوى الفؤاد عميده
يلى الزمان هوى القلوب، وجههم لا يضمحل، ولا يربث^(٣) جديده
وكان دمعك حين يخطر ذكركم عقد وهى ، فانتال منه فريده
تحكى الغمام : زفير شوقك برقه ونشيج دمعك وبله ورعوده
تبكى لأنتك الحام ، وطالما هاج الجوى لأبى الهوى تغريده
ياراقد الأجفان عن قلق الحشا ولهان أفدى طزفه تسهده
ماذا عليك إذا بكى أحبابه ذو غربة نانى المحل بعيده

(١٣٠)

وقال :

ولم تصافينا وأخلص ودنا ورد يباس كاشح وحسود
طرت هجرة لم تحتسب، وتقطعت علائق وصيل ، واستمر صدود

(١) في هامش الديوان : " وإن قل " .

(٢) مالك بن نويرة وأخوه متهم شاعران وليدين ربيعة وأربد بن ربيعة شاعران . وانظر القلمة (٣٣١) ص ٢١٠ .

(٣) رث : على .

فَلَيْتَ زَمَانَ الْهَجْرِ يَنْقُصُ مِنْ مَدَى حَيَاتِي ، وَسَاعَاتِ الْوَصَالِ تَعُودُ
وَكُنْتُ لَيْلَى الْوَصْلِ مُشْرِقَةً بِهِ كَمَا أَنَّ أَيَّامَ الْقَطِيعَةِ سُورِدُ

(١٣١)

وقال :

أَسِيرُ إِلَى أَرْضِ الْأَعَادَى ، وَفِي الْحَشَا لِيُغْضَهُمْ نَارُ تَلْظَى وَقُودُهَا
إِذَا زُرْتُمَا طَالَتْ طَرِيقُ ، وَإِنْ أَعْدَا "أَرَى الْأَرْضَ تَطْوِي لِي ، وَيَدْنُو بَعِيدُهَا"

(١٣٢)

وقال :

إِذَا مَرَّ ذِكْرًا لَمْ يَبْقَى تَضَائِقَتْ ضُلُوعِي عَمَّا تَحْتَنَنْ مِنَ الْوَجْدِ
وَأَعْجَبُ مِنْ كَسْتَيْنَا بَعْدَ أَلْفَةٍ وَمِنْ نَقْلِنَا بَعْدَ الدُّنُو إِلَى الْبُعْدِ

(١٣٣)

وقال :

عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ يَا قَلْبِي ، فَإِنْ خَفِيتُ سَبِيلُهُ عَنْكَ ، فَاسْأَلْ عَنْهُ مِنْ فَقْدَا
فَلَنْ تَرَى وَاجِدًا فِي النَّاسِ فَارِقَ مَنْ يَهْوَى ، فَأَجِدِي عَلَيْهِ أَنْ قَضَى ^(١) كَمَدَا
بِالْأَمْسِ رَاعَكَ بَيْنَ مَا احْتَسَبْتَ بِهِ عَسَى الْلِقَاءُ الَّذِي لَمْ تَحْتَسِبْ غَدَا

(١) قضى : مات .

(١٣٤)

وقال :

هَبْ أَنْ مِصْرَجَنَا نُحْلِدَ : مَا اشْتَهَتْ النُّفُوسُ فِيهَا مِنَ اللَّذَاتِ مَوْجُودُ
مَاذَا انْتَفَاعِي إِذَا كَانَتْ زَخَارِفُهَا مَوْجُودَةً ، وَحَيْبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ
وَمَا الْحَيَاةُ لِمَنْ بَانَتْ أَحَبَّتُهُ رِضًا ، وَلَا هُوَ فِي الْأَحْيَاءِ مَعْدُودُ

(١٣٥)

وقال :

بِنَفْسِي بَعِيدُ الدَّارِ ، بِي مِنْ فِرَاقِهِ جَوَى لَوْرَاهُ الْبُعْدُ رَقَّ لِي الْبُعْدُ
يَقْلِبُنِي مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهِ ، وَلَوْعَةٍ عَلَيْهِ ، غَلِيلٌ لَيْسَ يُبْرِدُهُ الْوَرْدُ
وَمَا بَرَدُ أَحْشَانِي عَلَى مَا تَضَمَّنْتُ مِنْ الْوَجْدِ إِلَّا مِثْلَهَا بَرَدَ الزَّيْدُ

(١٣٦)

وقال :

تَنَاءَتْ بِنَا عَنْ أَرْضِ نَجْدٍ وَأَهْلِهِ نَوَى غُرْبَةً كَالصَّدْعِ فِي الْحَجَرِ الصَّلْدِ
وَقَدْ قِيلَ : فِي الْيَأْسِ الشَّفَاعَةُ مِنَ الْهَوَى وَدَانِي الَّذِي أَقْضَى بِهِ الْيَأْسُ مِنْ نَجْدِ
بِلَادُهَا صَاحِبَتْ شَرْخَ شَيْبَتِي وَفَارَقْتُ إِخْوَانِي الْكَرَامَ ذَوِي وَدَى
إِذَا خَطَرَتْ مِنْهُمْ عَلَى الْقَلْبِ خَطَرَةٌ تَدَلَّتْ حَتَّى مَا أُعِيدُ ، وَلَا أَبْدَى

(١٣٧)

وقال :

أَقُولُ لِعَيْنِي يَوْمَ تَوْدِيْعِهِمْ وَقَدْ جَرَتْ بِنَجِيحٍ^(١) فَوْقَ خَدَّيْ مُرَبِّدٍ :
خُدَى بِنَصِيبٍ مِنْهُمْ قَبْلَ بَيْنِهِمْ وَدُونَكَ ، وَالِدَمْعَ [الْمُخْضَبِ]^(٢) فِي غَدٍ

(١٣٨)

وقال :

قَدْ مَرِنْتَ قَلْبُنَا عَلَى النَّوَى فَإِذَا تَشَكَّى مِنَ أَلِيمِ الْوَجْدِ
كَأَنَّ حُسْنَ صَبْرَهَا عَلَى لَغَى أَشْوَاقِهَا حُسْنُ اصْطِبَارِ الزَّئِدِ

(١٣٩)

وقال من قصيدة عند الخروج من مصر مع الأفضل عباس^(٣) :

أَتَمُّهُمْ فَيْكُم لَانِمَى ، وَأُنْجِدَا وَمَا أَفَادَ سُلُوءٌ إِذْ فَنَدَا^(٤)
أَرْشَدَنِي بِزَعْمِهِ ، وَمَا أَرَى سُلُوءٌ قَلْبِي عَنْ هَوَاكُمُ رَشَدَا
يَا لَانِمَى فَيْهِمْ ، أَعِذْ ذِكْرُهُمُ وَاللَّوَمَ فَيْهِمْ ، وَاتَّخِذْ عِنْدِي يَدَا
رُوحَ بَذِكْرَاهُمْ فَوَادَا مُضْرَمًا لَوْ مَاتَ حَوْلًا كَامِلًا مَا بَرَدَا
لَوْ كَانَ مَا يَشْكُوهُ مِنْ حَرِّ الْأَسَى نَارًا لَبَاخَتْ ، أَوْ زَنَادَا أَضْلَدَا
لَا نَحْسَبَنَّ الْيَأْسَ أَسْلَانِي ، وَلَا أَنْسَانِي النَّأْيُ هَوَى مِنْ بَعْدَا
شَرِطُ الْهَوَى لَهْمُ عَلَى أَنِّي بِهِمْ مَعْنَى الْقَلْبِ صَبٌّ أَبَدَا

(١) النجيع : دم الجوف . (٢) نكبة يياض بالأمل بمثابة يستقيم الوزن ويحمل المعنى .

(٣) هو عباس بن يحيى الصنهاجي وزير الظاهر القاطمى ، وهو الذى اتهم ولده نصر بقتل الخليفة ، فهربا من مصر .
وصحبا فى خروجهما أسامة .

(٤) أتهم : أتى تهامة . وأنجد : دخل نجدا . وفند : خطا الرأى .

لا أَسْتَفِيقُ مِنْ هَوًى لَّا إِلَى
أَفْدَى خَبَالًا زَارَ رَحْلِي مُوهِنًا^(١)
عَهْدُهُ مُوسِنًا رَادُّ^(٢) الضُّحَى
عُلَالَةً عَلَّيَ الشَّوْقُ بِهَا
ثُمَّ هَيَّيْتُ، لَا بِكَ الْوَجْدُ الَّذِي
مُدْمَغًا، أَمْسَحُ عَيْنِي، عَسَى
كَفَانِيصُ فَاتِ الْقَنِيصِ يَدِهِ
أَحْبَابِنَا وَحَبْدًا نَدَاؤُكُمْ
غَالَتْ يَدُ الْإِيَّامِ مِنْ بَعْدِكُمْ
مَا لِاضْطِبَّارِي مَدَدُ بَعْدِ النَّوَى
لَكِنِّي مَا رُمْتُ إِطْفَاءَ الْجَوَى
يَا رَوْعَتَا لَطَائِرِ نَاحٍ عَلَى
أُظُنُّهُ فَارِقَ الْأَفَّا ، كَمَا
أَدْمَى جِرَاحَاتِ بَقْلِي لِلنَّوَى
لَكِنْ يَبْهَجُ الْحَزِينُ بَثَّهُ
ومنها :

فَقُلْ لِمَنْ أَشْمَتَهُ فِرَاقُنَا
إِنْ سَرَّكَ الدَّهْرُ بَنَا الْيَوْمَ فَهَلْ
وَسَرَّهُ أَنْ جَارَ دَهْرٌ وَاعْتَدَى
أَمْنَتَ أَنْ يَسْرُنَا فَيْكَ غَدًا^(٥)

(١) الموهن : نحو من نصف الليل .

(٢) راد الضحى : وقت ارتفاع الشمس عند الخمس الأول من النهار وانبساط ضوئها وذلك شاب النهار . وموسنا :

من الوسن وهو شدة النوم .

(٣) القدغ : القلابة . (٤) الإسوة بالكسر وتضم : القدوة وما يأتي به الحزين . الجمع : إسمي بالكسر ويضم .

(٥) راجع القطعة (٣٣٢) ص ٢١٠ .

قافية الذال

(١٤٠)

وقال :

صَدُّوهُ ، وَهُوَ صَدِي^(١) الْفُؤَادِ إِلَيْهِمْ ظَالِمٌ ، يُحُومُ عَلَيْهِمْ وَيَلُودُ
وَبَعْدَهُمْ إِنْ حَافَظُوا مِيثَاقَهُ زَمَنَ الْوِصَالِ مِنَ الصُّدُودِ يَعُودُ
وَبَلِيَّةُ الْمَشْتَانِ أَنَّ هَمُومَهُ مَجْمُوعَةٌ ، وَفُؤَادُهُ مَشْدُودُ

قافية الراء

(١٤١)

وقال :

لَا غَرَوْا إِنْ هَجَرَ الْخِيَالُ الزَّائِرُ مَا يَسْتَزِيرُ الطَّيْفَ طَرْفُ سَاهِرُ
دُونَ الْكَرَى خَطَرَاتُ هَمٍّ ذُنَّةً عَنْ نَاطِرِي ، فَهُوَ النَّوَارُ^(٢) النَّافِرُ
لَا سَوْرَةَ الصَّبَاءِ^(٣) تَصْرِفُهُ ، وَلَا يُلْهِى فُؤَادِي حِينَ يَطْرُقُ سَامِرُ
وَإِذَا فَرِعْتُ إِلَى الْأَمَانِي صَدَنِي يَأْسٌ يُحَقِّقُهُ الزَّمَانُ الْخَاطِرُ^(٤)
أَسْتَعِطِفُ الْأَيَّامَ ، وَهِيَ صِرَادِفُ وَالْوُمُهَا ، وَهِيَ الْمَصْرُ الْجَاثِرُ
وَتَزِيدُهَا الشَّكْوَى إِلَيْهَا قَسْوَةً وَلَقَلَّابًا يُسْكِي^(٥) الظُّلُومَ الْقَادِرُ
أَشْكُو حَرَاحَاتٍ بَقَلْبِي تُعْجِزُ الْآ سِي ، وَلَمْ يَبْلُغْ مَدَاهَا السَّابِرُ

(١) الصدى : العطنان .

(٢) النوار : المرأة الغفيرة من الرية .

(٣) الصباء : الغمر .

(٤) الخنثى : الغدر والغديعة ، أو أريج الغدر .

(٥) أشكى : أزال شكايته .

غَبِرْتُ عَلَى دَخَلٍ، وَرَوَعَاتُ النَّوَى يَقْرِفْنَ^(١) مَا دَمَلَ الزَّمَانُ الْغَابِرُ
وَعَلَى الرِّكَائِبِ، لَوْ أَبَاحَ الدَّمْعُ لِي نَظْرًا إِلَى تِلْكَ الْخُدُورِ، جَاذِرُ
سَارُوا بِقَلْبِ أُسِيرِهِمْ بَعْدَهُمْ مُتَلَدِّدٍ^(٢)، فَهُوَ الْمَقِيمُ السَّائِرُ
ثَاصَتْ دُمُوعِي فِي الْمَنَازِلِ وَارْعَوَى صَبْرِي، وَرَاجَعَنِي الرَّقَادُ النَّافِرُ
إِنْ لَمْ أُسَجِّ بِهَا سَحَابٌ أَدْمِجْ يَنْجَابُ خَشِيَّتَهَا الْغَامُ الْبَاكِرُ
أَحْمِلُ الْأَطْلَالَ مَنَّةً عَارِضٍ^(٣) وَسَحَابٌ دَمَعِي مُسْتَهْلٌ مَاطِرُ
إِنِّي إِذَنْ بِشُؤْنٍ غَنِيَّ بَاخِلٌ وَبِعَهْدٍ مَنْ سَكَنَ الْمَنَازِلَ نَادِرُ

(١٤٢)

وقال :

تَنَاءَوْا، وَمَا شَطَّتْ بِنَا عَنْهُمْ الدَّارُ وَمَالَتْ بِهِمْ عَنَّا خُطُوبٌ وَأَقْدَارُ
هُمْ جِيرَتِي، وَالبَعْدُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَأَعْجَبُ شَيْءٍ بَعْدُ مَنْ هُوَ لِي جَارُ
لَهُمْ مَنَى الْعَتِي، إِذَا مَا تَجَرَّمُوا وَبَذَلَ الرِّضَا، إِنْ أَنْصَفُونِي، أَوْ جَارُوا
أَجِيرَةُ قَلْبِي، وَالَّذِينَ هَوَاهُمْ تَوَافَقَ إِعْلَانٌ عَلَيْهِ وَإِسْرَارُ
تَظُنُّونَ أَنَّ الصَّبْرَ يُجَدُّ بَعْدَكُمْ عَلَى بُعْدِكُمْ، هِيَاتَ، صَبْرِي غَيْرَارُ
إِذَا عَنْ ذِكْرَاكُمْ عَرَّتِي سَكْرَةٌ كَأَنِّي سَقَانِي الْبَابِلِيَّةَ نَحَارُ^(٤)
حَفِظْتُ هَوَاكُمْ حِفْظَ جَفْنٍ لِمُقْلَةٍ وَضَاعَتْ مَوَدَّاتٌ لَدَيْكُمْ وَأَسْرَارُ
وَعَارُكُمْ أَنْ تَعْتَرِيكُمْ مَلَالَةٌ وَحَاشِي هَوَاكُمْ أَنْ يُدْنِسَهُ الْعَارُ

(١) القرف : التمس في المرض . والدخل : القدر والمكر . والغبر : فساد الجرح .

(٢) تلدد : تلفت يمينا وشمالا وتغير متبدا وتقلب .

(٣) العارض : السحاب المترض في الأفق .

(٤) البابلية : نمرتسب إلى بابل : مكان فالدائق .

أَعَاتِبْكُمْ ، أَرْجُو عَوَاطِفَ وُدِّكُمْ وَفِيكُمْ عَلَى مَا أُوجِبَ الْعَتَبَ لِإِصْرَارُ
وَمَنْ عَجِبَ أَتَى أَرِقْتُ لِرَاقِدٍ وَالزَّمَنِي حَفَظَ الْمَوَدَّةَ غَدَارُ
أَحِينَ اسْتَرَقَّ الْقَلْبَ ، وَاتَّقَاذَنِي الْهَوَى وَأَسْلَمَنِي مِنْ حُسْنِ صَبْرِي أَنْصَارُ
تَصَدَّى لَصَدَّى ، وَاعْتَرَتْهُ مَلَالَةٌ قَضَتْ بِيْعَادِي ، وَالْمَلَالَاتُ أَطْوَارُ
فَهَلَّا وَدَمْعِي ، مَا أَرِيقَتْ جِهَامُهُ ^(١) وَقَلْبِي لَمْ تُسْعَرْ بِأَرْجَانِهِ النَّارُ

(١٤٣)

وقال ^(٢) :

مَا أَنتَ أَوَّلُ مَنْ تَنَاءَتْ دَارُهُ فَعَلَامَ قَلْبِكَ لَيْسَ نَخْبُو نَارُهُ
إِمَّا السُّلُوْ أَوْ الْحُمَامُ ، وَمَا سِوَى هَذَيْنِ قَسْمٌ ثَالِثٌ تَخْتَارُهُ
مَا بَعْدَ يَوْمِكَ مِنْ لِقَاءٍ يُرْتَجَى أَوْ يَلْتَقِي جُنْحُ الدُّجَى وَنَهَارُهُ
هَذَا وَهُوَ فُكٌّ لِلْوَدَاعِ ، وَهَذِهِ أَطْعَانُ مَنْ تَهَوَّى ، وَتِلْكَ دِيَارُهُ
فَاسْتَبِقْ دَمْعَكَ فَهُوَ أَوَّلُ خَاذِلٍ بَعْدَ الْفِرَاقِ وَإِنْ طَمَأ تَيَّارُهُ
مَدَدُ الدَّمُوعِ يَقِلُّ عَنْ أَمْدِ النَّوَى إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ لُحَّةٍ تَمْتَارُهُ ^(٣)
لَيْتَ الْمَطَايَا مَا خُلِقْنَ ، فَكَمْ دِمٍ سَفَكَتَهُ يُنْقَلُ غَيْرَهَا أَوْزَارُهُ
مَا مَاتَ صَبٌّ إِتْرَ الْإِفِ نَازِحٍ وَجَدًا بِهِ إِلَّا لَدَيْهَا ثَارُهُ
فَلَوْ اسْتَطَعْتُ أَبْحَثُ سَبِي سَوْقَهَا حَتَّى يَعَافَ دِمَاءَهُنَّ زَرَارُهُ ^(٤)
لَوْ أَنَّ كُلَّ الْعَيْسِ نَاقَةٌ صَالِحٍ مَا سَاعَنِي أَتَى الْغَدَاةَ قُدَارُهُ ^(٥)

(٢) روى بعض هذه القصيدة في الخريدة ١ : ١٠٢ .

(٤) الفرار : حد السيف .

(١) الحمام : معظم الماء .

(٣) انتار : جلب الطعام .

(٥) قدار : عاقرة ناقة صالح .

ما حَتَفَ أَنْفُسَنَا سِوَاهَا ، لَمَّا
 وَاهَاً لِمَغْلُوبِ الْعِزَاءِ تَنَاصَرَتْ
 هَاجَتْ لَهُ الدَّاءُ الْقَدِيمَ أُسَاتُهُ
 كَتَمَ الْهَوَى ، حَتَّى وَنَتْ لُؤَامَهُ
 وَمَحَجَّبٍ كَالْبَدْرِ : يَدْنُو نُورَهُ
 يَحْكِي الْغِزَالَةَ وَالْقَضِيبَ قَوَامَهُ
 بِي غَلَّةٍ أَقْضَى بِهَا مِنْ حُبِّهِ
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ أَعَافَ مَعَ الظَّامِ
 أَشْتَاقُهُ ، وَهُوَ السَّوَادُ بِنَازِلِي
 إِنْ لَمْ أَمْتَ أَسْفًا عَلَيْهِ ، فَإِنِّي
 يَا زَهْرَةَ الدُّنْيَا ، وَلَسْتُ بِوَاجِدٍ
 مَالِي إِذَا عَاتَبْتُ قَلْبِي فِيكُمْ
 وَإِذَا عَرَضْتُ عَلَيْهِ وَصَلَكَ صَدَّهِ
 فَإِلَى مَتَى يُمَسَى وَيُصْبِحُ فِي لَطْفِي .
 مُتَضَادِدَ الْأَحْوَالِ بَيْنَ غَرَامِهِ
 أَمَلْتُ مِنْ دَاءِ الْهَوَى إِفْرَاقَهُ (١)
 وَفِرَاقُ مَجْدِ الَّذِينَ مُعْظَمُ دَائِهِ
 فَارِقَتُهُ وَظَنَنْتُ أَنَّ كَيْبِنَنَا

لَهِيَ الْجَمَامُ أَتِيحَ ، أَوْ لِنَذَارِهِ
 أَشْوَاقُهُ ، وَتَخَاذَلَتْ أَنْصَارُهُ
 وَنَقَى الْكَرَى عَنْ جَفْنِهِ سَمَّارُهُ
 فَطَفَتْ عَلَى دَمْعِ الْأَسَى أَسْرَارُهُ
 مِنْ عَيْنِ رَائِيهِ ، وَتَنَائَى دَارُهُ
 وَلِحَاطُهُ ، وَبَهَاؤُهُ ، وَفِئَارُهُ
 وَأَرَى الْوَرُودَ يَذُودُ عَنْهُ عَارُهُ
 مَاءَ الْفِرَاتِ لِأَنَّ بَدَتْ أَكْدَارُهُ
 مَا حِيلَتِي ، وَغَدًا يَشُطُّ مَرَارُهُ
 مَذَقُ (٢) الْوَدَادِ عَلَى النَّوَى غَدَارُهُ
 رَوْضًا سِوَاكَ يَشُوقِي نُورَهُ
 أَبْدَى الْجَوَّاجِ ، وَسَاءَنِي إِضْرَارُهُ
 عَنْهُ الْعَفَافُ ، فَمَا عَسَى إِيْثَارُهُ
 مِنْ وَجْدِهِ ، يَسِيمُ الْمَطَى أَوَارُهُ (٣)
 وَإِبَانِهِ ، مَا يَسْتَقِرُّ قَرَارُهُ
 فَرَمْتُهُ مِنْكَ بِنُكْسِهِ سَنَجَارُهُ (٤)
 وَشَفَاؤُهُ رُؤْيَاهُ أَوْ أَخْبَارُهُ
 أَمْدًا ، نَطَالَ مَدَاهُ وَاسْتِمَارُهُ

(٢) الأوار : اللب .

(٤) سنجار : مدينة .

(١) مذق الود : لم يخلصه فهو مذاق ومذاق .

(٣) أفرق من مرضه : برى .

وأخافُ أنَّ الينَ يُقْدِي ناظِرِي بفراقِهِ ، ما أومَضَتْ أَشْفارُهُ
ظَنًّا سَرَى الإِشْفاقُ في تَرْجِيمِهِ^(١) ولربَّما أَرْدَى الشَّفِيقَ حَدَارُهُ
وإذا القُنُوطُ دَجَى عَلَى ظَلامِهِ وَضَحَ الرَّجاءُ ، ولاحَ لى إِسْفارُهُ^(٢)
ووثقتُ بِاللُّطْفِ الخَنِيِّ مِنَ الَّذِي تَجْرى بِما يَلْقَى الفَتَى أَقْدارُهُ

(١٤٤)

وقال بمصر من قصيدة ، وقد بلغه أن بعض من أشار إليهم في القصيدة التي على حرف الميم لما سمعها ، قال : هذه كلها مسروقة ، ولم يفرق بين التضمين والسرقة ، فقصد التضمين في هذه القصيدة^(٣) :

أطاعَ الهوى من بعدهم ، وعصى الصَّبرُ فليسَ له نهيٌ عليه ولا أمرُ^(٤)
وعاودَهُ الوجدُ القديمُ ، فشَقَّه^(٥) جَوَى ضاقَ عن كِتمانِهِ الصَّدرُ والصَّبرُ
كَانَ النَّوى لَمْ يَخْتَرِمَ غيرَ شَمْلِهِ ولم يَجِرْ إِلَّا بِالَّذِي ساءَ القَدَرُ^(٦)
وهل لِنَبِيِّ الدُّنيا سرورٌ ، وإلَّما هو العِيشُ والبُوسَى ، أو الموتُ والقَبْرُ
وكلُّ اجْتِماعٍ مُرَصَّدٌ لَتَفْرِقٍ وكلُّ وصالٍ سوفَ يَعقبُهُ هَجْرُ
وما يدفعُ الخُطْبَ المُلِمَّ إذا عرى سوى الصَّبرِ ، إلَّا أَنَّهُ كاسِيهِ صَبْرُ
أَسْكَانَ أَخْفافِ العواصِمِ دعوةً يَفِيَّ بِرودًا ، وهى في كَبْدى جَمْرُ^(٧)

(٢) أسفر الصبح : أضاء .

(١) الترجيم : الظن .

(٣) راجع بقية هذه القصيدة ص ١١٩ .

(٤) مضمّن ليت أبي فراس الحمداني :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للوى نهى عليك ولا أمر
(٥) شفه الهم : هزله .

(٦) القدر محرّكة القضاء والحكم ، كالقدر يسكون الدال .

(٧) عجز بيت المتنبي :

أريقك أم ماء الغمامة أم نحر بنى برودا وهو في كبدي جمر

لقد أظلمت دُنْيَايَ بعد فِرَاقِكُمْ فكلُّ زَمَانِي لِبِلَّةٍ مَاهَا بَقَرُ
أُعَاتِبُ آبَائِي عَلَيْكُمْ ، وَمَاهَا وَلَا لِلْيَالِي فِي الَّذِي بَيْنَنَا عُدُرُ
لقد صَدَعَتْ بعد التَّفَرُّقِ شَمْلَنَا كَصَدْعِ الصَّفَا، مَا إِنَّ لَهُ أَبَدًا جَبْرُ
وَمَا زَالَ صَرَفُ الدَّهْرِ يَسْعَى بَيْنَنَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ^(١)
فَوَيْحَ زَمَانٍ فَزَقْنَا صُرُوفَهُ أَكَانَ عَلَيْهِ فِي تَفَرُّقِنَا نَذْرُ
إِذَا عَنَّ ذِكْرَاكُمْ نَبَائِي مَضْجَعِي كَأَنَّ فِرَاشِي حَالَ مِنْ دُونِهِ الْجَمْرُ
فَأَذْهَلُ حَتَّى لَا أُجِيبَ مَنَادِيًا وَأَبْهَتْ، لَا عَرَفُ لَدَيَّ ، وَلَا يُنْكِرُ^(٢)
وَأُرْمِي فِجَاجَ الْأَرْضِ نَحْوَ بِلَادِكُمْ بِطَرْفِ كَلِيلٍ دَمْعُهُ بَعْدَكُمْ قَطْرُ
أَرَأَقَ جِهَامٍ^(٣) الدَّمْعَ فِيكُمْ فَإِنْ دَعَا بِهِ الْوَجْدُ لَبِّي ، وَهُوَ مُسْتَكْرَهُ قَزْرُ
وَجَانِبَ طَيْبِ النَّوْمِ بَعْدَ فِرَاقِكُمْ فَمَا تَلَقَّيْتُ مِنْهُ عَلَى سِنَةِ شُفْرُ
عَسَى نَظْرَةٌ مِنْكُمْ يُمِيطُ بِهَا الْقَذَى وَهِيَاتَ، عَرَضُ الْأَرْضِ مِنْ دُونِكُمْ سِتْرُ
وَإِنْ وَعَدْتَنِي بِاقْتِرَائِكُمُ الْمُنَى نَهْنِي عَنْ تَصْدِيقِ مَوْعِدِهَا مَصْرُ
وَكَيْفَ بَكُمْ ، وَالِدَّهْرُ غَيْرُ مُسَاعِدٍ وَدُونَكُمْ الْأَعْدَاءُ وَاللَّجْجُ الْخَضْرُ

(١) عجز بيت لأبي صخر الهذلي (الحماسة ج ٢ : ٦١) :

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

(٢) مضمون قول أبي صخر الهذلي :

وما هو إلا أن أراها بخاءة فأبته لا عرف لدى ولا نكر

(٣) جهام : جمع جهم ، وهو من الماء ، معطلة .

مهالك لو سارت بها الريح عاقها السوجى^(١)، وثناها عن تقحُّمها الذعر
ولم يبق إلا ذكر ما كان بيننا ولا عجب للدهر أن يدرس الذكر
وروعة شوق تعزى إليكم كما انتفض العصفور، بلله القطر^(٢)
فياروعى، لا تسكني بعد بعدهم وياسلوة الأيام، موعدك الحشر^(٣)

(١٤٥)

وقال ،

أحبابنا ، ما أشنكى بعد بعدهم سوى أنني باق ، ولبي حاضراً
وما هكذا يقضى وقائي ، وإنما جرت بهواها لا هواي المقادر
وقد كان للين المشت أوائل وليس له ، حتى المات ، أواخر

(١٤٦)

وقال^(٤) :

يا عين ، فى ساعة التوديع يشغلك البكاء عن لذة^(٥) التوديع والنظر
خذى بحظك منهم قبل بينهم وبعدهم^(٦) فاجهدى فى الدمع والسهر^(٧)

(١) وجى الماشى : إذا حنى ، وهو أن يرق القدم والحافر وينسجج .

(٢) عجزيت أبي صخر :

ولمى لتعزى لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

(٣) عجزيت أبي صخر :

فياحبنا زدنى جوى كل ليلة وياسلوة الأيام موعدك الحشر

(٤) هذان البيتان رواهما العباد أيضاً فى الخريدة (١٠٤ : ١) وباب الآداب ص ٤١٨ .

(٥) هذه رواية لباب الآداب وفى الأصل « أنرا التسليم » .

(٦) رواية الخريدة « ثم اجهدى بعدهم للدمع والسهر » . ورواية لباب الآداب « فنى غدا تفرغى للدمع ... » .

(٧) عبر عن هذا الحاطر فى بيتين آخرين ص ٦٦ (وانظر القطعة ١٧٥) .

(١٤٧)

وقال :

يَا مَصْرُ ، مَا دَرَيْتَ فِي وَهْمِي ، وَلَا خَلَدِي وَلَا أَجَالَتَكَ خَلَوَاتِي بِأَفْكَارِي
مَا أَنْتِ أَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ ثَرْبَتَهَا جَسْمِي ، وَلَا فَيْكِ أَوْطَانِي وَأَوْطَارِي
لَكِنْ إِذَا حُمِتِ الْأَقْدَارُ كَانَ لَهَا قُوًى ، تُؤَلِّفُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ

(١٤٨)

وقال :

يَا غَائِبِينَ ، رَجَايَ طِيءَ بَابِ الْعَيْشِ مُدَّ بِتَمِّ غُرُورِ
أُنْسَنِي الْأَيَّامُ فَكَيفَ يَكُونُ بَعْدَكُمْ السَّرُورُ

(١٤٩)

وقال :

يَا دَمْعُ ، انْجِدْنِي عَلَى بُعْدِهِمْ فَقَدْ تَرَى قَلَّةَ أَنْصَارِي
بَرْدَ جَوِّي فِي الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرِهِمْ أَحَرَّ نَارًا مِنْ لَغْظِي النَّارِ
فَلَيْسَ شَيْءٌ مُذْهِبٌ لِلشَّجَى مِثْلَ انْهِمَالِ الْمَدْمَعِ الْجَارِي

(١٥٠)

وقال بمدينة حلب ، وقد وصله إليها بعض أصحابه ، وأخبره أن من كان له
بمصر : من الأهل والأولاد وصلوا ، وأن المركب انكسر بهم في ساحل عكا ،

ونهب الإفرنج كل ما فيه ، ولم يصلُّوا إلى دمشق إلا بأنفسهم ، وأنَّ ملكَ الفرنج
أعطاهم خمسمائة دينار ، توصَّلوا بها إلى دمشق^(١) :

إلى الله أشكو فرقةً دَمِيتْ لها جُفُونِي ، وأذْكَتْ بالهمومِ صَمِيرِي
تَمَادَتْ إلى أن لَأَذَتْ النَّفْسُ بالمني وطَارَتْ بها الأَشْوَاقُ كُلَّ مَطِيرِ
فَلَهَا قَضَى اللهُ اللِّقَاءَ تَعَرَّضْتُ مساءً دَهْرِي في طريقِ سُرُورِي

(١٥١)

وقال :

وَجَدَدَوْجَدِي بعدما كان قد عَفَا وِرَاجَعِي حَلِي ، ووَازَرَنِي صَبْرِي
هَتَوْتُ الضُّحَى مَفْجُوعَةً بِالْيَفَا تَهَيَّجُ أَشْجَانُ الْفَوَادِ ، وَمَا تَدْرِي
وَلَوْ أَنَّهَا إِذْ أَعُولَتْ فَاصْ دَمْعُهَا لَقُلْتُ : هِيَ الْخِنْسَاءُ ، تَبْكِي عَلَى صَخْرِ
وَلَكِنَّهَا لَمْ تُذِرْ دَمْعًا ، وَأَدْمَعِي إِذَا قُرِنْتُ بِالْقَطْرِ زَادَتْ عَلَى الْقَطْرِ

(١٥٢)

وقال :

كَأَنِّي مَجُولٌ^(٢) ، أَوْ كُؤُولٌ ، إِذَا جَرَى بِسَمْعِي عَنْ غَيْرِ اعْتِمَادٍ لَكُمْ ذِكْرُ
وَلَوْ أَسْعَفَتْنِي مُقْلَتَايَ بِقَطْرَةٍ شَفَتْ دَاءَ أَحْشَائِي ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطْرُ^(٣)

(١) رويت الأبيات الثلاثة في الروضتين ١ : ٩٩ .

(٢) المَجُولُ : الواله من النساء والأبِل .

(٣) القَطْرُ بالكسر : النحاس الذائب .

(١٥٣)

وقال من قصيدة كتبها إلى الملك الصالح :

نَاوَا ، فَأَدْنَتَكَ مِنْهُمْ الذِّكْرُ وَمَثَلَتْهُمْ لِقَائِكَ الْفَكْرُ
يَرَاهُمْ بِالْوِدَادِ قَلْبِي ، عَلَى الْبُعْدِ ، وَإِنْ لَمْ يُدْرِكْهُمْ النَّظَرُ
وَحَسَرْتِي أَنْتِي أَنَا الْمُعْرُضُ النَّافِي ، وَمَا أَعْرَضُوا ، وَلَا هَجَرُوا
بُعِذْتُ عَنْهُمْ ، إِذْ كُلُّ عَصْرِهِمْ بِهِمْ رَبِيعٌ ، وَلَيْلُهُ سَحَرٌ
وَنَافَسْتِي الْأَيَّامُ فِيهِمْ ، وَبَجَنِي السَّعِيشُ دَانٍ ، وَرَوْضُهُ نَضْرٌ^(١)

(١٥٤)

وقال :

عَرَضْتُ^(٢) مِنَ الْهَجْرَانِ ، وَالشَّمْلُ جَامِعٌ وَلَمْ يَتَعَمَّدْنَا بِفُرْقَتِنَا الدَّهْرُ
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا ، وَشَطَّتْ بِنَا النَّوَى تَمَنَيْتُ لَوْ دَامَ التَّجَاوُرُ وَالْهَجْرُ

(١٥٥)

وقال :

وَصَفَ الصَّبْرَ لِي جَهْلٌ بِأَمْرِي فَارْغُ الْبَالِ مِنْ هُمُومِي وَفِكْرِي
مُسْتَرِيحٌ مَا قَلْبُهُ مِثْلُ قَلْبِي لَا ، وَلَا دَهْرُهُ ظُلُومٌ كَدَهْرِي
مَالَهُ بِالْهُمُومِ عَهْدٌ ، وَلَا اضْطُرَّ إِلَى الصَّبْرِ بِاقْتِسَارٍ وَقَهْرٍ
وَأَنَا ، الدَّهْرُ ، فِي خَطُوبِ زَمَانٍ أَشْرَبُ الصَّبْرَ فِيهِ مِنْ حُسْنِ صَبْرِي
صَارَ لِي عَادَةٌ ، فَلَوْ ضَاقَ رَحْبُ الْأَرْضِ عَنِّي ، مَا ضَاقَ بِالصَّبْرِ صَدْرِي

(١) بقية القصيدة في ص ١٧٢ .

(٢) الغرض محرقة : الضجر والملال . غرض كفرح .

قافية الضاد

(١٥٦)

وقال :

في ذلك الحىّ المعرض لى هوىّ ودّعته حذرا بطرفٍ مُعرض
أخشى عليه الكاشين ، فكأهم غضبانُ يُسخِطُه هوانا ، لأرضى
فتلفت عيني المريضة بالبكا والين ، تأملُ نظرةً من مُرضى
وقبأهم فى الآل^(١) تطفو مثلما يطفو الحبابُ على الرحيق الأبيض
حتى إذا يثست دعت زفرائها فيصّ المدامع بالشجا المتعرّض

قافية الطاء

(١٥٧)

وقال من قصيدة فى الملك الصالح رحمه الله :

أجيرة قلبى ، إن تدانوا ، وإن شطوا ومنية نفسى ، أنصفونى أو اشتطوا^(٢)
عصيت اللواحى فيكم ، وأطعتم مقالمهم ، ما هكذا فى الهوى الشرط
ولو علموا مقدار حيتائى منكم وهمتى بكم زال التنافس والغبط^(٣)
إذا كان حظى منكم فى دنوكم صدود وهجر ، فالتداني هو الشحط^(٤)

(١) الآل : السراب .

(٢) هذه القصيدة معارضة لقصيدة أبى العلاء :

لمن جيرة سحوا النوال فلم ينطوا يظلالهم ما ظل ينبت الخط

وشط : بعد . واشتط : جار .

(٣) الغبط من قولهم : غبطت الرجل أغبطه إذا تمت أن يكون لك مثل حاله من غير أن يزول عنه . والمسد أن

تريد إزالتها عنه .

(٤) الشحط : البعد . يقال شحطت الدار ، إذا بعدت .

فيا قلبُ مهلاً ، لا تُرْع ، إِنْ قُرْبَهُمْ
هَوَاهُمْ هَوَى ، لا البعدُ يُبْنِي جَدِيدَهُ
أَحْبَبُهُمْ حُبِّي الحَيَاةَ ، مَحَبَّةُ
لَهُمْ مِنْ قُوَادِي مَوْضِعِ السَّرِّ وَالْهَوَى
يُعْلَانِي شَوْقِي بِزُورَةٍ طَبَفَهُمْ
وَطَرَفِي يُرَاعِي النَّجْمَ حَيْرَانَ مِثْلَهُ
عَجِبْتُ لَهُ ، كَيْفَ اهْتَدَى لِرَحَالِنَا
وَكَيْفَ فَرَى عَرْضَ الْقَلَا مِنْ يُوْدِهِ
فَلَمَّا اسْتَقَاضَ الْفَجْرُ كَالْبَحْرِ ، وَانْبَرَتْ
أُسْفَتْ عَلَى زَوْرٍ^(٨) أَتَانِي بِهِ الْكُرَى
إِذَا مَاسَ خَلْتُ الْمَسَّ غَالٍ عَقُولُنَا
يَقُولُونَ : خُوطُ ، أَوْ قَنَاءَ قَوِيْمَةٍ
شَبِيهَةٍ أَمْ الْخُشْفُ^(٩) جِيداً وَمُقَلَّةً
تَرَوِّضُ جَوْ جُبَيْتِهِ ، وَتَضَوَّعَتْ
حِكْيَ وَجْهِكَ الشَّمْسَ الْمُنِيرَةَ فِي الضُّحَى

إِذَا هَجَرُوا ، مِثْلُ التَّنَانِي إِذَا شَطُّوا
لَدَيْنَا ، وَلَا عَالِيَهُ بِالْهَجْرِ يَنْخَطُ^(١)
جَرَتْ فِي دَمِي وَالرَّوْحُ فَهِيَ لَهَا خَلَطُ^(٢)
أَحْضُ هَوَاهُمْ فِي سُودَانِهِ وَخَطُ^(٣)
وَجَيْبُ الدُّجَى عَنْ وَاضِعِ الصَّبْحِ مُنْخَطُ^(٤)
إِلَى أَنْ دَعَاهُ فِي مَغَارِبِهِ الْهَبَطُ^(٥)
وَكَمْ لِلْوَى مِنْ دُونِ تَعْرِيسِنَا سَقَطُ^(٦)
وَيَهْرُهُ^(٧) فِي جَانِبِ الْخَلْدِ أَنْ يَخْطُو
نُجُومُ الدُّجَى فِيهِ تَغُورُ ، وَتَنْغَطُ^(٨)
وَمَا زَارَنِي مُذْ كَانَ مُسْتَقِظاً قَطُ
وَحَاوَرَهَا مِنْ سُورَةِ الْوَجْدِ إِسْفَنْطُ^(٩)
وَمَا قَدَّهُ مَا يُنْبِتُ الْبَانُ وَالْخَطُ
بِجِيدِكَ تَزْدَانُ الْقَلَانْدُ وَالْقُرْطُ
رُبّاً مَسَّهَا ، مِمَّا تَسْرِبْلَتِهِ ، مَرْطُ^(١٠)
وَلَوْ أَنَّ الدِّيَابِجِي شَعْرُكَ الْفَاحِمُ السَّبَطُ

(١) وخطه : خالطه .

(٢) الهبط : التسفل .

يسقط الأولى بين الدخول لغوول

(٣) انقطاع النفس من الإعياء .

(١) الخلط بالكسر : كل ما خالط الشيء .

(٢) في الأصل (منخط) ولعل الصواب ما اختارناه .

(٣) يشير إلى قول امرئ القيس :

فتائبك من ذكرى حبيب ومنزل

(٤) فرى : شق . ويؤوده : يبلغ منه المجهود . والهر : انقطاع النفس من الإعياء .

(٥) خطه في الماء : غمسه ، فانط .

(٦) الزور : الزائر وهو في الأصل مصدر وضع موضع الاسم كصوم ونوم بمعنى صام ونام .

(٧) الاسفطن بكسر الهمزة وتفتح : الخمر .

(٨) الخشف مثله : ولد الطي أول ما يولد .

(٩) المرط بكسر الميم : كساء من صوف أو خز .

فتكت بَبَنَّاك الحُسَام ، إذا هَوَى
وما خَلَّتْ آسَادُ الشَّرَى إِذْ تَبَهَّنَسَتْ^(٢)
فيا عَجَباً من قَاتِرِ الطَّرِيفِ ، فَاتِنِ
فَارْدَاهُ فَرْدُ الحُسْنِ فَرْداً ، وإِنَّه
أَيَا سَاكِنِي مِصْرٍ ، رِضَانَا لِبُعْدِكُمْ
إِذَا عَن ذِكْرَاكُمُ ظَلَلْتُ كَأَنِّي
وَأُلْزِمُ كَفَى صَدْعَ قَلْبٍ ، أَطَارُهُ
فَهَلْ لِي إِلَيْكُمْ ، أَوْ لَكُمْ بَعْدُ بُعْدَكُمْ
أَرَاكُمْ عَلَى بَعْدِ الدِّيَارِ بِنَاضِرٍ
إِذَا عَايَنَ التَّوْدِيعَ أَرْسَلَ لُؤْلُؤاً
وَمَا شَفَّهَ إِلَّا نَوَى مِنْ يَوْدِهِ
فِرَاقُ أَتَى لَمْ تُخْبِرِ الطَّيْرُ كَوْنَهُ
تَلَقَّيْتُهُ مِنِّي سُلْطَةً وَصَرِيمةً^(٧)
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّ لِلشَّوْقِ زَفْرةً
على مُفْرِدٍ ثَنَاهُ^(١) فِي المَعْرَكِ القَطْ
فِرَاسٌ غَزَلَانِ الصَّرِيمةِ^(٣) ، إِذْ تَعْطَوُ^(٤)
سَطَا بِكُمِي ، لَمْ يَزَلْ فِي الوَعَى يَسْطُو
لِيَرْهَبُهُ مِنْ رَهْطٍ قَاتِلِهِ الرَّهْطُ
عَنِ العَيْشِ وَالْأَيَّامِ - لَا تَبْعُدُوا - سَخَطُ
غَرِيقُ بَحَارٍ مَا لَجَّتْهَا شَطُ
جَوَى الشَّوْقِ ، لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُهُ الضَّبُّ
إِيَابٌ ، فَقَدْ طَالَ التَّفَرُّقُ وَالشَّطُ
لِكَلِّ فِرَاقٍ مِنْ مَدَامِعِهِ قَسَطُ
مِنْ الدَّمْعِ لَمْ يَجْمَعْ فِرَائِدَهُ اللَّقْطُ
وَفُرْقَةُ الْأَفِّ هِيَ الْمَيْتَةُ الْعَبْطُ^(٥)
وَلَا رَفَعُوا فِيهِ الحُدُوجَ^(٦) وَلَا حَطُّوا
وَمِنْ لِي أَنِّي بَعْدَ وَشِكِ النَّوَى سَلَطُ^(٨)
تَزِيدُ ، كَمَا يَنْمِي ، وَيَضْطَرُمُّ السَّقَطُ^(٩)

(١) أى أن حسامه الباتك يشق الشخص نصفين . والقط والقدا والبتك : القطع .

(٢) تبهنس : تجتر . والتبهنس : التبخر والأسد يبهنس في مشيه وتبهنس أى يتبخر .

(٣) الصريمة : القطعة الضخمة من الرمل تنصرم عن سائر الرمال .

(٤) تعطو : تناول . عطوته أعطوه إذا تناولته .

(٥) مات عبطة : إذا مات شاباً صحيحاً .

(٦) الحدج بالكسر : مركب للنساء ، كالخفة وجمعه حدوح وأحداج .

(٧) الصريمة : الغزبة .

(٨) السلط . الحديد من كل شئ .

(٩) السقط مثالة : ما سقط بين الزندين قبل استحكام الورى .

رَغِمَى أَنْ تُمَسِيَ وَتُصْبِحَ دُونَكُمْ فَيَافٍ، لِأَيْدِي الْجُرْدِ فِي وَغَرِهَا لَفْظُ^(١)
وَأَنْ تَنْزِلُوا دَارَ الْقَطِيعَةِ وَالْقَلَى وَجِيرَانُكُمْ بَعْدَ الْكَرَامِ بِهَا الْقَبْطُ^(٢)

(١٥٨)

وقال :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ جَوَى لَمْ أَجِدْهُ مَسَاغًا ، وَلَا طُولُ الْبُكَاءِ يُمِيطُهُ
وَمِنْ حَرِّ قَلْبٍ ، كَلَّمَا رُمْتُ بَرْدَهُ بَنَسْوِيْفِهِ أَذْكَى جَوَاهُ قُنُوطُهُ
أَعَارَ جُفُونِي مَا يُصْعَدُّ مِنْ دِمٍ فَلَمَّا تَقَضَّى قَاضٍ مِنْهَا عَيْطُهُ^(٣)

قافية العين

(١٥٩)

وقال :

أَحْبَابَنَا ، لِي عِنْدَ خَطَرَةٍ ذِكْرِكُمْ نَفْسٌ تَقُومُ لَهُ حَنَائِيَا أَضْلَعِي
أُنْسِيْتُ بَعْدَكُمْ السُّرُورَ ، وَأَنْكَرْتُ عَيْنِي الْكَرَى ، وَنَبَا بِنَجْنِي مَضْجَعِي
أَلْقَى نَسِيمَ الرِّيحِ مِنْ تِلْقَاءِكُمْ بِخُفُوتِ مَكْرُوبٍ ، وَأَنَّةٍ مُوجِعِ
وَإِذَا السَّحَابُ سَرَى فَنَارُ بُرُوقِهِ مِنْ زَفَرِي ، وَمِيَاهُهُ مِنْ أَدْمُعِي

(١) اللفظ ويحرك : الصوت والجلبة أو أصوات مهمة لا تفهم ج الفاعل . والجرد : جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر .

(٢) انظر : تام القصيدة في صفحتي ١٧٤ و ٢١١

(٣) يقال لحم ودم وزعفران عيط ، بين العبطة بالضم : طرى .

(١٦٠)

وقال :

يا قلبُ ، دَغُهُمْ ، فقد جَرَبْتَ غَدَرَهُمْ وفي التَّجَارِبِ بَعْدَ الْغَيِّ ما يَزَعُ^(١) :
أَكْفَرَ البَعْدُ عَنْهُمْ ما جَنَوَهُ ، أَمِ الْآيَّامُ أَنْتَكَ بَعْدَ الْيَنِّ ما صَنَعُوا
وَهَبَهُمْ أَحْسَنُوا ، هَلْ يُرْجَعُهُمْ إِلَيْكَ وَجْدُكَ ، أَوْ يُدْنِيهِمُ الْهَلْعُ
أَلَسْتَ بِالْأَمْسِ فَارَقْتَ الشَّابَّ ، وَلَا أَعَزَّ مِنْهُ ، فَلَمْ لَا رَدَّهُ الْجَزَعُ

(١٦١)

وقال :

إِلَى مَتَى أُمْسِي وَأُضْحِي بِالنَّوَى مُرَوَّعًا
مُرْتَحِلًا كُرْهًا عَنِ الْأَحْبابِ ، أَوْ مُودَعًا
تَرَى اللَّيَالِي تَذَرْتُ أَلَّا تُرَى يَوْمًا مَعًا

(١٦٢)

وقال ، وكان القاضي المكيُّ أَبُو المَعَالِي عَبْدِ العَزِيزِ بنُ الحُسَيْنِ المَعْرُوفُ بابن
الْحَبَّابِ^(٢) ، رحمه الله ، قَدْ مَدَحَ المَلِكَ الصَّالِحَ بِقَصِيدَةٍ ، أَوَّلُهَا :
أَرَأَيْتَ بَيْنَ مَعَاطِفِ الْأَجْرَاعِ وَمَضَانِ ذَلِكَ الْبَارِقِ اللَّمَاعِ
فَنَفَذَ المَلِكُ الصَّالِحُ إِلَيْهِ نُسخَتَهَا ، عَطَفَ كِتَابَ مِنْهُ ، لِيُعَارِضَهَا بِقَصِيدَةٍ عَلَى
وزنها ، وقافيتها ، فعَارِضَهَا بِهَذِهِ القَصِيدَةِ وَأَوَّلُهَا :

ما أَنْكُرُوا مِنْ عَزَمَتِي وَزَمَاعِي شَوْقُ دَعَا ، أَفَلَا أَجِيبُ الدَّاعِي !
أَأُجِيبُ دَاعِيَ الحَرْبِ فِي غَمْرَاتِهَا وَيَصُدُّ عَنْ دَاعِي الْغَرَامِ سَمَاعِي !

(١) يزع : يدفع . وذلك بحزبته الذي صدره : أهل الحفيظة إلا أن تجزئهم ...

(٢) ورد اسمه في النجوم الزاهرة والخريدة والنكت العصرية (ابن الحباب) .

هَيَّاتِ ، مَا كَأَى لَأَوَّلِ سَلْوَةٍ عَرَّضْتُ ، وَلَا نَاهِي النَّهْيِ بِمَطَاعِ
أَفْدَى الدِّيَارِ ، وَسَائِنِيهَا ، إِنَّهُمْ لَمْ الْأَحْبَةُ ، وَالرِّبَاعُ رِبَاعِي
سَلَبَنِي الْآيَامُ نِعْمَةً تُرَبِّهِمْ وَمَوَاقِبُ الدُّنْيَا إِلَى اسْتِجَاعِ
فَنَزَعْتُ^(١) عَنْهُمْ مَكْرَهًا ، وَإِلَيْهِمْ حَتَّى الْقَاءِ تَشَوُّقِي وَنَزَاعِي
أُودَعْتُ عَهْدَهُمْ عَلَى شَحْطِ النَّوَى قَلْبًا لَدَيْهِ الْعَهْدُ غَيْرُ مَضَاعِ
قُلْ لِلَّوْنَمِ : لَسْتُ بِالرَّاعِي الْهَوَى إِنْ مَرَّ لَوْمُكُمْ بِسَمْعٍ وَاعِ
كُفُّوا ، فَإِنَّ عَذَابَ أَبْنَاءِ الْهَوَى مُسْتَعَذِبُ الْأَوْصَابِ وَالْأَوْجَاعِ
أَيْنَ السُّلُوْ مِنْ الْمَرْوَعِ دَهْرَهُ بِقَطِيعَةٍ مَوْصُولَةٍ بِوَدَاعِ !
هُوَ وَالْأَحْبَةُ ، كَالْأَصَائِلِ وَالضُّعَا لَا يَحْطِيَانِ بِسَاعَةِ اسْتِجَاعِ

قافية الغين

(١٦٣)

وقال :

يَا لَانِمِ الْمَشْتَاقِ ، دَعُهُ ، فَقَلْبًا يُصْنَعِي إِلَى نُصْحٍ وَوَعْظٍ بَالِغِ
تَلَحَّى الْحَبِّ ، وَقَلْبُهُ مِلَانٌ مِنْ حَسْرَاتِهِ ، عَيْبًا ، بِقَلْبِ فَارِغِ
دَعِ لَوْمَهُ ، فَكَفَاهُ تَعْدِيبُ الْهَوَى وَاسْتَبَقِ عَافِيَةَ النَّعِيمِ السَّائِغِ

قافية الفاء

(١٦٤)

وقال :

اسِيرُ نَحْوِ بِلَادٍ لَا أُسْرِيبُ إِذَا تَبَدَّتْ لِعَيْنِي هَيْجَتُ أَسْفَى
تَطُولُ أَرْضِي ، إِذَا يَمَمْتُ سَاحَتَهَا بَعْضًا لَهَا ، ثُمَّ تُطَوِي عِنْدَ مُنْصَرَفِي

(١) نزع عنه : انتهى عنه . ونزع إليه : اشتاق .

(١٦٥)

وقال :

يَا لَانِمِ الْمَشْتَاقِ ، تَعْنِيفُ الْمَشْوِقِ الصَّبِّ عُنْفُ
انْظُرْ إِلَى عَيْنِ مُسَهَّدَةٍ ، وَجَفْنِ لَا يَجِفُّ
وَسَقَامِ جَسَمِ كُلِّ سَرٍّ لِلْهَوَى مِنْهُ يَسِفُّ
وَاعْطِفْ عَلَيْهِ فَلْيَكِرَا مِ عَلَى أُولَى الضَّرَاءِ عَطْفُ

(١٦٦)

وقال ، وكان يلازمه بنصبيين خياط اسمه مهدي ، يُحِيطُ ثياباً للغلمان
ولا يزالُ يحدثُه حديثَ معاشه ومكسبه :

أَحْبَابَنَا ، مَنْ لِي لَوْ دَامَ التَّدَانِي وَالْجَفَا
فَلَمَّا أَرَى النَّوَى مِنَ الصُّدُودِ أَتْلَفَا
سَتَّتِ الْأَيَّامُ ظُلُمًا شَمَلَنَا الْمُؤْتَلِفَا
وَكَدَّرَتْ مِنْ عَيْشِنَا مَا كَانَ طَابَ وَصَفَا
وَأَوْقَفَنِي بَعْدَكُمْ مِنَ النَّوَى عَلَى شَفَا^(١)
حَتَّى رَأَى الْحَاسِدُ بِي مَا كَانَ يَهْوَى ، وَاشْتَقَى
وَصَارَ بَعْدَ الْيَمِّ نَدَى مَانِي مَهْدَى ، وَكَفَى
كَأَنِّي اعْتَصَمْتُ مِنَ الدُّرِّ الثَّمِينِ الصَّدَقَا

(١) يريد : على شفا الهلاك .

(١٦٧)

وقال ، من قصيدة في الملك الصالح :

أذكرهم الرَّدَّ، إن صدَّوا، وإن صدَّفُوا^(١) إنَّ الكَرَامَ إذا استعطفتهم غَطَّفُوا
ولا تُردُّ شافعاً إلا هَوَاكَ لَمْ يكفيك ما اختبروا منه ، وما كَشَفُوا
به دَنَوْتَ ، وإخلاصُ الهوى نَسَبٌ كما نَأَيْتَ ، وإفراطُ الهوى تَلَفٌ
رأى الحسودُ تداني ودَّنا ، فسعى حتَّى غَدَتْ بَيْنَ دَارِنَا نَوَى قُدُفٌ
وما البعيدُ الذي تنأى الديارُ به بل مَنْ تداني ، وعنه القلبُ منصرفٌ
أجيرة القلب ، والفُسطاطُ دارهم لم تُصِيبِ الدَّارُ، لكنْ أَصِيبِ الكَلْفُ^(٢)
أذنى الدَّاني الهوى ، والدَّارُ نازحةٌ وأبعدُ البعد بين الحيرةِ الشَّنْفُ^(٣)
فارقتم مكرهاً ، والقلبُ يُخبرني أنْ لَيْسَ لِي يَوْضٌ مِنْكُمْ ، وَلَا خَلْفٌ
ولو تعوّضْتُ بالدُّنيا غُيْبْتُ ، وهل يَعْوِضُنِي مِنْ نَفِيسِ الجَوْهَرِ الصَّدْفُ
ولستُ أنكرُ ما يأتي الزَّمانُ به كُلُّ الْوَرَى لِرِزَايَا دَهْرِهِمْ هَدَفٌ
كم فَاجَأَتْنِي اللَّيَالِي بِالْخُطُوبِ ، فَمَا رَأَتْ قُوَادِي مِنْ رَوَاعَاتِهَا يَجِفُ
واسترجعت ما أعارتُ: من مواهبها فَا هَفَايَ عَلَى آثَارِهِ اللَّهْفُ^(٤)
ولا أُسِفْتُ لِأَمْرِ فَاتٍ مَطْلَبُهُ لَكِنْ لَفَرَقَةٍ مِنْ فَارَقَتِهِ الْأَسْفُ^(٥)

(١) صدف : انصرف وأعرض .

(٢) يقال أصابت دارهم : دنت . والكلف : شدة الحب .

(٣) شنف له كفرح : أبغضه وتنكر له .

(٤) اللهف : الحزن والتحسر .

(٥) انظر تمام القصيدة في باب المدح وهي القصيدة رقم ٣٠٩ ص ١٧٩

(١٦٨)

وقال ، من قصيدة في الملك الصالح ، رحمه الله :

ما منهم لك مُعْتَاضٌ ، ولا خَلْفُ فكَيْفَ يَصْبِرُ عَنْهُمْ قَلْبُكَ الْكَلْفُ
 إِنْ جَارَ صَرْفُ اللَّيْلِ فِي فِرَاقِهِمْ فليس عَنْهُمْ ، على الْحَالَاتِ ، مُنْصَرَفُ
 هُمُ الْهَوَى ، إِنْ تَنَاءَوْا عَنْكَ أَوْ قَرَّبُوا هُمُ الْمُنَى ، أَقْبَلُوا بِالْوَدِّ أَوْ صَدَفُوا^(١)
 لَا تَعْتَدِرُ بِالنَّوَى ، إِنْ الْهَوَى أَبَدًا سَيَّانٍ فِيهِ التَّدَانِي ، وَالنَّوَى الْقُدْفُ
 فَالشَّوْقُ تَطْوِي لَهُ الْأَرْضُ الْفَضَاءَ ، كَمَا تُطْوِي إِذَا اسْتَوْعَبَتْ مَضْمُونَهَا الصُّحُفُ
 جَاهِرٌ بِوَجْدِكَ وَاعِصِ اللَّائِمِينَ ، وَبِحُجِّهِمْ إِنْ كَتَمَانَ الْهَوَى تَلَفُ
 فَكَاتِمُ الْحُبِّ إِنْ لَمْ يَقْضِ مِنْ كَمْدٍ فَبَنَى لِإِصَابَاتِ ارْتَدَى هَدَفُ
 كَسَاتِرِ النَّارِ فِي أَثْوَابِهِ غَرَرًا بِهَا ، تُحْرِقُهُ يَوْمًا وَتُنْكَشِفُ
 هَلْ يَحْتَنِي الْحُبُّ ، أَوْ يُغْنِي الْجُودُ ، إِذَا تَحَدَّثَتْ بِالْهَوَى أَجْفَانُكَ الذُّرْفُ
 كَمْ مِنْ هَوَىٍّ لِلْغَايِ فِيهِ رِثْبَةٌ مِنْ نَالَ الْمَعَالِي ، وَفِي إِسْرَافِهِ شَرْفُ
 وَبِحِ الْمُفَارِقِ ، لَا صَبْرٌ يُؤَاوِرُهُ وَلَا تَسْتُتِ شَمْلِ الْحَيِّ يَأْتَلِفُ
 يَزِيدُهُ يَأْسُهُ مِنْهُمْ بِهِمْ شَغَفًا وَقَلْبًا يَتَلَقَّى الْيَأْسُ وَالشَّغَفُ
 عَلَى شَفَا جُرْفٍ مِنْ شَوْقِهِ ، وَارَى أَنْ سَوْفَ يَنْهَارُ مِنْ وَجْدٍ بِهِ الْجُرْفُ
 يَا غَافِلِينَ عَنِ الْقَلْبِ الَّذِي كَلَمُوا^(٢) بَيْنَهُمْ ، وَعَنِ الطَّرْفِ الَّذِي طَرَفُوا
 تَقْدِيمُكُمْ مُهْجَتِي ، لَا أَرْضَى لَكُمْ فِدَاءَ جِسْمِي ، وَهُوَ النَّاحِلُ الدَّنْفُ^(٣)
 حَاشَاكُمْ مِنْ جَوَى قَلْبِي ، وَلَوْعَتِهِ عَلَيْكُمْ ، وَحَشًا لِلْوَجْدِ تَرْمِجُ

(١) صدق : أعرض . (٢) بكروا : جرحوا . (٣) الدنف : المريض .

لَنْ أَلُومُ ! وَمَنْ ذَالِي يَرْقُ إِذَا شَكُوتُ بَيٍّ ، أَوْ أَرْدَانِي اللَّهْفُ
أَنَا الَّذِي شَطَّ عَنْ أَحْبَابِهِ نِقَّةً بِصَبْرِهِ ، وَهُوَ بِالتَّفْرِيطِ مُعْتَرِفُ
فَارَقْتُهُمْ ، وَهُمْ عَصُرُ الشَّبَابِ ، وَمَا مِنْ الشَّبَابِ وَلَا مِنْ عَصَرِهِ خَلْفُ
وَحَيْثُ كَانُوا ، وَشَطَّتْ دَارُهُمْ ، فَلَهُمْ مَنِي هَوَى بِسُودَا الْقَلْبِ مُلْتَحِفُ^(١)

قافية القاف

(١٦٩)

وقال :

لَوْ أَحْسَنُوا فِي مَلِكِنَا ، أَوْ أَعْتَقُوا لَصَفَا لَهُمْ مِنْ وَدْنَا مَا رَقَّتُوا^(٢)
مَلَكْنَهُمْ رَقَى ، كَمَا حَكَمَ الْهَوَى فَأَبَى اعْتِسَافُ^(٣) جَمَاهِمُ أَنْ يَرْفُقُوا
لَهَجُوا بِهِجْرَى فِي الدُّنُو ، كَانَهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الزَّمَانَ يُفَرِّقُ
أُمَشِيعِي بِاللَّحْظِ خَوْفَ رَقِيبِهِ وَالْدَّمْعُ مِنْ أَجْفَانِهِ يَتَرَقَّرُ
قَدْ كُنْتُ أَخْضَعُ قَبْلَ بَيْنِكَ لِلنَّوَى فَالآنَ لَسْتُ مِنَ الْتَفَرُّقِ أَفَرُّقُ
هَذِي النَّوَى ، قَدْ نَالَنِي مِنْ صَبْرِهَا مَا كُنْتُ مِنْهُ زَمَانَ وَصَلَكَ أَشْفَقُ

ومنها :

وَيَهْجُنِي بَعْدَ انْدِمَالِ صَبَابَتِي وَرَقَاءُ مَا دَرَبَهَا قَضِيبُ مُورِقُ
عَجْمَاءُ ، تَنْطِقُ بِالْحَنِينِ ، وَلَمْ يَهْنَجْ شَوْقُ الْقُلُوبِ كَالْعَجْمِيِّ يَنْطِقُ
بِي مَا بَهَا ، لَكِنْ كَتَمْتُ ، وَأَعْلَنْتُ وَدَمْعُهَا حُبْسَتْ ، وَدَمْعِي مُطْلَقُ

(١) تمام القصيدة في ص ١٨٣ .

(٢) رَقَى : كَذَر .

(٣) الاعتساف : الظلم .

ومنها :

كَمْ دُونَ رَبِّكَ مَهْمَةٌ مُتَقَاذِفٌ تَشْقَى الزَّكَابُ بِهِ ، وَيَبِيدُ سَمَلُكُ^(١)
 مَلَّ السَّرَى فِيهِ الصَّحَابُ ، فَعَرَّسُوا وَالشَّوْقُ يُوضِعُ بِي إِلَيْكَ ، وَيُعْنِقُ^(٢)
 قَطَعْتَ إِلَيْكَ بِنَا الْمَطَى ، وَحَثَّهَا أَشْوَاقُهَا ، وَالشَّوْقُ نَعْمَ السَّيْقُ
 بَارَتْ مَطَارِحَ لَحْظِهَا ، فَيَخَالُهَا الرَّانِي ، تَسَابِقَ لَحْظِهَا وَالْأَسْوَقُ^(٣)
 تَسْكُو إِلَيْنَا شَوْقَهَا ، وَحَنِينَهَا وَلَرَكْبُهَا مِنْهَا أَحْنُ وَأَشَوْقُ
 مَعْقُولَةٌ يَبِيدُ الْغَرَامُ طَلِيقَةٌ هَلْ يُفَنِّدِي ذَاكَ الْأَسِيرُ الْمَطْلُوقُ
 مُنِيتَ بِتَحْمِلِ غَرَامِنَا وَغَرَامِهَا فَجَشَمْتَ مَا لَا تُطِيقُ الْأَيْتُ^(٤)

(١٧٠)

وقال :

يَا نَلْبُ ، كَمْ يَسْتَخْفُكَ الْقَلْقُ غَيْرُ جَمِيلٍ بِمَثَلِكَ الْخُرْقُ^(٥)
 أَكَلْ هَذَا خَوْفَ الْفِرَاقِ ، وَهَلْ يُجْدِي عَلَيْكَ الْحِذَارُ وَالْفَرْقُ
 أَيْنَ تَصُونُ الْأَسْرَارَ فَيْكَ ، إِذَا تَحَكَّمَ الْوَجْدُ فَيْكَ وَالْحُرْقُ
 لَكَ التَّائِبِي بِالنَّاسِ ، كَمْ عَثَرَ الدَّهْرُ بِشَمْلِ الْجَمِيعِ ، فَافْتَرَقُوا
 مَا أَنْتَ بِدَعُ فِي سُخْطِ سِيرَتِهِ كُلُّ عَلَى الدَّهْرِ سَاخِطٌ حَقِيقُ
 دَعُ ذَا ، فَفِيهِ عَن لَوْمِنَا صَمٌّ وَهُوَ بِنَا — مَا عَلِمْتَهُ — عُقُقُ^(٦)

(١) سَمَلُكُ : قَاعٌ مَصْفُوفٌ . وَالْمَهْمَةُ : الْمَغَازَةُ الْبَعِيدَةُ . وَمُتَقَاذِفٌ : تَقَذَّفَ السَّائِرِينَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرٍ .

(٢) أَوْضَحَتِ النَّاقَةُ : أَمْرَعَتْ فِي سِيرَتِهَا . وَأَعْنَقَ : أَسْرَعَ .

(٣) الْأَسْوَقُ : جَمْعُ سَاقٍ .

(٤) جَمْعُ نَاقَةٍ . وَانْظُرْ تَمَامَ الْقَصِيدَةِ ص ١٢٧ .

(٥) الْخُرْقُ بِالضَّمِّ وَبِالتَّحْرِيكِ : ضِدُّ الرِّفْقِ ، وَالْأَيْ يَحْسِنُ الرَّجُلُ الْعَمَلَ وَالتَّصَرُّفَ فِي الْأُمُورِ ، وَالْحَقِيقُ .

(٦) عَقَى : ضِدُّ بَرٍّ ، فَهُوَ عَاقٍ . وَعَقَى وَعَقَقَ مَحْرَكَةً وَبِضْمَتَيْنِ .

(١٧١)

وقال :

مَاذَا يَرُوعُكَ مِنْ وَجْدِي وَمَنْ قَلَقِي
هَنَّاكَ بُرْتُكَ مِنْ دَائِي ، وَمَنْ سَقَمِي
إِنْ كُنْتَ قَدَّرْتَ أَنَّ الْحَبَّ مَوْرَدُهُ
لِتَسْتَبِيحَ مَلَامِي ، أَوْ لِيَفْسَحَ لِي
لَا تَحْسَبَنَّ الْهَوَى مَا كُنْتَ تَسْمَعُهُ
هَذَا الْهَوَى ، لَا هَوَى الْقَيْسَيْنِ ^(١) ، إِنَّهُمَا
فَوْنٌ بَقِيَتْ ، وَبِي مَابِي ، فَقُلْ : رَجُلٌ
وَإِنْ أَتَانِي حِمَامٌ أَسْتَرْجِحُ بِهِ
وَلَسْتُ أَشْكُو اضْطِبَارِي عِنْدَ نَائِبَةٍ
وَإِنَّمَا أَشْتَكِي دَهْرًا يُكَلِّفُنِي
يَرُوعُنِي كُلَّ يَوْمٍ بِالْإِفْرَاقِ ، وَمَا
فَمَا غَدَوْتُ شَمْلٍ غَيْرِ مَجْتَمِعٍ
وَلَا تَبَسَّمْتُ ، أَبَدِي لِلْعَدَا جَلْدًا
وَقَدْ غَرَضْتُ ^(٢) بَعِيشِي مِنْ مُفَارَقَتِي
أَمْ مَا يَرِيْبُكَ مِنْ أَجْفَانِي الذَّفَقُ
وَنَوْمُ جَفْنَيْكَ عَنْ هَمِّي ، وَعَنْ أَرْقِي
سَهْلٌ فَإِنَّكَ مَغْرُورٌ بِهِ ، فَذُقِ
سَدَادُ رَأْيِكَ فِي جَهْلِي ، وَفِي نُحْرِي
مِنْ مُدَّعٍ لَمْ يُعَالِجْهُ ، وَمُخْتَلِقِ
عَاشَا مَلِيًّا ، وَذَا مُرِفٍ عَلَى رَمَقِي
فِي الْمَيْتَيْنِ ، وَلَكِنْ لِلشَّقَاءِ بَقِي
فَيَا لَهَا مِنْهُ لَلْوَتِ فِي عُقْنِي
وَلَا فَوَادِي بِخَفَاقٍ ، وَلَا قَلَقِي
مَا لَا أُطِيقُ ، فِعَالُ الْقَادِرِ الْحَنِقِ
بِفَاءٍ صَبْرِي مَعَ الرُّوْعَاتِ وَالْفِرَقِ
إِلَّا وَرَحْتُ بِـ هـ - غَيْرِ مُفْتَرِقِ
إِلَّا تَمَيَّزْتُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَنْقِ
أَغَرَّ أَرْوَعَ طَلَقَ الرَّاحَتَيْنِ تَقَى ^(٣)

(١) القيسان : قيس بن الملوح ، وقيس بن ذريح .

(٢) غرض كفروح : ضجر ومل .

(٣) باقى القصيدة ص ١٢٩ .

(١٧٢)

وقال :

ولمّا وقفنا للوداع عشيّةً وطرفي وقلبي أدمعٌ وخفوقٌ
بكيتُ ، فاضحكتُ الوُشاةَ شِامةً كأنّي سحابٌ ، والوشاةُ بروقُ

(١٧٣)

وقال :

ألفَ القلبُ ، وأجابَ دَاعيةَ النوى فلبيتُ منه بهجرةٍ وفراقٍ
والصَّبُّ راحتهُ البكاءُ ، ومُذْنائِي إنسانُ عيني أنجأتِ آمافي
لو كنتُ أطمعُ في بقاءِ عهوده سكنتُ بلابلُ قلابي الخلفاقِ

(١٧٤)

وقال :

رفقاً بقلب الصَّبِّ ، رفقاً هو دونكم بالينِ يشقى
لا تحسبته يا خلى القلب بعد البعد يبقِ
في زُمرَةِ الشهداءِ يحشُرُ في غَدٍ ، إن ماتَ عشقاً

(١٧٥)

وقال ^(١) :

أقولُ للعين في يومِ الفراقِ ، وقد فاضتْ بدمعٍ على الخلدَيْنِ مُستَبِقِ
تزوّدِي اليومَ من توديعهم نظراً فني غَدٍ تفرُغِي ^(٢) للدمعِ والأرقِ ^(٣)

(١) هذه القصيدة مما يروى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٤ . ومساك الأبيصار ١٠ : ٥٠٣ .

(٢) في خريدة القصر (ثم أفرغى في غد ...) .

(٣) عبر عن هذا العاطف في بيتين سبقا ص ٦٦ ، وآخرين ص ٧٤ . ومما رقم ١٣٧ و ١٤٦ .

(١٧٦)

وقال :

مَنْ مُبْلَغُ النَّانِي الْمُقِيمِ نَحْيَةً مِنْ رَاحِلِ شَاكٍ جَوَى أَشْوَاقِهِ
لَهَجٍ مَعَ الْبَاسِ الْمُبِينِ بِذِكْرِهِ قَلَى الْحِشَا لِبِعَادِهِ خَفَاقِهِ
وَهُوَ الْخَلِيقُ بَانَ يَمُوتَ كَابَةً لَكِنَّ حُسْنَ الصَّبْرِ مِنْ أَخْلَاقِهِ

(١٧٧)

وقال :

أَحْبَابَنَا ، مَا لِي إِلَى الصَّبْرِ عَنْكُمْ دَلِيلٌ ، وَقَدْ ضَلَلْتُ عَلَى طَرِيقُهُ
فَهَلْ نَظَرَةٌ مِنْكُمْ عَلَى بُعْدِ دَارِكُمْ يُدَاوِي بِهَا صَبُّ الْفُؤَادِ مَشُوقُهُ

(١٧٨)

وقال :

إِنْ تَقَطَّعَ الْأَيَّامُ مِنْكَ عِلَاقِي فَأَنَا الْمُوَاصِلُ بِالْوَدَادِ الصَّادِقِ
أَرْضَى مِنَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ رَغْبِهِ وَمَنْ الزَّيَارَةِ بِالْخِيَالِ الطَّارِقِ
هَذَا ، وَعِنْدِي لِلْفِرَاقِ مَا تَمُّ فِيهَا التَّجْمُلُ وَالْعَزَاءُ مُفَارِقِي
وَالْأَمُّ فِي شَكْوَى جَوَايَ ، وَقَلْبًا يَحْطِي الْمَفَارِقُ بِالرَّفِيقِ الرَّافِقِ
هَلْ يُغْنِيَنَّ صَمْتِي عَنِ الشَّكْوَى ، إِذَا شَكَتِ الْجَوَى زَفَرَاتُ قَلْبِي الْخَافِقِ
هَنِي^(١) أَكْفَكُفُ زَفَرَتِي وَمَدَامِي مَا حِيلَتِي ، وَشَجَا التَّجْمُلِ خَانِقِي !!
أَنَا كَالْهَامِ : تَبُوحُ ، حِينَ تُنُوحُ ، بِالشَّكْوَى ، وَلَمْ تَفْغَرْ لَهَا فَمَّ نَاطِقِ

(١) هذا البيت وما بعده اختيرا الأسماء في مسالك الأبحار (١٠: ٦٠٣) .

(١٧٩)

وقال :

طَالَتْ يَدُ الْبَيْنِ فِي تَفْرِيقِ الْفَتْنَا قَالَهَا قُصِّرَتْ عَنْ جَمْعِ مَا اقْتَرَفَا !
كَانَتْ الْمَاءُ سَهْلٌ حِينَ تَهْرِقُهُ وَجَمْعُهُ مُعْجَزٌ مِنْ بَعْدِ مَا انْهَرَقَا
لَكِنْ قُدْرَةٌ مَنْ يَطْوِي الظَّلَامَ^(١) عَنِ الدُّنْيَا ، وَيَنْشُرُ فِي آفَاقِهَا الْفَلَاقَا^(٢)
يَرُدُّ شَمْلِيَّ بِمَجْمُوعَا ، وَقَلْبِي مَسْرُورًا ، وَيَأْسَ عُودِي كَاسِيًا وَرَقَا

(١٨٠)

وقال :

بِالْغُورِ أَهْلُكَ يَا بَيْتِي ، وَأَهْلُنَا بِالْأَبْرَقَيْنِ ، فَأَيْنَ أَيْنَ الْمُلتَقَى !!
بَعْدَ الْمَزَارِ ، فَلَوْ سَرَى لَزِيَارِي طَيْفُ الْخِيَالِ ثَنَاهُ هَوْلُ الْمُرتَقَى
كَمْ شِئْتُ بَرَقًا مِنْكَ أَخْلَفَ نَوْءَهُ قَبْلَ النَّوَى ، وَظَنَنْتُ ظَنًّا أَنْخَفَقَا
فَعَلَامَ أَجْزَعُ لِلْفِرَاقِ ، وَلِمَئِنِّي لَأَرَاهُ أَرَأَفَ بِالْقُلُوبِ وَأَرْفَقَا

(١٨١)

وقال :

كَمْ تُرْزِمِي^(٣) وَمَ تَحْنِي يَا نَاقَ حَسْبُكَ ، قَدْ هَجَّتِ الْجَوَى وَالْأَشْوَاقَ
هِيَ النَّوَى ، فَمَا غَنَاءُ الْإِشْتِاقِ تَقَسَّمَتْنَا بِالشَّاتِ الْآفَاقَ
كَأَنَّهَا خَلَقُ ، وَنَحْنُ أَرْزَاقُ حَتَّى إِذَا أَدْمَى الْبُكَاءُ الْآمَاقَ
أَصْقَبَتِ الدَّارُ ، وَقَلْبِي مُشْتَاقُ مَا أَتَعَبَ الْحَامِلَ قَلْبًا تَوَاقَ
كَالْبَرْقِ ، مَشْبُوبِ الضَّرَامِ خَفَاقَ

(١) في الأصل الضياء. تحريف والتصويب لانه مرهف مبني في هامش الصفحة .

(٢) الفلق : الصبح . (٣) أرزمت الناقة : حنت على ولدها .

(١٨٢)

وقال :

لَيْتَ مَنْ يَسْأَلُ جِيرَانَ النَّفَا هَلْ لَنَا بَعْدَ افْتِرَاقٍ مُلْتَقَى
عَانَتَا^(١) الدَّهْرُ ، فَأُضْحَى شَمَلْنَا بَعْدَ مَا كَانَ جَمِيعًا فَرَقَا
وَهِيَ الْأَيَّامُ مِنْ عَادَاتِهَا رَدَّ صَفِيرِ الْعَيْشِ طَرَقًا رَنَقَا^(٢)
كُلَّ شَيْءٍ غَيَّرَتْ مِنِّي النَّوَى بَعْدَكُمْ إِلَّا الْجَوَى وَالْحَرَقَا
خَانَ فِيكُمْ حُسْنُ صَبْرِي ، وَوَفَى لَكُمْ الدَّمْعُ ، فَأَلَى : لَا رَقَا^(٣)
لَيْتَ مَنْ يَغْبِطُ أَبْنَاءَ الْهَوَى ذَاقَ مَا يَلْقَوْنَ فِيهِ : مِنْ شَقَا

(١٨٣)

وقال :

أَشْنَأُكُمْ ، فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكُمْ زَادَ الدُّنُو صَبَابِي وَتَسَوَّى
فَتَى أَفِيقُ ، وَبَعْدَكُمْ يُذَكِّي جَوَى قَلْبِي ، وَيُضْرِمُ شَوْقَهُ أَنْ نَلْتَقَى؟!

(١٨٤)

وقال :

خَلِيلِي ، زُورَايَ "رُؤْيَقَةَ" ، إِنِّي إِلَيْهَا ، عَلَى قُرْبِ الزَّيَارَةِ ، شَيْقُ
خَلِيلِي ، مَا أَلْتَذُّ عَيْشًا ، وَلَا لَهُ إِذَا مَا نَأَتْ عَنِّي "رُؤْيَقَةُ" - رَوْتُ
إِذَا بَرَزْتُ بَيْنَ النِّسَاءِ حَبِيبَتَهَا هِيَ الشَّمْسُ ، أَوْ مِنْ وَجْهِهَا الشَّمْسُ تُسْرِقُ
تُنَازِعُهُمْ تَزْرَأُ عَلَيْهِ سَكِينَةٌ وَتُعْرِضُ عَنْ لَهْوِ الْحَدَثِ وَتُطْرُقُ

(١) عانا : حصدنا . (٢) الطرق : الماء الذي خوضته الإبل و بولت فيه كالمطروق . والرتق : الكدر .

(٣) رقا الدمع : جف .

قافية الكاف

(١٨٥)

وقال ^(١) :

نَافَقْتُ دَهْرِي ، فَوَجَّهِي ضَاحِكُ جَدُلٍ طَلَّقَ ، وَقَلْبِي كَيْبُ ، مُكَمِّدٌ ، بَاكٍ
وَرَاحَةُ الْقَلْبِ فِي الشَّكْوَى ، وَلَذَّتْهَا لَوْ أَمَكَنْتُ ، لَا تُسَاوِي ذِلَّةَ الشَّاكِي

(١٨٦)

وقال :

يَا قَلْبُ ، مَتَى كَدَدًا عَلَيَّ مَنْ غَبَتْ عَنْهُ ، وَغَابَ عَنْكَ
لَا تَلْتَقِ بَدَلًا بِهِ وَسَيَلْتَقِ الْإِبْدَالَ مِنْكَ

قافية اللام

(١٨٧)

وقال :

لَا ذَنْبَ لِلصَّبِّ الْمَشُوقِ ، إِذَا بَدَتْ أَسْرَارُهُ ، يَوْمَ النَّوَى ، لِلْعُدِّ
زَفْرَاتُهُ نَمَّتْ ، وَلَمْ يُفْصَحْ بِمَا يُخْفِي ، بِخَاءِ الدَّمْعِ بِالْخَبْرِ الْجَلِي
أَفْتَى صَدُودُكَ فِي الدَّنُو تَصْبِرِي وَأَنِّي الْفِرَاقُ فَبَزَّ حُسْنُ تَجْمِلِ
فَالْعُمُرُ أَجْمَعُ بَيْنَ هَجْرٍ سَالِفٍ مَاضٍ ، وَبَيْنَ آتٍ مُسْتَقْبَلِ

(١) هذا البيتان رويًا لأسامة في معجم الأدباء ٥ : ١٩٩ ، وتاريخ ابن عساكر ٥ : ١٧٣ .

وقال :

نَفْسِي الْفَدَاءُ لِمَنْ قَبَّلَتْهُ عَجَلًا وَالْبَيْنُ يَعْجَبُ مِنْ وَجْدِي وَمَنْ يَحْكِلِي
فَالْ غَنَى فِيهِ ، ثُمَّ عَرَّضَ لِي خُذًا ، بَحْرِي فِيهِ مَاءُ الْحَسَنِ وَالْمَحْجَلِ
فَأَخْضَلْتُ أَدْمِي تَوْرِيْدَ وَجْتِهِ فزَادَ إِشْرَاقُ ذَاكَ الْوَرْدِ بِالْبَلِيلِ
فَارْتَاعَ مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي ، وَحُرْقَةِ أَحْ — شَانِي ، وَهَيَّ فَاهُ الْعَذْبَ بِالْقَبِيلِ
وَرَأَيْهِ مَا رَأَى مِنْ رَوْعِي ، فَبَكَى وَقَالَ : لَا كَانَ ذَا تَوْدِيْعٍ مُرْتَحِلِ

وقال :

وَنَازِجٌ ، فِي قَوَادِي مِنْ هَوَاهُ صَدَى ^(١) لَمْ يَرَوْ غُلْتُهُ بِالْعَلِّ وَالنَّهْلِ ^(٢)
فِي فِيهِ مَا فِي جَنَّانِ الْخُلْدِ مِنْ دُرِّ وَمِنْ أَقَاجٍ ، وَمِنْ نَعْرِ ، وَمِنْ عَسَلِ
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الْبَيْنَ يَفْجُوْنِي رَوَيْتُ قَبْلَ التَّوَيِّ قَلْبِي مِنَ الْقَبْلِ

بِنَفْسِي عَذُولٌ ، لَامَ فِيكُمْ ، فَرَدَّ لِي بِذِكْرِكُمْ رَوْحَ الْحَيَاةِ عَذُولُ
لَحَى نَاصِحًا فِيكُمْ ، فَأَذَكِي صَبَابِي وَتَذَكِي الرِّيَّاحُ النَّارَ ، وَهِيَ بَلِيلُ
أُسُوفُ ^(٣) صَعِيدَ الْأَرْضِ ، إِذْ وَافَقَ اسْمُهُ صَعِيدًا بِهِ أَهْلُ الْحَبِيبِ زُؤُلُ
وَأَغْدُو عَلَى أُسْوَانَ ^(٤) أُسْوَانَ فِي الْحَشَا لِبَعْدِي عَنْهَا لَوْعَةٌ وَغَلِيلُ

(١) الصدى : العطش . (٢) العل : الشرب بعد الشرب . والنيل : أول الشرب .

(٣) السوف : الشم .

(٤) أسوان ، بضم الهزة : مدينة مصرية بصعيد مصر . وأسوان بفتح الهزة : حزين .

قافية الميم

(١٩١)

وقال :

ما استجهلَكَ معالْمُ ورُسُومُ إِلَّا لِيُعْلَنَ سِرُّكَ المَكْتُومُ!
أَوْ بَعْدَ نَاهِيَةِ المَشِيبِ جَهَالَةٌ يَا بِي الوَقَارُ عَلَيْكَ وَالتَّعْلِيمُ^(١)
مَا جُرَتْ فِي دَاخِلِ الشَّبَابِ، فَكَيْفَ إِذْ وَصَحَّتْ بِفُودِكَ لِلشَّيْبِ نُجُومُ

ومنها :

أَعْوَاذِي، كُفُّوا، فَلَيْسَ بِمُسْمِي نَضَحُ، وَبَعْضُ النَّاصِحِينَ مَلُومُ
وَقَرَّتْ دَوَاعِي الْيَنِّ سَمِي بَعْدَهُمُ فَلَنْ يُعْفُ نَاصِحٌ وَيَلُومُ!
لِي كُلِّ يَوْمٍ رَوْعَةٌ بِمَوَدِّعٍ وَنَوَى، فَهَمِّي طَارِفٌ وَقَدِيمُ
وَعَلَى الرَّاكِبِ مَا طُلَّ بِدْيُونِنَا عَسُرُ الْقَضَاءِ مَعَ الْبَسَارِ، ظَلُومُ
مُتَبَسِّمٌ عَنْ ذِي غُرُوبٍ^(٢) وَاضِحٍ يُعْزَى إِلَيْهِ اللَّوْلُوُ الْمَنْظُومُ
فِي وَجْهِهِ مَاءُ الْمَلَاخَةِ حَارٌّ فَقَلُوبُنَا الظَّمَايُ عَلَيْهِ تَحُومُ
أَتَبَعْتُهُمْ قَرَحَى الْجَفُونِ كَلِيلَةً تُصْحِي بِدَمِي تَارَةً وَتَغِيْمُ
مَسْمُوءَةً^(٣) بِمَدَامِجٍ حَالَتْ دَمًا فَكَاثِمًا إِنْسَانُهَا مَكْلُومُ
يَا نَارِ حَا ضَنْ الزَّمَانُ بِقُرْبِهِ وَجَدِي عَلَيْكَ، وَإِنْ رَحَلَتْ، مُقِيمُ

(١) حله تخلياً : جعله حلياً أو أمره بالحلم .

(٢) غرب الهم : كثرة ريقه وباله ووجهه غروب ، وغروب الأسنان من وقع ريقها وقيل أطرافها وحدتها وباطنها .

(٣) سمل عيه : قضاها .

لى مقلّة قَذَيْتَ بُبُعدَكَ ، بَرَّها فَبُضْ الدُّمُوعَ ، وَعَقَّها التَّهْوِيمُ^(١)
 ساوى بِعادِكَ ليلها ونهارها كُلُّ ، كما قَضَتْ الهمومُ ، بِهِمْ
 كم أنشأتَ ذَكَراكَ بينَ جَوانِحِي من زَفَرَةٍ قَلْبِي بها مَوْسُومُ
 نَفْسُ يَقُومُ لَهُ اِعْوَجاغُ أَضالِي وَيَضِيقُ عَن نَزَواتِهِ الحِيزُومُ^(٢)
 ما أخطأتُ فيكَ النوى عادَاتِها لَكِنَّ تَقْرِيفَ^(٣) الكَؤُومِ أَلِيمُ

(١٩٢)

وقال :

إِنْ لَمْ تُطَلِّقًا يَوْمَ رَامَةٍ^(٤) أَنْ تُسْعِدَا ، فَذَرَا المَلَامَةَ
 عَقَّتَمَانِي أَنْ مَرَزْتُ بِمَنْزِلِ أَقْضَى ذِمَامَةٍ
 هو مَنْزِلُ الْأَحْبابِ ، لَمْ يَدْعُ إِلَيَّ إِلَّا رَامَةً
 وَعَلَى حَقٍّ أَنْ تُصَا فَحُ سُبُّ أَجْفَانِي رَغَامَةً
 وَأَيْبُكُمَا ، لِأُرَوِّينَ ، وَلَوْ يَسَحُّ دِمُّ أُوَامَةٍ^(٥)
 ما الدَّمْعُ لِلْأَطْلَالِ لَكِنْ أَهْلُها أَجْرُوا سَجَامَةً^(٦)
 فَوَلَّامَ لَوْمُكُمَا ! أَفَى رَغِي الْعُهُودِ عَلَى آمَةٍ^(٧)
 واهًا لِقَلْبٍ لَا يَقُو زُبْسَلُوةً ، تَشْفِي هِيَامَةً
 غَرَضًا لَيْنٍ لَا يَزَا لُ مَقْرُطَسًا^(٨) فِيهِ سِهَامَةً
 أَبَدًا يَدُ الْأَيَّامِ تَقْرِفُ^(٩) كَلِّما ائْتَمَلْتُ كَلَامَةً^(٩)

(١) التَّهْوِيمُ : هَرَّ الرُّأْسِ مِنَ النَّعَاسِ . (٢) الحِيزُومُ : الصَّدْرُ .

(٣) القَرَفُ : النِّكْسُ فِي الْمَوْضِعِ . (٤) رَامَةٌ : مَوْضِعٌ بِالْبَلَدِيَّةِ . (٥) الْأُوَامُ : شِدَّةُ الْعَطَشِ

(٦) سِجْمُ الدَّمْعِ سِجَامًا : سَالَ لَيْلًا أَوْ كَثِيرًا . (٧) الْأَمَةُ بِتَخْفِيفِ الْمِيمِ : الْغَيْبُ قَالَ الشَّاعِرُ :

مَهْلًا أَيْتَ الْعَيْنُ مَهْ لَا إِنْ فَيَا قَلْتَ آمَهْ

(٨) فِي الْقَامُوسِ . الْقَرُطَاسُ : كُلُّ أَدِيمٍ يَنْصَبُ لِلتَّضَالِ . وَرَمَى قَرُطَسًا أَصَابَ الْقَرُطَاسَ .

(٩) كَلَامٌ : جَمْعُ كَلِمٍ ، وَهُوَ الْجَرْجُ . وَبَارِزُ الْقَصِيدَةِ فِي ص ١٤١ .

(١٩٣)

وقال :

إِن لَّمْ أُبْجِ بِهَوَاكَ قُلْنَ لَوَائِمِي : ذَا مُبْطِلٌ ، مَا السَّكْمُ شِيمَةُ هَائِمِ
وإن أدعى خوف الوُشاة ، فما الهوى للَخَوَفِ مُذْ خُلِقَ الهوى بِمَلَانِمِ
لَا تَكْذِبَنَّ ، فَمَا لِأَبْنَاءِ الهوى رَأَى يَحْذَرُهُمْ عَوَاقِبَ نَادِمِ
شَغَلَتْ قُلُوبُهُمْ بِرُوعَاتِ النَّوَى وَالْهَجَرِ عَنْ خَوْفِ الزَّمَانِ الْعَارِمِ^(١)
قَرَأَهُمْ صَوْرًا كَظَلِّ مَائِلِ^(٢) لَا يَرَعَوُونَ لِزَاجِرٍ أَوْ لَانِمِ
وَاهَا لِأَيَّامِ الْحَمَى ، لَوْ أَنَّهَا دَامَتْ ، وَهَلْ عَيْشٌ يَسْرُ بِدَائِمِ
إِذْ أَجْتَلَى الْقَمَرَ الْمُرْدَى بِالْدُجَى يَجْلُو الشَّمْسُ عَلَى الْقَضِيبِ النَّاعِمِ
مُكْرَى بِنَظَرِهِ ، وَرَاجَ رُضَايِهِ وَكُتُوسِهِ ، طَوَلَ الزَّمَانُ ، مُلَازِمِي
مَاغَالِ عَقْلِي [فَقَطْ]^(٣) سِحْرُ جُفُونِهِ إِلَّا جَعَلْتُ دُؤَابَنِيهِ تَمَائِمِي
ثُمَّ افْتَقْنَا بَغْتَةً ، فَإِذَا الَّذِي كُنَّا نُسْرُ بِهِ فُكَاةً حَالِمِ

(١٩٤)

وقال :

أَحْبَابَنَا . مُذْ أَفْرَدْتَنِي مِنْكُمْ صُرُوفُ اللَّيَالِي ، أَفْرَدْتَنِي بِأَهَمِّ
وَحَمَلْتُ ثَقْلَ الشُّبُوقِ عَنْكُمْ . وَأَيْنِي لِأَضْعَفُ عَنْ حَمْلِ التَّشَوُّقِ وَالسَّقَمِ
كَأَنَّ عَوْدًا^(٤) أَوْ هُنَّ الثَّقَلُ صَحْبَهُ فَرَدُّوا عَلَيْهِ ثِقَلُهُنَّ عَلَى رَغَمِ

(١٩٥)

وقال :

قُلْ لِلَّذِينَ نَأَوَّا ، وَالْقَلْبُ دَارُهُمْ : وَجَدَانُنَا كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ^(٥)
جَهَلْتُ أَنْسَى بِكُمْ ، وَالِدَارُ دَانِيَةٌ حَتَّى إِذَا تَرَحَّتْ أَدْمَى يَدِي النَّدَمُ

(١) عزم : اشتد . (٢) مثل : زال عن موضعه . (٣) تكملة لسقط بالأصل بقضيتها الوزن .

(٤) العود : المدح من الإبل والشاة . (٥) عجزيت شيبي صدره : " يا من يعز علينا أن نقارهم " .

(١٩٦)

وقال :

كَمْ قَدْ جَزَعْتُ لَبِينَ مِنْ فَارَقْتُهُ وصَبَرْتُ عَنْهُ ، وَالْحَشَا يَتَضَرَّمُ
كَالْقَوْسِ تَرِي السَّهْمَ ، ثُمَّ تَرِنُ مِنْ جَزَعٍ ، وَيَبْدُو الْيَأْسُ مِنْهُ ، فَتَنْكُظُ
وَالْوَجْدُ لَوْ أَجْدَى عَلَى ذِي لَوْعَةٍ مَا مَاتَ بِالْكَدِ الْقَدِيمِ مَتَمُّ^(١)

(١٩٧)

وقال :

وَهَاجَ لِي الشَّوْقُ الْقَدِيمَ حَمَامَةً عَلَى غُصْنٍ فِي غَيْضَةٍ^(٢) تَرْنُ
دَعَتْ شَجْوَهَا مَحْزُونَةً لَمْ تَنْضَ لَهَا دُمُوعٌ ، فِقَاضَتْ أَدْمُعِي ، مَرَّجُهَا دَمٌ
فَقُلْتُ لَهَا : إِنْ كُنْتَ خَنَسَاءَ لَوْعَةٍ وَوَجِدًا فِئْتِي فِي الْبَكَاءِ مَتَمُّ^(٣)

(١٩٨)

وقال :

سَهَرْتُ بِمَجْرِبَتِ^(٤) ، فَطَالَ لَيْلِي عَلَى ، وَلَمْ يَطُلْ لَيْلُ النَّيَامِ
أَفْكَرَ فِي مُفَارِقَتِي رِجَالًا هُمُ الْكُرَمَاءُ أَبْنَاءُ الْكَرَامِ
كَانِيَ السَّهْمُ يُفْرَدُ ، بِاعْتِمَادٍ لِنَزْعِ الْقَوْسِ ، مِنْ بَيْنِ السَّهَامِ

(١٩٩)

وقال ، بَارِضَ مَلْطِيَّةَ^(٥) ، بِإِزَاءِ الْجَبَلِ الْأَغَرِّ :

مَالِي ، وَلِلْجَبَلِ الْأَغَرِّ ، وَإِنَّمَا كُلُّ الْهَوَى جَبَلُ أَشْمِ بَهِيمٍ^(٦)
مَوْفٍ عَلَى أَرْضِ الشَّامِ ، كَأَنَّمَا جُونُ السَّحَابِ فِي ذُرَاهِ جُنُومُ

(١) هو متم بن نويرة الذي حزن حزنا قاتلا على أخيه مالك ورناء ورناء مؤثرا .

(٢) النبعة : مجتمع الشجر في مفيض ماء . (٣) حصن في أقصى ديار بكر .

(٤) بلدة من بلاد الروم كانت تناخم الشام . (٥) الهميم : الأسود .

ما زال مطرَحَ نَاظِرِي، حتى إذا لا حَتَ بَفَوْدِي لِلشَّيْبِ مُجُومُ
فَارَقْتُهُ ، وَنَايْتُ عَنْهُ ، وَمَانَايُ وَجُدِي بِهِ ، وَهَوَى الْكَرِيمِ كَرِيمُ
فَإِذَا ذَكَرْتُ النَّازِلِينَ بِسَهْلِهِ وَبِهِمْ ، وَإِنْ شَطَّتْ نَوَايُ ، أَهْمُ
دَارَتْ بِي الْأَرْضُ الْفَضَاءُ ، كَأَتَمَّا بِي الْمَوْمُ^(١) أَوَلَعِبْتُ بِي الْخَرْطُومُ^(٢)

قافية النون

(٢٠٠)

وقال :

مَا يُرِيدُ الشَّوْقُ مِنْ قَلْبٍ مُعْنَى ذَكَرَ الْأَلْفَ وَالْوَصَلَ ، لَحْنًا
حَسْبُهُ مَا عِنْدَهُ : مِنْ شَوْقِهِ وَكَفَاهُ مِنْ جَوَاهُ مَا أَجْنَا
كَلِمًا شَاهِدَ شَمَلًا جَامِعًا طَارَ شَوْقًا ، وَهَفَا وَجَدًا ، وَأَنَا
عَاضُهُ الدَّهْرُ مِنَ الْقُرْبِ نَوَى وَمِنَ الْغَبِطَةِ بِالْأَحَابِ حُزْنًا
فَرَقْنِي مِنْ رَحْمَةٍ عَازِلُهُ وَرَأَى الْحَاسِدُ فِيهِ مَا تَمَنَّى
وَيَحَهُ مِنْ زَفَرَةٍ تَعْنَادُهُ وَهُمُومٍ جَمَّةٍ ، تَطْرُقُ وَهْنًا^(٣)
يَازِمَانَ الْقُرْبِ ، سُقِيًّا لَكَ ، مِنْ زَمَنِ ، لَوْ كَانَ قُرْبُ الدَّارِ أَغْنَى
لَمْ تَكُنْ إِلَّا كَطِيلِ زَائِلٍ وَالْمَسْرَاتُ تَلَاثَتْنِي ، ثُمَّ تَفَنَى
سَاءَنَا مَا سَرَّنَا مِنْ عَيْشِنَا بَعْدَ مَا رَاقَ لَنَا مَرَايُ وَمَجْنَى

(١) الموم : الحى .

(٢) الخروطوم : الخمر .

(٣) الوهن : الطائفة من الليل ، وقيل نحو من نصفه .

فاقتَرَفْنَا بَعْدَ مَا كُنَّا صَدَى
وَكَذَا الْآيَامُ : مِنْ عَادَاتِهَا
خُلِقَ لِلدَّهْرِ : مَا أَوْلَى امْرَأً
وَكَذَا الْبَاخِلُ : مَا أَسَدَى يَدًا
قُلْ لِأَحْبَابٍ نَأَتْ دَارُهُمْ
سَاءَ ظَنِّي بِاضْطِبَارِي بَعْدَكُمْ
لَأُبْجِنَ الْجَوَى مِنْ كِبْدِي
وَأُذِلْنَ^(٣) دُمُوعًا لَوْ رَأَتْ
أَسْفًا ، لَا بَلْ حَيَاءٌ أَنِّي
لَا صَفَا لِي الْعَيْشُ مِنْ بَعْدِكُمْ
وَعَجِيبٌ ، وَالتَّنَائِي دُونَكُمْ
حَيْثُ كُنْتُمْ فَقَوَادِي دَارِكُمْ

إِنْ دَعَوْنَا ، وَكَفَانَا قَوْلُ : كُنَّا
أَنَّهَا تُعَقِّبُ سَهْلَ الْعَيْشِ حَزَنًا
نِعْمَةٌ مِنْهُ ، فَلَاةُ^(١) ، وَهَنَا
قَطُّ ، إِلَّا كَدَّرَ الْمَنَ ، وَمَنَّا^(٢)
وَعَلَى قُرْبِهِمْ أَفْرَعُ سِنًا :
وَلَقَدْ كُنْتُ بِهِ أَحْسَنُ ظَنًّا
مَوْضِعًا لَمْ يُبْتَدَلْ عَزَا وَضَنًا
فَيَضُنَّ الْمَزْنَ^(٤) خَالَتِهِنَّ مَرْنَا
بَعْدَكُمْ بَاقٍ ، وَإِنْ أَصْبَحْتُ مُضْنِي
مَا تَمَادَتْ مُدَّةُ الْيَمِّ وَعِشْنَا
أَنْكُمْ مِنِّي إِلَى قَلْبِي أَدْنَى
وَعَلَى أَشْبَاحِكُمْ أَغْمِضْ جَفَنًا

(٢٠١)

وقال :

يَانَاقُ ، شَطَّتْ دَارُهُمْ ، فَحَنِي
مَا أَرَزَمْتُ^(٥) وَهَنَا لَفَقْدِ الْفَهَا
تَذَكَّرْتُ الْأَفْهَا ، فَهَيَّجَتْ
أَبْكَى اسْتِيَاقًا ، وَتَحَنَّنَ وَحْشَةً

وَأُغْلِنِي الْوَجْدَ الَّذِي تُحْنِي
إِلَّا رَمَتْ جَوَارِحِي بِوَهْنٍ^(٦)
لَا عَجَّ شَوْقِي ، وَذَكَرْتُ خَدَنِي
فَقَدْ شَجَانِي حُزْنُهَا وَحُزْنِي

(١) ملاك الله حبيبك : متمك به .

(٢) المَنَ : الإِنْعَام . وَمَنْ عَلَيْهِ : عَدَدُهُ مَا فَعَلَهُ مِنَ الصَّنَائِعِ .

(٣) أَذَالَ الشَّيْءُ : أَهَانَهُ . (٤) الْمَزْنَ : السَّحَابُ ، أَوْ أَيْضُهُ .

(٥) أَرَزَمْتُ الْيَأَقَةَ : حَنَنْتُ عَلَى وَلَدِهَا . (٦) الْوَهْنُ : الضَّعْفُ .

حَسْبُكَ قَدْ طَالَ الْحَيْنُ وَالْأَسَى
وَلَا تَمَلِّ مِنْ مَسِيرٍ وَسُرَى
حَتَّى تُنَاجِيَ تَحْتَ بَانَاتِ الْحَمَى
أَهْوَى الْحَمَى، وَأَهْلَهُ، وَبَانَهُ
شَطُّوا. وَشَطَّتْ بِي دَارِي عَنْهُمْ
لَمْ يُذَكِّرُوا لِي قَطُّ إِلَّا امْتَلَأْتُ
وَهُمْ أَعَزُّ إِنْ نَأَوْا، وَإِنْ دَنَوْا
نَفْسِي فِدَاءً مِنْ أَوْرَى بِالْحَمَى
هُمْ، إِذَا قُلْتُ: سَقَى أَرْضَ الْحَمَى
ضَنًّا بِهِمْ عَنْ أَنْ يَطُورَ^(١) ذَكَرَهُمْ
أَحْيَيْتُهُمْ مِنْ قَبْلِ يَنْجَابٍ دُجَى
حُبًّا جَرَى بِجَرَى الْحَيَاةِ مِنْ دَمِي
فَلَوْ تَعَوَّضْتُ بِهِمْ عَصَرَ الصَّبَا
فَارَقْتُهُمْ أَشْغَفَ مَا كُنْتُ بِهِمْ
أَلْزِمُ كَفَى قُوَادًا مَالَهُ
لَكِنِّي أَدْعُو لَجَمْعِ شَمْلِنَا

وَمَا أَرَى طُولَ الْحَيْنِ يُغْنِي
فِي مَهْمِهِ سَهْلٍ وَوَعْرِ حَزَنِ
سَقَى الْحَمَى وَالْبَانَ صَوْبُ الْمُرْنِ
وَلَمَنْ نَأَيْتُ، وَتَنَاءَوْا عَنِّي
وَهُمْ إِلَى قَلْبِي لُدْنِي مِنِّي
بِالدَّمْعِ أَجْفَانِي، وَقَالَتْ: قَطْنِي^(٢)
مِمَّا حَوَى خَلْبِي^(٣)، وَضَمَّ جَفْنِي
وَالْبَانَ عَنْ أَشْمَانِهِمْ وَأُكْنِي
وَبَانَهُ صَوْبُ الْحَيَاةِ، مَنْ أَغْنِي
بِمَسْمُوحٍ، وَهُمْ مَكَانُ الضَّنِّ
فَوَدَى عَنِ الصَّبْحِ، وَيَذْوِي غُضْنِي
أَصَمَّ عَنْ كُلِّ نَصِيحٍ أَذْنِي
لَبَانَ فِي صَفْقَةِ بَيْعِي غَنِي
وَعَدْتُ قَدْ أَدَمْتُ بَنَانِي سَنِي
مِنْ بَعْدِهِمْ رَوْحُ سَوَى التَّمَنِّي
مُسِيرَ الشَّهْبِ، وَجَرَى السُّفْنِ

(٢٠٢)

وقال^(٤) :

أَعْلَمْتُ مَا فَلَنتُ بِهِ أَجْفَانَهُ سَحَّتْ، فَبَاحَتْ بِالْهَوَى أَشْبَانَهُ
نَمَتَ عَلَى حَسَرَاتِهِ زَفَرَاتُهُ وَكَذَا يَنُمُ عَلَى الضَّرَامِ دُخَانَهُ

(١) قطنى : يكفى . (٢) الخلب : لحمة رقيقة تصل بين الأضلاع . (٣) طاريطور : حام ودنا .

(٤) اختار صاحب المسالك لأمانة من هذه القصيدة الأبيات الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس (١٠ : ٥٥٥) عشر

وَأَخُو الْهَوَى مِثْلُ الْكَأَبِ: دَلِيلُ ذَا
تَحَكَّى الْبَرُوقُ فَوَادَهُ : فَضْرَامُهَا
ضَمِنَ الْهَوَى أَلَّا يَزَالَ أَخَا ضَنَّى
يَا مُدْعَى السُّلْوَانِ عَنْ أَحْبَابِهِ
شَطَّتْ دِيَارُكَ عَنْهُمْ ، وَهَفَا بِكَ الشَّوْقُ الْمُبْرُحُ ، وَالتَّظَّتْ نِيرَانُهُ
وَأَبَاتَ بَيْنَهُمْ هَوَاكَ ، فَمَا عَسَى
كَأْتَمَتْ وَاشْيَكَ الْهَوَى قَبْلَ النَّوَى
وَعَصَاكَ دَمْعُكَ عِنْدَ خَطَرَةِ ذِكْرِهِمْ
فَإِذَا تَبَادَرَ مِنْ جُفُونِكَ خِلْتَهُ
لَوْ أَيْقَنَ الْحَقُّ الْحَسْرَةَ عَلَيْهِمْ
بَيْنَ الْمَحَبِّ وَبَيْنَهُمْ مِنْ هَجْرِهِمْ
أَبْدَوَالَهُ مَلَلٌ^(٢) الْقَرِيبُ ، مَعَ النَّوَى
وَتَحَلَّقَ الطَّيْفُ الطَّرُوقُ يُحْلِلُهُمْ
وَهُمُ الصَّبَا : أَيَّامُهُ مَحْبُوبَةٌ
وَجَاهِلُهُمْ كَفَّارَةٌ لِمَلَاهِمِ
لَوْ يَعْلَمُونَ مَكَانَهُمْ مَا أَضْرَمُوا
وَلَجْهَلُهُمْ طَارَفُوا بِطُولِ صَدُودِهِمْ

لَكَ حَيَاتُهُ ، وَدَلِيلُ ذَا عُنَاؤُهُ
أَشْوَاقُهُ ، وَخُفُوقُهَا خَفَقَاتُهُ
وَصَمَانَةٌ^(١) ، قَوَفَى بِذَلِكَ ضَمَانُهُ
أَيْنَ السُّلُو ، وَأَيْنَ مِنْكَ أَوَانُهُ
وَالْتَّظَّتْ نِيرَانُهُ
بِكَ فَاعِلُ هَذَا الْهَوَى وَبَيَانُهُ
فَبَدَّالَهُ مِنْ بَعْدِهَا كِتْمَانُهُ
وَبَقْدَرِ طَاعِنِكَ الْهَوَى عَصِيَانُهُ
نَقْدًا وَهَى مَرَجَانُهُ وَجَمَانُهُ
حَفَلَى لِحَالَتْ رَحْمَةً أَضْغَانُهُ^(٣)
بَيْنَ طَوِيلِ بَرَحِهِ^(٤) وَزَمَانُهُ
وَتَنَائِي النَّائِي ، وَهُمْ جِيرَانُهُ
فَإِذَا أَلَمَ يَرُوعْنِي هِجْرَانُهُ
وَأَمَّ اعْتَدَى فِي غَيْهِ شَيْطَانُهُ
وَالْهَجْرُ ذَنْبٌ يُرْتَجَى غُفْرَانُهُ
قَلْبِي بِهِجْرِهِمْ وَهُمْ سُكَّانُهُ
وَمَلَاهِمِ طَرْفِي ، وَهُمْ إِنْسَانُهُ

(١) الضميمة : المرض .

(٢) أضغان : جمع ضغن وهو الحقد .

(٣) البرج : الشدة .

(٤) في الأصل (ملك) تحزيف ولعل الصواب ما اختاره .

(٢٠٣)

وقال :

أهكذا أنا ، بآقي العمر مُعْتَرِبُ نأء عن الأهل والأوطانِ والسَّكَنِ
لا تَسْتَقِرُّ جِيَادِي فِي مَعْرَسِهَا^(١) حَتَّى أُرَوِّعَهَا بِالشَّدِّ وَالظَّنِّ

(٢٠٤)

وقال :

أَيْنَ السُّرُورُ مِنَ المَرْوَعِ بِالنَّوَى أَبَدًا ، فَلَا وَطَنُ ، وَلَا خُلَانُ
عِيدُ البَرِّيَّةِ مَوْسِمٌ لِعَوِيلِهِ وَسُرُورُهُمْ فِيهِ لَهُ أَحْزَانُ
وَإِذَا رَأَى السَّمْلَ الْجَمِيعَ تَرَاوَحَتْ فِي قَلْبِهِ الْأَمْوَاهُ وَالنِّيرَانُ

(٢٠٥)

وقال :

قَسَمَ الهَوَى دَهْرَ المَرْوَعِ بِالنَّوَى شَطْرَيْنِ بَيْنَ شُؤْنِهِ وَشُجُونِهِ^(٢)
هُوَ فِي الدُّجَى كَالشَّمْعِ يَنْقُطُ رَدْمُهُ نَارًا ، فَتَحْرِقُهُ مِيَاهُ جُفُونِهِ
فَإِذَا بَدَا وَضَحُ الصَّبَاحِ رَأَيْتَهُ مِثْلَ الحِمَامِ يَنْوُحُ فَوْقَ غُصُونِهِ

(٢٠٦)

وقال بِحَمَآةٍ ، فِي جَفَلَةٍ أَهْلِهَا مِنَ الرُّومِ ، وَكَانَ بَدَارِهِ أَوْلَادُ لِفْلَامٍ لَهُ ، مَاتَ
فِي الزَّلَازِلِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَضَمَّ أَوْلَادَهُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ فِيهِمْ طِفْلٌ اسْمُهُ مَنْصُورٌ ،

(١) المعرس : البيت .

الشجون : جمع شجن ، وهو الحزن . والشنون : جمع شان وهو يجري الدمع إلى العين .

وكان يألفه ، بلفلوا مع من جفل من الأهل والحاشية إلى قلعة جعبر
ومنصور معهم :

منصور، دارك أضحت منك موحشة قد أفقرت بعد سگان وجبران
أضخى اللهى كان منها أمس أضحكى وسرني ، هاج أشجاني وأبكاني
عهدتها نادياً للهو، مجتمعا للأنس ، ملعب أتراب وولدان
فأصبحت ما بها مما عهدت بها سوى صدى ، كلما ناديت لباني

(٢٠٧)

وقال :

وقد أفردتني الحادثات ، فليس لي أنيس ، ولا في طارق الخطب أعوان
كأني من غير التراب، نبت في البلاد ، فالي في البسيطة أوطان
أجول ، كما جالت قذاة بمقلة وأسرى ، وسأري النجم في الأفق حيران

قافية الهاء

(٢٠٨)

وقال :

سلا قلبه : ما غال حسن سلوة ورداه في غي الهوى وغلوه
وما باله يشكو الفراق؟ وأين من قساوته شكوى الهوى وعتوه
وما خلته مهوى الهوى ومقبله ومأوى الأسي والبت عند هدوه
تنوب إليه في الصباح شجونه ويأوى إليه الهم عند هدوه

بِنَفْسِي مَنْ أَهْدَى إِلَى نَجِيَّةٍ عَلَى بُعْدِهِ ، وَافَتْ بَرِيًّا ^(١) ذُنُوبَهُ
فَاذْكُرْ مَنْ لَمْ تُنْسِهْ عَهْدَهُ النَّوَى وَلَا طَمِعَتْ فِي يَأْسِهِ وَنُبُوهُ
يَحْنُ اشْتِيَاقًا بِالْأَصَائِلِ وَالضُّحَا وَيرتاحُ فِي رَوْحَتِهِ وَغُدُوهُ

(٢٠٩)

وقال :

أَلَا مَنْ لِصَادٍ ، وَالْمَوَارِدُ جَمَّةٌ لَهُ عَلَّلُ ^(٢) مِنْ بَرْدِهَا لَمْ يَرَوْهُ
يُغَانُ ^(٣) عَلَيْهِ ، حِينَ يَسْمَعُ نَبَأَهُ بِذِكْرِهِمْ ، أَوْدَعُوهُ مِنْ مُنْوَهِ
إِذَا مَا دَعَاهُ الشُّوقُ نَحَرَ كَأَنَّمَا بِهِ الْمَوْتُ ، لَوْلَا أَنَّهُ الْمَنَّاوَهُ

(٢١٠)

وقال ^(٤) :

بُكَاءُ مِثْلِي مِنْ وَشِكِ النَّوَى سَفَهُ وَأَمْرُ صَبْرِي بَعْدَ الْيَنِّ مُشْتَبَهُ
فَلَا يُسَوِّفُنِي فِي قُرْبِهِمْ أَمَلٌ وَلَيْسَ فِي الْيَأْسِ لِي زَوْجٌ وَلَا رَفَهُ
أَكْثِمِ النَّاسَ أَفْجَانِي ، وَأُخْسِبُهَا تَخْفَى ، فَتُعْلِنُهَا الْأَسْقَامُ وَالْوَلَهُ
كَأَنَّنِي مِنْ ذُهُولِ الْهَمِّ فِي سِنَةِ وَنَظَرِي قَرِحُ الْأَجْفَانِ مُنْتَبَهُ
أَذْنِبْتُ ، ثُمَّ أَحْلَلْتُ الذَّنْبَ مِنْ سَفَهُ عَلَى النَّوَى ، وَلَيْسَ الْعَادَةُ السَّفَهُ
أَقَمْتُ طَوْعًا وَسَارُوا ، ثُمَّ أُنْدَبُهُمْ ^(٥) صَحَبْتُ نَوَاهُمْ حَيْثُمَا اتَّجَهُوا !

(١) الربا : الرجح الطيبة .

(٢) الملل محركة : الشربة الثانية ، أو الشرب بعد الشرب تباعا .

(٣) غين على قلبه غينا ؛ غشى عليه .

(٤) رويت هذه القطعة في نريدة القصر أيضا ١ : ١٠٤ .

(٥) في النريدة « هلا » .

أَضْرَبَ بِي نَاطِرٌ تَدْمَى مَحَاجِرَهُ وَخَاطِرٌ، مُذْنَاوَا، حَيْرَانٌ مُنْشَدُهُ
فَمَا يُلَانِمُ ذَا بَعْدَ النَّوَى فَرَحٌ وَلَا يَرُوقُ لِهَذَا مَنَظَرُ تَزَهُ
سَقِيًّا لِدَهْرٍ ، نَعْمَانَا فِي غَضَارَتِهِ إِذْ فِي الْحَوَادِثِ عَمَّا سَاءَنَا بَلَهُ
وَعَيْشُنَا لَمْ يُخَالِطْ صَفْوَهُ كَدْرٌ وَوَدُنَا لَمْ تَسُبْ إِخْلَاصَهُ الشُّبُهَةُ
مَضَى ، وَجَاءَ زَمَانٌ لَا تُسْرِبُهُ كُلُّ الْبَرِيَّةِ مِنْهُ ^(١) فِي الَّذِي كَرِهُوا

(٢١١)

وقال :

يَا قَلْبُ، زَفَقًا بِمَا أَبْقَيْتَ مِنْ جَلَدِي كَمْ ذَا الْحَيْنُ إِلَى مَنْ أَنْتَ مَتَوَاهٍ
مَا غَابَ عَنِّي، فَأَنْسَاهُ، وَلَسْتُ أَرَى فِي الْخَلْقِ لِي عَوَضًا عَنْهُ ، فَأَسْلَاهُ
قَدْ كُنْتُ فِي الْقُرْبِ أَرْعَاهُ، وَأَحْفَظُهُ وَمُذْ بَعُدْتُ تَوَلَّى حَفْظَهُ اللَّهُ

(٢١٢)

وقال :

مَا وَجَدُ مَنْ فَارَقَ أَحِبَّاهُ كَوَجَدُ مَنْ فَارَقَ رَوْحَ الْحَيَاةِ
فَارَقْتُ مِنْ أَمْوَالِهِ عِنْدَهُ عَارِيَّةٌ مَضْمُونَةٌ لِلْعَفَاةِ
مَنْ طَابَ لِلْإِنَانِي جَنَاهُ ، وَمَنْ كَفَرَ بِالْعَفْوِ ذُنُوبَ الْجَنَاهِ
أَعَزُّ مِنْ أَجْفَانِ عَيْنِي عَلَى عَيْنِي ، وَمِنْ قَلْبِ حِبَاهُ هَوَاهُ
إِذَا مَدَحْنَا مَا جَدًّا غَيْرَهُ فَمَا أَرَدْنَا بِمَدِيحِ سِوَاهُ
فَنُيَسَاوِي فَقَدْ هَذَا نَجْبُو بِإِذَا مَا غَابَ عَنْهُ سَلَاةُ

(١) في الأصل « منها » تحريف ، والتصويب من نردة القصر .

قافية الألف المقصورة

(٢١٣)

وقال :

| | |
|--|--------------------------------|
| لو كان يُوجدُ مثله ، خُلِقَ الهوى | بأبي هوىً فارقتُه ، ولمثله |
| فتن الملاحه يوسف ما قد حوى | حازَ الجمالَ بأسره ، لم يحو من |
| في ماء خديه غريقاً ، ما ارتوى | في القلب منه غلّةٌ ، فلو اغتدى |
| دمع الغرام ، ولا درى كيف الجوى | يلحى عليه خليُّ بال ما درى |
| رشدُ المحبِّ ، ولا عليه إن غوى | متكلّفٌ مَفَتَ النصيحة ، ماله |
| أحببتُا لجرث يفرقتها نوى | وأنا المروعُ بالنوى ، لو أننى |
| من جرّحه في الحبّ عندهم شوى ^(١) | فعلامَ يلحى اللانمون بجهلهم |

.*.

(١) الشوى : الأمر الهين .

ما قاله في المكاتبات ، وما يتخَرِّطُ في سلكها من المعاتبات

قافية الهمة

(٢١٤)

قال ، وكتب بها إلى شمس الدولة أبي الحارث عبد الرحمن ابن أخيه نجم
الدولة أبي عبد الله محمد بن مُرشِد ، وكان ساراً إلى مصر ، وسار هو إلى الحجاز
سنة خمس وخمسين وخمسمائة :

| | |
|---------------------------------------|------------------------------|
| لئن غرَبَت شمسي المنيرة في النوى | قليلي وصُبحي في الظلامِ سواء |
| ففي أسودى قلبي وطرفي محله | وإن بعدت أرض بنا وسماء |
| ترحل غرباً ، وارتحلتُ مشرقاً | وخلف ارتحال الطاعنين عناء |
| إذا زادنا الترحالُ بعداً ، فما الذي | يقربنا إن كان ثمَّ لقاء |
| بلى ، إنَّ لطف الله يجمعُ شملنا الشَّ | تيت ، ويُدني الدار كيف يشاء |

قافية الباء

(٢١٥)

وقال^(١) :

| | |
|-------------------------------|--------------------------------------|
| لم يبق لي في هواكم أرب | سَلَوْتُكُمْ وَالْقُلُوبُ تَنْقَلِبُ |
| وضعتُ غني أثقال حُبكم | وحاملُ الحبِّ مُثْقَلُ تَعَبُ |
| وردى قذَى ودِّكم ، وغضَى أجفا | ني عليه ، من فعلكم عَجَبُ |

(١) هذا الشعر من مرويات باغوت ٥ : ١٩٦ والمحرّفة ١ : ١٠٠ مع اختلاف في الترتيب وقد ذكرنا المطالع

والأربعة الأبيات الأخيرة .

إِلَامَ دَمْعِي مِنْ هَجْرِكُمْ سَرِبُ قَانٍ ، وَقَلْبِي مِنْ غَدْرِكُمْ يَجِبُ
 إِنْ كَانَ هَذَا لِأَنْ تَعْبَدَنِي الْحُبُّ ، فَقَدْ أَعْتَقْتَنِي الرِّيبُ
 أَرَيْتُونِي ^(١) نَهَجَ السُّلُوءِ ، وَقَدْ كَانَتْ بِي الطَّرُقُ عَنْهُ تَنْشَعِبُ
 أَخِينَكُمْ فَوْقَ مَا تَوْهَمَهُ النَّاسُ ، وَخُتْمُ أَضْعَافٍ مَا حَسِبُوا

(٢١٦)

وكتب إلى صديق له :

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ ، وَبَدَيْنَا مَفَاوِزُ أَدْنَاهَا الشَّنَاحِيبُ ^(٢) وَالسَّهْبُ ^(٣)
 فَلَمَّا تَدَانَيْنَا يَأْسْتُ ، وَزَادَنِي تَبَارِيحُ شَوْقٍ ضَمَقْتُ ذُرْعًا بِهَا ، الْقُرْبُ

(٢١٧)

وقال ^(٤) :

تَبَدَّلَ ^(٥) ، حَتَّى قَدْ مَلَلْتُ دِتَابَهُ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ ، لَا أُرِيدُ افْتِرَابَهُ
 إِذَا سَقَطْتُ مِنْ مَفْرَقِ الْمَرْءِ شَعْرَةً تَأَقَّفَ مِنْهَا أَنْ تَمَسَّ ثِيَابَهُ

(٢١٨)

وكتب إلى أخيه عز الدولة :

أَيَا نَازِحًا لَمْ أَحْتَسِبْ بَعْدَ دَارِهِ وَقَدْ كَانَ ، لَوْنِلْتُ الْمُنَى ، قُرْبُهُ حَسْبِي
 تَعَرَّضْتُ الْأَخْطَارُ دُونَ لِقَائِنَا وَصَدَّ النَّتَائِي عَنْ مُوَاصَلَةِ الْكُتُبِ
 وَقَدْ صَارَ يَأْتِي بَعْدَ حَوْلٍ مُجْرِمٍ ^(٦) كِتَابُكَ مَقْصُورًا عَلَى اللَّوْمِ وَالْعَتَبِ
 فَيَا أُنْسَ قَلْبِي ، لَا تَزِدْنِي وَخْشَةً وَيَا رَوْحَ كَرْبِي ، لَا تَكُنْ سَبَبَ الْكَرْبِ

(١) الرواية في ياقوت وخريدة القصر "أرَضَعْتُمْ لِي سَبِيلَ السُّلُوءِ" .

(٢) الشَّنَخْوَةُ : رَأْسُ الْجَبَلِ . وَالْجَمْعُ شَنَايِبُ .

(٣) السَّهْبُ : الْفَلَاةُ . (٤) مَا رَوَاهُ الْعَمَادُ لِلْإِسَاءَةِ فِي الْخُرَيْدَةِ .

(٥) فِي الْخُرَيْدَةِ (نَجَزِم) . (٦) يُقَالُ حَوْلٌ مُجْرِمٌ كَعُظْمٍ : تَامٌ .

(٢١٩)

وكتبَ إلى صديقٍ له :

يَا مَنْ بِهِ سَلَوْنِي عَنْ كُلِّ مُفْتَقِدٍ وَمَنْ مَوَدَّتْهُ أَدْنَى مِنَ النَّسَبِ
شَكَوْتَ هَمَّكَ بِي لِمَا اشْتَكَيْتُ ، فَلَا زَلَّ الْمُؤَقِّ مِنَ الْآلَامِ وَالنُّوبِ
أَبْلَ جَسَمِي مِنْ أَوْصَابِهِ ، وَأَرَى قَلْبِي مِنَ الْهَمِّ لَا يَنْفَكُ ذَا وَصَبِ
وَدَاؤُهُ بَاطِنٌ ، لَا طِبَّ يَبْلُغُهُ إِنْ لَمْ يُدَارِكْهُ لَطْفٌ غَيْرُ مُحْتَسَبِ
وَمَا الَّذِي نَالَهُ مِنْ دَائِهِ عَجَبٌ لَكِنْ سَلَامَتُهُ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ

(٢٢٠)

وقال ، وكتب بها إلى ابن أخيه شمس الدولة ، وقد سيره إلى مصر ،
لى الملك الصالح :

أَيَا غَائِبًا ، يُدْنِيهِ شَوْقِي عَلَى النَّوَى لَأَنْتَ إِلَى قَلْبِي مِنَ الْفِكْرِ أَقْرَبُ
وَمَا غَابَ مِنْ أَفْقَاهُ : عَمِي وَخَاطِرِي لَهُ مَطْلَعٌ مِنْ ذَا ، وَفِي تِلْكَ مَغْرَبُ
غَبَطُكَ نُعْمَى ، فُزْتُ دُونِي بَنِيْلَهَا وَغَفْرًا ، لَهُ ذَيْلٌ عَلَى الشَّحْبِ يُسْحَبُ
جَوَارِكَ مَنْ يَحْمِي عَلَى الدَّهْرِ جَارَهُ وَيَطْلُبُ مِنْهُ جُودُهُ كَيْفَ يَطْلُبُ
هُوَ الْبَحْرُ ، تَرَوَى الْأَرْضُ عِنْدَ سُكُونِهِ وَتَغْرُقُ فِي تَيَّارِهِ حِينَ يَغْضَبُ
فَنَنْ لِي لَوْ كُنْتُ الرَّسُولَ بِبَابِهِ لَتَبَرَّدَ رُؤْيَاهُ حَشَا تَتَلَهَّبُ
وَأَبْلَغَ مَا أَنْفَقْتُ فِي أَمَلِي لَهُ مِنْ الْعُمْرِ عَشْرًا ، كُلُّهَا لِي مُتَبِّبُ
فَارَقْتُ لِي فِيهَا نَسِيمُ أَصَائِلِي وَلَا رَاقَ لِي فِيهَا مِنَ الْهَمِّ مَشْرَبُ

ولولا رجاء الصالح الملك الذي به طال، واستعلى على الشرق مغرب
وأني سآوى من حماه إلى حمى يرى كل خطب دونه يتذبذب
لمت، وما موتى عجيب، وقد نأت بي الدار عنه ، بل بقاني أعجب

(٢٢١)

وقال ، وكتب بها إلى الوزير نظام الدين أبي الكرام المحسن بن الحسين بن
أبي المضاء (رحمه الله) في صدر كتاب :

وما سكنت نفسي إلى الصبر عنكم ولا رصيت بعد الديار من القرب
ولكن أياي قضت شتاتنا ففارقكم جسمي ، وجاوركم قلبي
ولو جمعنا الدار بعد تفرق لكتنم من الدنيا ونعمتها حسنى

فوقف عليها الملك الصالح (رحمه الله) ، وأجاب عنها بهذه القصيدة :

من اليوم لا أغتر ما عشت بالحُب ولا أطلب العتي^(١) من الخل بالعَب
ولا أرتضى بالبعد من ذى مودة وأقنع منه بالرسائل والكتب
ولا سيما إن قال لي مُصَنِّعًا : ففارقكم جسمي ، وجاوركم قلبي
على أنني قد قلت حين أجبته بلا حشمة : ما أشبه العذر بالذنب
أخلاقى ، لو رمت دنوا لما أبى سرى العيس^(٢) ، بل ركض المظهمة القَب
ولكنكم بعتم وفاء بغدرة غداة اشتريتم وحشة البعد بالقرب
عليكم سلام الله ، إن بعادكم لأعظم ما قد كان من ذلك الخطب

(١) العتي : الرضا .

(٢) العيس : الإبل البيض يقال لها شفرة . والمظهمة : الباردة الجمال . والقَب : الخيل المرتفعة .

وَلَوْ أَنَّا كُنَّا ظَنَيْنَاهُ لَمْ نَكُنْ
 عَلَى أَنَّهُ قَدْ نَالَ بِالْغَدْرِ مِنْ بَنِي
 وَهْل نَالَ مِنْهُمْ آلُ حَرْبٍ وَغَيْرُهُمْ
 غَدَاً وَالْغَا^(٣) كَالْكَلْبِ ظُلُمًا وَحَزْبُهُ
 وَيَالَيْتَهُ ، لَوْ كَانَتْ فِيهِ مِنَ الْوَفَا
 وَحَاشَاكُمْ ، مَا خُتِمَ الْعَهْدَ مِثْلَهُ
 وَمِنْ مِثْلِ مَا قَدْ نَالَكُمْ مِنْ دُنْيِهِ
 وَمَا رَوْضَةٌ غَنَاءُ هَبَّ نَسِيمُهَا
 سَقَاهَا الْحَيَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُرْنَةً
 فَأَضْحَتْ تُغَوِّرُ الْأَفْحَوَانَ صَقِيلَةً
 بِأَحْسَنِ ، بِمَجْدِ الدِّينِ ، مِمَّا تَصَرَّفَتْ
 وَمَا هُوَ إِلَّا الشَّمْسُ أَضْحَى يَزُورُنَا
 أَحْبَابِنَا . يَا طَالَمَا كَانَ قَرَبُكُمْ
 وَكُنْتُمْ إِلَى قَلْبِي ، إِذَا مَا لَقَيْتُكُمْ
 تَرَكْتُمْ مُدُودَ النَّيْلِ ، يَرُوعِي بِهَا الظَّمَا
 هُوَ الْآيَةُ الْعَظْمَى الَّتِي دَلَّ حُكْمُهَا
 بَحِثُ الْأَمَانِي لَيْسَ تَخْلُفُ سَجْبُهَا
 وَمَا اعْتَضْتُمْ مِنْهُمْ غَدَاةً نُقِلْتُمْ
 وَإِنِّي عَلَى مَا قَدْ عَهِدْتُمْ مُحَافِظٌ

نُظَاهِرُ دُونَ النَّاسِ عِمَاسٌ^(١) بِالْحَرْبِ
 نَجِيٍّ الْهَلْدِيِّ مَا لَمْ يَنْلَهُ بَنُو حَرْبٍ^(٢)
 مِنَ النَّاسِ فَوْقَ الْقَتْلِ وَالسَّيِّ وَالنَّهْبِ
 دِمَاءُهُمْ ، لَاحَاطَهُ اللَّهُ مِنْ حِزْبِ
 لِمَالِكِهِ بَعْضُ الَّذِي هُوَ فِي الْكَلْبِ
 وَلَا لَكُمْ فِيهَا جَرَى مِنْهُ مِنْ ذَنْبٍ
 يُجَاذِرُ لَيْتَ تَدْنُو الصِّحَاحُ مِنَ الْحَرْبِ
 عَلِيًّا ، فَلَمْ يُوقِظْ بِهَا نَائِمَ التُّرْبِ
 كَأَيْمَانِنَا ، لِمَا هَمَّتْ بِنْدَى سَكَبِ
 تَضَاحِكُ فِي أَرْجَانِهَا أَوْجَهَ الشَّرِبِ^(٤)
 بَنَانُكَ فِي تَقْوِيفِ أِبْرَادِهِ الْقُشْبِ
 بِمَسْرَاهُ مِنْ شَرْقِ الْبِلَادِ إِلَى الْغَرْبِ
 إِلَى مِنَ الدُّنْيَا وَنَعْمَتِهَا حَسْبِي
 عَلَى ظَمًا ، أَشْمَى مِنَ الْبَارِدِ الْعَذْبِ
 وَيُخْلِفُهَا مِنْ جُودِنَا النَّيْلُ فِي الْجَدْبِ
 بِأَوْطَانِنَا أَنْتَ الْعَنَاءُ لِلرَّبِّ
 بِسُقْيَا ، إِذَا مَا أَخْلَفْتَ دَرَّةَ السُّحْبِ
 بِكُرِهِ إِلَى جَدْبِ الْبِلَادِ مِنَ الْخُصْبِ
 عَلَى الْوُدِّ مِنْكُمْ فِي بَعَادٍ وَفِي قُرْبِ

(١) هو الوزير عباس الصنهاجي . راجع المقدمة .
 (٢) هم بنو أمية .
 (٣) ولغ الكلب في الإلاء : شرب ما فيه بأطراف لسانه .
 (٤) الشرب : الشاربون .

أَحْبْتُ إِلَى أَخْلَاقِكُمْ ، وَأَعُدْتُكُمْ بِلاَ مَرِيَّةٍ مِنْ جُمْلَةِ الْأَهْلِ لَا الصَّحْبِ
أَسَامَةُ^(١) لِي مِنْهُ اعْتِزَامُ أُسَامَةَ وَمَرْهَفُ^(٢) فِيهِ هَزَّةُ الْمَرْهَفِ الْعُضْبِ^(٣)
فَإِنْ تَبْعُدُوا عَنَّا ، فَنَحْفِظُ رَبَّكُمْ وَإِنْ تَقْرُبُوا مِنَّا فَنَحْفِظُ الرَّحْبِ

(٢٢٢)

وقال :

لَنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ الْمَشْتَتِ شَمَلَنَا فَأَصْبَحْتُ فِي شَرْقٍ ، وَأَمْسَيْتُ فِي غَرْبِ
لَقَدْ عَزَّهُ تَفْرِيقُ صَادِقٍ وَدَنَا وَأَعْجَزَهُ إِبْعَادُ قَلْبِكَ مِنْ قَلْبِي

(٢٢٣)

وقال ، وكتب بها إلى صديق له ، سأله السَّفارةَ عند بعض الأمراء ، لرجل
سأله ذلك ، فتأخر جوابه :

أَبَا الْبَرَكَاتِ ، لِي مَوْلَى جَوَادُ مَوَاهِبُهُ كَمَنْهَلِ السَّحَابِ
يُحْكَمُ فِي مَكَارِمِهِ الْأَمَانِي وَلَوْ كَلَّفْتَهُ رَدَّ الشَّبَابِ
فَمَا بَالِي أَرَى مَا أَبْتَغِيهِ بَعِيدًا عِنْدَ مُنْقَطِعِ السَّرَابِ
وَعَذْرُكَ فِي قَضَائِي قَضَاءُ يُصَرِّفُهُ ، فَمَا عُذْرُ الْجَوَابِ

(٢٢٤)

وقال :

لِي صَدِيقٌ أَفْضَى إِلَيْهِ بِسَرِّي وَخَبَايَا صَدْرِي وَمَكْنُونِ قَلْبِي
لَا أَرَى دُونَهُ لَسَرِّي سِتْرًا فِي مُنَاجَاتِهِ وَمُضْمُونِ كُتْبِي

(١) أسامة في أول البيت هو ابن منقذ ، ولفظ أسامة بعده يريد به الأسد .

(٢) هو مرهف بن أسامة .

(٣) المرهف : السيف الدقيق . والعُضْب : القاطع .

لو أَتَيْتَنِي صَحِيفَتِي فِي حَيَاتِي قُلْتُ : خُذْهَا ، فَانْظُرْ قَبَائِحَ ذَنْبِي
وهو إِنْ جَاءَهُ كِتَابٌ طَوَاهُ وَطَوَاهُ عَنِّي أَطْرَاحًا لِعَنِي
وَأَرَى أَنْ كُتِبَتْ لَيْسَ فِيهَا غَيْرُ سَيِّئٍ ، وَغَيْرُ نَقِصٍ وَأَلْبِي
فلهذا عَذْرَتُهُ ، وَلَعَمْرِي إِنْ عَذْرَى لِمَوْلُومٍ مِثْلُ ضَرْبِي

قافية التاء

(٢٢٥)

وقال ^(١) :

وما أَشْكُو تَلَوْنَ أَهْلِي وَدَيَّ وَلَوْ أَجَدْتُ شَكَيْتَهُمْ شَكْوَتُ
مَلَلْتُ عَتَابَهُمْ ، وَيَأْسْتُ مِنْهُمْ فَمَا أَرْجُوهُمْ فِيمَنْ رَجَوْتُ
إِذَا أَدَمْتُ قَوَارِصُهُمْ فَوَادَى كَظَمْتُ عَلَى أَذَاهُمْ ، وَانْطَوَيْتُ
وَرُحْتُ عَلَيْهِمْ طَلَقَ الْحَبَا كَأَنِّي مَا سَمِعْتُ وَلَا رَأَيْتُ
تَجَنَّبُوا لِي ذُنُوبًا مَا جَنَّبَهَا يَدَايَ ، وَلَا أَمَرْتُ ، وَلَا نَهَيْتُ
وَلَا وَاللَّهِ ، مَا أَضْمَرْتُ غَدْرًا كَمَا قَدْ أَظْهَرُوهُ ، وَلَا نَوَيْتُ
وَيَوْمَ الْحَشْرِ مَوْعِدُنَا ، وَتَبَدُّو صَحِيفَةً مَا جَنَوَهُ وَمَا جَنَيْتُ

قافية الشاء

(٢٢٦)

وقال ، وَكُتِبَ بِهَا إِلَى أَخِيهِ بِهَاءِ الدَّوْلَةِ ، أَبِي الْمَغِيثِ مُنْقِذِ (رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى) :
أَيَا مُنْقِذِي ، وَالْحَادِثَاتُ تَنَوَّشْنِي ^(٢) وَدَافَعَ هُمِي إِذْ تَرَادَفَ بَعَثُهُ
لِسَانِي عَنْ شِكْرِي أَيَادِيكَ مُفْهِمٍ وَأَنْتَ ، فَأَعْلَى مِنْ ثَنَاءِ أَبْنَاهُ

(١) رويت من هذه القصيدة في مسالك الأبحار (١٠ : ٥٠٧) الآيات الأربعة الأولى .

(٢) التوش : التناول والطلب .

تَحَمَّلْتَ عَنِّي كُلَّ خُطْبٍ يَتُودُنِي^(١) وَنَاهَلَنِي^(٢) عَيْشِي ، وَقَدْ بَانَ حُجْبُهُ
فَدَى لَكَ ، يَا طَوَّعَ الْإِخَاءِ أَمِينَهُ عَلَى غَيْرِهِ ، مُسْتَكْرَهُ الْوَدِّ رَثُّهُ
نَسِيٌّ لِمَا يُؤَلَّى ، وَمَا طَالَ عَهْدُهُ مُلُولٌ لِمَنْ يَهْوَى ، وَمَادَامَ لَبِثُهُ
وَمَا أَشْتَكِي شَوْقِي إِلَيْكَ تَجَلُّدًا عَلَى أَنَّهُ بَلْبَالٌ قَلْبِي وَبِثُّهُ
وَقَاسَمَنِي قَلْبِي عَلَى الصَّبْرِ عَنْكُمْ وَلَا عَجَبٌ إِنْ بَانَ بِعَدَاكَ حِثُّهُ
وَمَا زَالَ يَذْنِيهِ إِلَيْكَ حِفَاطُهُ وَغَدْرُ صُرُوفِ الدَّهْرِ عَنْكَ تَحِثُّهُ
وَشَارَكَنِي فِيهِ هَوَاكَ ، فَهَمُّهُ وَأَفْكَارُهُ عِنْدِي ، وَعِنْدَكَ مُكْنَتُهُ
وَمَا ضَعُضَعَتْنِي الْحَادِثَاتُ ، وَإِنِّي كَعَهْدِكَ : وَغُرُ الْخُلُقِ فِي الْخُطْبِ وَعَنْهُ
جَرَى عَلَى الْأَهْوَالِ ، وَالْمَوْتُ مُحِجُّهُ مَرِيرُ الْقَوَى ، وَالْدَّهْرُ قَدْ بَانَ نَكْتُهُ
كَظُومٍ عَلَى غَيْظٍ يَضِيقُ بِهِ الْحَشَا فَلَسْتُ ، وَإِنْ آدَ^(٣) اصْطَبَارِي ، أَبْثُهُ
وَلَمْ أَرِثِ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ كَلَالَةً وَلَكِنَّهُ عَنِ مُرْشِدٍ^(٤) لِي إِرْثُهُ
عَنِ الْمُتَرَى أَخْلَافَ دَهْرٍ تَسَابَهَتْ أَطَايِبُهُ ، إِلَّا عَلَيْهِ ، وَغَثُّهُ
نَدَاهُ رُبَيْعٌ يُنْعَشُ النَّاسَ سَبِيهِ إِذَا أَخْلَفَ الْوَسْمَى جَادَ مُلْتُهُ^(٥)
يُضَاعِفُ دَاءَ الْحَاسِدِينَ كَالْهَلَّةِ عَلَى أَنَّهُ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ نَفْتُهُ

(١) الْأَوْدُ : الْإِتْقَالُ . وَيُقَالُ آدَى يَتُودُنِي : أَثْقَلَنِي .

(٢) التَّهْلَانُ : الزَّيَانُ .

(٣) الْوَعُوثُ : الشَّدَّةُ .

(٤) مُرْشِدٌ : جَدُّ أَسَامَةٍ .

(٥) مَرَى النَّاقَةِ : مَسَحَ ضَرْعَهَا ، نَسَى : اسْتَخْرَجَهُ . وَالْأَخْلَافُ : جَمْعُ خَلْفٍ وَهُوَ النَّاقَةُ كَالضَّرْعِ لِلشَّاةِ

(٦) الْإِلْتِ : دَوَامُ الْمَطَرِ وَالْبَدْيُ . وَأَلَتْ الْمَطَرُ : دَامَ أَيَّامًا لَا يَقْلَعُ . وَالْوَسْمَى : مَطَرُ الرَّبِيعِ الْأَوَّلِ .

(٢٢٧)

وكتب إلى أخيه عز الدولة :

يَا ثَانِيَا لِلنَّفْسِ ، وَهَوِّ لِنَاظِرِيٍّ أَعَزُّ نَالِثٍ
وَنَجَّى فِكْرِي دُونَ سَا نِرٍ مِنْ أَنَاجِيٍّ أَوْ أَحَادِثٍ
أَشْكُو فِرَاقَكَ ، فَهُوَ أَوْ جَعُّ مَالِقِيَّتٍ مِنَ الْحَوَادِثِ
شَكْوَى مَشُوقٍ يَسْتَرِيحُ إِلَيْكَ ، وَالْمَصْدُورُ نَافِثٍ
وَالْوَمُّ دَهْرًا جَدًّا فِي تَسْتِيثِ شَمْلِي ، وَهُوَ عَابِثٍ
لِئِي عُلِقْتُ مِنْ اضْطِبَا رَى عَنْكَ أَسْبَابًا رَثَائِثٍ ^(١)
عَاهِدَتُهُ إِلَّا تُضْعَ ضَعْفَهُ النَّوَى ، وَأَرَاهُ نَاكِثٍ
وَكَأَنَّ قَلْبِي حِينَ يَخْطُرُ ذِكْرُكُمْ فِي كَفِّ ضَابِثٍ ^(٢)
وَبَقَايَ بَعْدَ فِرَاقِكُمْ خُطْبٌ ، لِعَمْرَأَيْكَ ، كَارِثٍ

قافية الدال

(٢٢٨)

وكتب إلى أخيه بهاء الدولة :

يَا مَنْ هَوَاهُ عَلَى التَّنَا نِيِ وَالتَّدَانِي فِي ازْدِيَادِ
أَصْبَحْتُ مُغْتَرِبًا لِبُعْدِكَ ، بَيْنَ أَهْلِ فِي بِلَادِي
مُسْتَوْحِشًا مَعَ كَثْرَةِ الْخُلَّانِ وَخَشَّةِ ذِي انْفِرَادِ
وَأَقْلُ مَالَقِيَّتُ بَعْدَكَ مِنْ تَبَارِيحِ الْبِعَادِ
شَوْقِي إِلَيْكَ أَبَاحَ فَيَضُ مَدَامِعِي ، وَحَمَى رُقَادِي

(١) رث : بلى . (٢) ضبث به : قبض عليه بكفه .

(٢٢٩)

وكتب إلى أخيه عز الدولة :

أَسَاكَنَ قَلْبِي ، وَالْمَهَامَةُ بَيْنَنَا وَإِنْسَانَ عَيْنِي ، وَالْمَزَارُ بَعِيدُ
تُمَثِّلُكَ الْأَشْوَاقُ لِي كُلَّ لَيْلَةٍ فَهَمِّي جَدِيدٌ ، وَالنِّرَاقُ جَدِيدُ
وَمُعْظَمُ هَمِّي أَنَّ عُمْرَ فِرَاقِنَا مَدِيدٌ ، وَعُمْرِي ، لِلشَّقَاءِ ، مَدِيدُ
فِيَا حَضْرُ ، مَا الْخِنْسَاءُ مِثْلِي ، وَلَا نَهَى بَوَادِرَ دَمْعِي مَا قَضَاهُ لَيْدٌ^(١)

(٢٣٠)

وكتب إليه :

أَبَا حَسَنِ ، وَافِي كِتَابِكَ شَاهِرًا صَوَارِمَ عَنَبٍ ، كُلُّ صَفْحٍ لَهَا حَدُ
فَقَابَلْتُ بِالْعُتْبَى مَضِيضَ عَنَابِهِ وَلَمْ يَتَجَهَّمْهُ الْحِجَاجُ وَلَا الْجُدُ
وَأَعَجِبْنِي عَيْيَ لَدِيهِ ، وَلَمْ أَزَلْ إِذَا لَمْ تَكُنْ خَصِمِي لِي الْحُجُجُ^(٢) أَلَدُ
فِيَا حَبْدًا ذَنْبٌ إِلَى نَسَبَتِهِ وَمَا خَطَأٌ مِنِّي أَنَاهُ ، وَلَا عَمْدُ
وَلَوْ كَانَتْ مَا بُلَّغَتْهُ ، فَظَنَنْتَهُ لَكَفَرُهُ حَقُّ الْأُخُوَّةِ وَالْوُدُ
فَأَهْلًا بَعْتَبُ تَسْتَرِيحُ بَيْتَهُ وَيُؤْمِنُنِي أَنْ يَسْتَمِرَّ بِكَ الْحَقْدُ
لَقَدْ رَاقَ فِي قَلْبِي ، وَلَدَّ سَمَاعُهُ بِسَمْعِي "فَزِدْنِي مِنْ حَدِيثِكَ يَا سَعْدُ"

(٢٣١)

وقال :

أَلَا أُبَلِّغَا عَنِّي أَنَا سَاءَ صَحْبَتَهُم فَاحْظُوا عَهْدًا ، وَلَا رَاعُوا الْوُدَا
بَأْنِي ، وَإِنْ حَالَتْ بِي الْحَالُ ، لَمْ أَقُلْ لَهُمْ وَاصِفًا شَوْقًا ، وَلَا شَاكِيًا وَجَدًا .

(١) يشير إلى قول ليد لابنته :

إلى الحول ثم باسم السلام عليكما ومن بك حولا كاملا فقد اعتذر

(٢) عجز بيت لأبي فراس صدره ... سأسكت إجلالا لعلي أنه ...

خُذُوا بِزِمَامِي ، قَدْ رَجَعْتُ إِلَيْكُمْ رَجوعَ مُرِيدٍ ، لَا يَرَى مِنْكُمْ بُدًّا
وَلَكِنْ لِي الْأَعْوَاضُ فِي النَّاسِ مِنْكُمْ وَكُلُّ سَمَاءٍ مِنْ سَمَائِكُمْ أُنْدَى

قافية الراء

(٢٣٢)

وقال من قصيدة تقدم أولها^(١) :

أَحِبَابَنَا ، خَطْبُ التَّفَرُّقِ شَاغِلٌ
لَأَسْرَعَ مَا حُلِّمْتُ عَنِ الْعَهْدِ بَعْدَمَا
وَلَا عَجَبٌ ، أَنْتُمْ بَنُو الدَّهْرِ ، مِثْلُهُ :
كَأَنَّكُمْ الدُّنْيَا : تَمُدُّ رَجَاءَنَا
مَلِّتُمْ ، فَلِئِمْتُ نَحْوَ دَائِيَةِ النَّفَى
وَأَنَسَاكُمْ حَفْظَ الْعَهْدِ مَلَالُكُمْ
وَإِنِّي لَتَتَنَبَّأُ إِلَيْكُمْ خَفِيطِي
وَأَكْذِبُ رَأْيَ الْعَيْنِ فِيكُمْ ، وَإِنَّكُمْ
أَسَاهِلُ فِيمَا رَابَ مِنْكُمْ ، وَدُونَ مَا
لَهَجْتُمْ بِهِجْرِي ، وَالْدِّيَارُ قَرِيبَةٌ
وَأَغْضَى تَجَنُّبِكُمْ جُفُونِي عَلَى الْقَدَى

عَنِ الْعَتَبِ لَكِنْ جَاشَ بِالْكَدِّ الصَّدْرُ
تَصَرَّمُ فِي حَفْظِي وَدَادُكُمْ الْعُمُرُ
عُهِدْتُكُمْ غَدْرٌ ، وَوَدُّكُمْ خَتَرُ^(٢)
بُرْخَرُفَهَا ، وَالْمَوْتُ فِيهَا لَنَا قَصْرُ^(٣)
وَحُتْمٌ ، فَدَتُمْ بِالَّذِي شَرَعَ الْغَدْرُ
”كَمَا قَدْ تُنْسَى لَبَّ شَارِبِهَا الْخَمْرُ“
إِذَا مَا ثَنَاكُمْ عَنْ مُحَافَظَتِي الْغَمْرُ^(٤)
لَقَضُّونَ فِي هَجْرِي بِمَا خَيَّلَ النِّمْرُ
أُوْمَلُ : مِنْ إِنْصَافِكُمْ مَسَلَكٌ وَعَرُ
وَمَا قَرُبُ دَارِ حَالٍ مِنْ دُونِهَا الْهَجْرُ
إِلَى أَنْ تَقْضَى ذَلِكَ الزَّمَنُ النَّصْرُ

(١) انظر أول القصيدة ص ٧٢ .

(٢) الخمر : القدر والخلابة أو أقيع القدر .

(٣) قصر : غاية .

(٤) الغمر : من لم يجزب الأمور .

فلما تَفَرَّقْنَا أَتَانِي قَوَارِصُ بِهَا يَنْفُضُ الْأَحْلَاسَ ^(١) فِي السَّفَرِ السَّفَرُ
أَسْرَكْتُمْ أَنْ خِلْتُمْ الدَّهْرَ سَاءَنَا وَقَرَّتْ بِنَا ، لَا قَرَّتْ ، الْأَعْيُنُ الْخُزُرُ ^(٢)
وَجَاهَرُ بِالشَّحْنَاءِ قَوْمٌ عَهْدُهُمْ يَسُوءُهُمْ ، لَوْ لَمْ أَغِيبْ عَنْهُمْ ، الْجَهْرُ
وَأَصْغَيْتُمْ إِذْ لَمْ تَقُولُوا ، وَطَلَمَا تَعَرَّضَ فِي الْأَسْمَاعِ مِنْ ذِكْرِ الْوَقْرِ

(٢٣٣)

وقال ، وكتب بها في كُتَاب :

وَكُتِّبَ مِنْكَ فَاجَأْنِي كَبْشِيرٌ جَاءَ بِالظَّفَرِ
رَدَلِي شَرَحَ الشَّابَّ وَمَا غَالَتْ الْأَيَّامُ مِنْ عُمُرِي
ظَنَّهُ الرَّأْيُ مَكْتَابَةً وَهُوَ أَصْدَافٌ عَلَى دُرَرِ

(٢٣٤)

وقال :

يَا بَعِيدًا أَحَلَّهُ الشَّقُّ قَلْبِي وَنَاطِرِي
مَا نَأَى مَنْ خَيَالُهُ حَاضِرٌ فِي صَمَائِرِي
وَالْتَّنَائِي ، إِذَا صَفَا وَدُنَا ، غَيْرُ ضَائِرِ

(٢٣٥)

وكتبَ إِلَى أَخِيهِ بِهَاءِ الدَّوْلَةِ مِنَ الرِّزْمِ بِطَرِي ^(٣) :

يُكَاثِرُ مَاءَ الرِّزْمِ ^(٤) عِنْدَ ادِّكَارِكُمْ دُمُوعِي ، وَلَكِنْ ذَا بَرُودٍ ، وَذِي قَطْرٍ ^(٥)
وَلَوْ لَمْ أَعْرِهَا بَعْدَكُمْ كَلَّ مِنْ بَكِّي لِأَعْظَمِهَا عَنْ أَنْ يُكَاثِرَهَا الْقَطْرُ

(١) الحلس : كساء على ظهر البعير تحت البرذعة . (٢) الأعين الخضر : الضيقة ، كناية عن الأعداء .

(٣) لعله اسم موضع . (٤) الرزم : واد في أرض أرمينية فيه ماء كثير يصب في دجلة (ياقوت) .

(٥) القطر : الحاس الذائب .

(٢٣٦)

وكتب إلى شمس الدولة ابن أخيه :

أشمس الدولة ، اسمع بثَّ شوقي يضيق بمثله ذرعُ الصَّبور
لقد أوحشتُ دُنْيَا ، كُنتَ أُنْدَى بها ، وسَلَبَتِي رَغَدَ السُّرورِ
إذا ما الشَّمْسُ لم تَظْهَرْ بِأَرْضٍ فما طيبُ الحَيَاةِ بِغَيْرِ نُورِ
وإنْ أَصْبَحْتَ فِي خَلْدِي مُقِيًّا بِحَيْثُ يَجُولُ فِكْرِي مِنْ ضَمِيرِي
فَقُرْبُ الدَّارِ خَيْرٌ مِنْ بَعَادٍ ورُؤْيَا العَيْنِ أَشْفَى لِلصُّدُورِ

(٢٣٧)

وكتب إليه القاضي الرشيد أبو الحسين أحمد بن علي بن الزبير^(١) من مصر

كاتباً افتتحه بهذه الأبيات :

أَحْبَابَنَا ، مَا مِصْرُ بَعْدَكُمْ مِصْرُ وَلَكِنَّا قَفْرٌ ، إِلَيْكُمْ بِهَا فَقْرُ
وإنْ تَحُلْ يَوْمًا بُقْعَةً مِنْ شُخُوصِكُمْ فَلَمْ يَحُلْ يَوْمًا مِنْ مَوَدَّتِكُمْ صَدْرُ
وإنْ تُنَنِّتْكُمْ عَنَّا الْمَهَامَةُ وَالسَّرَى تُقَرِّبُكُمْ مِنَّا الْمَوَدَّةُ وَالذِّكْرُ
رَحَلْتُمْ ، فَعَادَ الدَّهْرُ لَيْلًا بِأَسْرِهِ وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا بِأَوْبَتِكُمْ بَحْرُ
تُرَى فَاضَ مَا أَلْقَى مِنَ الْهَمِّ وَالْأَسَى لِبَعْدِكُمْ ، فَاسْوَدَّ مِنْ صِبْغِهِ الدَّهْرُ
وَكَيْفَ أَلَوْمُ اللَّيْلِ إِنْ طَالَ بَعْدَكُمْ وَقَدْ غَابَ عَنِّي مِنْكُمُ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ

فكتب إليه جواباً عنها :

تَذَكَّرُهُ أَحْبَابُهُ الْإِنْجِمُ الزَّهْرُ فَيَا وَيَحَهِ مَاذَا بِهِ صَنَعَ الذِّكْرُ
هَمْ مِثْلُهَا : بُعْدًا ، وَنُورًا ، وَرَفْعَةً وَلَكِنْ لَهَا ، إِذْ شُبِّهَتْ بِهِمْ ، الْفَخْرُ

وقد كنت أشكو هجرهم في دنوهم فن لي لو دام التداني والهجر
سقى مصر جود الصالح الملك ، إنه هو الوابل المحي البرية لا القطر
ففيها كرام أسعروا بجوانحي ببغدهم جمرأ ، به يحرق الجمر
ومن عادتي الصبر الجميل ، وليس لي على بعدهم ، لادر در النوى ، صبر
إذا ما "أمين الدين" عن أذكاره ذهلت ، كأتى خامرت لي الجمر
يذكرنيہ الفاضلون ، وإن غدوا جداول إن قيسوا به ، وهو البحر
إذا حضر النادی فرضوى راحة وإن قال فالدر المنظم والسحر
ويعجني منه تدفق عليه وأعجب منه كيف يجمعه صدر
تناعت بنا الداران ، والأود مضقب^(١) فللقرب شطر ، والبعد له شطر
كأن الليلي إذ قضت بفراقنا قضى جورها أن ليس تجمعنا مصر
أحل بها إن غاب عنها ، وإن أغب يحل بها ، فاعجب لما صنع الدهر
فليت تلاقينا ، ولو بعض ساعة يُحم^(٢) وشيكا ، قبل أن ينفد العمر
لاحظي برؤياه ، وأشكر منه^(٣) وإن لم يقم عني بواجبه الشكر

(٢٣٨)

وكتب في صدر كتاب :

لأشكرن اهتماما منك يذكرني في البعد ، حتى كأتى مضقب الدار^(١)
بعدت عنه ، فأنكرت خلته^(٤) مع التاني ، وكم أنكرت من جار

(٢) حم الأمر بالضم : قضى .

(٤) الخلعة بالضم : الصداقة .

(١) أصقت دارهم : دنت .

(٣) المن : الإنعام .

(٢٣٩)

وكتب إلى أخيه بهاء التّولة :

أصبحتُ بعدك ياشقيق النَّفسِ في بحرٍ من الهمِّ المبرِّج زَاحِرٍ
متفرِّداً بالهمِّ ، مَنْ لى ساعةٍ بِرِفاقٍ شَعِيّاً ، أو عُلالةٍ دَاهِرٍ
دَاهِرُ : صاحبُ للوزير الكامل أبي القاسم بن المغربي (رحمه الله) الذي
يقول فيه :

كفى حزنًا أتى مقيمٌ ببلدةٍ يُعلِّني بعدَ الأحبةِ دَاهِرُ
يحدِّثني مما يُجمَعُ عقله أحاديثَ منها مستقيمٌ وجائرُ
وشعيّاً : صاحبُ للقاضي أبي المجد بن سليمان المعري (رحمه الله) الذي
يقول فيه :

لقد ولّى زمانٌ نحنُ فيه فسقيّاً للحكامِ به ورُعياً
إسارُ بين أتراكٍ ورومٍ وفقدُ أحبةٍ، ورفاقُ شعياً

قافية السين

(٢٤٠)

وقال ، وكتبها في كتاب :

كُتِّبِي ، ولولا أنْ يَأْسِيَ قد نهى اش
وبعدُ ، فعندي وحشةٌ لو تَقَسَّمتْ
نِياقي ، لَدَابَ الطُّرسُ من حَرِّ أَنْفَاسِي
على الخلقِ ، لم يَسْتَأْنِسِ النَّاسُ بالنَّاسِ

قافية العين

(٢٤١)

وكتب إلى أبيه :

مَالِي وَلِلْثَغَاءِ فِيمَا أُرْتَجِي مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ فِيَّ ، وَهُوَ شَفِيعِي
أَعَذَّتْ لِي مِنْ جُودِ كِفْلِكَ مَوْرِدِي فَصَفَا ، وَأَمْرِعَ مِنْ نَدَاكَ رَبِّيعِي
وَبِكَ اعْتَلَيْتُ ، وَطُلْتُ^(١) مِنْ سَامِيَتِهِ نَفْرًا بِجِدِّكَ لَا بِحُسْنِ صَنِيعِي
وَقَضَى بُبُعْدَى عَنْكَ دَهْرٌ جَائِرٌ وَإِلَى جَنَابِكَ ، إِنْ سَلِمْتُ ، رُجُوعِي

(٢٤٢)

وكتب في صدر كتاب إلى الوزير نظام الدين :

نِظَامَ الدِّينِ ، لَا سُقْيَا نَحْطِبُ رَمَانًا بِالثَّوَى بَعْدَ اجْتِمَاعِ
عَدَا حَتَّى عَلَى حُسْنِ اضْطِبَارِي وَضَنَّ عَلَى حَتَّى بِالْوَدَاعِ
فَمَا قَلْبِي لُسُلُوَانٍ مُطْبِعُ وَلَا السُّلُوَانُ عَنْكَ بِمُسْتَطَاعِ
وَلَوْ أَمَلْتُ أَنْ أَلْقَاكَ حَتَّى أَبُوكَ مُضْمَرِ الْقَلْبِ الشَّعَاعِ^(٢)
لَسَرَّنِي الْإِمَانِي أَوْ لَسَرَّنْتُ^(٣) جَوَى قَلْبِي ، لُبْعْدِكَ ، وَالتَّبَاعِي^(٤)

قافية الفاء

(٢٤٣)

وكتب إلى ولده مُرْهَف :

مُوَاصِّلِي كُتْبِي إِلَيْكَ تَزِيدُنِي إِلَيْكَ اِهْتِنَاقًا ، بَلْ عَلَيْكَ تَأْسُفًا
وَلِي أَسْوَةٌ فِي النَّاسِ لَوْ تَفَعَ الْأُمِّي فَمِنْ قَبْلِنَا يَعْقُوبُ فَارَقَ يُوسُفًا

(٢) قلب شعاع : تفزقت همه وآراؤه ، فلا تنجيه لأمر جزم .

(٤) الاتباع : الاحتراق من الهم .

(١) طلت : كنت أطول منه .

(٣) من سزى عنى الهم .

ولكن نفسي قد تملكها الأسي وقلبي ، إذا سكنته بالأسى هفا
وما أحسب الأيام تقنع باللوى ولا أن صرف الدهر بالفرقة اشتنى

(٢٤٤)

وقال ، من قصيدة تقدم أولها ^(١) :

وابترني رأى عز الدين ، مُستلباً من بعدما عني إحسانه وضمناً ^(٢)
أضافي عتبه هماً شجيت به أبان عن ناظري طيب الكرى ونفى
أنته عني أحاديث منخرقة ما إن بها عنه ، وهو الأملئ ، خفا
لكنها وافقت من قلبه ممللاً لم يسهن صحة الدعوى ، ولا كشفاً
وما الرضا ببعيد من خلائقه وهي السلافة رافت رقة وصفاً

ومنها :

يامن حوى قصبات السبق أجمعها فما يرى اثنان في تفضيله اختلفاً
أنفقت مذهب عمرى فى رضاك ، وما رأيت مُنقَ عُمرٍ واجداً حلفاً
لكنني اعتضت منه حسن رأيك لى قُلْتُ منه العلا والعز والشرفاً
حتى إذا أنا ما ثلث النجوم عللاً وقلت : قد نلت من أيامى الزلفاً ^(٣)
أريتني ، بعد بشر ، هجرة وقلبي وبعد برٍ ولطف ، قسوة وجفاً
فعدت صفر يد مما ظفرت به كأن ماثلته من كنى اختطفاً
هني ^(٤) أتيتُ بجهل ما قدفت به فأين حلبيك ^(٥) والفضل الذى عرفاً

(١) انظر أول القصيدة ص ٢٧ . (٢) الغفو: السوغ والكثرة . (٣) الزلف : جمع ذلقة وهي القرية .

(٤) هذا البيت وتالياه رواهما أسامة أيضاً فى باب الآداب ص ٣٨٠ .

(٥) رواية لباب الآداب (فأين فضلك والحم ...) .

ولاً ، ومن يعلم الأسرار حلفاً من
ما حدثتني نفسي عند خلوتها
لكنها شقوة حانت ، وأفضية
تداولتني أمور غير واحدة
وأقصدتني^(١) سهام الحاسدي على
وبعد مانالي ، إن جدت لي برضا
وذاك ظني ، فإن يصدق فانت لما
حاشاك تغدو ظنوني فيك محففة
وجئت من زماني حسن رأيك لي
ألفت منك حبرا منذ كنت ، وقد
وغير مستنكر منك الحنو على
فعد لأحسن ما عودت من حسن
واسلم لنا ثالثا للتبرين علا
أيامنا بك أعياد بأجمعها

ير فيما أتى ، إن قال ، أو حلفا
بما تعفني فيه إذا انكشف
حبتي الهم مذ عامين والأسفا
لو حمل الطود أدنى ثقلها نسفا
فوزي بقربك حتى قرطسوا^(٢) الهدفا
فقد غفرت لدهري كل ما سلفا
رجوت أهل ، وإن يحقق فوا أسفا
أو ينثني أمني باليأس منصرفا
أكرم بها جنة ، لا البيض والزغفا^(٣)
فقدته ، وشديد فقد ما ألفا
مثلي ، ولو زاع يوما ضلة ، وهفا
يامن إذا جاد وفي ، أو أذم^(٤) وفي
وزد إذا نقصا ، واشرف إذا كسفا
قدم لنا ما دجا ليل ، وما عكفا

(٢٤٥)

وكتب إلى أبيه من قصيدة تقدم أولها^(٥) :

لكنني أشكو قوارص من تلقائهم ، قلبي لها يحف
وملاة منهم بيبين على أثنائها الشتان والشنف^(٦)

(١) أقصد السهم : أصاب ، فقتل مكانه . (٢) قرطس ، أصاب القرطاس ، وهو كل آدم ينصب للضال .

(٣) الزغف : الدرع اللينة الواسعة المحكمة ، أو الرقيقة الحسة السلاسل .

(٤) أذم له عليه : أخذه للذمة ، وفلانا : أجاره .

(٥) انظر القصيدة من ٢٩ وأولها : (باحت برك آدم تكف) .

(٦) الشنف بالتحريك : البفض والتسكر . والشتان : البفض .

أَنْكَرْتُ قَسَوْنَهُمْ ، وَأَعْرَفُهُمْ كُرَمَاءَ ، إِمَّا اسْتَعْطَفُوا عَطَفُوا
 قَطَعُوا أَوَاصِرَ بَيْنَنَا وَشَجَتْ أَسْبَابُهَا الْأَنْسَابُ وَالسَّلَفُ
 وَإِذَا سَلِمْتَ ، أبا سَلَامَةَ ، لِي فُصَابُ كُلِّ رِزِيَّةٍ ظَلَفُ ^(١)
 لِي سَلَوَةٌ بِكَ عَنْ بَنِي زَمَنِي فُلِيحُهُدُّرُوا فِي الْغَدْرِ ، أَوْ لِيُقُوا
 قَارَعَتْ دُونِي الْحَادِثَاتِ ، فَلَا طَرَقَتْ فَنَاءَكَ ، مَادَجَا السَّدَفُ ^(٢)
 وَكَفَيْتَ آمَالِي بِجُودِكَ أَنْ تُضْحِي إِلَى الرَّغَبَاتِ تَشْتَرُفُ ^(٣)
 فَعَدَوْتُ لَا خَطْبًا أَخَافُ ، وَلَا أَنَا لِأَثَرِ شَيْءٍ فَانَتْ أَسْفُ

قافية القاف

(٢٤٦)

وقال ، يخاطب والده من قصيدة تقدم أولها ^(٤) :

يَا بَنِ الْأُلَى جَمَعَ الْفَخَارَ لِبَيْتِهِمْ مَا شَتَّوْهُ مِنَ الْعَطَاءِ ، وَفَرَّقُوا
 وَتَمَلَّكُوا رَقَّ الْأَكْرَامِ بِالَّذِي فَكُّوا بِهِ رَقَّ الْعُنَاةِ ^(٥) ، وَأَطْلَقُوا
 أَشْكُو إِلَى عَلَيْكَ هَمًّا ضَاقَ عَنْ كِتْمَانِهِ صَدْرِي ، وَمَا هُوَ ضَيِّقُ
 وَطَوَارِقًا لِلْهِمِّ . أَقْرَبُهَا الْكَرَى ^(٦) وَتَلَطَّ ^(٧) بِي صُبْحًا ، فَمَا تَتَفَرَّقُ
 لَوْ لَمْ أَمِنْ النَّفْسَ أَنَّكَ كَاشَفُ كُرْبَاتِهَا عَنْهَا لَكَادَتْ تَزْهَقُ
 أَنَا عَائِدٌ بِكَ مِنْ عُقُوقِي مُحْبِطُ عَمَلِي ، فَعَصِيَانِي لِأَمْرِكَ مُوَبِّقُ ^(٨)

(٢) السدف : الظلمة .

(١) الظلف : كل مین .

(٤) انظر ص ٨٧ .

(٣) تشترف : تتطلع .

(٦) أى أى أجل النوم قراها .

(٥) العناة : جمع عان ، وهو الأسير .

(٧) لظ بالمكان والظ به والظ عليه : أقام وألح . والإلفاظ : لزوم الشيء . والمنابرة عليه .

(٨) أروقه : أهلكه .

لا تَلْزِمَنِي بِالْهَوَايِبِ وَحَمَلِهِ
دَعْنِي وَقَطِّعِ الْأَرْضِ دُونَ مَعَاهِرِ
تَغْلِي عَلَى صُدُورِهِمْ ، مِنْ غَيْظِهِمْ
تَعَشَّى إِذَا نَظَرُوا إِلَى عُيُونِهِمْ
كَسَدَتْ عَلَى بَصَائِعِي فِيهِمْ ، فَلَا
أَعْيَا عَلَى رِضَاهُمْ ، فَيَلْتَسْتُ مِنْ
إِنْ أَغْشَاهُمْ ، قَالُوا : خُلُوبٌ ^(٤) ، مَا ذِقُ ^(٥)
قَدْ أَفْسَدُوا عَيْشِي عَلَى ، وَعَيْشَهُمْ
فَاسْمَحْ بِبُعْدِي عَنْهُمْ بِرِضَاكَ لِي
فَلَعَلَّ بَعْضَ الْعُمَرِ ، وَهُوَ أَقْلُهُ
وَعَسَى قُلُوبٌ أَعْضَلَتْ أَدْوَاهُهَا
فَضُلُّ الْأَقَارِبِ بِرَّهِمْ وَخَوْفِهِمْ
أَتَظَنِّي أَرْجُو عَوَاطِفَ وَدَّهِمْ
بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ هِنَاتٌ فِي الْحَشَا
لَا تَغْتَرِّزْ بِرَجَائِهِمْ أَنْ يُحْسِنُوا
خُذْ مَا تَرَاهُ ، وَدَعْ أَحَادِيثَ الْمُنَى
وَأَغْثْ ، فَإِنَّ السَّيْلَ قَدْ بَلَغَ الزَّبْيَ ^(٨)

إِنَّ احْتِمَالَ الْهُونِ ^(١) ثَقُلُ مَرِهَقُ
كُلُّ عَلَى لَغِيرِ جُرِمٍ مُحَقِّقُ ^(٢)
فَتَكَادُ مِنْ غَيْظٍ عَلَى تَحَرُّقُ
حَتَّى كَانَ الشَّمْسُ دُونِي تُشْرِقُ
أَدْبَى ، وَلَا نَسَى ، عَلَيْهِمْ يَنْفَقُ ^(٣)
إِدْرَاكِه ، مَا النَّجْمُ شَيْءٌ يُلْحَقُ
أَوْ أَجْفُهُمْ ، قَالُوا : عَدُوٌّ أَزْرُقُ
فَأَنَا الشَّقِيُّ بِهِمْ ، وَبِي أَيْضًا شَقُوا
إِنَّ الَّذِي تَرْضَى عَلَيْهِ مُوَفَّقُ ^(٤)
أَلَّا يُكَدَّرَ بِالْمُحُومِ ، وَيُمَذَّقُ ^(٥)
فِي قُرْبِنَا بَعْدَ التَّفَرُّقِ تُفَرِّقُ ^(٦)
فَإِذَا جَفَوْنِي فَلَا بَاعِدُ أَرْفَقُ
إِنِّي إِذَا عَيْدُ الْمُطَامِعِ ، أَنْزِقُ
مِنْهَا نُدُوبٌ ^(٧) ، مَا بَقِيَتْ وَمَا بَقُوا
كَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ رَجَاءٍ يُخْفَقُ
إِنَّ الْأَمَانِي فِيهِمْ لَا تَصْدُقُ
حَقًّا ، وَأَدْرِكُنِي قُبَيْلَ أَثَرِ

(١) الهوان : الهوان . (٢) الحق : الغيظ . (٣) ثق : راج .
(٤) طلبه كصهره طلبا وعلابا وعلابة بكسر الأخيرين : خدعه . (٥) مذق الود : لم يخلصه .
(٦) أفرق من مرضه : برى . (٧) ندوب : جمع ندبة ، وهي أثر الجرح الباقي على الجلد .
(٨) الزبي : جمع زبية وهي الزاوية .

(٢٤٧)

وكتب إليه من قصيدة تقدم أولها ^(١) :

إيها ، بحمقك مجد الدين تعلم أن الصبر عنك أو السلوان من خلقى
أو أنني بعد بعدى عنك مفتط بالعيش ، إني به ، لا تكذب ، شقى
ياويح قلبي من شوق ، يقلقله إلى لقاءك ماذا من نواك لقي
وناظر قرحت أجنانه أسفا عليك في لحظة من دمه غرق
وبعد ما ، فإشفاقي يهددني بشوب رأيك بالتكدير والرتي
وأن قلبك قد رأت عليه من — وأشين بي جفوة ، يهائم ، كالغسق ^(٢)
ونافسوني في حسنى ظنونك بي حتى غدوت وسوء الشك في نسق
بهم تباريح أشواق إليك ، وما أجن : من زفرا ت بالحوى نطق
أما كفاهم نوى دارى ، وبعدك عن عني ، وفرقة إخوان الصبا الصديق
وأنتى كل يوم قطب معركة دريئة السمر والهندية الذئق ^(٣)
أغشى الوغى مفردا من أسرتى ، وهم هم إذا الخيل خاضت لحظة العلق ^(٤)
هم المحامون ، والأشمال مسلمة والملتقون الودى بالأوجه الطلق
وموضى منك لا تسمو الوشاة له ولا يغيره كيسي ^(٥) ولا حمقى
ولمّا قاله جاءت ، فضاقت لها صدرى ، ولو غيرك المعنى لم يضق
كذبها ، ثم ناجتني الظنون بأن الدهر ليس بمأمون ، فلا تنق

(١) انظر ما سبق ص ٨٩

(٢) اليهائم : الغلاة لا يتدى فيها . والأهيم : من لا عقل له ولا فهم . والنسق : ظلة أول الليل . وران

مل قلبه : غلب .

(٣) الدريئة الخلقة يتنم الطعن والرى عليها . والسمر : الرماح . والهندية : السيوف . والذئق : الحادة .

(٤) العلق : الدم .

(٥) الكيس : العقل .

كم قد أغص بما^(١) تمرى مذاقته ونقص البارد السلسال بالشرق
توقع الخوف من أنت آمنه قد تنكأ الكلم كف الآسي الرفق
فقلت : مالي وكنتي ما تخالحنى فيه الظنون كفعل المغضب الملق^(٢)
أدعولابي صدى صوتى وموضع شك - وای وحامل ثقلی حيث لم أطق
فإن يكن ما نمتى زوراً ، وأحسبه فعنده العفو عن ذى الهفوة العقى^(٣)
وإن يكن ، وأحاشى إجمده ، تلجت عتبه حرّ حشاً بالهمّ محترق
هو الأبى الذى تخشى بواذره ويرتجى عفوهُ فى سورة الحنق
عتبه تلقى ذنوبى قبل معذرتى وماء وجهى مصونٌ فيه لم يرق
لا غيرت رأيه الأيام فى ، ولا نالت مكافئ منه لقعة^(٤) الحدق

(٢٤٨)

وقال^(٥) :

أحبابنا ، هلا سبقتم بوصلنا صروف اللبالي قبل أن نتفرقا
تساغلتُم بالهجر ، والوصلُ ممكُنٌ وليس إلينا فى الحوادث^(٦) مررتى
كأنّا أخذنا من صروف زماننا أماناً ، ومن جورِ الحوادث^(٧) موثقاً

(٢) الملق : الضيف .

(١) مرى الطام فهو مرى : هنى .

(٤) لقع فلانا بعينه أصابه بها .

(٣) الملق : الملق .

(٥) هذه القطعة مما يروى لأسامه فى خريدة القصر ١ : ١٠٣ ، ومعجم الأدباء ٥ : ٢٠٥ .

(٦) فى الخريدة ومعجم الأدباء (للحوادث) .

(٧) هذه رواية المصنوعين السابقين وفى الأصل " اللبالي " وبما أثبتنا يستقيم الوزن .

(٢٤٩)

وكتب إلى أخيه عز الدولة :

بَعُدْتُ مَسَافَةً بَيْنَنَا ، وَتَوَحَّشْتُ حَتَّى عَلَى طَيْفِ الْخِيَالِ الطَّارِقِ
وَيُسْتُ مِنْ أَنْ نَلْتَقِ ، لَكِنِّي أَلْقَى تَذَكُّرَكُمْ بِقَلْبِ خَافِقِ
وَأُغِيضُ الْعِبْرَاتِ ، وَهِيَ فَرَانْدُ مِنْ لَوْلُو ، فَتَفِيضُ سَطِّ عَقَائِقِ

(٢٥٠)

وكتب إليه :

أَبَا حَسَنِ ، لَوْلَا التَّعَلُّلُ بِالْمُنَى قَضَى كَدًّا قَلْبٌ إِلَيْكَ مَشُوقُ
إِذَا مَا اعْتَرَتْهُ ذُكْرَةُ مِنْكَ خَلَّتْهُ جَنَاحًا وَهِيَ عَظَاهُ ، فَهُوَ خَفُوقُ
يَزِيدُ اشْتِيَاقًا كُلَّمَا زَادَ يَأْسُهُ فَيَا عَجَبًا لِلْيَاسِ كَيْفَ يَسُوقُ
وَمَا سَاءَ نِيَّ أُنِي لِبَعْدِكَ جَارِعُ لِأَنَّ جَمِيلَ الصَّبْرِ عَنْكَ عُقُوقُ

(٢٥١)

وكتب إلى أبيه :

لَا تُفْسِدَنَّ نَصِيحَتِي بِشِقَاقِ وَأُبَيْكَ مَا السَّلْوَانُ مِنْ أَخْلَاقِ
حَظَرَ الْوَفَاءَ عَلَى أَنْ أَسْلُو ، فَلَا فَكَّ السَّلْوُ مِنْ الْغَرَامِ وَثَاقِ
لَا تَرْجُونَ لِي الشِّفَاءَ مِنَ الْجَوَى وَالْيَاسُ كُلُّ الْيَاسِ مِنْ إِفْرَاقِ^(١)
كَيْفَ الْإِفَاقَةُ لِلدَّبِغِ أُنْحَى الْهَوَى مِنْ دَانِهِ ، وَالسُّمُّ فِي الدَّرِيَّاقِ^(٢)
سُقْمُ الْجَفُونِ سَقَامُهُ ، وَشِفَاؤُهُ فِيهَا ، فَهِيَ الدَّاءُ ، وَهِيَ الرَّاقِ

(٢) الدرياق : الترياق .

(١) أفرق المريض والمحموم : برئ .

وأغن^(١) راعني النوى بفراقه
أخلو بأفكارى ، لتدنى شخصه
وأكرر التسأل عنه لجاهل
فإذا تسامح لى الزمان بقربه
بأنثته وجدى ، وقلت : يرق لى
ويلومنى فيه رفيق يدعى
إيهاً ، كلانا يشكى حرّ الهوى
أنت استنضأت بناره متبصراً
أتلومنى بعد الهبوب من الكرى
لأدر درك ، سوف يفردك الهوى
أسلمتني للوجد ، إن أرضاك أن
إن جرت عن نهج الكرام فرشد^(٢)
فاعمد لمجد الدين ، تلق المجد ما
فإذا وصلت إلى أغرّ محجّب
فاربّع بربح لا يزال تزيله
وابلغ نعمة نازح قدفت به
قد كان بالشأى يعرف برهة
أنضى الوجيف^(٣) ركا به وجياده

ولكم جُعت ، ولا كذاً ، بفراق
خدع المني من قلبى الخفاق
علمى ، وتلك علالة المشتاق
من بعد بينى فرقة وشقاق
فأجابنى بالصمت والإطراق
نصيحى ، أضاع النصيح حق رفاق
لكن جهلت تباين العشاق
وأنا صليت بجمره المحراق
وحشاك مثلوج ، ودمعك راق
منى ، فلا تتعجلن فراقى
أضنى ، فكل رضى أنك باقى
لك مرشد بكمكارم الأخلاق
لاقيته ، أكرم به من لاقى
مخلوقة كفاء ، للإتفاق
حسن الشاء ، وخشية الخلاق
أيدى النوى فى أسحق الآفاق
من دهره ، والآن فهو عراقى
فكأنهن قلاند الأعناق

(٢) جد أسامة .

(١) غنى أغن : يخرج صوته من خياشيه .

(٣) الوجيف : ضرب من سير الخيل والإبل .

وهو الجليدُ على حُطوب زمانِه لا يَشْتَكِي منها سِوَى الأَشواقِ
يَنْزُو لَذِكْرِ أَبِي سَلَامَةَ قَلْبُهُ فَيَكَادُ يَمْرُقُ مِنْ حَشَا وَصْفَاقٍ^(١)
واهْتِفَ به : يا خَيْرَ مَنْ أَرْجُوهُ إِلَّا — الأَوَاءُ^(٢) أو أدْعُوهُ يَوْمَ تَلَاقِ
بِي لَوْعَتَانِ عَلَيْكَ يَضْعُفُ عَنْهُمَا جَلَدِي : مِنَ الأَشْوَاقِ وَالْإِشْفَاقِ
فَالشَّوْقُ أَنْتَ بِهِ الْعَلِيمُ ، وَغَالِبُ الْإِ شْفَاقٍ مِمَّا أَنْتَ فِي مُلَاقٍ
وَإِذَا أَخْطَأْتُكَ الْحَادِثَاتُ ، فَكُلُّ مَا أَلْقَاهُ مَحْمُولٌ عَلَى الْأَحْدَاقِ
فَأَجَابَهُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، بِقَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

أَتَظُنُّ أَنِّي بَعْدَ بُعْدِكَ بَاقٍ أَجْرِي عَنِ الأَشْوَاقِ بِالأَشْوَاقِ
يَقُولُ فِيهَا :

أَبَا المَظَنَّرِ دَعْوَةٌ تَشْفِي الظَّمَا مِنِّي ، وَإِنْ أَضْحَى بِهَا لِإِحْرَاقِ
لَمْ أَسْتَكِنْ أَبَدًا لِحَطْبٍ نَازِلٍ إِلَّا لِبُعْدِكَ ، فَهُوَ غَيْرُ مُطَاقٍ
فَإِذَا أَطَعْتُ الْوَجْدَ فِيكَ أَطَاعَنِي قَلْبِي ، وَيُبْدِي ، إِنْ عَصَيْتُ ، شِقَاقِي
فَإِذَا ذَكَرْتُكَ خِلْتُ أَنِّي شَارِبٌ نِمْلٌ ، سَقَاهُ مِنَ المُدَامَةِ سَاقٍ
قَالَ : وَوَقَفَ مُؤَدِّبُ الشَّيْخِ الحَالِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ المَعْرُوفِ
بِابْنِ المُنِيرَةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، عَلَى الْقَصِيدَةِ ، فَأَجَابَنِي عَنْهَا بِقَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

يَا رَاكِبَ الشَّدْنِيَّةِ^(٣) الْغَيْدَاقِ^(٤) وَمُتَابِعَ الرِّمْلَانِ^(٥) بِالْإِعْنَاقِ
فِي فَنِيَّةٍ وَصَلُّوا الْبَرَى حَتَّى انْبَرَتْ أَجْسَامُهُمْ أَخْفَى مِنَ الأَرْمَاقِ

(١) الصفاق (كتاب) : الجلد الأسفل تحت الجلد الذي عليه الشعر ، أو ما بين الجلد والمصران ، أو جلد البطن كله .

(٢) الأواء : الشدة . (٣) الشدنيات محركة من الإبل منسوبة إلى موضع باليمن أو غفل .

(٤) الغيداق : الطويل .

(٥) زمل يزل (بضم الميم وكسرهما) : عدا معتمداً في أحد شقيه رافعا جنبه الآخر . والإعناق : الإمراع .

من كل مهتز بكف نعاسه هز الوليد ثنائة المخراق^(١)
 وضع الثعاس على الأكف خدودهم فكأنهم خلقوا بلا أعناق
 إماً بلغم سالمين ، فبلغوا أوفى تحية مشيم لعراق
 وتوسموا ذاك الحياء ، وامترؤا تلك البنان مفاتيح الأرزاق
 من آل منقذ الذين يرأصهم ملأى من الزوار والطراق
 اللابسين من المكارم جنة ما للعاب غيرها من واق
 يتهللون لدى النوال ، وفي الوغى يسطون بالإرعاد والإبراق
 يأبها المولى الذى بعباده عنى ، قربت من الردى المعتاق
 لى أنه الشاكي الشجى لما به إماً ذكرت ، ولوعة المشتاق
 وإذا الجفون نظرن بعدك زهه عاقبتن بدمعى المهرق
 لا تطلبن منى المسرة؛ إنها عذراء ، قد متعتها بطلاق
 أما أبوك فداؤه مستحکم ما إن له بسواك من إفراق^(٢)
 كيف السلو له ، وأنى صبره عن مصطفى بمكارم الأخلاق
 ذو مهجة تنزو إليك ، ومقلة تبكى عليك إليك بالأسواق
 لما علمت بعجزه عن نظم ما ينهى إليك ، وذاك باستحقاق
 أجريت طرفى فى سباقك دونه وعهدته أبداً من السباق !
 وبذلت جهدى بالنيابة عنه بالانزاع القليل من الكثير الباقي
 جرياً على شغنى بكم ، ومحبتى لكم وحفظ العهد والميثاق

(١) المخراق : المندبل يلف لضرب به . والثانية حبل من صوف أو شعر أو غيره .

(٢) أفرق : بى .

(٢٥٢)

وكتب إلى أخيه عز الدولة ، رحمه الله :

قد كنتُ أحسبُ أن آ مد^(١) مُتَهَيَّ أمد الفراق
وَأَسْكُنُ الْقَلْبَ الْخَفُو قَ إِلَيْكُمْ بِمَنَى التَّلَاقِ
وَأَقُولُ : قد رَقَّ الرِّمَا نُ لِبَرْجِ وَجْدِي وَاشْتِيَاقِ
وَإِذَا بِهِ مُسْتَصْفَرٌ مَا قَدْ لَقِيتُ ، وَمَا أَلَاقِ
يَقْضَى بِتَشْيِيتِي وَإِ جَاءَ اللَّقَاءُ إِلَى التَّلَاقِ^(٢)

(٢٥٣)

وكتب إلى الأمير السيد ضياء الدين ، أبي عبد الله ، زيد بن محمد بن محمد
ابن عبيد الله الحسيني ، نقيب الطالبين بالموصل :

ضياء الدين ، ما شوقُ دَعَانِي فَاسْمَعْنِي بِمَصْرَ مِنَ الْعِرَاقِ
بِمَحْدُودٍ ، فَأَشْرَحُهُ ، وَلَا فِي قُوَى الْأَقْلَامِ تَسْطِيرُ اشْتِيَاقِ
وَلَكِنِّي سَارِجُهُ ، وَأَرْجُو مُشَافَهَتِي بِهِ عِنْدَ التَّلَاقِ
إِذَا مَا كُنْتُ جَارَكَ ذَا اشْتِيَاقِ إِلَيْكَ فَكَيْفَ بِي بَعْدَ الْفِرَاقِ
وَلِي شَكْوَى مِنَ الْأَيَّامِ أَضَحَّتْ لَهَا نَفْسِي تَرَدَّدُ فِي التَّرَاقِ^(٣)
أَكَلْتُ مِنْ أَذَاهَا فَوْقَ وَسْمِي وَأَحْمِلُ كَارَهَا غَيْرَ الْمُطَاقِ
وَيُلْزِمُنِي الْإِبَاءُ الصَّبْرَ فِيمَا يَنْوَبُ ، وَطَعْمُهُ مَرُّ الْمَذَاقِ
وَمَغْفُورٌ لَهَا ، إِنْ أَسْعَفَتْنِي بِقُرْبِكَ ، مَا لَقِيتُ ، وَمَا أَلَاقِ

• (١) آمد : أعظم مدن ديار بكر ، وأجلها قدرا ، وأشهرها ذكرا . (باغوت) .

• (٢) يريد يوم التلاقي : يوم القيامة .

• (٣) التراق : جمع ترقوة : مقدم الحلق في أعلى الصدر ، حيثما يترقى فيه النفس .

وكتب إليه الملك الصالح رحمه الله هذه القصيدة بخط يده^(١) :

أيها المستنقذ^(٢) ، أنت على البُعْدِ صديقٌ لنا ، ونعم الصديق
ليس فيما تأتيه من برِّ أفعاك لك للطالب الحقوق عُقوقُ
فلهذا نرى مُواصلةَ الكُتُبِ تباعاً إليك مما يليقُ
ونُناجيك بالمهمات إذ أنت بالقاءها إليك خَلِيقُ
وأهمُّ الأمور^(٣) أمرُ جهادِ الكُفْرِ ، فاسمع ، فعندنا التَّحْقِيقُ
وَأَصْلَتْهُمْ مِنْ السَّرَايَا^(٤) فَأَشْجَا هُمُ^(٥) بِكُورٍ مَنَّا لَهُمْ ، وَطُرُوقُ
وَأَبَاحَتْ دِيَارَهُمْ ، فَأَبَادَ الْقَوْمَ قَتْلٌ مَلَاظِمٌ وَحَرِيقُ
وَانْتَظَرْنَا بَرْخَمْنَا بَرءَ نُورِ السِّدِّينِ عَلَمًا مَنَّا بَأَن سَيْفِي
وَهُوَ الْآنَ فِي أَمَانٍ مِنَ اللَّهِ ، وَمَا يَعْتَرِيهِ أَمْرٌ يَعُوقُ
مَا لِهَذَا الْمُهِمِّ مِثْلُكَ ، مَجْدُ السِّدِّينِ ، فَانْهَضْ بِهِ فَأَنْتَ حَقِيقُ
قُلْ لَهُ ، لِأَعْدَائِهِ ، رَأْيٌ وَلَا زَا لَ لَدَيْهِ لِكُلِّ خَيْرٍ طَرِيقُ :
أَنْتَ فِي حَسْمِ دَاءِ طَاغِيَةِ الْكُفَّارِ ذَاكَ الْمَرْجُوِّ وَالْمَرْمُوقِ
فَاغْتَمِ بِالْجِهَادِ أَجْرَكَ ، كَيْ تُلْفِيَ رَفِيقًا لَهُ ، وَنَعْمَ الرَّفِيقُ

(٢٥٤)

فأجابه بهذه القصيدة :

كَمْ إِلَى كَمْ يُلْحَى^(٦) الْحَبُّ الْمَشُوقُ وَهُوَ مِنْ سَكْرَةِ الْهَوَى لَا يُفِيقُ
مَحْمُولُهُ ، وَهُوَ الضَّعِيفُ مِنَ التَّعْنِيفِ فِيهِمْ وَاللَّوْمِ مَا لَا يُطِيقُ
شَجْعَوْهُ عَلَى الْقَطِيعَةِ ، وَالصَّصَبُ مِنَ الصَّدِّ وَالْفِرَاقِ فَرُوقُ^(٧)

(١) النص في الروضتين أيضا : ١١٦ . نسبة إلى منقذ : أحد آباء أسامة . وفي الروضتين : المنقذ .

(٢) في الروضتين : المهم . (٤) السرايا : جمع سرية . وهي الطائفة من الجيش .

(٥) أشجاء : أجزته . (٦) يلحى : يلام . (٧) فرق كفرح : فرع .

وَلَحَوْهُ مِنْ سَاحِلِ الْبَحْرِ ، وَالْمَسْكِينُ فِي بُلْجَةِ الْفَرَامِ غَرِيقُ
وَالسَّقِيمُ الْعَانِي يُعَانِي مِنَ الْأَوْ صَابٍ ^(١) مَا لَا عَانِي الْمَعَانِي الطَّلِيْقُ
يَا عُدُوْلِي ، إِلَيْكَ عَنِّي ، فَا أَنْتَ ، كَمَا تَدْعَى ، الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ
لَيْسَ لِلصَّبِّ مِنْ تَبَارِيحٍ مَا يَلْسَقِي مُعِينٌ ، وَلَا رَفِيقٌ رَفِيقُ
لَأَمَّا الْحُبُّ كَالْقِيَامَةِ : مَا فِيهِ حَيْمٌ ، وَلَا شَقِيقٌ شَفِيقُ
وَأَخُو الْوَجْدِ مَا إِلَى قَلْبِهِ الْمَهْجُوبُ بِالْحُبِّ لِلْسُلُوْ طَرِيقُ
خَانَهُ الْأَصْفِيَاءُ حَتَّى التَّأْتِي وَجْهَهُ حَتَّى الْخِيَالُ الطَّرُوقُ
وَإِذَا نَهَنَهُ الدُّمُوعُ اسْتَجَمَّتْ ^(٢) وَهَمَّتْ ، وَهِيَ لَوْلُوْ وَعَقِيقُ ^(٣)

(٢٥٥)

وَكُتِبَ إِلَى الْوَزِيرِ نَظَامُ الدِّينِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ :
نَظَامَ الدِّينِ كَمْ فَارَقْتُ خِلَاءَ وَكَمْ صَلَيْتُ حَشَايَ لَفَى اسْتِيَانِ ^(١)
فَلَمْ أَجْزَعْ لِفَجَائَاتِ النَّسَانِي وَلَمْ أَفْرَقْ لِرُوعَاتِ الْفِرَاقِ
وَهَآنَذَا لِيُعْسِدَكَ أَلْفَ هَمٍّ تَقْيِضُ لَهُ النَّفْسُ مِنَ الْمَاتِي
أُمْنِي قَلْبِي الْخِلْفَاقَ شَوْقًا إِلَيْكَ بِقُرْبِ أَيَّامِ التَّلَاقِ

(٢٥٦)

وَكُتِبَ إِلَى شَمْسِ الدَّوْلَةِ ابْنِ أَخِيهِ .:
أَبَا الْحَارِثِ ، أَسْلَمَ مِنْ حَوَادِثِ دَهْرِنَا
أَذْمُ إِلَيْكَ الْبَسِينِ ، إِنَّ وَشِيكَهَ ^(١)
وَأَضَلَّتْ شَمْسِي ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ نَاشِدًا
أَرْوَحُ وَأَعْدُو فِي هُمُومٍ تَعُودُنِي
وَمِنْ حَرِّ أَنْفَاسِ الْمَشُوقِ الْمُفَارِقِ
رَمَى كُلَّ عَظِيمٍ مِنْ عِظَامِي بِعَارِقِ ^(٢)
لَهَا ، وَهِيَ فِي غَرْبٍ ، بِأَرْضِ الْمَشَارِقِ
فِيَا لِي مِنْ هَمِّينِ : غَادٍ ، وَطَارِقِ

(٢) جَمَّ وَاسْتَجَمَّ : كَثُرَ وَاجْتَمَعَ .
(٤) مَلَى النَّارَ : قَامِيَ حَرَهَا . وَاللَّظَى : النَّارُ أَوْ لَهَبُهَا .
(٦) عَرَقَ الْعَظْمَ عَرَقًا : أَكَلَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ .

(١) الْوَصْبُ : الْمَرْضُ .
(٣) بَاقِي الْقَصِيدَةِ مِنْ ١٨٨ .
(٥) وَشِيكَ : مَرِيْعٌ .

قافية اللام

(٢٥٧)

وقال ، وكتب بها إلى أخيه عز الدولة :

| | |
|--|---|
| أبا حَسَنَ ، قَدَرَانُ ^(١) ، بعدِ بَعَادِكُمْ | على القلبِ ، هُمُ ، ما أراه يزولُ |
| أَعْلَلُ نَفْسِي أَنْتَى سَأْبَهُ | إذا ما التَّقِينَا ، والرَّجَاءُ مَطُولُ ^(٢) |
| إذا قُلْتُ : في أعقابِ ذَا العَامِ نَلْتَقِي | تَمَادَى ، وأَيَّامُ الهُمُومِ تَطُولُ |
| وأَقْتُلُ أَذْوَاني بِعَادُ أَحِبَّتِي | وداءُ التَّنَانِي ، ما عِلْتِ ، قَتُولُ |
| وقد ساءَني أَنْ اللَّيَالِي غَيَّرَتْ | أَخْلَايَ ، حَتَّى ما يَدُومُ خَلِيلُ |
| وجفوةُ "مُجِدِّ الدِّينِ" أَعْدَلُ شَاهِدُ | على أَنْ أهْواءَ القلوبِ تَحُولُ ^(٣) |
| أَسَاءَ التَّنَانِي ظَنَّهُ بِي ، ولِمَ تَنِي | لأَعْهَدُهُ في القَرَبِ ، وهو جَمِيلُ |
| جَفَانِي زَمَانًا لا مَلَالًا ، وإِثْمًا | نَهْتَهُ حُزُونُ بَيْنَتَنَا ^(٤) وَسُهُولُ |
| مُفَاوِزُ لا يَسْطِيعُ قَطْعَ فِجَاجِهَا ^(٥) | رَسُولُ ، ولو أَنَّ الخِيَالَ رَسُولُ |
| ولا ذَنْبَ إِلاَّ لِلْبِعَادِ فَمَا لَنَا | دَنَوْنَا ، وَحِظَيَّ في الدُّنُو قَلِيلُ |

(٢٥٨)

وكتب إليه ، وقد وصله منه كُتَابٌ غَيْرُ مَخْتومٍ :

| | |
|--|--|
| وَإِنِّي كُتَابُكَ مَفْتُوحًا ، فَبَشِّرْنِي | بِفَتْحِ سُبُلِ اللَّقَاءِ الزَّجْرُ ^(٦) وَالْقَالَ |
| فَقُلْتُ : أَحَبُّ بِهَا بَشْرِي إِلَيَّ ، وَإِن | تَعَرَّضْتُ ، دُونَ ما نَزَجُوهُ ، أَهْوَالُ |

(٢) المثل : التَّسْوِيفُ بِالْعُدَّةِ .

(٤) في رواية بها مش الدويان (دوننا) .

(٦) زجر الطير : تغافل به .

(١) وان : غلب .

(٣) تحول : تحوّل .

(٥) الفجاج : جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين .

ثم اعترنني أشواقٌ ، تُجهِّلني كيف اطمانت بقلبي بعدك الحال
وكيف يَبْقَى ، وما يَنفَكُ ذَاوَجِلٍ خَوْفًا عَلَيْكَ ، وفي الأوجال^(١) آجالٌ
وكتب إليه الشريف ضياء الدين أبو عبد الله زيد بن محمد بن عبيد الله الحسيني
وهو بظاهر الموصل :

أبا المظفر ، أشواقٌ مبرِّحةٌ وما استقلت^(٢) بكم للين أجمالٌ
وأتمُّ حيثُ إطلالي بينكم وما نأت دارُ من يُبديه إطلالٌ
فكيف بي إن غدا الهرماسُ^(٣) مشربكم وحال من دونكم مرث^(٤) وأحبال^(٥)
إذا تُخبرُكَ الرُّبَّانُ عن كَيْدٍ تَدْمَى^(٦) ، وعين لها سَحٌّ وتهمالٌ
وعن مودع قلب قد رحلتُ به يعتاده لكمَّا هم وبَلْبَال^(٧)

(٢٥٩)

فأجابه :

يا خيرَ مَنْ عَلِقَتْ كَفِّي مودته وصَدَقَتْ لي في علياه آمالٌ
ماذا أقول ، وقلبي قد تخلف عن جِسمي ، وزُمتَ لوشك الين أجمالٌ
وكم فُجِعْتُ بروعاتِ الفراق ، ولا كَهْذه ، لم يرعني قطُّ ترحالٌ
وقبل وشك النَّوى قد كنتُ أحذرُها كأنَّ ذاكَ التَّوَقَّى قبلها فالٌ
فإن تَمَادَتْ بنا أيَّامُ فِرْقَتِنَا وكلَّ ساعاتِ بُعْدِي عنك آجالٌ
فاحفظ قِوَادًا مقيمًا في ذِراكِ ، ولا تُسَلِّهْ للشَّوْقِ ، إنَّ الشَّوْقَ قَتَالٌ

(١) الأوجال : جمع وجل ، وهو الخوف .
(٢) استقلت : ارتحل .
(٣) الهرماس : نهر .
(٤) الموت : المفارقة بلبات ، أو الأرض لا يحيف ثراها ولا يثبت مرعاها .
(٥) الحبل من الرمل : المجتمع الكثير المال .
(٦) تدمى : تلوذ بالدم .
(٧) البلبال : الوسواس وشدة الهم .
(٨) زم البعير : خطمه ، وتقدَّم في السير .

وكتب إليه الملك الصالح ، رحمه الله قصيدة من نظمه بخط يده :
 أيها السائر المجتهد إلى الشام تباري^(١) ركبته والخيول
 جُدْ على بلدة بها دارُ مجد الدين^(٢) ، لا ريع رُبْعها الماهول
 وتعرف أخباره ، واقفه منّا سلاماً فيه العتابُ يحول
 قل له : أنتَ نِعَمَ ذنجرُ الصديق اليوم ، لكنك الصديق الملول
 ما ظننّا بأنّ حالك في القرب ولا البعد بالمال تحول^(٣)
 لا كتاب ، ولا جواب ، ولا قول ، به لليقين منّا حصول
 غير أنّا نواصل الكتب إذ قصّر منك البرّ الكريم الوصول^(٤)

(٢٦٠)

فأجابه :

أين سمى عما يقول العذول أنا بالهجر والنوى مشغول
 وسبيل السلو بادٍ ليعنى ، ولكن مالي إليه سبيل
 ما قليل الغرام ، يامسريح القلب ، مما يلقي الحب ، قليل
 بالهوى هام في الفلاقيس ليل وه مات عروة^(٥) وجميل
 فاعف من لومك الحب ، كفاه من جواه تسبيده والنحول
 لا تظنّ وجد من فارق الأظعان يحشّن حادٍ عجول
 تقطع اليد حاملات شمساً ماها في سوى الخلدور أقول
 كل شمس تنير فوق قضيب يتهدى به كتيب مهيل
 لا ولا وجد نازح فارق الأو طان ، يهتاجه الضحى والأصيل

(٢) لقب أسامة .

(١) تبارى أى تبارى . وباراه : عارضه .

(٤) باقى القصيدة فى ص ٢١٧

(٣) حال الشئ : تحول .

(٥) هو عروة بن حزام من منبج العرب ، كان يحب ابنة عم له اسمها عرواء . وجميل هو جميل بثينة .

كَلَّمَا لَامَهُ الْعَذُولُ مَرَى^(١) دَمْعًا تُبَارِيهِ زَفَرَةٌ وَعَوِيلُ^(٢)
مَثَلٌ وَجُدَى لِفِرْقَةِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، وَهُوَ الْمَرْجُوُّ وَالْمَأْمُولُ
ومنها :

يَا أَمِيرَ الْجِيوشِ ، يَا أَعْدَلَ الْحُكَّامِ فِي نَعْلِهِ وَفِيَا يَقُولُ
أَنْتَ تَقْضِي بِالْحَقِّ ، لَسْتَ ، وَإِنْ زَالَتْ جِبَالُ الْأَرْضَيْنِ ، عَنْهُ تَزُولُ
فَمَاذَا قَضَيْتَ يَا سَيِّدَ الْحُكَّامِ طَرًّا عَلَى أَنِّي مَلُوكُ
مَنْ يَمْلِكُ الْحَيَاةَ ، أَمْ مَنْ عَلَيْهِ مِنْ تَوَالِي أَنْفَاسِهِ تَنْقِيلُ
لَا تَرْغَنِي بِالْعَتَبِ ، فَهُوَ ، عَلَى قَطْعِ رُسُومِ^(٣) التَّشْرِيفِ عَنِّي ، دَلِيلُ
لِي رُسُومٌ ، مِنْهَا مَوَاصِلَةُ الْكُتُبِ ، وَأَنْتَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ الْوَصُولُ
وَسِوَاهَا أَغْنَيْتَنِي عَنْهُ بِالْإِنْعَامِ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي تَأْمِيلُ
فَأَعْذَنِي مِنْ قَطْعِهَا ، فَهِيَ لِي نَفْسٌ ، بِهِ أُدْرِكُ الْعُلَا ، وَأَطُولُ
فِي وَدَيِ لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَى تَلْسِي ، فَيَبْدُو لَكَ الْوَلَاءُ الدَّخِيلُ
وَتَرَى أَنَّ مَا زَرَعْتَ مِنَ الْإِنْعَامِ ، لَمْ يُحْصَ رَيْعُهُ التَّجْمِيلُ^(٤)

قافية الميم

(٢٦١)

وقال ، وكتب إلى أبيه من قصيدة تقدّم أولها^(٥) :

أَبْنَى السَّرَى وَالْبِيدِ ، لَا أَغْرَى الزَّمَانَ بِكُمْ عُرَامَةً^(٦)
هَلْ فِيكُمْ مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي السَّلَامَ أَبَا سَلَامَةٍ

(٢) العويل : رفع الصوت باليكاء .

(١) مَرَى : استخرج .

(٤) له أنه يريد بالتجميل ردّ الشيء عن تفرقة . أو من أجل الحساب :

(٣) رسم بكذا : أمر به .

يقده إلى الجملة . وبالحامش قفلا عن خط ولده مرهف بالحاشية :

• وترى ريع ما زرعته من الإنعام عندي لم يحصه التأهيل .

(٦) السرى : سيرة عامة الليل . والبيد : الغلا . وعرام الزمان :

(٥) انظر ما سبق ص ٩٧ .

وَتَحِيَّةٌ كَشَدَا فَبَقِيَ الْمَسْكُ ، صَفَقَ بِالْمُدَامَةِ^(١)
تَهْدَى ، يَضُوعُ^(٢) نَسِيمُهَا لِأَغْرَ عَصَا . مَلَامَةٌ
مِنْ جَامِجِ الْعَزَمَاتِ ، لَا يَرْضَى عَلَى هُونٍ مُقَامَةٌ
وَقَعْنَ^(٣) غَارِبَهُ انْخَطَوْا بْ ، وَلَمْ يَزَلْ يَأْبَى الظَّلَامَةَ
يَابْنَ انْخَضَارُمَةَ^(٤) الْكَرَامِ ، أُولَى الْمَكَارِمِ وَالْكَرَامَةِ
مِنْ كُلِّ بَسَامٍ تَسُحُّ يَدَاهُ لِلْعَافِينَ سَامَةٌ^(٥)
خَضِلُ الْجَنَابِ إِذَا تَرَدَّى الْجَوُّ مِنْ مَحَلِّ قَتَامَةٍ^(٦)
أُسَامٌ خَسَفًا ، ثُمَّ لَا آبَى ، فَلَسْتُ إِذَا أُسَامَةٌ
هِيَاةَ لَا تَرْضَى الْمَعَا لِي صَاحِبًا يَرْضَى اهْتِضَامَةً^(٧)
وَعَلَامَ يَخْشَى النَّاسَ مَنْ لَمْ يَخْشَ فِي حَالِ حِمَامَةٍ
مَنْ لَا تَرَاهُ إِثْرَ شَيْءٍ ، فَانْتَ يَبْدَى النَّدَامَةُ
وَإِذَا حَوَى الرِّغْبَاتِ أَمْضَى لِلْعُلَا^(٨) فِيهَا احْتِكَامَةٌ
لَوْ أَنْكَرْتَ أَجْفَانَهُ طَيْفَ الْخِيَالِ جَفَا مَنَامَةٌ

(٢٦٢)

وقال ، وكتب بها إلى القاضي الرشيد^(٩) ، أبي الحسين أحمد بن علي بن الزبير

إلى مصر ، في ضمن كتاب :

وكيف أشكرُ مَنْ أَسَدَى إِلَى يَدَا سَرَتْ سُرَى الطَّيْفِ مِنْ مِصْرَ إِلَى الشَّامِ
رَأَى مَكَانِي عَلَى بُعْدِي ، وَقَدْ عَشَيْتُ عَنِّي عَيُونُ أَخْلَانِي ، وَأَيَّامِي
مُحَافَظًا لِعَهْدِي ، حِينَ أَفْرَدَنِي ظَلِي ، وَأَعْرَضَ عَنِّي طَيْفُ أَحْلَامِي

(١) فتح الطيب : خلطه . والتصفيق تحويل الشراب من إناه إلى إناه مزوجاً ليصفو .

(٢) ضاع المسك : تحرك ، فانتشرت رائحته . (٣) وقته كوضته : كويته .

(٤) الخضاومة : جمع خضرم وهو الجواد المطا . والسيد المحول .

(٥) السام : الذهب والفضة . (٦) القتام : الغيار . والمحل : الجذب .

(٧) الاعتصام : الظلم . (٨) في رواية بها مش الديوان (للندي) . (٩) انظر ما سبق من ١٢١ .

(٢٦٣)

وكتبت إلى الأمير السيد الشريف النقيب ضياء الدين ، أعتذر من تأخر
كتبي عنه ، في ورق أصفر :

قَصَّرْتُ فِي خِدْمِي تَقْصِيرَ مُعْتَرِفٍ وَمَا كَذَا يَفْعَلُ الْإِخْوَانُ وَالْحَدَمُ
حَتَّى تَعْصِفَ لَوْنُ الطَّرْسِ مِنْ وَجَلٍ فَإِنْ صَفَحْتَ جَرَى فِي وَجْنَتِهِ دَمُ
وَلَوْ تَجَافَتْ لِي الْأَيَّامُ عَنْ وَطَرِي لَنَابَ عَنْ قَلْبِي فِي سَعِيهِ الْقَدَمُ
وَبَعْدُ عَذْرَى فَقَدْ أَقْرَحْتُ مِنْ أَسْفٍ جَفْنِي ، وَأَدْمَى بِنَائِي بَعْدَكَ النَّدَمُ
أَطَعْتُ حُكْمَ اللَّيَالِي فِي فِرَاقِي مَنْ وَجَدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُ عَدَمٌ^(١)
لَمْ لَا تَصَامَتْ عَنْ دَاعِي الْفِرَاقِ ، وَمَا بَالِي صَلَيْتُ لَظَاهُ ، وَهُوَ يَحْتَدِمُ
فِي أَنْ تَقْلِنِي اللَّيَالِي عَثَرِي ، وَأَفْزُرُ بِالْقُرْبِ مِنْكَ فَيُعَادُ اللَّقَا الرَّدَمُ^(٢)

فكتب إليه جوابا عنها أبياتاً أولها :

جَاءَ الْكِتَابُ ، وَقَدْ تَعْصِفَ لَوْنُهُ خَوْفَ الْهَلَاكِ عَلَى مَنْ إِبْطَانُهُ
فَاعَادَ لِي رَوْحَ الْحَيَاةِ وَوُصُولُهُ وَلَقِيتُ قَاصِيَةَ الْمَنَى بِمِلْقَانِهِ

(٢٦٤)

وقال ، وكان له على ديوان الصناعة ، قبل أيام الملك الصالح (رحمه الله)
في كل سنة خروجُ كَتَانٍ بِمِائَةِ دِينَارٍ ، فَأَحَالَ بِهَا تِجَارَةً مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَنْ ثَمَنِ
كُسُوةٍ قَبْضَها مِنْهُمْ ، وَتَمَادَى مُقَامُهُمْ فِي الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى أَنْ نَحْرَجَ مِنْهَا ،

(١) مضمون قول أبي الطيب المنيني (٢٥٤ ط دندية) :

يا من يعز علينا أن تارقهم وجدانا كل شيء بعدكم عدم

(٢) الردم : بلدة بالبحرين وموضع بمكة .

فُنِعُوا من الإطلاق ، ووصلوا إلى الشام ، ولم يقبضوا مِمَّا لَهُمْ في جهته شيئا ، فسألوه في رقعة يرفعونها إلى الملك الصالح رحمه الله ، فكتب إليه مطالعةً ، ضمنها هذه الأبيات :

يُلَطُّ^(١) بِاللَّيْنِ مَنْ مَوْلَاهُ مُسْلِمُهُ حَتَّى يُخْلَصَهُ السُّلْطَانُ وَالْحَكْمُ
لَكِنَّ مَوْلَايَ يَقْضِي مَا اسْتَدْنْتُ ، وَلَا يَلْقَى سُؤَالِي مِنْهُ الصَّدُّ وَالسَّامُ
فَكَفَّهُ الْبَحْرُ ، لَكِنْ مَوْجُهُ يَدْرُ^(٢) وَجُودُهُ الْغَيْثُ ، لَكِنْ وَبْلُهُ^(٣) نَعِمُ
فَأَمَرَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ بِتَجْدِيدِ التَّوْقِيعِ ، وَوَفَاءِ التَّجَارِ ، وَتَخْلِيدِ التَّوْقِيعِ فِي الدَّوَاوِينِ ، وَاسْتِمْرَارِ الإِطْلَاقِ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ مِنْ نَظْمِهِ بِنَحْوِهَا :

أَقْسَمْتُ بِالْجُودِ مَنَّا ، إِنَّهُ قَسَمُ وَبِالْمُودَةِ مِنْكُمْ ، إِنَّهَا رَحِمُ
إِنَّا لَنَحْفَظُ فِيكُمْ مَعَ بَعَادِكُمْ شَرِيعَةً سَنَّا فِي دِينِنَا الْكَرَمُ
وَكَلَّمَا رَأَى وَاشْ نَقَضَ مَذْهَبَهَا أَصْحَتْ تَوَكُّدُهُ الْأَخْلَاقُ وَالشِّيمُ
لَسْنَا كَقَوْمٍ ، وَلَا تُزْرَى عَلَى أَحَدٍ^(٤) وَلَوْ ، فَلَمَّا رَجَوْتُمْ عَدْلَهُمْ ظَلَمُوا^(٥)
بِعِلْمِنَا قَدْ حَكَمْنَا فِي إِخَائِكُمْ دَهْرًا ، وَمَا حَكَمُوا فِيكُمْ بِمَا عَلِمُوا
لَمْ يَعْرِفُوا لَكُمْ قَدْرًا ، وَإِنْ كُرُمْتُ أَخْلَاقَهُمْ ، وَعَرَفْنَا قَدْرَ فَضْلِكُمْ
وَلَيْسَ ذَلِكَ لَشَيْءٍ غَيْرِ أَنَّهُمْ بِالطَّبِيعِ لَا تَنْفَقُ^(٦) الْأَدَابُ عِنْدَهُمْ
وَالْعَرَبُ ، أَقْتَلُ دَاءٍ يَهْلِكُونَ بِهِ أَنْ تَمْلِكَ الْحُكْمُ فِي أَعْنَاقِهَا عَجَمُ
تَرَفَعَتْ مِنْكَ ، مَجْدُ الدِّينِ ، هَمَّةٌ مِنْ نُجُومِهِ فِي سَمَوَاتِ الْعُلَا الْهَمَمُ

(٢) البدر : جمع بدرية ، وهي كبرى فيه سبعة آلاف دينار .

(٤) أزرى عليه : عابه .

(١) أَلَطُ الْفَرَسِ : مع من الحق .

(٣) الويل : المطر الشديد الضخم .

(٥) يشير إلى قصيدة أسامة الميمية التي مطلعها :

وَلَوْ أَنَّا رَجَوْنَا عَدْلَهُمْ ظَلَمُوا وَلَهُمْ حَكَمُوا فِيمَا بِنَا عَلَمُوا

(٦) فَنَزَّ : راجع .

(واظروا ص ٤٠)

إذا تأخرت الآداب وامتنعت
وإن نظمت قريضاً في مكتبة
لله كُتِبُتْ تَوَالَتْ ضَمْنُهَا دُرٌّ
يَقْلُ فِي فَضْلِهَا أَمْثَالُهَا ، فَإِذَا
سَأَلْتَ مَا قَدْ أَجْبَنَاهُ ، وَمَا بَرَحَتْ
إِنْ أَمْسَكَ الْغَيْثُ فَانْظُرْ مَا تَجِبِي بِهِ
وَلَوْ حَلَلْتَ بِوَادِينَا عَلَى وَجَلٍ
وَالْأَرْضُ مَا بَرَحَتْ مِثْلَ الرِّجَالِ
كَذَاكَ إِنْ قَلَّ حِطُّ الْوَدِّ عِنْدَكُمْ
يَا غَائِبِينَ ، وَقَدْ أَضَحْتَ مَنَازِلَهُمْ
قُولُوا لَنَا : هَلْ وَجَدْتُمْ مَعَ جَفَائِكُمْ
بِالسَّهْلِ مِنْهَا اعْتَصِمْتُمْ عَنْ مُعَانِدِكُمْ
قَالُوا : الْمَعَارِفُ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمٌّ
وَمَا نُلِطُّ^(١) بِدَيْنٍ تَدْعُونَ بِهِ
بَلْ عِنْدَنَا إِنْ سَأَلْتُمْ وَائْتَقِنَ بِنَا
بَعْدَكُمْ ، وَمُنَانَا الْآنَ قَرِيبُكُمْ
لَوْ أَبْصَرْتُ ، لَأَرَأْتُ سُوءَ أَعْيُونِكُمْ

تَقَدَّمْتُ لَكَ فِي إِحْرَازِهَا قَدَمٌ
فَالْبَحْرُ مَا زَالَ مِنْهُ الدُّرُّ يُنْتَظَمُ
مَنْ بَحَرَ عَلَيْكَ قَالُوا : لِمَا كَلَّمُ
تَلَوْتَهَا ، فَهِيَ الْأَمْثَالُ وَالْحِكْمُ
قُصَّادُنَا فِي الَّذِي نَحْوِيهِ تَحْتَكِمُ
أَنْوَاؤُنَا^(٢) ، فَهِيَ مَهْمَا شَتَّهَا دِيمٌ
أَيَقُنْتَ مِنْ غَيْرِ شِكِّ أَنَّ الْحَرَمُ
يُرَى مِنَ الرِّجَالِ لَهَا الْإِثْرَاءُ وَالْعُدَمُ
فَالْحِطُّ كَالرِّزْقِ مَا بَيْنَ الْوَرَى قِسْمٌ
صُدُورَنَا ، هَلْ عَلِمْتُمْ أَنَّهَا حَرَمٌ
رَحَابُهَا الْيَوْمَ أَحْمَى أَمْ حَصُونُكُمْ
وَالنَّاسُ مِنْ قَبْلِ الْأَجْبَالِ تَعْتَصِمُ
وَقَدْ غَدَا بَيْنَنَا الْعِرْفَانُ وَالذَّمُّ^(٣)
حَتَّى يَخْلَصَهُ السَّلْطَانُ وَالْحِكْمُ
فِي حَاجَةِ نَعْمٍ ، جَوَابُهَا نَعْمُ
فَكَيْفَ يَعْتَادُنَا فِي وَدِّكُمْ سَأَمُ
جَوَارِحِي الْيَوْمَ فِيكُمْ وَهِيَ تَخْتَصِمُ

(٢) يشير إلى قول المتنبي (٢٥٤ طه هندية) :

وَبَيْنَنَا لَوْ دَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةً
إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمٌّ

(١) التواء : المطر .

(٣) انظر ما سبق ص ١٤٤ .

تَقُولُ عَيْنِي لِقَلْبِي : قَدْ ظَفِرَتْ بِهِمْ دُونِي ، وَمَالِكٌ مِثْلِي أَدْمَعُ سِيمٌ^(١)
وَقَوْلُ قَلْبِي لِعَيْنِي : إِنْ حَظِيَتْ بِهِمْ مَعَ بَعْدهُمْ فَلِيَ الْأَشْوَاقُ وَالْأَلَمُ
إِذَا رَأَيْتَ مَلِيكًا ظَلَّ يَمْلِكُهُ وَفَاؤُهُ ، وَبَنُو الدُّنْيَا لَهُ خَدَمٌ

(٢٦٥)

وقال من قصيدة تقدم أولها^(٢) :

يَا رَاكِبًا تَقْطَعُ لِلْحَيَاءِ هِمَّتَهُ وَالْعَيْسُ تَعْجِزُ عَمَّا تُدْرِكُ الْهِمَمُ
بَلِّغْ أَمِيرِي : مُعِينَ الدِّينِ ، مَا لَكَ^(٣) مِنْ نَازِحِ الدَّارِ ، لَكِنْ وَدَّهْ أُمُّ^(٤)
وَقُلْ لَهُ : أَنْتَ خَيْرُ التَّرِكَ فَضْلَكَ الْحَيَاءُ ، وَالدِّينُ ، وَالْإِقْدَامُ ، وَالكَرْمُ
وَأَنْتَ أَعْدَلُ مِنْ يُشْكِي إِلَيْهِ ، وَلِي شَكِيَّةٌ ، أَنْتَ فِيهَا الْخَصْمُ وَالْحَكْمُ^(٥)
هَلْ فِي الْقَضِيَّةِ يَأْمَنُ فَضْلُ دَوْلَتِهِ وَعَدْلُ سِيرَتِهِ بَيْنَ الْوَرَى عِلْمُ
تَضْيِيعُ وَاجِبٍ حَقٍّ بَعْدَ مَا شَهِدْتَ بِهِ النَّصِيحَةُ ، وَالْإِخْلَاصُ ، وَالْخِدْمُ
وَمَا ظَنَنْتُكَ تَنْسَى حَقَّ مَعْرِفَتِي إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ الْإِنْتَهَى ذِمُّ^(٦)
وَلَا اعْتَقَدْتُ الَّذِي بَنَى وَبَيْنَكَ : مِنْ وَدٍّ ، وَإِنْ أَجْلَبَ الْأَعْدَاءُ ، يَنْصَرُّ^(٧)
لَكِنْ ثِقَاتُكَ مَا زَالُوا يَغِشُّهُمْ^(٨) حَتَّى اسْتَوَتْ عِنْدَكَ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ^(٩)
بَاغُوكَ بِالْبَخْسِ ، يَبْغُونَ الْغِنَى ، وَلَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ عَدِمُوكَ ، الْوَيْلُ ، وَالْعَدَمُ

(١) سيم الدمع : سال .

(٢) انظر القصيدة ص ٤٠ .

(٣) المالكة : الرسالة .

(٤) الأم : القرب .

(٥) مضمون قول المتنبي : (يا أعدل الناس إلا في مما ملني فيك الخصام وأنت الخصم والحكم)

(٦) عجز بيت المتنبي وانظر الهامش (٢) بالصفحة السابقة .

(٧) أجلبوا : تجمعوا .

(٨) في المخزبة (بنهم) تحريف .

(٩) مضمون قول المتنبي (٢٥٣ ط هندية) :

(وما انتفاع أئمة الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم)

والله ما نصَحُوا ، لما استَشَرْتَهُمْ
 كم حَرَفُوا من مَقَالٍ في سَفَارَتِهِمْ
 أَيْنَ الْحِمَّةُ^(١) وَالنَفْسُ الْأَبِيَّةُ ، إِذْ
 هَلَّا أَنْفَتَ حَيَاءً ، أَوْ مَحَافِظَةً
 أَسْلَمْتَنَا ، وَسِوْفُ الْهِنْدِ مُغْمَدَةٌ
 وَكُنْتُ أَحْسَبُ مَنْ وَالَاكَ فِي حَرَمٍ
 وَأَنْ جَارَكَ جَارٌ لِلسَّمْوَلِ^(٢) ، لَا
 وَمَا طُمَأْنُنُ^(٣) بِأُولَى مِنْ أَسَامَةِ بِالـ
 هَبْنَا جَنَيْنَا ذُنُوبًا ، لَا يَكْفُرُهَا
 أَلْقَيْتَهُمْ فِي يَدِ الْإِفْرِنجِ مُتَّبِعًا
 هُمُ الْأَعَادَى ، وَقَاكَ اللَّهُ شَرُّهُمْ
 إِذَا نَهَضْتَ إِلَى مَجْدٍ تَوَلَّاهُ^(٤)
 وَإِنْ عَرَّتَكَ مِنَ الْأَيَّامِ نَائِبَةٌ
 حَتَّى إِذَا مَا انْجَلَّتْ عَنْهُمْ غَيَابَتُهَا^(٥)
 رَشَفْتَ آجِنَ^(٦) عَيْشٍ ، كُلُّهُ كَدْرٌ
 وَإِنْ أَتَاهُمْ بِقَوْلٍ عَنْكَ مُخْتَلَقٍ
 وَكُلُّهُمْ ذُو هَوًى فِي الرَّأْيِ مَتَّهِمٌ
 وَكَمْ سَعَوْا بِفَسَادٍ ، ضَلَّ سَعِيهِمْ
 سَامُوكَ خُطَّةً خَسِفَ عَارُهَا يَصْمُ^(٧)
 مِنْ فَعَلٍ مَا أَنْكَرْتَهُ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ
 وَلَمْ يُرَوْ سَنَانُ السَّمْهَرِيِّ^(٨) دَمٌ
 لَا يَعْتَرِيهِ بِهِ شَيْبٌ وَلَا هَرَمٌ
 يَخْشَى الْأَعَادَى ، وَلَا تَغْتَالُهُ النَّقَمُ
 وَفَاءً ، لَكِنْ جَرَى بِالْكَائِنِ الْقَلَمُ
 عُذْرٌ ، فَإِذَا جَنَى الْأَطْفَالُ وَالْحُرُمُ
 رِضَا عَدَا يُسَخِطُ الرَّحْمَنَ فَعُلُهُمْ
 وَهُمْ يَزْغُمُهُمُ الْأَعْوَانُ وَالْخَدَمُ
 تَقَاءَدُوا ، فَإِذَا شَيْدَتَهُ هَدَمُوا
 فَكُلُّهُمْ لِلَّذِي يُبْكِيكَ مُبْتَسِمٌ
 بِحَدِّ عَزَمِكَ ، وَهُوَ الصَّارِمُ الْخَلْدَمُ^(٩)
 وَوَرْدُهُمْ مِنْ نَدَاكَ السَّلْسُلُ الشَّيْمُ^(١٠)
 وَاشِ ، فَذَاكَ الَّذِي يُحْبِي ، وَيُحْتَرَمُ^(١١)

(١) الحمية : الأفة . (٢) وصم الشئ . : عابه . وسامه : كلفه .

(٣) السهمي : الرمح الصلب .

(٤) السموءل بن عدياء .

(٥) طمان خادم تركي كان لأتابك ملك الأمراء .

(٦) طمان خادم تركي كان لأتابك ملك الأمراء . زندي بن آق سقر هرب من خدمته إلى دمشق فطلبه أتابك الشهيد ورج فيه فاشتعل عليه معين الدين أنزلي نسيه وحماه . فلما ألح في طلبه سيره إلى العرب إلى البرية ، وقام له بما احتاجه إلى أن رده إلى خدمته بدمشق (وأنظر الروضتين ١ : ١١٣) .

(٧) غيابة كل شئ . : ما سترك منه .

(٨) أئله : أصله .

(٩) الخلد : المنغير الطعم واللون .

(١٠) الشيم : البارد .

(١١) حياه : أعطاه .

وكل من ملت عنه قريوه ، ومن
 بغيا ، وكفرا لما أوليت من من
 جربهم مثل تجربي ، لتخبرهم
 هل فيهم رجل يغني غناى إذا
 أم فيهم من له في الخطب ضاق به
 لكن رأيك أدناهم ، وأبعدنى
 وما سخطت بعادى إذ رعبت به
 ولست آسى^(٥) على الترحال عن بلد
 تعلقت بجبال الشمس منه^(٦) يدي
 لكن فراقك آساني ، وآسفني
 فاسلم ، فاعشت لي فالدهر طوع يدي
 والآك فهو الذى يقصى ، ويهضم^(١)
 ومرتع البغي ، لولا جهلهم ، وخم^(٢)
 فالرجال إذا ما جربوا قيم
 جلا الحوادث حد السيف والقلم
 ذرع الرجال يد يسطو بها وفم
 فليت أنا بقدر الحب نقسم^(٣)
 وما لجرج إذا أرضاكم ألم^(٤)
 شهب البزاة سواء فيه والرخم^(٦)
 ثم انتنت وهى صفر^(٨) ، ملؤها ندم
 فى الجوانج نار منه تضطرم
 وكل مانالى من يؤسه نعم^(٩)

(٢٦٦)

وقال ، وكتب بها الى ابن عمه الأمير ناصر الدين تاج الدولة أبى عبد الله
 محمد بن سلطان بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ ، رحمه الله ، يستعينه فى فكك
 أخيه نجم الدولة أبى عبد الله محمد بن مرشد بن على من أسر الفرنج ، وكان أسر

- (١) الاحتضام : الظلم . (٢) أرض ونحة : لا يجمع كلوها .
 (٣) عجزيت المتني : (إن كان يجمعا حب لغره فليت أنا بقدر الحب نقدم)
 (٤) عجزيت المتني : (إن كان سرهم ما قال حاسدا فاجرح إذا أرضاكم ألم)
 (٥) أسيت عليه : حزن . (٦) عجزيت المتني :
 (وشرب ما قصته راحتي قص شهب البزاة سواء فيه والرخم)
 والبازي : ضرب من الصقور . والشبهة : بياض يصدعه سواد . والرخم : جمع رنحة وهى طائر ضعيف .
 (٧) فى خريدة القصر (فيه) . (٨) صفر : خالية .
 (٩) اقتصر معجم الأدباء ، وكتاب الروضتين على جزء من هذه القصيدة مع اختلاف فى التقديم والتأخير أحيانا .

في طريق مصر ، وقد خرج معهم في خروجهم مع الأفضل عباس بن أبي الفتوح
ابن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس وزير مصر يومئذ والسلطان بها :

يَانَا صَرَ الدِّينَ ، يَا بَنَ الْأَكْرَمِينَ ، وَمَنْ يُغْنِي نَدَى كَهْفِهِ عَنْ وَابِلِ الدِّينِ^(١)
وَمَنْ حَوَى السَّبْقَ فِي فَضْلِ ، وَفِي وَرَعٍ وَفِي عَفَافٍ ، وَفِي دِينٍ ، وَفِي كَرَمٍ
أَنْتَ الْعَيُّ ، عَلَى مَا فَيْكَ مِنْ لَسَنِ عَنْ (لَا) ، وَأَفْصَحُ خَلْقِ اللَّهِ فِي (نَعَم)
تَوَلَّى الْجَمِيلَ بَلَا مِنْ تَكَدَّرُهُ لَا كَدَّرَ اللَّهُ مَا أَوْلَاكَ مِنْ نِعَمٍ
هَذَا ابْنُ عَمِّكَ فِي أَسْرِ الْفَرَنْجِ ، لَهُ حَوْلٌ تَجَرَّمُ^(٢) ، فِي الْأَغْلَالِ وَالظُّلَمِ
يَدْعُوكَ ، لَا بَلْ أَنَا الدَّاعِي نَدَاكَ لَهُ يَآخِيزَ مِنْ عِلْقَتِهِ كَفُّ مَعْتَصِمٍ
وَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ تَنْبِيهِ عَاطِفَةُ الْقُرْبَى ، وَيَرْجُوهُ لِلْجَلِيِّ ذَوُو الرَّحِمِ
وَمَنْ تَكُنْ أَنْتَ مَوْلَاهُ وَنَاصِرُهُ فَكَيْفَ تَسْطُو عَلَيْهِ كَفُّ مَهْزَمٍ
لَا تُخَوِّجَنِي إِلَى مَنْ الرِّجَالِ ، فَأَحْمِلُ الْأَيَادِي ، وَإِنْ أَعْسَرْتُ ، مِنْ شَيْبِي
وَلَا تَنْظَنِّي أَدْعُو سِوَاكَ ، وَلَا يَفْوُهُ مَجْتَدِيًّا إِلَّا إِلَيْكَ فَيَ
عَلَامَ أَرْتَشَفَ الرَّتْقُ^(٣) الْأَجَاجَ ، وَقَدْ رَوَيْتَ كُلَّ صَيْدٍ مِنْ بَحْرِكَ الشِّمِ
أَنَا ابْنُ عَمِّكَ ، فَاجْعَلْنِي بِفِكَ أَمِيٍّ مِنْ أَسْرِهِ ، لَكَ عَبْدٌ ، مَامَشَتْ قَدَمِي
فَمَلِكٌ مِثْلِي لَا يَغْلُو بِمَا بَذَلَ الْمُسْتَاغُ فِيهِ ، وَلَا يُسْتَامُ^(٤) بِالْقِيمِ

فَلَمْ يَحْرُكْهُ الشَّعْرُ ، وَلَا سَعَى فِي خِلَاصِهِ ، وَلَا أَعَانَ عَلَيْهِ ، وَادَّخَرَ اللَّهُ تَعَالَى
أَجْرَ خِلَاصِهِ وَحَسَنَ ذِكْرَهُ ، لَلْوَلِيِّ الْمَلِكِ الْعَادِلِ نُورِ الدِّينِ أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ ، فَوَهَبَهُ
فَارِسًا مِنْ مَقْدَمِي الدَّوَايَةِ^(٥) ، يُقَالُ لَهُ الْمَشْطُوبُ ، قَدْ بَذَلَ الْفَرَنْجُ فِيهِ عَشْرَةَ آلَافٍ
دِينَارٍ ، فَاسْتَخْلَصَ بِهِ أَخَاهُ مِنَ الْأَسْرِ .

(١) الدِّينُ : جمع دِينَةٍ وَهِيَ مَطَرٌ يَدُومُ فِي سَكُونٍ بَلَا رَعْدٍ وَبَرْقٍ . (٢) تَجَرَّمُ : كُلُّ

(٣) فِي الْأَصْلِ : الْعَذْبُ . وَالتَّصْحِيحُ مِنْ رِوَايَةِ عَلِيِّ هَاشِمِ النَّسَفَةِ . وَرَتَّقَ الْمَسَاءَ كَفَرَحَ وَنَصَرَ رَتَقًا بِسَكُونِ النُّونِ
فَتَحَهَا وَرَنَوًا : كَدَّرَ . وَالْأَجَاجُ : الْمَلْحُ الْمَرُّ .

(٤) اسْتَامَ السَّلْمَةُ : طَلَبَ بَيْعَهَا . (٥) الدَّوَايَةُ : طَائِفَةٌ مِنَ الْفَرَنْجِ الصَّلِيبِيِّينَ .

قافية النون

(٢٦٧)

وقال ، وكتب بها إلى أخيه عز الدولة رحمه الله :

هَذَا كِتَابُ قَتَّى أَحَلَّتْهُ النَّوَى أَوْطَانَهَا ، وَنَبَتْ ^(١) بِهِ أَوْطَانُهُ
شَطَّتْ بِهِ عَمَّنْ يُحِبُّ دِيَارَهُ وَتَفَرَّقَتْ أَيْدِي سَبَا ^(٢) إِخْوَانُهُ
مُتَتَابِعِ الزَّفَرَاتِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ قَلْبُ يَبُوحُ بِسَرِهِ ^(٣) خَفَقَانُهُ
تَأْوَى إِلَيْهِ مَعَ الظَّلَامِ هُومُهُ وَتَذُودُهُ ^(٤) عَنْ نَوْمِهِ أَشْجَانُهُ
أَلِفْتُ مُقَارَعَةَ الْحِكَاةِ ^(٥) جِيَادُهُ وَسُرَى ^(٦) الْهَوَاجِرِ ^(٧) ، لَا بِنِي ذَمْلَانُهُ ^(٨)
يَوْمَانِ أَجْمَعُ دَهْرِهِ إِمَّا سُرَى أَوْ يَوْمُ حَرْبٍ تَلْتَلِظِي نِيرَانُهُ
لَكِنَّهُ لَا يَسْتَكِينُ لِحَادِثٍ خَوْفَ الْحِمَامِ ، وَلَا يُرَاعِ جَنَانُهُ

(٢٦٨)

وكتب في صدر كتاب :

أَحْنُ إِلَيْكُمْ ، وَالْمَهَامَةُ بَيْنَنَا حَيْنَ الْوُفِّ بَانَ عَنْهَا قَرِينُهَا
وَأَسْتُرُ أَشْوَاقِي ، وَأَعْلَمُ أَنَّ لِي لَدَى ذِكْرِكُمْ ، أَنْفَاسَ وَجِدٍ تُبِينُهَا

(١) لم توافقه .

(٤) الذود : الطرد والدفع .

(٥) الحكاة : جمع كى ، وهو الشجاع .

(٢) تفرقوا أيدي سبأ : تبددوا .

(٦) السرى : سير عامر الليل .

(٣) بها مش النسخة (بيته) رواية .

(٧) يقال ناقة مهجرة : فائقة في الشعم والسير . والمهجر : النجيب الجليل والجليد من كل شئ . والفاثق الفاضل على غيره .

كالمهجر (ككفت) والهاجر .

(٨) الذميل ضرب من سير الإبل ، قيل هو السير اللين . ذمل يذمل ذميلاً وذملانا .

(٢٦٩)

وكتب إلى صديق له بمصر :

نفسى القداء لمن أذودُ بذكره عني عوادي الهَمِّ والأشجان
وإذا فررتُ من الخطوب جعلته فتى^(١) فيفرقها^(٢) امتناع مكاني
وكانَ معجزة المسيح كتابه فإذا قضيت^(٣) من الأسى أحباني

(٢٧٠)

وكتب إلى أخيه عز الدولة :

وإنَّ امرأً أضغى "بإربيل" داره وفي شيزر^(٤) أحبابه وشجونه
لغير ملوم في الحنين إليهم ومعذورة أن تستل جفونه^(٥)

قافية الهاء

(٢٧١)

ومما يلحق بهذا الباب قوله يعاتب^(٦) :

إن ألقه سره قربي ، وآتسه وإن أغب صد عني معرضاً ولها
كانني ميت ، في النوم يبهجه لقاءه ، ثم ينسأه إذا انتبها

(١) الفتنة : الطائفة .

(٢) يفرقها : يفرعها .

(٣) قضى : مات . والأسى : الحزن .

(٤) إربيل : مدينة كبيرة من أعمال الموصل . وشيزر : قلعة كانت لبي منقذ بالقرب من حماة بالشام .

(٥) في هامش الديوان عن نسخة (شونيه) . والشون : جمع شان وهو يمرى الدمع إلى العين . واستل المطر :

اشتد انصبابه .

(٦) البيتان من مختارات المسالك لأسامة (١٠ : ٥٠٦) .

قافية الياء

(٢٧٢)

وقال :

وافى كَأْبُكَ مُعَلِّناً بِمِلَامَةٍ قَدَحْتُ زِنَاداً فِي الْجَوَانِحِ وَأَرِيّاً^(١)
وَقَرَأْتُهُ ، فوجدتُ طَرْفِي ضَاحِكاً فَرِحاً بِرُؤْيَيْتِهِ ، وَقَلْبِي بَاجِلاً
وَتَعَمَّدَتْنِي نَافِذَاتُ سِهَامِهِ حَتَّى إِذَا أَصْمِنَ^(٢) عُذْنَ مَكَاوِيَا
وَتَطَلَّعَتْ مِنْهُ أَرَاقُمُ رَمْلَةٍ يُرْدَى السَّلِيمَ لُعَابُهَا وَالرَّاقِيَا^(٣)
فَكَانَ ذَلِكَ الطَّرْسَ^(٤) أَضْحَى سَلَّةَ الْحَاوِي ، وَهَاتِيكَ السُّطُورُ أَفَاعِيَا

(١) وردت النار : انقضت .

(٢) أسمى الصيد : رماه ، قتلته ، كانه .

(٣) الأرقم : جمع ارقم وهو أخصب الحيات وأطلبها لناس . ويردى : يهلك . والسليم : اللدنيغ .

(٤) الطرس : الصحيفة .

باب الأوصاف

قافية الباء

(٢٧٣)

من قصيدة كتبها إليه الملك الصالح ، يصفُ الزَّلْزَلَةَ الكائنةَ بِشِيرَ : ^(١)
رَقَصَتْ أَرْضُهُ عَشِيَّةً غَنَى الرَّ عَدُوٌّ فِي الْجَوِّ ، وَالكَرِيمُ طَرُوبُ
وَتَنَتَّ حِيطَانُهُ ، فَأَمَلَتْهَا شِمَالُ بَزْمِرِهَا ، وَجَنُوبُ
لَا هُبُوبُ لِنَائِمٍ مِنْ أَمَانِيهِ ، وَلِلْعَاصِفَاتِ فِيهَا هُبُوبُ
وَأَرَى الْبَرْقَ شَامِتًا ضَا حَكَ السَّيْنِ ، وَلِلْجَوِّ بِالْغَمَامِ قُطُوبُ
ذَكَرُوا أَنَّهُ تَذُوبُ بِهِ السُّحُبُ ، فَمَا لِلصُّخُورِ أَيْضًا تَذُوبُ
أَبْذَنْبُ أَصَابِهَا قَدْرُ اللَّهِ ، فَلَا رِضْ كَالْأَنَامِ ذُنُوبُ !

قافية الدال

(٢٧٤)

وقال في ضرس قلعه ^(٢) :

وَصَاحِبُ لَا تَمَلْ ^(٣) الدَّهْرَ صَحْبَتَهُ يَشْقَى لِنَفْعِي ، وَيَسْعَى سَعَى مُجْتَهِدٍ
لَمْ أَلْقَهُ مِنْهُ تَصَاحُبًا ، لَحِينَ بَدَأَ لِنَظَرِي افْتَرَقْنَا فُرْقَةً الْأَبَدِ

(١) راجع ص ٧ و ١٦٤ و ٢٩٦ وورد معظمه في الروضتين ١ : ١٠٦ و ١١٨

(٢) هذان البيتان رواهما ياقوت ٥ : ١٩٤ ، ومسالك الأبصار ١٠ : ٥٠٨ ، وكتاب الروضتين ٢ : ٢٦٤

(٣) الراوية في ياقوت والخريدة (لا أمل)

قافية العين

(٢٧٥)

وقال في الشمعة :

أُنْبِئْسَى فِي لَيْلِ الْقَطِيعَةِ مُشْبِهِي : نُحُولًا ، وَتَسْهِدًا ، وَلَوْنًا ، وَأَذْمَعًا
أَوَاجُهُ وَجْهًا مِنْهُ حَيْثُ رَأَيْتُهُ مِنْبِرًا إِلَى مَنْ أُمُّهُ مَتَطَلَّعًا
تَلْبَسُ جِسْمِي سُقْمَ جَفْنَيْهِ حَيْثُمَا بَدَأَ لِي عَيْنَتُ الْمَلَاةَ أَجْمَعًا

(٢٧٦)

وقال فيها :

وَمَفْرَدَةٍ تَبْكِي إِذَا جَنَّ لَيْلُهَا خُفَاتًا ، وَفِي أَحْشَانِهَا النَّارُ وَاللَّذْعُ
تَذُوبُ جَوْيَ ، إِمَّا لَصْدٌ وَهَجْرَةٌ وَإِمَّا لَبِيبٌ ، مَا لِتَشْتَبِيهِ جَمْعُ
فَلَمْ أَرْ جَمْرًا ذَانِبًا غَيْرَ دَمْعِهَا وَلَا جِسْمَ بَاكِ قَبْلَهَا كُلُّهُ دَمْعُ

قافية القاف

(٢٧٧)

وقال من أبيات :

وَسَلَّ عَنْكَ^(١) الْهَمُومَ إِنِ طَرَقَتْ بِنْتُ كَرِيمٍ ، فِي الْكَأْسِ تَأْتَلِقُ
إِذَا فَرَاها^(١) الْمَزَاجُ أَضْرَمَهَا وَقَلْتُ : أَيْدِي السَّقَاةِ تَحْتَرِقُ

(١) فراه يفريه : شقه . وهذا البيت والبيت بعده مما اختاره مسالك الأبحار لأسامة (١٠ : ٥٠٣) .

تَوَجَّهَ الْمَاءُ مِنْ فَوَاقِعِهِ تَاجًا ، بِهِ تَرْتَدَى وَتَنْتَطِقُ^(١)
يُقَالُ : مَا تَسْقُرُ وَالْهَمُّ فِي صَدْرٍ ، فَيَا نِعْمَتَاهُ لَوْ صَدَقُوا
وَأَيْنَ مِنْ هَمِّي الْمُدَامُ ، وَقَدْ سُدَّتْ عَلَيْهَا مِنْ دُونِهِ الطُّرُقُ

(٢٧٨)

وقال في ضرس قلعه^(٢) :

اَعْجَبَ لِمَحْتَجِبٍ عَنْ كُلِّ ذِي نَظَرٍ صَحْبَتُهُ الدَّهْرَ ، لَمْ أُسْبِرْ^(٣) خَلَائِقُهُ
حَتَّى إِذَا رَأَيْتُ قَابِلَتَهُ ، فَقَضَى حَيَاؤُهُ وَإِبَائِي أَنْ أَفَارِقُهُ

قافية الميم

(٢٧٩)

وقال في مقبرة كيمخت^(٤) أسود ، أهديت إليه ، وفيها أقلامٌ مبرية وسكين :

وافتك حالكه السَّواد ، يخالها صَبَغَ الشَّابَابُ النَّاطِرُ الْمَتَوَسِّمُ
فيها رِمَاحُ الْخَطِّ مَرْهَفَةُ الشَّابَا^(٥) تُرْدِي الطَّعْنَ ، وَلَا يُضْرَجُهَا^(٦) دَمُ
مِنْ كُلِّ أَهْيَفٍ إِنْ جَرَى فِي طَرَسِهِ نَاجِي ، فَأَفْهَمَ ، وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ
بِيضُ الْأَيَادِي فِي سَوَادِ لُعَابِهِ فَكَأَنَّمَا الْأَرْزَاقُ مِنْهُ تَقْسَمُ
تَحْوِي مُسَلَّطَةً^(٧) عَلَيْهَا ، يَخْدَشِي مِنْ حَدِّهَا الْمَاضِي الْحَسَامُ الْمَخْذَمُ^(٨)
تَأْدِيبُهَا لَهُمْ يَقْطَعُ رُءُوسَهُمْ إِنْ قَصَّرُوا فِي السَّعْيِ عَمَّا تَرُسُّمُ
فَانْعَمَ بِحُسْنِ قَبُولِهَا مُتَطَوَّلًا فَالشُّكْرُ لَا يَحْوِيهِ إِلَّا مُنْعَمُ

(٥) الشبا : جمع شباة ، وهي حد كل شيء .

(٦) ضرجه : لطفه .

(٧) المسلطة هنا يراد بها : السكين .

(٨) المخذم : القاطع .

(١) ترتدى : تلبس الزد . . . وتنتطق : تلبس المنطقة .

(٢) راجع وصفه للضرس ص ١٥٣ .

(٣) لم أسبر : لم أختبر .

(٤) نوع من الجلود .

باب الملح

قافية الباء

(٢٨٠)

وقال على لسان الشيخ أبي صالح بن المهذب رحمه الله ، على سبيل المداعبة ،
في جارية اسمها شوق ، كانت لبعض العرب النازلين بشيرز ، وكان ينفر
من ذكرها له :

| | |
|--|---|
| قُولَا لِرَيْمٍ ^(١) فِي حِلَّةٍ ^(٢) الْعَرَب : | إِلَيْكَ أَشْكُو مَا يَصْنَعُ اسْمُكَ بِي |
| بِمَا اسْتَجَازَتْ عَيْنَاكَ سَفَكَ دَمِي | وَأَخَذَ قَلْبِي فِي جُمْلَةِ السَّلْبِ |
| جَارُكَ أَوْلَى بِرَغْيِي ذِمَّتِهِ | إِنْ أَنْتَ رَاعَيْتَ حُرْمَةَ الصَّقَبِ ^(٣) |
| لَوْلَاكَ ، وَاللَّهِ هُرُ كُلُّهُ عَجَبٌ | مَا خُفِرْتُ فِي ذِمَّةِ الْعَرَبِ |
| هَذَا هَوْيِي ، كُنْتُ فِي بُلْهَنِيَّةٍ | عَنْهُ ، فَيَا لِلرَّجَالِ لِلْعَجَبِ |
| أَيْسَرْتُ الْكَرِيمَ ذَا النَّسَبِ الْوَا | ضِجَّ عَبْدٌ مُسْتَعِجٍ النَّسَبِ |
| وَيَحْمِلُ الثَّأْرَ مِنْ بِي خَوْرٍ ^(٤) | عَنْ أَحْمَالِ الْحِجَالِ وَالْقَلْبِ ^(٥) |
| نَشَدْتُكَ اللَّهَ فِي أَحْمَالِ دَمِي | فَعَشِرِي مَا يَفُوتُهُمْ طَلْبِي |
| مَا قَاتَ قَوْمِي آلَ الْمَهْلَبِ مِنْ | قَبْلِ ثَأْرٍ فِي سَالِفِ الْحَقَبِ |
| فَلَا تُرِيقِي دَمًا لَدِي أَدَبِ | بَسْطُو بِأَقْلَامِهِ عَلَى الْقَضْبِ ^(٦) |

(١) الزيم : الظبي الخالص البياض .

(٢) الحلة بكسر الحاء : القوم النزول ، وجماعة بيوت الناس .

(٣) الصقب بالتحريك : القريب والقرب .

(٤) الخور : الضعف .

(٥) الحجال : الخلاخيل . والقلب : سوار المرأة .

(٦) نقضب : السيوف .

قافية الشاء

(٢٨١)

وقال بحصن الطوبان^(١) على سبيل الدعابة :
متى أرى الطوبان قد مهّدت حيطانه السود المحارِثُ
ما فيه إلا ريح عادٍ ، وأجلاف طغام^(٢) ، وبراعِثُ

قافية الراء

(٢٨٢)

وقال ، على سبيل المجون ، في سوداء :
شبيهة حبات القلوب ، لك الهوى وهل لفؤادٍ عن سويدانه صبرُ
على تحريك الدأجى زها الدُر مثلها زهت في دياجى الليل أنجهم الزهرُ
لأنت شباب ما يشين سواده بياض مشيب ، والشباب هو العمرُ
لقد أكثر اللوام فيك ، وجهلهم إذا عَنَفُونِي في هوالك ، هو العذرُ

(٢٨٣)

وقال أيضا بمصر ، وكان له جارٌّ من الأمراء يعرف بفخر الملك بن طليب ،
وقعت في داره نارٌ فاحترقت ، وقصد المجنون معه والعبث :
أنظر إلى الأيام ، كيف تقودنا قسراً إلى الإقرار بالأقذار
ما أوقد ابن طليب قط يداره ناراً ، وكان هلاكها بالنار

(١) الطوبان : حصن من أعمال حصن أرماء . (ياقوت) .

(٢) الطغام : أوغاد الناس .

قافية الشين

(٢٨٤)

وقال ^(١) :

أَمِيرُنَا ^(٢) زَاهِدٌ، وَالنَّاسُ قَدْ زَهَدُوا لَهُ ؛ فَكُلُّ عَلَى الطَّاعَاتِ ^(٣) مُنْكَمَشُ
أَيَّامُهُ ، مِثْلَ شَهْرِ الصَّوْمِ : طَاهِرَةٌ ^(٤) مِنَ الْمَعَاصِي ، وَفِيهَا الْجُوعُ ، وَالْعَطَشُ

قافية الصاد

(٢٨٥)

وقال :

رُمَانُ مِصْرَ كَأَنَّهُ ذُرَّةٌ أَكَلَهُ شَاخِصٌ ^(٥) مِنَ الْغُصَصِ
وَالرِّيْقُ فِيهَا ، فَدَعَّ سِوَاهُ ، إِذَا أَسَاغَهُ الْمَرْءُ كَانَ بِاللَّغَصِ
وَلَيْسَ يَرْضَى اللَّيْبُ عِيشَتَهُ فِيهَا ، وَلَكِنْ زُرِّيْقٌ ^(٦) فِي الْقَقَصِ

قافية القاف

(٢٨٦)

وقال يداعب بعض الاصحاب :

إِذَا صَاحِبَتَ عَمْرًا فِي طَرِيقٍ فَقَدْ سَايَرْتَ ظِلَّكَ فِي الطَّرِيقِ
فَإِنْ لَمْ تَلَقَ إِنْسَانًا سِوَاهُ تَرَأْفُكُهُ ، فَأَنْتَ بِلَا رَفِيقِ

(١) هذان البيتان ممدودان في الأمانة في الخريدة ١: ١٠٣، وياقوت في معجم البلدان ٥: ٢٠٤، والروضتين ٢: ١٢٩.

(٢) في الخريدة وياقوت "سلطاننا".

(٣) في المصدرين السابقين "الخيرات".

(٤) في المصدرين السابقين "خالية".

(٥) شخص بعصره : فتح عينيه وجعل لا يطرف .

(٦) زريق : طائر

قافية اللام

(٢٨٧)

وقال في أعرج :

غابُوا هَوَى شَادِنٍ^(١) فِي رِجْلِهِ قَصْرٌ مِنْ سُكْرِ الْحَاظِهِ فِي مَشْيِهِ تَمَلُّ^(٢)
وَمَا هَوَى خُوطٍ بَانَ مَاسَ مِنْ هَيْفٍ غَيْبٌ، وَإِنْ كَانَ عَيْبًا فَهُوَ مُحْتَمَلٌ

قافية الميم

(٢٨٨)

وقال ، وقد اجتاز بقرية له من أعمال بالوا^(١) ، تسمى لُغَى كُوم ، كثيرة الفواكه والأشجار ، باردة الماء ، وجميع فلاحيتها أُرْمَنُ لا يعرفون العربية :

نَزَلْتُ بِأَرْضِ (بَالُوَا) ، وَهِيَ حِصْنٌ عَلَا ، حَتَّى تَمْنَقَ بِالنَّجُومِ
بُرُومٌ ، لَا تَلَاثُمُهُمْ طِبَاعِي وَمَا الْعَرَبُ ذُو الْإِلْفِ بُرُومِ
سَلَامُهُمْ (هَزَارُ)^(٥) بَارِيكَ مَاذَا شَبِيهُ سَلَامِ خُزَانِ النَّعِيمِ
وَإِنْ كَلَّمْتَهُمْ قَالُوا : (اشْكَدِيمِ)^(٦) وَلَسْتُ بِعَالِمٍ مَعْنَى (اشْكَدِيمِ)
وَمَا تَسْوَى^(٧) (لُغَى كُومِ) وَإِنْ هِيَ سَجَا^(٧) لَيْلِي بِهَا ، وَصَفَا نَسِيمِي
وَبَرْدُ مِيَاهِهَا ، وَجَنَى جَنَانِ تُحِيطُ بِهَا ، وَيَانَعَةُ الْكُرُومِ
مُقَامِي بَيْنَ قَوْمٍ ، إِنْ تَدَاعَوْا سَمِعْتُ دَعَاءَ أَصْدَاءِ^(٩) وَبُومِ

(١) الشاهن : ولد الظبية قوى واستغنى عن أمه . (٢) التمل محركة : السكر . تمل كفرح فهو تمل .

(٣) الخوط : النقص التام .

(٤) في باقوت : بالوقلة حصينة وبلدة من نواحي أرمينية بين أذن الروم وخراسان .

(٥) و (٦) هذه ألفاظ غير عربية .

(٧) يقال هو لا يساوى شيئاً . ولا يسوى كيرضى قليلة . (٨) سجا : سكن .

(٩) أصداء : جمع صدى : ما يردده الجبل على الصوت فيه .

(٢٨٩)

وقال في ولد له اسمه عتيق ، وكنيته أبو بكر ، على سبيل المجون :
عتيقٌ كاهلالٍ ، إذا تبدَّى لسارى الليل من تحت الغيوم
تقول ، إذا به الأترابُ حفوا : أهذا البدرُ ما بين النجوم

قافية النون

(٢٩٠)

وقال بدمشق ، وكتب بها إلى أصدقائه ، وهم عند سماع ، على طريقة الصوفية ،
فيهم صبيٌّ قوَّالٌ ، اسمه رضوانٌ ، حسنُ الصَّنَاعَةِ والوجه ، على سبيلِ المجون :
يا ساكني جنَّةٍ ، رضوانُ خازنها هنيئُ العيشِ في رَوْحٍ وريحانٍ
مروا النَّسيمَ ، إذا ما الفجرُ أيقظه بحمله طيبَ نَسْرِ^(١) منه أحياني
أو قابَعُوا نَغْمَةً منه يعيشُ بها قلبي ، فقد مات مُذْ حينٍ وأزمانٍ
ظبيٌّ أغن^(٢) تردى بالدُّبحي ، وجلا شمسُ النَّهارِ ، على غُصْنٍ من البانِ
في فيه ما في جنانِ الخلدِ : من دُرِّ ومن رَحِيقٍ ، ومن مسكٍ ، ومرجانٍ
إذا بداً وشداً في مجلسٍ ظنُّوا بُنيةِ النَّفسِ من حُسْنٍ وإحسانٍ
لا تَنسَني يا أبانصر^(٣) ، إذا حضرتُ قلوبكم بين مرُمومٍ وطَرَخاني^(٤)
كن لي وكيلاً على الرؤيا ، ووكل لي سواك يسمع عني شدو رضوان

(١) النشر : الريح الطيبة .

(٢) الأغن من الغزلان وغيرها : الذي في صوته غنة .

(٣) كان أبو نصر هذا أطرُوشاً . اه قلا عن الديوان .

(٤) طَرَخان : اسم للرئيس الشريف : كلمة خراسانية . وزم القرية : ملاها .

وَقُلْ لَهُ : يَتَغَنَّى مِنْ قَلَانِدِهِ صَوْتًا يُجَدِّدُ لِي شَجْوِي ، وَأُشْجَانِي
نَسِيمُهُ يَتَلَقَّانِي بِزُورَتِهِ مُبَشِّرًا لِي بِهِ مِنْ قَبْلِ يَلْقَائِي

(٢٩١)

وقال ببغداد ، وهو متوجه إلى مكة :

وَصَفُّوا لِي بِبَغْدَادَ حِينًا ، فَلَمَّا جِئْتُهَا ، جِئْتُ أَحْسَنَ الْبُلْدَانِ
مَنْظَرٌ مَبْهِجٌ ، وَقَوْمٌ سَرَاءُ^(١) قَدْ تَحَلَّوْا بِالْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ
لَيْسَ فِيهِمْ عَيْبٌ سِوَى أَنْ فِي كُلِّ بَنَانٍ عِلَاقَةٌ الْمِيزَانِ
وَسَمِعْنَا ، وَمَا رَأَيْنَا سِوَى أُمِّ ظُلُومٍ^(٢) فِيهَا مِنَ النُّسْوَانِ
وَهِيَ جَنِيَّةٌ كَأَقْبَجِ مَا شَرَّهَهُ رَبُّنَا مِنَ الْغِيْلَانِ
إِنَّ فِيهَا مِنَ الصَّبَايَا شُمُوسًا فِي غُصُونٍ تَهْتَزُّ فِي كُثْبَانِ
شَغَلْتَنَا السَّبْعُونَ وَالْحِجُّ عَنْهُمْ — نَ ، فَقَلْنَا بِالسَّمْعِ دُونَ الْعِيَانِ

(١) السراة : السادة .

(٢) أم ظلوم : عجوز كانت في الدار التي نزلها ببغداد فيبحة المنظر . أه قلاعن هامش الديوان .

باب المديح

قافية الباء

(٢٩٢)

قال في الأفضل عباس بن أبي الفتوح ^(١) ، شفاعاً لإنسان :

لقد عمَّ جُودُ الأفضَلِ السَّيِّدِ الْوَرَى وَأَغْنَى غَنَاءَ الْغَيْثِ حَيْثُ يَصُوبُ
أَعْدَتَ ربيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ فَلَيْسَ بِهَا لِلرَّائِدِينَ جُدُوبُ
وَجَادَتْ لَهُمُ بِالْمَالِ يُمْنًاكَ ، إِنَّهَا بَذُولٌ عَلَى بُحْلِ الزَّمانِ وَهُوبُ
”وفي“ ^(٢) كُلُّ حَيٍّ قَدْ خَبَطَتْ بِنِعْمَةٍ حُقَّتْ لِنَاسٍ مِنْ تَدَاكَ ذُنُوبُ“ ^(٣)

(٢٩٣)

وكتب إلى الملك الصَّالح من قصيدةٍ سيأتى أولُها :

غَرَّنِي لَامِعُ السَّرَابِ ، وَهَذَا السَّبْحُ دُونِي عَذْبُ الْمِيَاهِ شَرُوبُ
سَرْتُ أَسْتَقْرِئُ الْحَوَّلَ ، وَفِي أَرَضَى مَرَعَى عَيْنٍ ^(٤) ، وَوَادٍ قَشِيبُ
وَسَحَابٌ مِنْهُ تَعَلَّيْتُ السَّحَابُ ، وَإِنْ لَمْ تُشِيرْهُ ، كَيْفَ تَصُوبُ
سَوْءُ حِظِّ أَنَايَ عَنِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، وَالْحِظُّ يَنْتَهَى وَيُثُوبُ ^(٥)
وإلى بابِهِ مَالِي ، وَلِلآبِيقِ ^(٦) حُسْنُ الْقَبُولِ حِينَ يُنِيبُ ^(٧)

(١) وزير مصرى قتلته الفرنج سنة ٥٥٠ هـ . راجع المقدمة .

(٢) هذا البيت لعلامة بن عبدة كافي اللسان (خط) وشاس اسم أمى علقمة . وخطه بنعمة : أعطاه .

(٣) الذنوب : الخط والنصيب . (٤) العين : بقر الوحش .

(٥) تاب : رجع . (٦) الآبق : الهارب .

(٧) أنااب : تاب .

غَابَ عَنْهُ جِسْمِي ، وَقَلْبِي مَا زَا لَ مَقِيماً بِيَابِهِ ، لَا يَغِيبُ
 إِذَا مَا سَمِعْتَ بِالنَّازِحِ ^(١) الدَّ إِنِّي فَوَيْ ذَاكَ الْبَعِيدُ الْقَرِيبُ
 وَمَتَى مَا قُرْبْتُ مِنْهُ لَخَطِيٌّ مِنْ عُلَاهُ التَّقَرُّبِ وَالتَّرْحِيبِ
 وَبِمَا نِلْتُ مِنْ نَدَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ أَقْسَمْتُ صَادِقاً لَا أَحُوبُ ^(٢)
 لَا ثَنَانِي الْإِعَادُ عَنْهُ ، وَإِنْ حَا لَتَ أَعَادٍ مِنْ دُونِهِ وَحُرُوبُ
 أَوْ يُرَوِّى بِرُؤْيِي وَجْهَهُ الْمِمْسُونَ قَلْبِي الصَّادِي وَطَرَفِي السَّكُوبُ
 وَيَقُولُ الْأَنَامُ : آدَمُ قَدْ عَا دَ إِلَى الْخُلْدِ ، إِنَّ ذَا لَعَجِيبُ
 خِفَاتِي ، وَإِنْ بَلَغْتُ بِهِ الْمَأْمُولَ ، فِي غَيْرِ ظِلِّهِ لَا تَطِيبُ
 يَا أَخَا الْبَيْدِ وَالسَّرَى ، وَأَنْحَى السَّبْرَ ، إِذَا عَقْنِي أَخٌ وَنَسِيبُ
 قُلْ لِيَغِيثِي الْهَتُونِ فِي أَزْمَةِ الْحَلِّ ، وَغَوِيَّ إِنْ أَرَهَقْنِي الْخَطُوبُ
 كَاشِفِ الْغَمَّةِ الْمُبْرِ عَلَى الشَّحْبِ بِجُودِ مَدَى الزَّمَانِ يَصُوبُ : ^(٣)
 يَا رَبِّيعِي الْمَرْيَعِ ، حَاشَاكَ أَنْ تُنْجِلَ رَبِّي ، وَأَنْتَ ذُنُوحِي ، الْجَدُوبُ
 أَنَا أَشْكُو إِلَيْكَ دَهراً لِحَا ^(٤) عُو دِي ، وَأَعْرَاهُ ، فَهُوَ يَأْسُ سَلِيبُ
 وَخُطُوباً رَمَى بِهَا حَدُوثُ الدَّ هِرِ سَوَادِي ^(٥) ، وَكُلُّهُنَّ مُصِيبُ
 أَذْهَبَتْ تَالِدِي ^(٦) وَطَارَفِي الطَّارِي فَضَاعَ الْمُرُوثُ وَالْمَكْسُوبُ
 فَهُوَ شَطْرَانِ بَيْنَ مَصْرٍ وَبَحْرِ ذَا غَرِيقٍ فِي ^(٧) ، وَذَا مَنُوبُ
 وَإِبَانِي أَرَاهُ عَنْ حَمَلِهِ الْمَنْ ضَعِيفاً ، وَهُوَ الْقَوِيُّ الرَّكُوبُ

(١) تَزَح : يَبْدُ . (٢) الْخُوب : الْإِنَّم .

(٣) الصَّوب : الْإِنْصَاب . (٤) لِحَا الشَّجَرَةِ : قَشَرُهَا .

(٥) السَّوَاد : الشَّخْص . (٦) التَّالِد : نَمَا وَلَدَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِكَ أَوْ نَتَجَ : وَالطَّارِف : الْحَدِيثُ مِنَ الْمَالِ .

(٧) الْغَرِيقُ : الْغَنِيمَةُ .

وَيَرَى كُلَّ مَنَّةٍ لِسَوَى الصَّامِ لِحْ غُلَا فِي حَمْلِهِ تَعَذِيبُ
 مَا اعْتَذَارُ الْمُنَى إِذَا مَطَّلَتْنِي بِطِلَافِي ، وَفَضْلُكَ الْمَطْلُوبُ
 أَوْ لَيْسَتْ مِصْرًا ، وَكُلُّ بَنَانٍ لَكَ بِحَرٍّ ، وَكُلُّ عَيْدٍ خَصِيبُ
 وَالنَّدَى طَبْعُكَ الْكَرِيمُ ، فَا أَهْنَى نَوَالًا تُنِيلُهُ ، وَتُثِيبُ
 جَاءَنِي وَالْبِعَادُ دُونِي ، كَمَا جَا بَتَ فَيَافِي^(١) الْبِلَادِ رِيحُ هَبِيبُ
 وَعَجِيبُ أَنْتَ الْمَوَاهِبَ تَسْرِى وَيَقِيمُ الْمُسْتَرْفِدُ^(٢) الْمَوْهُوبُ
 سُنَّةٌ سَنَهَا نَدَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، فِيهَا لِكُلِّ خَلْقٍ نَصِيبُ
 مَنْ ثَنَانِي طَوَى إِلَيْهِ الْفَيَافِي^(١) وَهَرَمَ مِنْ كُلِّ ذِي اقْتِرَابٍ قَرِيبُ
 وَلَهُ بِالْأَسْرَالِ بَاعٌ طَوِيلٌ وَيَدٌ سَبْطَةٌ ، وَصَدْرٌ رَحِيبُ
 وَبِأَيَّامِهِ تَبَسَّمَتِ الدُّنْيَا سُورًا ، فَلَا اعْتَرَاهَا قُطُوبُ

فَأَجَابَهُ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَوَّلُهَا^(٣) :

يَا أَخْلَاىَ بِالشَّامِ لَنْتَ غَيْبُكُمْ ، فَشَوْقِي إِلَيْكُمْ لَا يَغِيبُ
 غَضَبَتْنَا الْأَيَّامُ قَرَبُكُمْ مَنَا ، وَلَا بَدَأَ أَنْ تَرُدَّ الْغُصُوبُ
 وَلَكُمْ ، إِنْ نَشِطْتُمْ عِنْدَنَا إِلَّا كِرَامًا ، وَالرَّفْدُ^(٤) ، وَالْحُلُّ الْخَصِيبُ
 قَدْ عَلِمْتُمْ بِأَنَّ غَيْثَ أَيَادِينَا عَلَى النَّاسِ بِالنُّضَارِ^(٥) سَكُوبُ
 وَبِنَا يَدْرُكُ الْمُؤَمِّلُ مَا يَرَى جُوهَ قَدَمًا ، وَيُنْقَذُ الْمَكْرُوبُ
 نَحْنُ كَالشَّحْبِ : بِالْبَوَارِقِ وَالرَّعْدِ لَدَيْنَا التَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيْبُ

(١) الفَيَافِي : جَمْعُ فَيْفَا ، وَهِيَ الْمَقَارِزَةُ لَا مَا . فِيهَا .

(٢) الْمُسْتَرْفِدُ : الْمُسْتَعِينُ . (٣) مَطْلَعُ الْقَصِيدَةِ .

بِأَنِّي شَخْصُكَ الَّذِي لَا يَغِيبُ عَنْ حَيَاتِي ، وَهُوَ الْبَعِيدُ الْقَرِيبُ

وَانْظُرْ ص ٧ وَص ١٥٣ وَ ٢٩٦ . وَجَزْءٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّصِّ فِي الرَّوْضَيْنِ ١ : ١٠٦ وَ ١١٨ .

(٤) الرَّفْدُ : الْعَطَاءُ وَالصَّلَاةُ . (٥) النُّضَارُ : الذَّهَبُ الْخَالِصُ .

تَارَةً تُسْعِرُ الْحُرُوبَ عَلَى النَّاسِ ، وَطَوْرًا بِالْمَكْرَمَاتِ نَصُوبٌ ^(١)
كَرَّةَ الشَّامِ أَهْلَهُ ، فَهُوَ مُحَقَّقٌ بِأَلَّا يُقِيمَ فِيهِ لَيْبٌ
إِنْ نَجَّاتْ عَنْهُ الْحُرُوبُ قَلِيلًا خَلَقَهَا زَلَزَلٌ ^(٢) وَخُطُوبٌ
وَمِنْهَا :

أَنْ ظَنِّي ، وَالظَّنُّ مِثْلُ سَهَامِ الرَّيِّ : مِنْهَا الْمُخْطَى ، وَمِنْهَا الْمُصِيبُ
إِنْ هَذَا لِأَنَّ غَدَتِ سَاحَةُ الْقَدَسِ ، وَمَا لِلْإِسْلَامِ فِيهَا نَصِيبٌ
مَنْزِلُ الْوَحْيِ قَبْلَ بَعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ، فَهُوَ الْمَحْجُوجُ وَالْمَحْجُوبُ
تَزَلَّتْ وَسَطُهُ الْخَنَازِيرُ وَالْخُمْرُ ، وَبَارَى النَّاقُوسُ فِيهَا الصَّلِيبُ
لَوْ رَأَاهُ الْمَسِيحُ لَمْ يَرْضَ فَعَلًا ذَكَرُوا ^(٣) أَنَّهُ لَهُ مَنَسُوبٌ
أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّ النَّاسِ قَوْمٌ إِلَهُهُمْ مَصْلُوبٌ
وَمِنْهَا :

وَلَعَمْرِي إِنَّ الْمُنَاصِحَ لِلدِّينِ ^(٤) عَلَى اللَّهِ أَجْرُهُ مُحْسَبٌ
وَجِهَادُ الْعَدُوِّ بِالْفِعْلِ وَالْقَوْلِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مَكْتُوبٌ
وَلَكَ الرِّبَةُ الْعَلِيَّةُ فِي الْأُمُورِ مَذَكَّتٌ ، إِذْ تَشَبَّ الْحُرُوبُ
أَنْتَ فِيهَا الشَّجَاعُ ، مَا لَكَ فِي الطَّعْنِ ، وَلَا فِي الضَّرَابِ يَوْمًا ضَرِيبٌ
وَإِذَا مَا حَرَضْتُ ^(٥) فَالشَّاعِرُ الْمَفْلِقُ فِيمَا تَقُولُهُ ، وَالْخَطِيبُ
وَإِذَا مَا أَثَرْتَ فَالْحَزْمُ لَا يُنْكَرُ أَنْ التَّدْيِيرَ مِنْكَ مُصِيبٌ
لَكَ رَأْيٌ مَذْقُطٌ ^(٦) ، إِنْ ضَعُفَ الرَّأْيُ ، عَلَى حَامِلِ الصَّلِيبِ صَلِيبٌ ^(٧)

(١) الصُّوب : الانصباب .

(٢) يشير إلى الزلازل العنيفة التي حدثت بالشام وأنت على شيز رومن فيها من أهل أسامة . راجع مقدمة الديوان .

(٣) في هاشم الديوان : زعموا .

(٤) في الروضتين : في الدين .

(٥) في الروضتين : قرضت .

(٦) في الروضتين : يقظان .

(٧) الصَّلِيب : الشديد .

فانهض الآن مُسرِعاً ، فبأمنك لك ما زال يُدرك المطلوب
والق عنا رسالةً عند نور الدِّين ، ما في إلقائها ما يريب
قل له ، دَام مُلكه ، وعليه من لباس الإقبال بُردُ قشيب: ^(١)
أيها العادل الذي هو للدِّين شباب ، وللحروب شبيب ^(٢)
والذي لم يزل قديماً عن الإسلام بالعزم منه تجلّى الكروب
وغدا منه للفرنج إذا لا قوه يوم من الزمان عصب
إن يرم ^(٣) نزع حقدهم فلاشطان ^(٤) قناه في كل قلب قلب ^(٥)
غيرنا من يقول ما ليس بمضيه بفعل ، وغيرك المكذوب
قد كتبنا إليك ، فوضح لنا الآن ^(٦) بما ذا عن الكتاب نجيب
قصداً أن يكون منا ومنكم أجل في مسيرنا مضروب
فلدينا من العساكر ما ضا ق بأدائهم الفضاء الرحيب
وعلينا أن يستهل ^(٧) على الشا م مكان الغيوث مال صبيب
أو تراها مثل العروس : تراها كله من دم العدا مخضوب
لطّين السيوف في فلق الصبح على هام أهلها تطريب
ولجمع الحشود من كل حصن سلب مهمل لهم ونوب
وبحول الإله ذاك ، ومن غا لب ربّي فإنه مغلوب ^(٨)

(١) قشيب : جديد .

(٢) هو شبيب بن يزيد الشيباني أحد أبطال الحروب ومن كبار الثائرين على بني أمية . توفي سنة ٧٧ هـ .

(٣) هذه رواية الروضتين وفي الأصل : ترم .

(٤) الشطان محرّكة : الحل الطويل .

(٥) القلب : البر .

(٦) في الروضتين : ماوضح الآن .

(٧) استهل المطر : اشتد انصبابه .

(٨) هذه القصيدة وصفت لما أصاب القدس في عهد الحروب الصليبية واستناض من الوزير المصري الملك الصالح

الملك النادل نور الدين محمود كي يجتمع شمل البلدين لطرد العدو من الوطن المغتصب .

قافية الجيم

(٢٩٤)

وقال :

يَا مُتَهَيِّ الْأَمَلِ امْتَدَّتْ مَطَارِحُهُ وَيَا حَيِّ مَنْ إِلَيْهِ فِي الْخُطُوبِ لِحَا
هَذِي نَتِيجَةُ فِكْرٍ كَانَ فِي الزَّمَنِ الْمَاضِي عَقِيمًا ، وَلَوْلَا أَنْتَ مَا نُنَجَّا
أَتْنَكَ تَحْمِلُ شُكْرًا لَوْ قَرَنْتَ بِهِ لَطَيْمَةً^(١) لَا كَتَسْتَ مِنْ نَشْرِهِ^(٢) أَرْجَا^(٣)

قافية الحاء

(٢٩٥)

وقال^(٤) :

فَيَا أَخَا الْعَزَمِ يَطْوِي الْبَيْدَ مُنْصَلِتًا فِي سَيْرِهِ عَنْ مَسِيرِ الْعَاصِفَاتِ وَحَى^(٥)
قُلْ لِلْهَذَبِ فِي فَضْلِ ، وَفِي خُلُقٍ وَلِلْبَلِغِ ، إِذَا مَا جَدَّ أَوْ مَرَحًا
مَنْ يَنْثُرُ الدَّرَّ فِي ثَرِّ الْكَاتِبَةِ إِنْسَاءً ، وَيَنْظُمُهُ فِي النَّظْمِ إِنْ مَدَحًا
مَنْ لَفْظُهُ تُسَكَّرُ الصَّاحِي فَصَاحْتُهُ^(٦) وَلَوْ وَعَى فَضْلَهُ ذُو سَكْرَةٍ لَصَحَا :
أَتْنَكَ مُغْرِبَةَ الْأَنْبَاءِ مُعْرِبَةً عَنْ مُخْلِصٍ ، إِنْ دَنَا فِي الْوُدِّ ، أَوْ تَزَحَا

(١) اللطيمة : المدك .

(٢) النثر : الريح الطيبة .

(٣) الأرج : توهج ريح الطيب .

(٤) اعل أول القصيدة في باب الغزل ص ١١ قوله : أرتة غرته في المجر مصلحتي .

أو قوله : عقائل الحلى أم سرب الملبا سحبا ...

(٥) الوحي : المعجزة والإمراع . وانصلت : مضى وسبق .

(٦) - في دأمش الديوان : بلاشته .

فاسمع ، فلا زلت للخيرات مُستمعاً
مولاي إن سدّ عني باب أنعمه
ولم يجذ لي بطرف من مواهبه
بجوذه السكب إن أكدت^(٢) محابله^(٣)
وكم له من يدٍ عندي تزيد على
أقل مانيت من جدوى^(٤) يديه غني
لقد غنيت به عنه ، كما غني الغدير بالسحب عنها ، بعد ما طفحاً
لكن بقلبي هم زاد سورته
أظنني العجز في الحرب العوان ، وهل
ومنها :

فقل له ، جدّد الله البقاء له .
كم قد بعثت إلى عايك من أمل
وأنت من لو حبا الدنيا بأجمعها
وما سلّمت فذنب الدهر معتقراً
ما شقّ جيب الدجى صبح وما وضحاً :
ألتنيّه ، وكم من مطلب نجحاً
لم يرّضه ما حبا منها وما منعاً
وضرفه ما جنى جرماً ولا اجترحاً^(٦)

تافية الدال

(٢٩٦)

وقال :

كناسُ سرب المها عريسة الأسد^(٧) فكيف بالوصل للستهر^(٨) الكمد
والبيض ، دون خدور البيض ، مصلته
حكّت جداول ماو غير مطّرد

(١) أبزل . (٢) أكدي : بخل ، أو قل خبره . أو قل عطاءه . (٣) تخايله : جمع تخيلة من خال بمعنى ظان .

(٤) الجدوى : العطية . (٥) سورة الشى : حدثه . ويخبر : يسكن . وقده بالزند : رام الإبراء به .

(٦) صرف الدهر : نوائبه . واجترح : اكتسب .

(٧) الكناس : مستتر الظلي في الشجر . والمها : بقرة الوحش . والعريسة : ماوى الأسد .

(٨) الستهر : بكذا على ما لم يسم فاعله : قتن به ، وذهب عقله ، وانصرف همه إليه .

وَكُلُّ أَسْمَرَ فِيهِ لَهْذَمٌ ذَرْبٌ^(١) بَمَذَوَةِ النَّارِ لَمْ تُقْبَسْ وَلَمْ تَقَدْ
إِذَا تَسَدَّدَ دَاوَى كُلِّ ذَى لَدَدٍ^(٢) وَإِنْ تَأَوَّدَ^(٣) سَاوَى مَيْلِ ذَى الْأَوْدِ
وَالْيَضُّ وَالشُّمْرُ لَا تَرَوَى بِغَيْرِ دِمٍّ مِنْ كُلِّ جَائِشَةِ الْأَرْجَاءِ بِالزَّبَدِ
صَدِينَ حَتَّى جَلَاهَا فِي النُّحُورِ وَفِي الْهَامَاتِ أَوْعُ يُرَوَى غُلًّا^(٤) كُلُّ صَدٍ
مَنْ أَظْهَرَ الْجُودَ وَالْإِقْدَامَ إِذْ عُدِمَا إِلَى الْوُجُودِ بِضَرْبِ الْهَامِ وَالصَّيْفِ^(٥)
وَنَفَقَ الْعِلْمُ مِنْ بَعْدِ الْكِسَادِ ، فَمَا تَرَى سِوَى طَالِبٍ لِلْعِلْمِ مُجْتَهِدٍ
مَنْ عَدْلُهُ أَمْنُ الشَّاءِ الْمُهْمَلِ فِي الْأَعْرَيْنِ أَنْ يَتَوَقَّى وَثْبَةَ الْأَسَدِ
مَنْ يَلْتَقِي الْمُنْذِنِينَ الْمُسْلِمِينَ بِمَا جَنُوهُ قَصْدًا بَعْفُو غَيْرِ مُقْتَصِدٍ
يُسْنِي الْمَوَاهِبَ مَسْرُورًا بِهَا جَدَلًا فَهُنَّ غَيْرُ مَمْنُونٍ^(٦) وَلَا نَكِدِ
وَمَا تَذَمَّرَ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ غَضَبٍ إِلَّا جَلَا عَنْ مُحِيٍّ بِالْحَمَاءِ نَدٍ
كَالْمُشْرِفِيَّةِ فِيهَا حُسْنُ رُونِهَا فِي السَّلْمِ ، وَالْحَرْبِ ، وَالْهَامَاتِ ، وَالْغُمْدِ

قافية الراء

(٢٩٧)

وقال :

يَا مُنْقَذِي ، وَيَدُ الزَّمَانِ تَنْوُشُنِي^(٧) وَمُقْبِلَ جَدَى ، وَهُوَ كَابٍ عَائِرُ^(٨)
حَتَّامٌ أَنْتَ لِتَقْبِلَ هَيَّ حَامِلٌ وَمَا يَبِيضُ^(٩) الدَّهْرُ مِنِّي جَابِرُ
وَمُقَارَعُ دُونِي الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ مُسْتَلْهِمِينَ^(١٠) ، وَأَنْتَ فَكُذِّ حَامِرُ

- (١) الهمز : القاطع من الأسته . والدرب : الحاد . (٢) اللدد : الخصومة الشديدة .
(٣) أود : أعوج . (٤) الغل : العطش . والصدى : العطشان .
(٥) الصفد محركة . الوثاق . (٦) من الحيل : قطعه .
(٧) تنوشني : تناولني .
(٨) أقال جدده : رفعه من سقوطه . والجد : الحظ . وكذا : انكب على وجهه .
(٩) هاض : كبر .
(١٠) استلام : لبس اللامة وهي الدرع . والحاسر : المتكشف .

مهلاً ، فدّى لك مهجّةً دافعتَ عن حَوْبائها^(١) ، إذ ليس غيرك ناصِرُ
خَفِضَ عليك ؛ فللأُمور نهايةٌ وإلى النهايةِ كلُّ شيءٍ صائرُ

(٢٩٨)

وقال يمدح الأميرَ مُعِينَ الدِّينِ أنُرُوقد لَبَّى الفَرَنجَ فهزَمَهُم :
كَلَّ يَوْمَ فَتَحَ مِينٌ ، وَنَصَرَ وَاعْتَلَأَ عَلَى الْأَعَادِي وَقَهَرُ
قَدْ أَتَاكَ الزَّمَانُ بِالْعُذْرِ وَالْإِعْتَابِ^(٢) مِمَّا جَنَاهُ ، إِذْ هُوَ غِرُّ
صَدَقَ النَّعْتُ فِيكَ ، أَنْتَ مُعِينُ الدِّينِ ، إِنَّ النُّعُوتَ فَأَلْ وَزَجَرُ
أَنْتَ سَيْفُ الْإِسْلَامِ حَقًّا ؛ فَلَا فَلَ غِرَارِيكَ أَيُّهَا السَّيْفُ دَهْرُ
بِكَ زَادَ الْإِسْلَامُ يَاسِيفَهُ الْخِزْدَمَ^(٣) عَزًّا ، وَذَلَّ شِرْكَهُ وَكُفْرُ
ثِقَ بِإِدْرَاكِ مَا تَوَقَّلُ ؛ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْعِبَادَ عَمَّا أَسْرَوْا
لَمْ تَزَلْ تُضْمِرُ الْجِهَادَ مُسِرًّا ثُمَّ أَعْلَنْتَ ، حِينَ أَمَكَنَ جَهْرُ
كُلِّ ذَنْبٍ الْمُلُوكِ يَفْنَى وَذُخْرَاكَ ، هُمَا الْبَاقِيَانِ : أَجْرُ ، وَشُكْرُ
لَلنَّدَى مَالِكِ الْمُبَاحِ ، وَمَا مَا لَكَ إِلَّا جُرْدٌ^(٤) ، وَبَيْضُ ، وَسُمْرُ
عَمَّ أَهْلَ الشَّامِ عَدْلُكَ لَكِنَّا بَعْدُنَا ، وَغَايَةُ الْبَعْدِ مِصْرُ
خُفَرْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ رَيْعَ مَا كُنَّا زَرَعْنَا ، وَقَالَ زَيْدٌ ، وَعَمْرُو
أَمِنْ الْعَدْلِ أَتْنَا فِي بِلَادِ الْكُفْرِ شَفْعُ ، وَأَنْتَ فِي الْغَزْوِ وَتُرُ
كَانَ حَظِّي مِنْ ذَلِكَ ذِكْرًا شَنِيعًا ثُمَّ مَالِي فِيمَنْ يُجَاهِدُ ذِكْرُ

(٢) أعتبه : أعطاه الدّين وهو الرضا .

(٤) جرد : جمع أجرد ، وهو الفرس القصير الشعر .

(١) الحوباء : الناس .

(٣) خذمه : قطعه .

لَا تَتَأَمَّى مَنْ كَانَ ظِلُّكَ فِي الْعُسْرِ وَضِيقِ الزَّمَانِ إِذْ جَاءَ يُسْرُ
إِنَّ حَسْنَ الْوَفَاءِ مِنْ مَلِكٍ مِثْلَكَ فَضْلٌ ، يَرُوهُ بَدْوٌ وَحَضْرُ
فَاقِبٌ ، وَاسْلَمَ ، وَزَدَ عَلَى رَغَمِ أَعْدَاكَ جَدًّا ، مَا أَعْقَبَ اللَّيْلَ الْخَرُ
لَا أَغْبَى الزَّمَانُ قَصْدَ أَعَادِيكَ ، وَلَا شَدَّ مِنْ تَبَيُّتِ^(١) جَبْرُ

(٢٩٩)

وقال :

صَدِيقُ لَنَا كَاللَّيْلِ : يَسْتُرُ الدُّخَانَ ، وَيُبْدِي النُّورَ لِلنُّورِ
يُؤَارِي إِسَاءَاتِي ، وَيُبْدِي مَحَاسِنِي وَيَحْفَظُ غَيْبِي فِي مَغِيبِي وَمَحْضَرِي

(٣٠٠)

وقال في ناصر الدين نصير بن الأفضل عباس^(٢) رحمه الله :

يَا مَنْ يُهَيِّنُ الْمَالَ فِي كَسْبِ الْعَلَا وَيَرَى الثَّنَاءَ أَجَلَ ذُنْحٍ يُذْخِرُ
أَغْرَبْتُ فِي بَذْلِ النَّوَالِ ، وَخَاطَبْتُ الْعُلَيَّا لَيْسَ بِضَائِعٍ مَا يُمَهِّرُ^(٣)
وَسَعَيْتَ لِلْعَبْدِ الَّذِي فِي مِثْلِهِ إِلَّا عَلَيْكَ حُزُونَةٌ وَتَوَعَّرُ
وَبَذَلْتَ جُودَكَ لِلْعَفَاةِ^(٤) ، فَهَلْ لَمْ
كَمْ مِنْ يَدٍ أَوْلَيْتَ بِهَا ، أَثْمَرْتُ عِنْدِي ، وَمَا كُلُّ الْأَيْدِي تُثْمَرُ
وَكِرَامَةٌ أَبَدًا ، أَبُوحُ بِشُكْرِهَا إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْكَرَامَةِ يُشْكُرُ
وَالشُّكْرُ مِنْ مِثْلِي يَزِينُ ، وَلِئِمَّا بِنَاءٍ مِنْ يَتَنَّى عَلَيْهِ يُفَخَّرُ
وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ كَالْوَسِيِّ : ذَا^(٥) مِنْ قَطْرِهِ نَبْتُ ، وَهَذَا جَوْهَرُ

(٢) راجع مقدمة الديوان .

(١) أغب : جاء يوما وترك يوما . وتهبض : انكسر .

(٤) العفاة : جمع عاف وهو طالب المعروف .

(٣) أغرب : أتى بالغريب .

(٥) الوسي : مطر الربيع الأول .

(٣٠١)

وقال في الملك الصالح ، وقد تقدم أول ^(١) القصيدة :

لكن مكاني من أنعم الملك الصا لِح لا تهتدي له الغير ^(٢)
أنهلي ، ثم علني جوده الغم ر ، فبعدى عن بابه صدر ^(٣)
فقل لمن سره يعادى : ما تبعد أرض يؤمها المطر
ماضرتني البعد عن ندى ملك يبلغ ما ليس يبلغ الخبر
يطلب طلاب جوده ، فلن يرجو مقام ، وللندى سفر
أبقت عطاياه لي غناى ، كما تبقى عقيب السحاب الغدر

ومنها :

يامالكا أصبحت بدولته ال أيام تزهو تبهيا ، وتفتخر
أطال باعى جميل رأيك ، فال أحداث دوني في باعها قصر
وشد أزري ، حتى ترجيت أن يحمل غني أنقال ما أزر
أنشرت لي أسرتي ، فشكري ، ما فاه في ، في البلاد منتشر
وانتشرهم من يد الخطوب ، ولا ملجأ منها ينجي ولا وزر
سيرهم فضلك الذي أعجز الوصف ، ولم تتل مثله السير
فاعل ، ودم ، ماعلا النهار ، وما أضاء في حندس الدجى القمر
مشرقا عصرنا البهيم ^(٦) ، فأياملك فيه الأوضاح والغر ^(٧)

(١) أول القصيدة :

أنا وأدنتك منهم الذكر ومنظمتهم لقلبك الفكر

راجع ص ٧٧ .

(٣) النبل : أول الشرب . والعلل : الشرب بعد الشرب . والنمر : الماء الكثير . والصدر : الرجوع .

(٢) غير الدهر : أحداثه .

(٥) الحندس : الظلمة .

(٤) انتاشه : انخرجه .

(٦) البهيم : الأسود .

(٧) الأوضاح : جمع وضخ ، وهو بياض الصبح . والغر جمع غرة ، وهي بياض في الجبهة .

وَاجْتَنَاهَا بَنَاتُ يَوْمِهَا ، ثُمَّ عُمِّرُ الدَّهْرَ ، حَتَّى يَفْنَى ، لَهَا عُمُرُ
يَضُوعُ مِنْهَا فِي كُلِّ قُطْرٍ مِنَ الْأَرْضِ ضَرْبُ ثَنَاءٍ كَأَنَّهُ قُطْرٌ^(١)
وَلَوْ رَأَى الْجَوْهَرِيُّ أَلْفَ ظَاهِمِ الْغُرِّ لَمَا شَكَّ أَنَّهَا دُرٌّ
هَذَا ، وَفِيهَا ، إِنْ رُمْتُ شُكْرًا لِإِنْعَاءِ مَكَ أَوْ حَصَرَ بَعْضُهُ ، حَصْرٌ

(٣٠٢)

وقال :

سَأَرْحَلُ عَنْ جَنَابِكَ غَيْرَ قَالٍ بِشُكْرِ يَفْغَمُ الْآفَاقَ نَشْرًا^(٢)
وَمَا شُكْرِي لِمَا أَوْلَيْتَ كُفً وَلَكِنِّي سَأَلِي فِيهِ عُذْرًا^(٣)

قافية السين

(٣٠٣)

وقال :

لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ قَتَى أَبَدَتْ بِهِ أَيَّامُنَا بِشَرِّ الزَّمَانِ الْعَاسِ
صَدَقَتْ أَمَانِي الْخَيْرِ فِيهِ ، فَلَمْ تَدْعُ صَدْرًا يُضْمُّ عَلَى قُوَادِ آيسِ
نَالَ^(٤) الْعَلَا ، حَتَّى أَقَرَّ بِفَضْلِهِ وَعُلَاهُ كُلِّ مُعَانِدٍ وَمُنَافِسِ
جُودٍ كَمَا الْمُزْنِ طَلَقُ خَالِصٍ مِنْ مَنِّ مَنَانٍ وَمَنْعٍ مُمَاكِسِ^(٥)
وَمَوَاهِبٍ لَوْ قُسِّمَتْ بَيْنَ الْوَرَى مَا كَانَ يَوْجَدُ فِيهِمْ مِنْ بَائِسِ
وَنَدَى يَدٍ لَوْ أَنَّهَا مَبْسُوطَةٌ فِي الْأَرْضِ أَثْمَرَ كُلِّ عَوْدٍ يَابِسِ

(١) القطر بالضم : العود الذي يتجربه . وضاع المسك : تحرك فانتشرت رائحته .

(٢) قلاه : أبغضه . وفغمه الطيب : سد خياشيمه . والنشر : الريح الطيبة .

(٣) أبلاه عذرا : أداه إليه فقبله .

(٤) بهامش الديوان (حاز) رواية .

(٥) ما كسه في البيع : شاحه .

قافية الماء

(٣٠٤)

وقل في الملك الصالح من قصيدة مضى أولها ^(١) :

| | |
|--|---|
| ومن عَلِقَتْ بالصَّالِحِ الْمَلِكُ كَفَّهُ | فليس له دُونَ الْعَلَا والغنى شَرَطُ |
| ومن دُونِهِ، إِنْ رَابَ خُطْبُ ذَوَابِلُ | وبيضٌ ، وجرْدٌ ، لا الْقَتَادَةَ وَالْخُرْطُ ^(٢) |
| أَمَارَتْ جُدُودِي مَذْ عَلِقْتُ بِحَبْلِهِ | وكان لها في خُطْبِ عَشَوَاتِهَا خَبِطُ ^(٣) |
| له نَائِلٌ يَسْرِي إِلَى كُلِّ أَمَلٍ | ”إِذَا جِئْرَةُ سَمِيحِ النَّوَالِ فَلَمْ يُنْطَوِ ^(٤) “ |
| على كُلِّ وَجْهِ نَضْرَةٌ مِنْ نَوَالِهِ | وفي كُلِّ جَيْدٍ مِنْ صَنَائِعِهِ قُرْطُ |
| وكم أَمَلٍ جَفَدَ أَتَى الْيَأْسُ دُونَهُ | تَلَقَّاهُ مِنْ إِنْعَامِهِ نَائِلٌ سَبَطُ |
| وكنْتُ أُرِيحِي مِنْهُ مَا دُونَهُ الْغَنَى | إِذَا مَا غَدَا فِي كَفِّهِ الرَّفْعُ وَالْحَطُ |
| فَلَمَّا وَرَى زَنْدُ الْمَعَالِي بِكَفِّهِ | وقال نَدَاهُ لِلْوُفُودِ : أَلَا حُطُّوا |
| نَأَتْ بِي الْيَالِي عَنْهُ ، لَكِنَّ جُودَهُ | أَتَانِي ، وَلَمْ يَحْجِزْهُ نَأَى وَلَا شَطُ |
| كَذَا الْغَيْثُ يَسْرِي طَالِبًا كُلَّ طَالِبٍ | فكُلُّ له مِنْ فَيْضٍ وَابِلِهِ قَسْطُ |
| وإِنْعَامُهُ كَالشَّمْسِ يَغْشَى ضِيَاؤُهَا | لِمَنْ زَاغَ ، أَوْ حَاذَاهُ مِنْ أَفْقِهَا خَطُ |
| فَأَنْزَرُ حَنْلِي مِنْ مَوَاهِبِهِ الْغَنَى | وَأَيْسُرُ تَخْوِيلِي ^(٥) الْعَشِيرَةُ وَالرَّهْطُ |

(١) مطلع القصيدة :

أَجِيرَةُ قَلْبِي إِنْ تَدَانُوا وَإِنْ شَطُوا .

(٢) القَتَاد : شجر صلب له شوكة كالإبر . والخُرُوط : الدابة الجروح تجتذب رُسْنَهَا مِنْ يَدِ مَسْكُهَا ، ثُمَّ تَمُضِي ،
والجَمع : خُرْط . والذَوَابِل : الرماح ، والجرْد : الخيل القصيرة الشعر . (٣) العشوا : الظلمة .

(٤) مطلع قصيدة أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِي :

لِمَنْ جِئْرَةُ سَمِيحِ النَّوَالِ فَلَمْ يُنْطَوِ يَظْلَهُمْ مَا ظَلَّ يَنْتَبِهُ الْخَطُ

وَأَنْطَى : أَعطى .

(٥) خَزَلَهُ : أَعْطَاهُ مَغْضَلًا .

حَبَانِي نَفُوسًا ، لَا نَفِيسًا مِنَ اللَّهِى^(١) وَنَسُوتِي مَا لَمْ يُنْزِلْ مَلِكٌ قَطُّ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا آلُ رُزِيكَ ، لَانَهُمْ بَنُوا الْحَرْبَ فِي يَوْمِ الْوَعَى ، وَبَنُوا النَّدَى
إِذَا مَا اخْتَبَوْا^(٢) فَالْرَاسِيَاتُ رَجَاحَةٌ لَّهُمْ جَبَلٌ ، لَا زَعْرَعَ الْخَطْبُ رُكْنَهُ
أَقَرَّ الْوَرَى أَنْ لَيْسَ كُفْنًا لِمُلْكِهِ فَلَا زَالَتِ الْأَقْدَارُ تَجْرَى بِأَمْرِهِ
فَأَجَابَهُ مُحْرَضًا عَلَى الْجِهَادِ^(٣) :

هِيَ الْبَدْرُ ، لَكِنِ الثَّرِيَّا لَهَا قُرْطٌ مَشَتْ ، وَعَلَيْهَا لِلْغَمَامِ ظَلَالِلُ
تَسُومُ صَرِيْعًا فِي الرَّحَالِ كَأَنَّهُ فَمَا اخْضَرَّ تَرْبُ^(٤) الْأَرْضِ إِلَّا لَأَنَّهَُا
وَلَا طَابَ نَشْرُ الرُّوْضِ إِلَّا لَأَنَّهُ وَلَا طَارَ ذِكْرُ الطَّيِّ إِلَّا لَأَنَّهُ^(٥)
مِنَ الْبَيْضِ مِثْلُ الصُّبْحِ ، مَا لِلظَّلَامِ فِي

- (١) اللّهُى بالضم : العطايا ، مفردة طوة .
(٢) جمع أشخط . والشمط : بياض يحاط سواد الشعر .
(٣) احني بالثوب : اشتبل به .
(٤) نخط خط نخطا ، والنحاط : تردد البكاء في الصدر من غير أن يظهر كالنخط ، والنحط شبه الزفير .
(٥) مات عبطة : شابا صحيحا .
(٦) النص بعضه في الخريدة المطبوعة ١ : ١٧٦ ، والروضتين ١ : ١١٩ . وثلاثة أبيات منه في نقد الجان : القسم الثاني ، ومرآة الزمان ج ٨ .
(٧) السمط : القفلادة .
(٨) في العقد والمرآة : ثوب .
(٩) المروط بالكسر : كساء من صوف أو خز ، يجمع مروط .
(١٠) في الخريدة : وقد غدا .
(١١) العطر ، رفع الرأس والهدين .
(١٥)

إلى العَرَبِ الْأَحَاضِ^(١) يُعْزَى قَبِيلُهَا
ولما غَدَت كَالْعَاجِ ، زَيْنَ صَدْرُهَا
وَأَرْسَلَ فَوْقَ الْخَدِّ صَدْعٌ مَكَلَّلُ
ذَوَائِبَ زَارَ الْخَصَرَ مِنْهُنَّ فَاحِمٌ
يُنَافِي سَنَا الْكَافُورِ إِنْ مُشِطَتْ بِهِ
ولما نَأَتْ عَنَّا عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
فَأَذَكَّرْنَا ذَاكَ الْبُعَادَ مَعَاثِرًا
وَأَلْقَوْنَا ، وَقَدْ شَطُّوا ، فَوَادَ مُحِبِّهِمْ
وَلَيْسَ تَشْقُ الشُّفْنُ أُمُوجَهُ ، وَلَا
أَحْبَابُنَا بِالشَّامِ ، عَفْتُمْ جَوَارِنَا
وَمَا كَانَ بَعْدَ النَّيْلِ ، وَالنَّيْلِ زَاخِرًا
وَقَدْ عَشْتُمْ فِيهَا زَمَانًا ، فَمَا اعْتَرَى
وَكُنْتُمْ لَنَا دُونَ الْأَقَارِبِ أَسْرَةً
وإِنَّا أَنَاسٌ ، لَيْسَ يَبْرَحُ جَارُنَا
وَيَمْتَاخُنَا^(٢) زَوَارِنَا ، فَكَاثِمًا
وَيُصْبِحُ بَسَطُ الْكَفِّ بِالْمَالِ عِنْدَنَا
وَتَخْرُقُ شَرْقَ الْأَرْضِ وَالْغَرْبَ خَيْلُنَا
وِظْلَاءٌ لِلشَّيْبِ الدَّارِي إِذَا سَرَتْ

وقد ضَمَّهَا فِي الْحَسَنِ مَعَ يُوسُفَ سَبِطُ^(٣)
بِحَقِّينَ مِنْهُ ، قَدْ أَجَادَهُمَا الْخَرْطُ
كَمَا انْسَابَ فِي الرُّوَضَاتِ حَيَاتُهَا الرُّقْطُ^(٤)
تَحَدَّرَ ، لَا جَعْدُ النَّبَاتِ ، وَلَا سَبِطُ
وَيُخْفِي سَوَادَ الْمِسْكِ ، فَهَوْلَهَا خَلِطُ
تَسَاوَى الرِّضَاوُ السَّخَطُ وَالْقَرْبُ وَالشَّحَطُ^(٥)
نَاوَا ، فَكَأَنَّا مَا لَقِينَاهُمْ قَطُّ
إِلَى بَحْرِ شَوْقٍ مَا لِلجَنَّةِ شَطُّ
بِسَاحِلِهِ لِلْعَيْسِ رَفْعٌ وَلَا حَطُّ
بِفَاوَرِكُمْ فِي أَرْضِهَا الْخَوْفُ وَالْقَحَطُ
بِمَصْرِ لِيُغْنِيَ عَنْكُمْ ذَلِكَ الْخُطُّ^(٦)
رِضَاكُمْ بِهَا ، لَوْلَا تَخَوُّفُكُمْ ، سُخْطُ
وَنَحْنُ لَكُمْ ، مِنْ دُونِ رَهْطِكُمْ ، رَهْطُ
يَحْكُمُ فِي الْأَمْوَالِ مِنَّا ، فَيَشْتِطُّ^(٧)
غَدَا لَّهُمْ شَرْطُ عَلَيْنَا ، وَلَا شَرْطُ
وَكُلُّ مَلِكٍ عِنْدَهُ الْقَبْضُ وَالْبَسْطُ
عَلَيْهَا الشَّبَابُ الْمُرْدُ ، وَالْجِلَّةُ الشَّمْطُ^(٨)
هَنَّاكَ مَعَ السَّارِينَ فِي جُنْحِهَا خَبِطُ

(٢) في الخريدة : سبط .

(٤) الشحط : البعد .

(٦) اشتط : جاوز الحد .

(٧) المنح : الاستقاء . (٨) جمع أشمط . والشمط : بياض شعر الرأس يتخلط بسواده . والجلّة : جمع جليل .

(١) الأحاض : جمع محض وهو الخالص .

(٣) الرقطة : سواد يشوبه نقط بياض أو عكسه .

(٥) الخط بالضم : موضع الخي .

كما أَوَّلَ الفَجْرَيْنِ سَقَطُ^(١) يُسَلُّ من حَشَاها، كذاك البرقُ في جَوْها سَقَطُ
 سَلَلْنَا بها بِيضَ السَّيُوفِ ، فلاحَ في شَبَابِ الدُّجَى ، لَمَّا بَدَأَ لَمْعُها ، وَخَطُ^(٢)
 سَيْوُفُها في كلِّ دِرْعٍ وَجُنَّةٍ^(٣) إِذَا ما اعْتَلَّتْ قَدٌّ ، أو اعترضتْ قَطُ^(٤)
 ذَخَرْنَا سَطَاها لِلْفَرَنْجِ ؛ لَأَنَّمَا بِهِمْ دونَ أَهْلِ الأَرْضِ أَجْدَرُ أن تَسْطُو
 لَهم قَسْطُهم في الحَرْبِ مِنْها ، وما لَها عليهم لَدَى الهِجاءِ عدلٌ ولا قَسْطُ^(٥)
 وقد كاتَبُوا في الصُّلحِ ، لكن جَوابُهم بِحَضْرَتِنا ما يُنَبِّئُ الخَطُ^(٦) لا الخَطُ
 سَطُورُ خَيْوَلٍ لا تُغِبُّ ديارَهم لَها بِالْمَواضِي والقَنَا الشَّكْلُ والنَّقْطُ
 وَحَرْبُها الأرواحُ زَاهِقَةٌ ؛ لَمَّا تُعَايِنُ ، والأصواتُ من دَهْشٍ لَغَطُ
 إِذا أُرْسِلَتْ فِرْعًا من النِّقْعِ فَاحِما أَثْبَتًا^(٧) ، فَأَسْنانُ الرِّماحِ لَها مُشْطُ
 كَأَنَّ القَنَا فِيها أَنامُلُ حاسِبٍ أَجَدَّ بِها في السُّرْعَةِ الجَمْعُ واللَّقْطُ
 رَدَدْنَا بِها ابنَ الفُنشِ عَنَّا ، وإِنَّمَا يُثَبِّتُهُ في سَرَجِهِ الشَّدُّ والرِّبْطُ
 فَقُولُوا لنورِ الدِّينِ : لَيْسَ لِلْحَائِفِ السِّجْرَاحَاتِ إِلَّا الكَيُّ في الطَّبِّ والبَطُّ^(٨)
 وَحَسَمُ أَصُولِ الدَّاءِ أَوَّلَى لِعاقِلٍ لَيْبٍ ، إِذا اسْتَوَلَى على المَدْنَفِ الخِلْطُ^(٩)
 فَدَعْ عَنكَ مَيْلاً لِلْفَرَنْجِ وَهُدَنَةً بِها أَبَدًا يُخْطِئُ سِوَاهِمُ ، وَلَمْ يُخْطُوا
 تَأَمَّلْ ، فَكَمْ شَرِطٍ شَرَطَتْ عَلَيْهِمُ قَدِيمًا ، وَكَمْ غَدَرٍ بِهِ نُقِضَ الشَّرْطُ
 وَشَرٌّ ، فَإِنَّا قَدْ أَعْنَّا بِكُلِّ ما سَأَلَتْ ، وَبَجَهْزِنا الجِيوشِ ، وَلَنْ يُبْطُوا^(١٠)

(١) السقط : ما سقط بين الزندين قبل استحكام الوري . (٢) وخطه الشيب : خالطه . أو فشا شيبه .
 (٣) الجنة : كل ما روق . (٤) القد : الشق طولاً . والقَط : القَطع عرضاً .
 (٥) القسط بالفتح : الجور والمدول عن الحق . (٦) في الخريدة : يكتب .
 (٧) الخط : سيف البحرين ومرفأ السفن بالبحرين وإليه نسبت الرماح . والخط الثانية المراد بها الكتابة .
 (٨) أث النبات ينث . كثروا الثف . وهو أثيث . كثير عظيم .
 (٩) بط الجرح وغيره يبطه بظا ويجه بجا : إذا شقه . (١٠) الخلاط بالكسر : أن يخالط الرجل في عقله .
 (١١) في الروضتين : لم .

وَدُونَكَ، مَجْدَ الدِّينِ، عِذْرَاءَ، زَفَّهَا إِلَيْكَ الْوَفَاءَ الْمُحْضَ وَالْكَرَّمَ السَّبْطُ^(١)
 هَدِيًّا^(٢) تَهَادَى بَيْنَ حُسْنِ وَفَائِنَا وَإِنْعَامِنَا، ذَا النَّاجِ زَانَ، وَذَا الْقُرْطُ
 عَلَى أَنَّهَا تَسْتَطُ أَنْ هِيَ سَاجَلَتْ^(٣) (أَجِيرَةَ قَلْبِي، إِنْ تَدَانَا وَإِنْ شَطَوَا)^(٤)

قافية العين

(٣٠٥)

وقال أيضا في الملك الصالح :

لَنْ شَتَّتَ أَيْدِي الْحَوَادِثِ شَمَلَنَا بُخُودَ أَبِي الْغَارَاتِ لِلشَّمْلِ جَامِعُ
 هُوَ الْمَلِكُ الْجَزُلُ النَّدَى الصَّالِحُ الَّذِي بَحَارُ نَدَاهُ كَلْهَنَ شَرَائِعُ^(٥)
 يَجُودُ بِلَا مِنْ^(٦) عَلَى عُظْمٍ مِنْهُ^(٧) كَأَنَّ عَطَايَاهُ لَدَيْهِ وَدَائِعُ
 يَحْكُمُ مُسْتَطَّ الْمُنَى فِي نَوَالِهِ فَتَعَجَّبُ مِنْ جَدْوَى يَدَيْهِ الْمَطَامِعُ

(٣٠٦)

وقال فيه من قصيدة :

فإِلَيْكَ بِنْتَ الْفِكْرِ، مِنْ بَعْدِ الْمَدَى تَهْدَى، فَشَرَّفَهَا بِحُسْنِ سَمَاعِ
 وَصَدَاقُهَا الْإِكْرَامُ، لَا مَا سَبَقَ فِي نَحْلِ الْكَرَامِ : مِنْ هُيَّ^(٨) وَمَتَاعِ
 فَهِيَ الْكَرِيمَةُ، لَيْسَ فِي أَغْرَاقِهَا عَرَقٌ إِلَى الْأَطْمَاعِ بِالْإِزْعَاقِ^(٩)

-
- (١) السَّبْطُ : السُّخَى . (٢) الهدى : العروس . (٣) ساجله : باراه .
 (٤) مطلع قصيدة أسامه السابقة . راجع ص ٧٨ . (٥) الشريعة : المورد .
 (٦) منت عليه : عددت له ما فعلت له من الصنائع . (٧) المن : الإنعام .
 (٨) اللهم جمع طوة وهي العطية . والنحلة بالضم : مهر المرأة . والاسم النحلة بالكسر .
 (٩) نزاع إلى الشيء : ذهب إليه .

قافية الفاء

(٣٠٧)

وقال :

هو الجوادُ الذي يلقاهُ مادحه وإن غلا، فوقَ ما أنخى وما وصفا
مَعْدَلُ في الذِّدى ، لكنَّ راحته تأبى مع العذلِ إلا البذلَ والسرفا
صَعْبُ الإِباو ، إذا ما هجت سورته ^(١) نزرُ الرضا ، فإذا استعطفته عطفًا
بأدى الحُقودِ على أعدائه ، فإذا نالهمُ قدرةٌ منه حبا ^(٢) ، وعفا
نَفْسَى مواردٍ من أخلاقه كُرمت وردًا ، ونرتادُ منها روضةً أنقا ^(٣)
مستَهترٌ ^(٤) بالمعالي ، لا يزالُ على تقلبِ الدهرِ مشغوفًا بها كلفًا
إن أخلفَ الغيثُ لم تحلفِ مواهبه أو فظَّ دهرٌ على أبنائه لطفًا
عدلُ القضيةِ إلا في مواهبه لم يقبضِ في المالِ إلا جارا واعتسفا
تعمُ نعماه ذا نقصٍ وذا شرفٍ كأنه البحرُ يحوى الدرَّ والصدفا
منزه الخلقِ عن فعلٍ يُعاب به فما ترى لكِمالٍ عنه منصرفًا

(٣٠٨)

وقال من قصيدة في الملك الصالح ، ذكر أولها ^(٥) :

من كان لي من حماه خيس ^(٦) ذي ليد ضارٍ ، ولي من نداء روضة أنف ^(٣)
من لم يزل لي من جدوى يديه غنى وفي ذراه من الأيام لي كنف

(١) السورة : الحدة والبطش . (٢) حبا : أعطى .

(٣) روضة أنف : لم ترع . (٤) استهتر كذا : فتن به ، وذهب عقله ، وانصرفت همه إليه .

(٥) مطلع القصيدة : أذكركم الوديان صدوا ، وإن صدقوا . . . راجع ص ٨٥ .

(٦) الخيس : موضع الأسد .

الملك الصالح الهادي الذي شهدت
ملك أقل عطاياه الغني ، فإذا
أغر ، أروع ، في كفيه سحُب ندي
هو الوزير الذي يأوي إلى وزير^(٢)
تريه آراؤه في يومه غده
بصيرة كشفت ما في القلوب له
سعت إلى زهده الدنيا برغبتها
ولم تزف إلى كفء سواه ، وما
حبر ، إذا الليل آواه بجندسه^(٣)
ومحرب^(٤) ما أنى المحراب مبتهلا
مسهد ، وعيون الخلق هاجعة
وتشرق الأرض من للاء غرته
لم يدبر ما القصد^(٥) في جود ، ويعجبه
إذا حبا^(٦) عادت الآمال راضية
يأيها الملك الموفي بدمته
إليك يا عادلا في حكمه ، وعلى
أشكوزمانا قضى بالجور في ، ولم
لحت^(٧) نوابه عودي ، وأنقد مو

بفضل أيامه الأنباء والصحف
أدناك منه ، فأدنى حظك الشرف
تمتار^(٨) سحُب الحيا منها ، وتغترف
منه الأنا ، فيكفوا كل ما كلفوا
فيحسم الخطب فيه قبل ينكشف^(٩)
وأطلعته عليه قبل ينكشف
طوعا ، وفيها على خطابها صلف
زالت إلى مجده تصبو ، وتشترف^(١٠)
بحر من العلم طام ليس يتزف
إلا وأدمعه من خشية تكف^(١١)
على التهجيد والقرآن معتكف
في دسه^(١٢) ، فتكاد الشمس تنكشف
في بذل أمواله الإفراط والسرف
وإن سطا كادت الآفاق ترتجف
ومن تجلى عن الدنيا به السدف^(١٣)
أمواله من قضايا جوده الجنف^(١٤)
يزل يجوز على مثلي ويعتسف
جودي ، وشنت شمل ، وهو مؤلف

(١) الميرة : جلب الطعام .
(٢) اكتنفه القوم : كانوا منه بمنة وبسرة .
(٣) الخندس : الظلمة .
(٤) تكف : تقطر .
(٥) القصد : الاقتصاد .
(٦) السدف : الظلمة .
(٧) الوزر : الملجأ والمعتصم .
(٨) في المصباح : استشرفت الشيء : رفعت البصر أنظر إليه .
(٩) المحرب : رجل الحرب الشجاع .
(١٠) القسيت : صدر البيت — معرب .
(١١) حبا : أعطى .
(١٢) الجنف : الجور .
(١٣) لما العود : قشره .

وقد دعوتك مظلوماً ومُرتجياً وفي يدك الغنى، والعدل، والخلف
فاجمع بجودك شماً كان مجتمعا فعاد بعد انتلاف، وهو مختلف
وانشر بمعروفك المعروف مبيهم وشكر من هو بالإحسان مُعترف
فهو القريب مرالاةً ومُعتقداً وإن أتت دونه الغبراء والنطف^(١)
وعش على رغم من يشاك مُقتدراً في دولة، مالهأ حد ولا طرف
فأجابه :

آدابك العزُّ بحرٌ ، ماله طرف في كل سمع بدا من حسنه طرف
نقول ، لما أتانا ما بعثت به : هذا كتاب أتى ، أم روضة أنف^(٢)
خطُ تنزهت الأزهار حين بدا كأنه الدر ، عنه فُتح الصدف
إن نظمه طرق الأسماع كان لها وإن حوت عطلاً من حلية ، شنف^(٣)
رقت حواشي كلام أنت ناظمة فيه ، بخاء كزهر الروض يقتطف
وردت بحر القوافي فاغترفت ، كما قد حل يوماً بمد النيل مُعترف
زهت على البدر نوراً ، إذ أتت بسوا د النفس^(٤) يشبه من خده كلف^(٥)
قرطست^(٦) رميا ، وكم رام بأسهمه إذا تحققت منه يسلم الهدف
بخاطرٍ فاق غزر العبد ، لا وشل ولا ببرض^(٧) إذا ما حل يتنزف
إذا تطلع فوق الأرض ذو أدب فانت منه على العيوق^(٨) تسترف^(٩)

(١) النطفة بالضم : الماء الصافي ، قل أو كثروا الجمع نطاف ونطف .

(٢) شاد : أبغضه . (٣) روضة أنف : لم ترع .

(٤) الشنف بالفتح : القوط . (٥) النفس : المداد .

(٦) الكلف : سواد في صفة . (٧) قرطس : أصاب القرماس ، وهو أديم ينصب للنضال .

(٨) البرض : القليل . والوشل : الماء القليل . (٩) العيوق : نجم .

وإن تَعَرَّى دَعَى من فَضائله
إذا تَخَنَّى لِقَبِيحٍ^(١) وجهه قافية
لأعين الناس نهب من محاسنها
إذا ذكرناك مجد الدين ، عاودنا
ودون ما قد وجدناه لفرقتكم
ولو عرفت الذى فى القلب منك لما
ولا عجيب إذا حاف الزمان على
فلا تكن جازعاً ، إن التجاوز عن
فإن حصلت على الصبر احتويت على
يا من جفاناً ، ولو قد شاء كان إلى
وحي من أمه وفد الحبيج ، ومن
إننا لنؤفى على حال العباد ، كما
ونعفر الذنب إن رام المسىء بنا
وإن جنى من رأى أنا نعاقبه
نعم ، ونحفظ عند الغيب صاحبنا
فما لإيعادنا يوم الوغى ميل
فعدنا جنة تدنو الثمار بها
هدى مصاحبنا ضوء النهار ، وكم

فأنت مُدَّرِعُ منها ومُلْتَحِفُ
فعن قوافيك شيلت دوننا السجف^(٢)
كما القلوب تلاقها فتختطف
شوق تجدد منه الوجد^(٣) والأسف
يحيط بالقلب من أرجانه التلّف
إن^(٤) كنت عنا على الأحوال تختلف
حرّ ، وكلّ قضاياه بها جنف^(٥)
إنفاقك الصبر فى شرع الهوى سرف
الأجر الجزيل ، وفى إحرازه شرف
جنابنا^(٦) دون أهل الأرض يتعطف
ظلت إلى بيته الركبان تختلف
نؤفى لمن ضمه فى قربنا كنف^(٧)
عفواً ، ونستره فى حين ينكشف
يردنا الصّفح أو يعتاقنا الأنف^(٨)
وليس يدرُّ كما كبر ولا صلف^(٩)
ولا لموعدا يوم الندى خلف
إذا دنا مجتنب منها ، ومقتطف
قد ضلّ من فى ظلام الليل يعتسف^(١٠)

(٢) السجاف : الستر .

(٤) إن زائدة بعد ما .

(٦) الجباب : القنا ، والناحية .

(٨) الأنف : الاستكاف .

(١٠) اعتسف : خبط على غير هداية .

(١) فى الأصل (الفتح) تحريف .

(٣) الوجه : شدة الحزن .

(٥) الحيف : الظلم . والجنف : الميل والجور .

(٧) الكف : الجانب والظل والناحية .

(٩) الصاف : أن تملح بما ليس عندك .

فَلِإِنَّا بِأَمَالٍ مُحَقَّقَةٍ وَكُفَّ غَرْبٌ^(١) دُمُوعٌ لَمْ تَزَلْ تَكْفُ
كُنْفِي اغْتِرَابًا ، فَعَجَّلَ بِالْإِيَابِ لَنَا فَتَنَكَ لَا عَوْضُ يُلْقَى وَلَا خَلْفُ
وَقَدْ أَجَبْنَا إِلَى مَا أَنْتَ طَالِبُهُ فَالآنَ كَيْفَ تُرَوِّى^(٢) فِيهِ أَوْ تَقْفُ
فَرَأَيْنَا فِيكَ قَدْ أَضْحَى عَلَانِيَةً وَالْجُنْدُ قَدْ عَرَفُوا مِنْهُ الَّذِي عَرَفُوا
وَقُدِّمَتْ لَكَ تَمْهِيدَاتُنَا ، وَبَهَا وَخَشُ الْفَلَاةِ ، إِذَا مَارُوعَتْ ، أَلْفُ
كَأَنَّهَا حِينَ تَجْرِي ذِكْرَةٌ لَكُمْ عَلَى اضْطِرَامٍ لَهَبِ النَّارِ نَعْتَكُفُ
فَإِنْ يَبَالِغُ أَنَاسٌ فِي النَّشَاءِ عَلَى أَوْصَافِكُمْ قَصَرُوا فِي كُلِّ مَا وَصَفُوا
نَحْنُ نَحْذُ نَظَامًا عَلَى قَدْرِ الَّذِي كَتَبْتَ يَدَاكَ إِذْ عَدَدُ النِّظْمَيْنِ مُؤْتَلَفُ

(٣٠٩)

وقال فيه من قصيدة تقدم أولها^(٣) :

دَعْ ذَا ، وَقُلْ لِبَنِي الْأَمَالِ : قَدْ وَصَّيْتُ لَكُمْ سَبِيلُ الْأَمَانِي وَانْحَلِي الْأَسْفُ
وَأَيْتَعَتْ دَوْحَةُ الْجُودِ دَانِيَةَ الْقُطُوفِ ، يُجْنِي الْغَنَى مِنْهَا ، وَيُقْتَطَفُ
أُمُومًا بِأَمَالِكُمْ مِصْرًا ، فَإِنَّ بَهَا سَحَابَةً مِنْ نَدَاهَا السُّحْبُ تَغْتَرِفُ
أَجْرَى بِهَا اللَّهُ نِيْلًا زَائِدًا أَبَدًا فَلَيْسَ يَنْقُصُ فِي وَقْتٍ ، وَلَا يَقْفُ
مِيَاهُهُ مِنْ نُضَارٍ جَامِدٍ ، وَعَلَى أَرْجَانِهِ ، لِلْأَمَانِي ، رَوْضَةٌ أَنْفُ
عَلَتْ بِهَا رَايَةُ لِلْعَدْلِ ، قَاصِدُهَا يَقْتَصُّ مِنْ دَهْرِهِ الْجَانِي ، وَيَنْتَصِفُ^(٤)
سَعَى بِهَا أَرْوَعُ^(٥) فِي الرُّوعِ^(٦) ذَوُورَجٍ فِي السَّلَامِ ، حَتَّى تَجَلَّى الْجُورُ وَالْجَنْفُ
وَجَادَ بِالْمَالِ ، حَتَّى لَمْ يَدَعْ أَمْلًا مَا الْجُودُ وَالْفَضْلُ إِلَّا الْبَذْلُ وَالسَّرْفُ

(١) الغرب : الحدة والنشاط والتمادي . (٢) روى في الأمر : نظروا فكر .

(٣) انظر مطلع القصيدة : « ما منهم لك مناض ولا خلف » ص ٨٦ .

(٤) انتصف منه : استوفى حقه منه . (٥) الأروع : من يعجبك بحسه وبجواره منظره أو بشجاعته .

(٦) الأروع : الفزع .

الملك الصالح الهادي الذي كشف الغمَاء^(١)، إِنَّ الدُّجَى بالصَّحْبِ مُنْكَشَفُ
 مَنْ فِيهِ عَنْ زُخْرُفِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا مَذْ رَاوَدَتْهُ عَلَى عِدَائِهِ ، ظَلَفُ^(٢)
 جَوَابُهُ نَعَمٌ ، فِي إِثْرِهَا نَعَمٌ وَلَا تُلَاثِمُ فَاهُ اللَّامُ وَالْأَلِفُ
 يُغْنِي الْعُفَاةَ^(٣) ، وَيُلْقَاهُمْ بِمَعْدَرَةٍ كَأَنَّمَا عَاتَبُوهُ ، وَهُوَ مُقْتَرِفُ^(٤)
 مَا يَبْلُغُ الشُّكْرُ مَا يُولِيهِ مِنْ مَنِّ إِنْعَامُهُ فَوْقَ مَا تُثْنِي وَمَا نَصِفُ
 لَكِنْ مَوَاهِبُهُ فِي الْخَلْقِ شَاهِدَةٌ بِشُكْرِ إِنْعَامِهِ ، وَالشُّكْرُ يَخْتَلِفُ
 كَالرَّوْضِ إِنْ لَمْ يُطَقْ شُكْرُ السَّحَابِ إِذَا هَمَى فَضْرَتُهُ بِالْفَضْلِ تَعْتَرِفُ
 يَا كَافِيَ الْخَلْقِ بِالنُّعْمَى ، وَكَافِلَهُمْ حَتَّى لَقَدْ أَمْنُوا فِي عَدْلِهِ وَكُفُّوا
 رَأَيْتُ مَجْدَكَ يُعَلِي قَدْرَ وَاصِفِهِ فَكَيْفَ لَا يَتَعَالَى قَدْرُ مَنْ تَصِفُ
 قَلَّدَتْنِي أَنْجَمُ الْجُوزَاءِ ، قَدْ نُظِمَتْ عِقْدًا ، فَحَقَّ^(٥) لِمِثْلِي الْفَخْرُ وَالشَّرَفُ
 أَعْلَتْ مَحَلِّي ، فَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْ شَرَفِ بِهَا عَلَى الْمُشْتَرَى^(٦) أَسْمُو ، وَأَشْتَرِفُ
 حَلَا بِسْمِي ، وَحَلَّاهُ ، فَهَنَ بِهِ الـ بُشْرَى ، بِإِدْرَاكِ مَا يَرْجُوهُ وَالشَّنْفُ^(٧)
 جَعَلْتُ نَظْمِي لَهُ ، ضَنْأً بِفَانِخِهِ وَقَايَةً ، وَوَقَاءً الْجَوْهَرِ الصَّادِفُ
 لِأَصْرِفَ الْعَيْنَ عَنْهُ ، إِنَّهَا أَبَدًا عَنْ الْكَمَالِ بِرُؤْيَا النِّقْصِ تَنْصَرِفُ
 يَا كَاشِفَ الْغَمَةِ ، أَسْمِعْ دَعْوَةَ كَلَمَاتِ شُكْرًا ، تَظَلُّ لَهُ الْأَسْبَاعُ تَرْتَشِفُ
 مِنْ نَازِحِ الدَّارِ بِالْإِخْلَاصِ مُقْتَرِبِ حُرٍّ ، بِرَقِّكَ دُونَ الْخَلْقِ يَعْتَرِفُ
 إِذَا رَأَى بُعْدَهُ عَنْ بَابِ مَالِكِهِ يَكَادُ يَقْضِي عَلَيْهِ الْهَمُّ وَالْأَسْفُ
 لَوْ حَاوَلَ الْخَلْقُ جَمْعًا حَمَلَ مَالِكََ مِنْ

(١) الغمَاء : الكرب .

(٢) يقال ظلف نفسه عن الشيء . يظلفها : منعها من أن تفعله أو تأتيه أو كفها عنه .

(٣) العفاة : جمع عاف ، وهو مالب الميعوف .

(٤) اقترف الذنب : أئام .

(٥) حق الأمر : وجب .

(٦) المشتري : أحد الكواكب السيارة .

(٧) الشنف : القرط .

كم فَأَجَانَنِي مِنْ نُعْمَاكَ عَارِفَةٌ
بها عَنْ الْوَعْدِ كِبَرٌ ، كُلُّهُ كَرَمٌ
وَجَمْعُ شَمْلِي بِمَنْ لِي فِي ذُرَاكَ ، وَإِنْ
مُجَدِّدٌ لِي مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ
فَابْرِدْ بِهِمْ حَرَّ قَلْبٍ لَيْسَ يَبْرِدُهُ
وَارْحَمْ ضِعَافًا وَأَطْفَالًا إِذَا ذَكَرُوا
لَهُمْ نَشِيجٌ^(٢) وَإِعْوَالٌ إِذَا نَظَرُوا
فَنَظَرَةٌ مِنْكَ تُحْيِيهِمْ ، وَتَجْعَلُهُمْ
وَلَيْسَ لِي شَافِعٌ إِلَّا مَكَارِمُكَ الْـ
وَاسِلٌ ، لَتَحْيَا بِكَ الدُّنْيَا وَسَاكِنُهَا
وَالَّذِي الْأَعَادَى بِجَدِّ لَا يَحْوُنُكَ إِنْ

سَبِيلُهَا عَنْ سَبِيلِ الْوَعْدِ مُنْحَرِفٌ
وَعَنْ تَقَاضِيهِ تَبِيهٌ ، كُلُّهُ أَنْفٌ^(١)
أَضْحَى لَهُمْ مِنْ نَدَاكَ الْبَرِّ وَالْأَطْفُفِ
مَا زَالَ لِي تَالِدٌ مِنْهَا ، وَمَطَرُفٌ
سَوَاهِمٌ ، وَحَشَا مِنْ ذِكْرِهِمْ يَجِفُّ
بُعْدَى عَصَتِهِمْ ، فَقَاضَتْ أَدْمَعُ دُرُفٍ
مِنْ حَالِهِمْ غَيْرَ مَا اعْتَادُوا وَمَا الْقَوَا
مَحْمُولَةٌ عَنْهُمْ الْأَنْقَالُ وَالْكُلْفُ
لَآتِي إِذَا اسْتَعَطَفْتَ لِلْفَضْلِ تَعَطُّفٌ
مَا اغْبَرَّتِ الْيَدُ ، أَوْ مَا اخْضَرَّتِ النُّطْفُ^(٣)
خَانَتْ غَدَاةَ الْإِلْقَاءِ الْيَبْسُ وَالزَّغْفُ^(٤)

فَأَجَابَهُ :

عُلُومُكَ الْبَحْرُ غَمْرًا^(٥) لَيْسَ تُتَرَفُّ^(٦)
فَانْ يَجِدْ فَلْتَنَّةٌ فِي الدَّهْرِ ذُو أَدَبٍ
تُجِيلُ فِكْرَكَ فِي رَوْضِ الْعُقُولِ ، فَلَا
بَعَثَ مِنْهَا هَدِيًّا^(٨) فِي الْوَرَى ، جُلِيَتْ

أَسْمَاعُنَا لِمَعَانِي دُرِّهَا صَدَفٌ
تَجِدُهُ مِنْ بَحْرِكَ الزَّخَارِ^(٧) يَغْتَرَفُ
تَزَالُ تَخْتَارُ مَا تَجْنِي ، وَتَقْتَطِفُ
فَالْحُسْنُ وَقَفَّ عَلَيْهَا لَيْسَ يَنْصَرِفُ

(١) الأنف : الاستكفاف .

(٢) نشج البياكى نشيجا : غص بالبكاء في حلقه من غير انتخاب . والإعوال رفع الصوت بالبكاء .

(٣) النطفة بالضم : الماء الصافي .

(٤) الزغف : الدرع اللينة الواسعة المحكمة أو الرقيقة الحسنة السلاسل .

(٥) الغمر : الماء الكثير .

(٦) ترَف : تزحكه كله .

(٧) زخر البحر كنوع : طلى وتعالى .

(٨) الهدى بكسر الدال وتشديد الياء : العروس تهدي إلى زوجها .

عَذَاءٌ ، تُثَبِّتُ فَضْلَ الْوَاصِفِينَ لَهَا فَقَدْ أَفَادَتْ جَمَالًا كُلَّ مَنْ يَصِفُ
بَعَثْنَهَا دِيمًا^(١) تُرَوِّى بِهَا عَطَشَ الصَّادِي^(٢) ، وَمُسْكُنَهَا فِي سِيرِهَا الضَّحْفُ
تُرَوِّى الْقُلُوبَ بِهَا بَعْدَ الْعُيُونِ ، فَلَا قَلْبٌ ، وَلَا عَيْنٌ إِلَّا وَهْوَ يَرْتَشِفُ
أَلْهَتُ عَنِ الْحَسَنِ وَالْإِحْسَانِ أَجْمَعِ إِذَا اسْتَبَانَ بِهَا عَنْ غَيْرِهَا أَنْفُ^(٣)
حَسَنَاءُ تَبْرُزُ فِي عَرْنِينِهَا^(٤) شَمَمٌ مِنَ الْجَمَالِ ، وَفِي أَجْفَانِهَا وَطْفُ^(٥)
كَأَنَّ أَسْمَاعَنَا ، لَمَّا أَصْخَنَ لَهَا مُجَبِّجًا ، أُتِيحَ لَهَا مِنْ حَامِيهَا شَنْفُ^(٦)
بَدَتْ لَنَا كَصَابِجِ الظَّلَامِ ، وَفِي رَأْيِ الْعُيُونِ أَتَنَّا الرُّوضَةَ الْأَنْفُ^(٧)
قَدْ بَرَهَنْتَ بِالْمَعَانِي عَنْ فَوَادِ شَيْخٍ قَدْ هَاضَمَهُ الْأَثْقَلَانِ : الْهَمُّ ، وَالْأَسْفُ
إِنْ يَتَسِمُ غُلْطَةً فِي الدَّهْرِ ، عَاتِبَهُ قَلْبٌ مَدَامَعُهُ فِي صَدْرِهِ تَكْفُ^(٨)
وَرُبَّ صَعِبٍ بَدَا ، مِنْ بَعْدِ شِدَّتِهِ لِأَضْعَفِ النَّاسِ حَوْلًا ، وَهُوَ مُنْعَطِفُ
وَكَمْ مَصَابٍ جَنَّتْهُ فِرْقَةٌ ، فَعْدَا سَمَابُهُ بِنَسِمِ الْقُرْبِ يَنْكَشِفُ
وَكُرْبَةٍ نَزَعَتْ عَنْهَا مَلَابِسُهَا وَالْقَلْبُ مِنْهَا بِثُوبِ الْهَمِّ مُلْتَحِفُ
وَحِينَ تُثْرِقُ أَنْوَارُ الشُّمُوسِ ، فَمَا يَضُرُّ مَاضِي لَيَالٍ عَمَّهَا السَّدْفُ^(٩)
أَحْوَالُ ضَرْكَ ، مَجْدَ الدِّينِ ، وَاضِحَةٌ قَدْ كَانَ لِلدَّهْرِ فِي تَوَكِيدِهَا سَرَفُ
بُرْقُ الْيَقِينِ بَدَا مِنَّا إِلَيْكَ فَمَا يَغُرُّ خُلْبَهُ^(١٠) ، بَلْ سَحْبُهُ تَكْفُ
لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ مِنَّا بِالنَّجَاحِ لِمَنْ لَنَا بِأَمَالِهِ فِي الْقَصْدِ يَخْتَلِفُ^(١١)
يَقُولُ حَاسِدُنَا ، وَالْحَقُّ أَنْطَقَهُ إِذْ شَمَسُهُ ، لَا كَمَثَلِ الشَّمْسِ تَنْكَسِفُ :
أَوْلَادُ رُزْيِكَ لَا غُرُّ كَفَخَرِهِمْ حَازُوا الْمَفَاحِرَ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ نُطْفُ

- (١) ديم : جمع ديمة ، وهى المطر يدوم فى سكون .
(٢) الصادى : العطشان .
(٣) أنف منه كفرح : استنكف .
(٤) العرنين : العرين .
(٥) الوطف محركة : كثرة شعر الحاجبين والعينين .
(٦) الشف : القرط .
(٧) الروضة الأنف : التى لم ترع .
(٨) هاضم : كسر .
(٩) وكف : قطر .
(١٠) الخلب : الرق الخلب : المظمع الخلف . (١١) اختلف إليه : تردد .
(١٢) السدف : الظلمة .

وكم أراد الورى إحصاء فضلهم
لكنهم أخذوا ما تستقل به
نُدنى الغنى من يدى ربّ المنى، فلنا
فى غيرنا نخجلُ الآمالُ إن قصدت
وقد قضى الله بى تأليف شملكم
وقد أساء لكم دهرٌ مضى ، فإذا
واقضوا ديون الهوى عن مَدّة سلفت
وقد بدأننا ، وتمننا ، فهل أملُ
نحن الزلالُ، دفعنا غصّةً عرضت
وعندنا أهلُكم ، كانوا لعيشهم
كم جهدُ ذى الهم أن يبقى تجلده
لا تأسفن على فقدان غيرهم
قومٌ إذا ارتفعوا قدراً، هوّاهمما
ولا تقل إن تذكرت البلادَ أسى
وإن دولتنا كنت الوحيدَ بها
عليكم بدع^(١) الآداب قد وقفت
من ناشد عهدَ ذاك الاجتماع لنا
هتيتَ أهلَكَ مجد الدين، فانزعج الأ

فى المكرمات فما استطاعوا، ولا عرفوا
أفهامهم، وإلى حيث انتهوا وقفوا
به المطى إلى أوطانهم تحف^(٢)
وما يحيب رجاء عندنا يقف
وكان ظنكم أن ليس يأتلف
شتم من الدهر فاقصّوا، أو انتصفوا
تساكياً ، وعلى المستأنف استأنفوا
يدعو ، وهل مدمع قد عاد يندرف^(٣)
لكم ، فلها عرضنا لم تكن تقف
كانهم عنك ماغبوا ، ولا انصرفوا
عليه ، والهم فى استراره التلّف
نقى الملاوم^(٤) قد جرت له عطف
فالمكرمات لعمرى بينهم طرف^(٥)
بأن قلبك بالأشواق يختطف
فضلاً، فكيف يرى منكم بها خلف
فهاها عنكم فى الدهر منحرف
فقد أضاعته منكم نية قذف^(٦)
فراح ، وانظر ، فإن الخير مؤتف^(٧)

(٢) ذرفت العين ذمها : أسالته .

(٤) الطريقة : المال المستحدث .

(٦) نية قذف : بعيدة .

(١) الوجيف : ضرب من سیر الخليل والإبل .

(٣) الملاوم : جمع ملامة .

(٥) البدع بالكسر : الأمر الذى يكون أولاً .

(٧) الالتفاف : الاستئناف والابتداء .

قافية القاف

(٣١٠)

وقال :

تَهْمِي مَوَاهِبَهُ وَالسُّخْبُ جَامِدَةٌ فَمِنْ يَدَيْهِ مَصَابُ الْوَايِلِ الْغَدِقِ^(١)
نُعْمَاهُ تُطْلِقُ أَسْرَى ، ثُمَّ تَأْسِرُهُمْ لَهُ ، وَكَمْ مِنَّةً أَغْنَتْ عَنِ الرِّيقِ^(٢)

(٣١١)

وقال^(٣) :

مَثَلُ مَنْهَلٍ أَنْعَمَ الْمَلِكُ الصَّا لِح : يَرَوِي دَانٍ بِهِ وَسَحِيقُ
سُخْبٌ ، وَبَلَّهَا النُّضَارُ وَلَلَاءُ دَاءٌ فِيهَا صَوَاعِقُ وَحَرِيقُ
مَلِكٌ زَادَهُ التَّوَاضُعُ لَّا بِهِ جِلَالًا ، يَرُوعُ ، ثُمَّ يَرُوقُ
سَطَوَاتٌ تُخَشِّي ، وَحَلْمٌ يُرْجَى وَنَوَالٌ طَلَّقَ ، وَوَجْهٌ طَلِيقُ
مَنْ حَكَّى بِي وَرَقِ الْجَانِمِ فِي الْأَفْسَانِ : جِيدِي حَالٍ ، وَغُصْنِي وَرِيقُ
وَتَنَانِي كَشَدُوهِنَّ مَدَى الْأَيَّامِ ، يَحْلُو سَمَاعُهُ ، وَيَرُوقُ
رَوْتُكَ الصَّدَقِ فِيهِ بَادٍ ، وَمَا زَا لَ إِلَى الصَّدَقِ كُلُّ سَمْعٍ يَتُوقُ^(٤)
يَا أَمِيرَ الْجِيُوشِ ، مَا زَالَ لِلْإِسْلَامِ وَالِدِينَ مِنْكَ رَكْنٌ وَثِيقُ
أَسْمَعَتْ دَعْوَةَ الْجِهَادِ ، فَلَبَّا هَا مَلِيكَ بِالْمَكْرَمَاتِ خَلِيقُ

(١) مصاب : انصباب . والوايل : المطر الشديد الضخم القطر . وغدقت العين : غزرت . ووجد : بخل .

(٢) الريق : جمع ريق وهو حبل فيه عدة عرى يشد به الهم كل عروة ربة .

(٣) أول هذه القطعة قوله : كم إلى كم يلحق الحب المشوق . . . راجع القطعة ٢٥٤ ص ١٣٦ .

(٤) تناق إليه : اشتاق .

ملكٌ عادلٌ ، أنارَ به الدينُ ، فعمَّ الإسلامَ منه الشروقُ
 ما له عن جهاده الكُفرَ والعدو لِ وفعلِ الخيراتِ شغلُ يعوقُ
 هو مثلُ الحُسامِ : صدرٌ صقيلٌ لينٌ مسُه ، وحدٌ ذليقٌ^(١)
 ذو أناةٍ يخالفُ الغرَّ إهما لاً ، وفيها حتفُ الأعادي المحيقُ^(٢)
 فاسلها للإسلامِ كهفين^(٣) ماطرٌ زَ ثوبَ الظلامِ برقُ خفوقُ

قافية اللام

(٣١٢)

وقال في الشيخ أبي ترابٍ حيدرَةَ بنِ نجمِ الكاتبِ ، وقد عَزَلَ عن الكتابةِ :
 أبا تُرابٍ ، دهرُنا جاهلٌ يرفعُ للشبهِ ذوى الجهلِ
 كأنَّه الميزانُ : يعلوُ به ذوالنقصِ عن رتبةِ ذى الفضلِ
 وما يغرُّ العزلُ مَنْ لم يزلْ من فضلهِ الباهرِ فى شغلِ

(٣١٣)

وقال :

أبا حسينٍ فى طيِّ كلِّ مساءٍ من اللهِ صنعٌ للعبادِ جميلُ
 كرهتُ لك الترحالَ أمسٍ ، ورجماً أفادَ الفتى طولَ المُقامِ رحيلُ^(١)
 وقد يكرهُ الشئُ الفتى ، وهو خيرُهُ له ، ويحبُّ الشئُ وهو وِيلُ^(٢)

(٢) أحاط به : أحاط به .

(١) ذليق : حاد . وصقله : جلاه .

(٤) يشير إلى قول الشاعر .

(٣) الكهف : الورد والمُلبأ .

وتسكب عيناى الدموع لتجعدا

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا

(٥) الويل : الوخيم .

ولو لم تُقدِّ إلَّا الجِهَادَ ، فإنه ثوابٌ ، كما نصَّ الكتابُ ، جزيلُ
فكيف وقد أصبحتَ جاراً لما جدَّ يجودُ ، على عِلَّاتِهِ ، ويُبْسِلُ
كريمُ كليل^(١) الطَّرِفِ عن عيبِ جارِهِ وما طَرَفُهُ عِنْدَ السَّوَالِ كَايِلُ
شَرَى الحمدَ بالأموالِ ، لا يَسْتَقِيلُ في شِرَاهُ ، ولا عِنْدَ الْبَيْعِ^(٢) يُقِيلُ
وَمَنْ كُمَعِنِ الدينِ ، أَمَّا جَنَابُهُ فرحُبُ ، وأَمَّا ظِلُّهُ فَظَلِيلُ
إذا وَرَدَتْ آمَالُنَا بِحَرِّ جُودِهِ صَدَرْنَ رَوَاءً^(٣) ، ما بِهِنَّ غَلِيلُ
فَكُنْ واثِقاً باللهِ ثمَّ بِجُودِهِ فَإِنِّي بما أَمَلْتُ مِنْهُ كَغِيلُ

(٣١٤)

وقال في نصر بن الأفضل^(٤) :

يا مُسْتَقْبِلَ النِّبَى فيما تجودُ به وَمَنْ مواهبُهُ كالْعَارِضِ^(٥) الهَطِلِ^(٦)
وَمَنْ إذا جَادَ بالدُّنْيَا لآمِلِهِ قَالَتْ معا [رَفُهُ]^(٧) حاشاك من بَحَلٍ
وَمَنْ إذا جَرَّدَ الْبَيْضَ الصَّوَارِمَ في السَّهْبِجَاءِ [أَسْكَنَهَا]^(٨) في الهَامِ وَالْقَلَلِ^(٩)
قد كُنْتُ أَخْضَعُ في الخُطْبِ الْمَلَمِّ ، فذُو وَلَيْتَ يَنْصَرُّ عَادَ [الخُطْبُ]^(٧) يَخْضَعُ لِي
وَبَعْدُ ، لِي فَيْكَ آمَالٌ ، وَظَنِّي في عُلَاكَ [أَنْتَ]^(٧) تُوفِي بِي عَلَى أَمَلِي^(٩)

(١) كل بصره : نبا .

(٢) بايعه مبايعة وبياعا : عارضه بالبيع . وأقلته : فسخته . واستقاله : طلب إليه أن يقيله .

(٣) رواه : جمع ريان . (٤) راجع مقدمة الديوان .

(٥) العارض : السحاب المعترض في الأفق . (٦) الهطل : تنازع المطر العظيم القطار .

(٧) سقط بالأصل ولعل ما أكلنا به يستقيم به الوزن والمعنى .

(٨) القلة : أعلى الرأس . والمهامة : الرأس . (٩) أوفى عليه : أشرف .

(٣١٥)

وقال من قصيدة :

فَتَبَيَّ أَلْتَجَى إِلَيْهِ مِنَ الْخَطْبِ ، وَذَخِرَى إِنْ غَالَ وَفَرَى غَوْلُ^(١)
بِعَلَاهُ أَسْمُو ، وَمَنْ فَضِّلَ مَا نَسُوْلُ أَقْضَى فَرَضَ الْعَلَا وَأُنِيْلُ
مَلِكُ يَذْكُرُ الْمَوَاعِيْدَ وَالْعَهْدَ ، وَيَأْسِيهِ فَضْلُهُ مَا يُنِيْلُ
مُلْكُهُ مَلِكُ رَحْمَةٍ ، وَقَضَايَا هُ بِمَا جَاءَنَا بِهِ التَّنْزِيلُ

ومنها :

أَنْتَ حَلَيْتَ بِالْمَكَارِمِ أَهْلَ الْعَصْرِ حَتَّى تَعْرِفَ الْمَجْهُولُ
وَعَلَا خَامِلُ ، وَحَامَى جِبَانُ وَوَفَى غَادِرُ ، وَجَادَ بَخِيْلُ
وَحِمَتَ الْبِلَادَ بِالسَّيْفِ ، فَاسْتَصْعَبَ مِنْهَا سَهْلُ ، وَعَزَّ ذَلِيلُ
وَقَسَمْتَ الْفَرَنْجَ بِالْغَزْوِ شَطْرَيْنِ : فَهَذَا عَانُ^(٢) ، وَهَذَا قَتِيلُ
وَالَّذِي لَمْ يَحْنُ^(٣) بِسَيْفِكَ مِنْ خَوْ فِكَ أَمْسَى وَعَقْلُهُ مَجْهُولُ
مَثَلِ الْخَوْفِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ جَيْشًا لَكَ فِي عُقْرِ دَارِهِ مَا يَزُولُ
فَالرَّبِّي عِنْدَهُ جِيوشُ ، وَمَوْجُ الْبَحْرِ فِي كُلِّ بَلْحَةٍ أَسْطُولُ
وَإِذَا مَا أَغْنَى^(٤) أَقْضَى^(٥) بِهِ الْمَضْجَعُ فِي الْحُلْمِ سَيْفُكَ الْمَسْلُولُ
فَابْقِ لِلْمُسْلِمِينَ كَهْفًا ، وَلِلْإِفْرَنْجِ حَنْفًا ، مَا أَعْقَبَ الْجَيْلَ جَيْلُ
بَيْنَ مُلْكٍ يَوْمُ مَا دَامَتِ الدُّنْيَا وَحَالُ فِي الْفَضْلِ لَيْسَتْ تَحُولُ^(٦)
ثَابَتَ الدَّسْتُ فِي اعْتِلَاءٍ وَجَدُّ وَعَطَايَاكَ فِي أَلْبِلَادِ تَجُولُ
بَالَغَ الْعَبْدُ فِي النَّيَابَةِ وَالتَّحْرِيطِ ، وَهُوَ الْمَقْوَةُ الْمَقْبُولُ

(١) غاله : أهلكه . والوفر : الفنى . (٢) العانى : الأسير .

(٣) حان : هلك . (٤) أغنى : نام نوما خفيفا .

(٥) أقض المضعج : خشن . وأقضه الله ، لازم ومتعد . (٦) تحول : تحول .

فَرَأَى مِنْ عَزِيمَةِ الْغَزْوِ مَا كَا دَت لَهُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ تَمِيلُ
وَأَجَابَتْهُ بِالصَّلِيلِ سُيُوفُ ظَامِثَاتٍ ، وَبِالصَّهِيلِ خِيُولُ
وَرَأَى النَّقَعَ رَاكِدًا دُونَ مَجْرَى الشَّمْسِ ، وَالْأَرْضَ بِالْجِيوشِ تَسِيلُ
كُلُّ أَرْضٍ فِيهَا مِنَ الْأَسَدِ جَبِشٌ سَائِرٌ فَوْقَهُ مِنَ الشَّمْرِ غِيلٌ^(١)
وَإِذَا عَاقَتِ الْمَقَادِيرُ فَالَّلهُ إِذَا حَسْبُنَا ، وَنَعْمَ الْوَكِيلُ

(٣١٦)

وقال :

زَدْنِي عُلَا ، لَا أُرْتَضَى بِاللَّهِى^(٢) حَسْبَى مَا تَوَلَّتْ : مِنْ مَالٍ
أُغْنِيَتْ نَفْسِي وَيَدَيَّ ، فَاسْتَوَى حَالَى فِي الْعَفَّةِ وَالْمَالِ
فَلِي نَوَالٌ وَنَدَى سَيِّبُهُ^(٣) يُرْجَى ، وَمَنْ فَضْلِكَ لِإِفْضَالِي
وَأَتَمَّا أَبْنَى الْعُلَا ، لَا الْغَنَى وَمِثْلُهَا يَبْغِيهِ أُمْنَالِي

(٣١٧)

وقال :

وَالْجَوْرُ فِي حَكْمِ الصَّبَابَةِ جَائِزٌ بِخِلَافِ أَحْكَامِ الْمَلِيكِ الْعَادِلِ
الصَّالِحِ الْهَادِي الَّذِي فِي عَدْلِهِ سَاوَى انْخِفَاضِ الرَّجْعِ^(٤) صَدْرَ الْعَامِلِ^(٥)

(١) الفيل : الشجر الكثير الملتف ، والأجعة . والسمر : الرياح . (٢) اللهى : المطايا .

(٣) السيب : المطا .

(٤) الرج : الحديد أسفل الرمح .

(٥) عامل الرمح : صدره .

قافية الميم

(٣١٨)

وقال :

وسر إلى بحرٍ خَضِمَ له من عَزَمِه سيفٌ وعِى مَحْذَمٌ^(١)
 حتَّى إذا أنطقَكَ العدلُ في جلاله والخلقُ الأَكْرَمُ
 قل لأَمرِ المسلمينَ الَّذي به استنار الزَّمنُ المَظْلَمُ :
 أنتَ الَّذي ما جُرْتَ يوماً ، ولا جرى على سيفِكَ ظُلماً دَمُ
 ساويتَ في عدلكَ بينَ الورى حتَّى تَساوى الزُّجُجُ واللَّهْذَمُ^(٢)
 وقُتَّ في اللهِ احتساباً فقد وقُتَّ^(٣) من يطغى ومن يُجْرِمُ
 وكُلُّ أَهلِ الشَّامِ أوسَعَتهم عدلاً ، فإلى دونهم أُحْرِمُ !
 أطعْتَ في حَكَمِكَ في الهَوَى وما كذا يفْعَلُ مَنْ يحْكُمُ
 من ينصِفُ المَظْلومَ مِنّا إذا كنتَ ، وحاشاك ، الَّذي يَظْلِمُ
 وأنتَ ظَلُّ الله في أرضه تردُّعُ من يَظْلِمُ أو يَغْشَمُ^(٤)
 فلا يَسْبُ أجَرَ الجهادِ الَّذي فُزْتُ به دونَ الورى مائِثُ

(٣١٩)

وقال :

دعوتُك يا عَمَرَ المَكْرَمَاتِ لأَمْرِ عَرَا ، ومهمٍّ أَلَمُ
 وأنتَ السَّريعُ إلى مَنْ دَعَاكَ بذاك قَضَى لك إرثُ الكَرَمِ
 وإن نَأَمَ حَظِّي عما عَهدتُ فإنَّ اهْتِمَاكَ بِي لَمْ يَنْمِ

(١) مخذم : قهقهه . (٢) رقة كوعده : قهقهه وأذله .

(٣) اللهزم : القاطع من الأمتة .

(٤) الغشم : الظلم .

(٣٢٠)

وقال :

لو استطعت ، ولو ملكتُ أمرى فى قضاء فرضك عما فات من خدى
مشيتُ أحملُ أثقالَ النساءِ إلى جنبك الخِضِلِ^(١) الأذافِ كالقلمِ

(٣٢١)

وقال من قصيدة مضى أولها^(٢) :

خلقٌ تحلّى به سلمان^(٣) بينك من أخلاقك الغرّيا ذا البأسِ والنعم
مولىُ علاك ، وكم قد عاد شأنه^(٤) بياسه من ملوك العرب والعجم
يقرُّ بالملك للملك الذى نشر الرحمن أيامه ظلاً على الأمم
للصالح الملك الميمون طائرُه بجيده طوق من غير منفصم
حتى ذويه ، وكم من بأسط ليد لولا حماه ، وكم من فاغر لقيم
وذاذ عنهم صروف الدهر إذ كلبت عليهم ، وهم لحم على وضم
ونالهم من توالى سحِب نائله ما نال نبت الثرى من وابل الديم
يا حاسديه ، اكظموا ، جراتكم فأنالنا — ذير من أخذه ، إن هم ، بالكظم^(٥)
إياكم عثرات البغي ، إن لمن يبغيه يوماً يوارى الشمس بالظلم
حذار من مصرع الباغين قبلكم فالسيف منصلت فى كف مضطلم^(٦)
وفى تميم ومن والاه موعظة إنذارها يسمع الأموات فى الرجم^(٧)

(١) الخِضِل : كل شئ ، تد يترشف نداه .

(٢) مطلع القصيدة : أجب دراعى الخوى بالأدمع السجم ... راجع القطعة (٩٠) ص ٤٤ .

(٣) سلمان الفارسي : صحابي جليل .

(٤) شاد فلانا : أصابه بالعين ، وحسده .

(٥) الجرة : ما يقبض به البعير ، فيا كله ثانية . وكعلم البعير : أمسك عن الجرة . والكظم محرّكة

الخلق أو الفم أو مخرج النفس .

(٦) السبت المنصلت : الصقيل الماضي . واصطبله : استأصله .

(٧) الرجم : القبر .

تَوْهَمُوا أَنَّ ضَارِي الْأَسَدِ يَنْفِرُ عَنْ
 وَمَا دَرَوْا أَنَّهُ فِي جَحْفَلٍ لِحَبٍّ^(١)
 مُغَامِرٌ تَرَهُبُ الْآجَالُ سَطَوْتَهُ
 يَسْتَقْبِلُ الْحَرْبَ بَسَامًا، وَقَدْ كَثُرَتْ
 يَلْقَى الْأُلُوفَ وَيَحْبُوهَا ، فَفِي يَدِهِ
 مَا غَرَّكُمْ بِصَدُوقِ الظَّنِّ يُخْبِرُهُ الرَّ
 يَرَى الضَّغَائِنَ فِي قَلْبِ الْحَسُودِ لَهُ
 فَإِنْ سَطَا عَنْ يَقِينٍ ، أَوْ عَفَا كَرَمًا
 أَدَانَكُمْ ، فَاعْتَلَيْتُمْ عَنْ ذَوِي رَحِمٍ
 وَعَمَّكُمْ سَبَبُ جُودٍ مِنْهُ نَبَهُ ذَا
 كَمْ غَمَّةٌ كَشَفَتْ عَنْكُمْ صَوَارِمَهُ
 لَوْلَاهُ ، لَا زَالَ عَنْكُمْ ظِلُّهُ أَبَدًا ،
 إِنْ رَابَهُ مِنْكُمْ أَمْرٌ ، فَلَا وَزَرَ
 يَا مَالِكًا مَالِكًا رَقِيَ بِأَنْعَمِهِ
 مَا الشُّكْرُ كُفِّ أُولَيَاتٍ مِنْ مَنٍّ^(٢)
 وَإِنْ أَكُنْ كَرُهِيرٍ فِي الثَّنَاءِ ، فَقَدْ
 وَإِنْ تَكُنْ مِدْحَى وَقَفًا عَلَيْكَ فَلَا
 فَفِي يَمِينِكَ مَنِّي صَارِمٌ خَدِمٌ

عَرِيْنَهُ لِحَشُودِ الْبُورِمِ وَالرَّخِمِ
 مِنْ بَاسِهِ ، غَيْرُ هَيَّابٍ وَلَا بَرِمِ
 وَتَفَرَّقَ^(٣) الْأَسَدُ مِنْهُ فِي حِمَى الْأَجَمِ
 بِهَا الْمَنِيَّةُ عَنْ أَنْبِيَائِهَا الْأُرَمِ^(٤)
 مِنْ الْعَطَا وَالشُّطَّا بِحَرَائِدِي وَدَمِ
 أَيْ الصَّحِيحُ بِمَا فِي الصَّدْرِ مِنْ سَقَمِ
 تَدَبُّثُ مِثْلَ دَبِيبِ النَّارِ فِي الْفَحْمِ
 فَإِنَّهُ خَيْرُ ذِي عَفْوٍ وَمُسْتَقِمِ
 وَحَاطَكُمْ ، فَاعْنَدَيْتُمْ مِنْهُ فِي حَرَمِ
 خُضُولِ مِنْكُمْ ، وَأَغْنَى كُلَّ ذِي عُدَمِ
 وَلَمْ يَزَلْ كَاشَفَ الْأَوَاءِ^(٥) وَالْغَمِّ
 عَلِمْتُمْ كَيْفَ تَأْتِي بِلُحَاةِ النَّقَمِ
 لَكُمْ ، وَلَا عَاصِمٌ مِنْ سَيْلِهِ الْعَرَمِ^(٦)
 وَمِلْكُ مِثْلِي لَا يُبْتَاعُ بِالْقِيمِ
 وَإِنْ تَسَهَّلَ لِي مُسْتَوْعِرُ الْكَلِمِ
 عَلَوْتُ مَجْدًا وَجُودًا عَنْ مَدَى هَرَمِ^(٧)
 تَنْظُرُ أَنْ ثَنَائِي مَتَّحَى هَمَمِي
 يَقْرِئُ ، إِذَا كَلَّ حَذَّ الصَّارِمِ الْخَدَمِ^(٨)

(٢) فرق : فرغ .

(١) الحبيب : الجليلة والاضطراب .

(٣) أرم ما على المساندة : أكله فلم يدع شيئاً . والشيء : شدة .

(٤) اللأواء : الثقة .

(٥) العرم : الشديد .

(٦) هرم : ممدوح زهير بن أبي سلمى .

(٧) يُقْرِئ : يشق .

(٨) الخدم : القاطع .

في حده حَتَفٌ من ناوَاك وهولن والأك مُنْبَجَسٌ بالبارد الشِّم
 فَر بما شئتَ : ألقى الأمرَ مِمْتَلَأً بهمةٍ ما اعترتها فِتْرَةٌ الهَمَمُ
 مجرَّباً طاعنى تجرِبَ مُخْبِرٍ إنَّ التجاربَ تجلو شُبُهَةً التَّهَمُ
 فبذل نفسى عِنْدَى فى رضاك ، فلا حُرْمَتُهُ ، بعضُ ما أنويه من خِدْمِ
 وَحَقَّ ذَاكَ لِمَنْ أَنْشَرَتْ أَسْرَتَهُ من بعد ما عدَّهم من نَاحِرِ^(١) الرِّمَمِ
 صرفتَ صَرَفَ اللَّيَالِي دُونَ غَشْمِهِمْ^(٢) وكفَّ بأسكُ عنهم كفَّ مُهْتَضِمِ
 وأوصلتهم صلاتٌ من نَدَاكَ إلى أرضِ الشَّامِ ، لقد أغربتَ فى السَّكْرَمِ^(٣)
 وما الذى نِلْتُ من نِعْمَاكَ غَايَةً آمَالِي ، ولا مَتَهَى حِظِّى ولا قِسْمِى
 نِيلُ الْعُلَا دُونَ ما أَرْجوه مِنْكَ ، كما أَنَّ الْغِنَى دُونَ ما تَحْبُوهُ من نِعَمِ
 شَرَفْتَنِي ، فاعتلى قدرى ، وأصحب^(٤) لى دَهْرِي ، وأصبحَ فيأرُمْتُ من خِدْمِ
 وطُلْتُ^(٥) عَنَّ يُسَامِينِي ، ففخرهم أن يبلغوا ، إن سَمَتَ هِمَاتِهِمْ ، قَدَمِ
 لله دُرٌّ طُرُوسٌ ضُمْنَتْ دُرَّراً أَكْرَمَ بِمُتَثَرٍ مِنْهَا وَمُتَّظِمِ
 أَضْحَتِ عَلَى مَفْرُقِ تَاجًا ، وَفِي عُقْنِى تَمِيمَةً من عَوَادِي الْخَطْبِ وَالْعَدَمِ
 لَفِظْتُ أَرْقَ من الشَّكْوَى ، وَالطُّفُّ مِلَّ عُتْبَى ، وَأَشْهَى من الْإِبِلَالِ فى الْآلَمِ
 جرت لَطَافَتُهُ من قَلْبِ سَامِعِهِ مَجْرَى الْهَوَى من فُؤَادِ الْمَغْرَمِ السَّيِّدِ^(٦)
 فَصَاحَةٌ أَسْمَعَتْ مَنْ كَانَ ذَا صَمَمٍ وَحُسْنُ مَعْنَى أَفَادَ الْفَهْمَ ذَا اللَّمَمِ^(٧)
 وَوَشَى خَطِ حَكِي زَهْرَ الرَّيْعِ سَرَتِ أَكْمَامُهُ عَن بَدِيعِ الْفَضْلِ وَالْحَكَمِ
 لو كان حَالِكُهُ لَوْنَ الشَّبَابِ لِمَا حَالَتْ نَضَارَتُهُ بِالشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

(١) الناحر : البلى المفتت . والرمة : العظام .
 (٢) أغرب : أتى بالغريب .
 (٣) أغرب : أتى بالغريب .
 (٤) طارئى فطلته : كنت أطول منه .
 (٥) اللعم : الجنون .
 (٦) الدم محركة : الهم أومع بدم ، أو غيظ مع حزن .
 (٧) اللعم : الجنون .

يزيد سامعها تكرارها شغفا بها ، وكم جلب التكرير من سام
 ياموجد الفضل والإفضال إذعدما حتى لقد أصبحا نارين في علم
 مملوكك الأصغر القن المبالغ في الإخلاص ، والسير مقدود من الأدم^(١)
 لو نال ما يتنى من مشيئته مشى إليك خضوعا مشية القلم
 وكان كتب هذه القصيدة المتقدمة إلى الملك الصالح جواباً عن قصيدة نونية .
 كتبها إليه ، وهي هذه :

وردت إلينا منك "مجد الدين" بيضاء تخطر في التياب الجون^(٢)
 حررت منها حرة برزت لنا حسناً كنظم اللؤلؤ المكنون
 نرساء صامتة ، ولكن أخبرت منها الفصاحة عن لسان حزين
 غراء ، يلقي الشك عند قدومها فتظل تكشفه بصبح يقين
 تشكو صبايتك التي آلت إلى داء تضرم^(٣) في الفؤاد دفين
 أبدت إلى الكرم الباب^(٤) تمسكا بندي كفيل بالنجاح صمين
 قد علمت سمر القنا أخلاقه فلذاك منها شدة في لين
 إن من لم يتبع صنائع جوده منأ ، وليس نداه بالممنون^(٥)
 تأتي القوافي ، وهي أبكار له قضدا ، فتخجل لأى العون^(٦)
 حتى إذا وفدت علينا لم تجد بابا لعمر ك مغلقاً من دوني
 وجوابنا هذا عقيب هلاك من ورد المنيّة رانم العرين^(٧)
 أمست أكاذيب المنى تقناده حتى رمته إلى حضبض الهون
 إذ ظن أنا مثل من عن ملكه قد راح منه بصفقة المغبون^(٨)

(١) الأدم : جمع آدم ، وهو الجلد المدبوغ .
 (٢) الجون : الأسود يريد انلط .
 (٣) تضرم : اشتد حره .
 (٤) الباب : الخالص .
 (٥) من : أنعم . والمنى : الاتقان . والممنون : المقطوع .
 (٦) العوان من النساء : التي كان لها زوج .
 (٧) العرين : الأنف .
 (٨) المغبون : المحذوع .

خَلَّى حَلَالَهُ ، وَقَالَ انْفِسْ : مِنْكَ مِنْ صَرْفِ الرَّدَى ^(١) يَكْفِي
أَمْلٌ لَعْمُكَ زَيْتَنَةً لِعَيْنِهِ خُدْعُ الْغُرُورِ ، وَسَكْرَةُ الْمَفْتُونِ ^(٢)
حَتَّى إِذَا شَيْطَانُهُ قَالَ : ابْتَدِرْ فِي سُرْعَةٍ . لِلْعُلُكِ وَالتَّمَكُّينِ
وَرَأَى أَنَّ الْحَشْدَ صَائِنُ عِزِّهِ مِنْ أَنْ يَذَالَ ^(٣) ، فَلَمْ يَكُنْ بِمَحْصُونٍ
نُدِبَتْ إِلَيْهِ صَابَةٌ مِنْ قَبْلِهَا لَمْ تَسِرْ أَسَادُ الشَّرَى بَعْرِينَ ^(٤)
مِنْ آلِ رَزِيكَ الَّذِينَ بِمُجُودِهِمْ وَبِأَسْهُمِ خَلَطُوا مَنَى بَعْنُونَ ^(٥)
صَحِبَتْ مِنَ الْأَصْحَابِ كُلِّ سَمِيدٍ ^(٦) يَجْرِي إِلَى الْهَيْجَلِ بَغِيرِ قَرِينِ
وإِذَا بَدَأَ أَيْلُ الْحَوَادِثِ دَاجِيًا ^(٧) جَلَّتْ غُرَّةُ وَجْهِهِ الْمِيَمَرِ
لَمْ يَلْبَثُوا ، حَتَّى بَدَأَ مَتَخِطًّا بِدَمَائِهِ ، كَتَخِطِّ الْمَجْنُونِ
فَلَجَا مِنَ الْحَشْدِ الَّذِي قَدْ غَرَّهِ عَدَدًا ، لِحَصْنٍ لَمْ يَكُنْ بِمَحْصِينِ
وَأَتَوْا بِرَأْسٍ فَارِغٍ لَمَّا يَكُنْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَعْلُوَ الْقَنَا بَرْزِينَ
أُسْرَ ابْنِهِ ، وَتُوزَعَتْ أَمْوَالُهُ حَتَّى لَقَدْ بَلَغَتْ بِلَادَ الصَّيْنِ
وَعَقِبُهُ فَتَحَ الْإِلَهَ بِالْطُّفَةِ بَابَ الظُّهُورِ عَلَى عُدَاةِ الَّذِينَ
مَا بَيْنَ مَقْتُولٍ وَرَأَى نَفْسَهُ غَرَقًا ، وَبَيْنَ طَعِينِ
وَاسْتَهْلَكَ الْأَسْطُولُ مِنْ لَمْ يَلْقَهُ بِالنَّفْسِ مِنْهُ عَلَى الظَّبِّ ^(٨) بِضَيْنِ
قَرْنِ النَّسَاءِ إِلَى الرِّجَالِ ، فَأَشْبَهُوا خَلَطَ الْقَسَاوِرِ ^(٩) بِالطَّبَاءِ الْعَيْنِ ^(١٠)
وَالْعِدَّةُ الْعَظْمَى مِنَ الْعُدَدِ الَّتِي تَضْفُو ^(١١) مَلَابِسُ سَرْدِهَا الْمَوْضُونَ ^(١٢)
بِصَوَارِمٍ قَدْ أَطْلَعَتْهَا لِلْوَعَى عِنْدَ الصَّقَالِ لَهَا أَكْفُ قِيُونَ ^(١٣)

- (١) صرف الردى : نواحيه . (٢) المفتون : الضال . (٣) أذاله : أهانه .
(٤) العرين : مأوى الأسد . والشري : جليل بتهامة كثير السباع . (٥) المزون : الموت .
(٦) السميذع : السيد الكريم الموطن الأكثاف والشجاع . (٧) داجيا : مظلا .
(٨) الظبا : جمع ذابة وهي حد سيف أوسان أو نحوه . (٩) القساوير : جمع قسورة : الأسد .
(١٠) العين : جمع عينا ، وهي حسنة العينين واسميها . (١١) الضفو : السيوخ والكثرة .
(١٢) وطن التي : ثني بعضه على بعضه . والدمرد : اسم جامع للدروع وسائر الخلق . (١٣) القين : الخياد .

فَلَا خُذْهُمْ فِي كُلِّ قَلْبٍ مَوْعٌ مِنْ دُونِهِ فِي الْقَدْرِ فَتُحْ حُصُونُ
وَالطُّرُودُ^(١) لَا يُجِبِي أَمْرًا مِنْ حَيْنِهِ^(٢) فَلِذَاكَ لَا يُجِبِيهِ عُلُوَّ سَفِينِ
وَالشُّكْرُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ ، فَحَمْدُهُ مُتَوَاصِلٌ مِنِّي لِمَا يُؤَلِّينِي
فَلَوْ أَتَيْتُ رَمْتُ السَّمَاءِ بِحَوْلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَطَلَّتْهَا بِيَمِينِي
فِي كُلِّ أَرْضٍ لِي ثَنَاءٌ ، لَمْ يَزَلْ يُعْتَادُ مِنْهُ نَفْعَةُ النَّسْرِينَ^(٣)
وَلَطَالِمًا^(٤) أُولَى الْأَمِيرِ يَدًا إِلَى قَلْبٍ بِكُلِّ مَسْرَةٍ مَشْحُونِ
مَنَا لِنُعْلَمَهُ بِذَاكَ ، لِأَنَّهُ فِي وَدْنَا مَا زَالَ غَيْرَ ظَنِّينِ^(٥)
وَلَهُ التَّوَسُّعُ فِي الْمَقَالِ ، وَشَأْنُهُ فِي نَظْمِهِ وَالشَّعْرِ غَيْرُ شُؤْنِي
وَالْأَهْلُ قَدْ سَارُوا إِلَيْهِ ، وَرَأَيْنَا طَابُ افْتِكَكَ فَوَادِهِ الْمَرْهُونِ
لَمْ يَبْقَ ، مَجْدَ الدِّينِ ، وَجَدُ^(٦) فَاغْتَنِمَ فَرَحًا أَتَيْحَ لِقَلْبِكَ الْمَحْزُونِ
وَاسْأَلْهُمْ إِنْ شِئْتَ عَنْ أَخْبَارِهِمْ وَابْنُهُمْ مِنْ شَجَرِكَ^(٧) الْمَخْزُونِ
وَأَفْضَ عَلَيْنَا مِنْ فَنُونِكَ مَلَبَسًا عِنْدَ النَّشَاطِ ، فَأَنْتَ رَبُّ فُنُونِ

(٣٢٢)

وقال :

يَا مُنْعِمًا ، مَؤْرَدُ إِحْسَانِهِ سَهْلٌ ، فَا فِي مَنَةِ^(٨) مِنْ^(٩)
قَدْ اقْتَدَى بِالْمُزْنِ^(١٠) فِي جُودِهِ بَلْ يَنْدَاهُ يَقْتَدِي الْمَزْنُ
بَسَطَتْ كَفًّا فِي النَّدَى وَالْوَعَى مَا كَفَّهَا بُحْلٌ وَلَا جُبْنُ
فَاسْلَمْ مِنَ الدَّهْرِ ، فَفِيهِ عَلَى كُلِّ كَرِيمٍ مَا جَدِ ضِغْنُ^(١١)

(١) الطُّرُودُ : الجبل . (٢) الحَيْنُ : الهلاك . (٣) النَّسْرِينَ : ورد .
(٤) الشَّطْرُ الْأَوَّلُ فِي الْأَصْلِ كَذَلِكَ : وَلَعَلَّنَا أَوَّلَ الْأَمِيرِ بِذَا إِلَى ... وَلَعَلَّ مَا اخْتَرَنَاهُ أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ .
(٥) الظَّنِّينَ : الْمُتَمِّمِ . (٦) الرَّجْدُ : الْحَزَنُ . (٧) الشَّجَرُ : الْحَزَنُ .
(٨) مِنْهُ : إِتْمَامُهُ . (٩) شِئْتَ عَلَيْهِ : عُدَدَتْ مَا قَدَّمَ إِلَيْهِ مِنْ نَعَمٍ . (١٠) الْمَزْنُ : السَّحَابُ .
(١١) الضِّغْنُ : الْحَقْدُ .

ما قاله مفتخرا ، وتمدح به متأثرا

قافية الراء

(٣٢٣)

أُظِنَّ الْعِدَا أَنَّ ارْتِحَالِي ضَائِرِي ضَلَالًا لِمَا ظَنُّوا، وَهَلْ يَكْسُدُ التَّيْرُ
وَمَا زَادَنِي بُعْدِي سِوَى بُعْدِ هِمَّةٍ كَمَا زَادَ نُورًا فِي تَبَاعُدِهِ الْبَدْرُ
وَلَوْ كَانَ فِي طُولِ الثَّوَاءِ فَضِيلَةٌ لِمَا انْتَقَلْتُ فِي أَفْقِهَا الْأَنْجَمُ الزُّهْرُ
وَلَوْ لَزِمْتَ أَغْمَادَهَا الْبَيْضُ مَا انْجَلَتْ بِهَا غَمَرَاتُ الْحَرْبِ، وَاتَّضَحَ النَّصْرُ
وَهَلْ فِي ارْتِحَالِي عَنْ بِلَادٍ تَنْكَرْتُ لِمِثْلِي أَوْ لِلْسَّاكِنِينَ بِهَا نَخَرُ
وَلِنْ بِلَادًا ضَاقَ عَنِّي فِضَاؤُهَا لِأَرْحَبُ مِنْ أَكْثَافِهَا لِلْعُلَا فِترُ
وَأَرْضًا تَبَتْ بِي، وَهِيَ آهَلَةُ الرُّبَا هِيَ الْقَفَرُ، لَا، بَلْ دُونَ وَحِشَتِهَا الْقَفَرُ
وَهَلْ يُنَكِّرُ الْأَعْدَاءُ فَضِيلِي، وَإِنَّهُ لِأَسِيرُ ذَكَرًا أَنْ يُوَارِيهِ الْكَفَرُ^(١)
أَلَسْتُ الَّذِي مَا زَالَ كَهْلًا وَيَافِعًا لَهُ الْمَكْرَمَاتُ الْغُرُ، وَالنَّائِلُ الْغَمَرُ^(٢)
وَخَائِضَ وَقَعَاتٍ، بَوَارِقُهَا الظُّبَا وَوَابِلُ هَاتِيكَ الْبُرُوقِ دَمٌ هَمَرُ^(٣)
يَهْوُلُ الرَّدَى مَنَى تَقْصِمِي الرَّدَى وَيَعْتَادُهُ مِنْ جَأَشِي الرَّابِطِ الذُّعْرُ
وَلَوْ حَكَمْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ الظُّبَا رَضِيتُ بِمَا تَقْضِي الْمَهْنَدَةُ الْبُتْرُ^(٤)
وَلَكِنْ تَوَلَّى الْحَاكِمِينَ قَضَاءَنَا فَكَانَ أَبُو مُوسَى^(٥) لَنَا، وَلَهُمْ عَمْرُو

(١) الكفر: السر والغطية .

(٢) النائل: ما نلته . والغمر: الكثير .

(٣) همر: منهجر .

(٤) البتر: السيوف القاطعة .

(٥) يريد أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص الحكيمين في وقعة صفين .

(٣٢٤)

وكتب إليه الملك الصالح قصيدة أولها :

أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَدِينَنَا الدَّهْرُ وَيَخْدُمُنَا فِي مُلْكِ الْعِزِّ وَالنَّصْرِ
وهي طويلة ، يذكر فيها وقائعهُ وسرايأهُ إلى الفرنج ، وتسيرهُ الجيوش ،
وأسماءُ مُقَدِّمِيهَا ، ويصفُ نَجْدَتَهُمْ ، فوقف عليها الملكُ العادلُ رحمه الله ، وخرجَ
عليَّ أمرُهُ إلى الأميرِ مجدِّ الدينِ بالإجابةِ عنها ، بمَعَانٍ وقعت الإشارةُ إليها .
فقال هذه القصيدة ، وذكر فيها بعض الفتوحات :

| | |
|---|---|
| أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَنَا الْأَمْرُ | لِنَحْيَا بَنِي الدُّنْيَا ، وَيَفْتَخِرَ الْعَصْرُ |
| وَتَخْدُمُنَا الْأَيَّامُ فِيمَا نَزَّوْمُهُ | وَيَنْقَادَ طَوْعًا فِي أَرْمَتَنَا ^(١) الدَّهْرُ |
| وَتَخْضَعُ أَعْنَاقُ الْمُلُوكِ لِعِزَّنَا | وَيُرْهِبَهَا مِنَّا عَلَى بُعْدِنَا الذِّكْرُ |
| بِحَيْثُ حَلَّانَا الْأَمْنُ مِنْ كُلِّ حَادِثٍ | وَفِي سَائِرِ الْأَفَاقِ مِنْ بَأْسِنَا دُعْرُ |
| بِطَاعَتِنَا لِلَّهِ أَصْبَحَ طَوْعَنَا الْأَمْرُ | نَامُ ، فَمَا يُعْصِي لَنَا فِيهِمْ أَمْرُ |
| فَأَيَّمَانُنَا فِي السَّلَامِ سُبْحُ مَوَاهِبِ | وَفِي الْحَرْبِ سُبْحُ وَبُلْهَنَ دَمِّ هَمْرِ ^(٢) |
| قَضَتْ فِي بَنِي الدُّنْيَا قَضَاءَ زَمَانِهَا | فَسَرَّ بِهَا شَطْرُ ، وَسِئَاءَ بِهَا شَطْرُ |
| وَمَا فِي مُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ مُجَاهِدُ | سَوَانَا ، فَمَا يَنْتَبِهَ حَرْزٌ وَلَا قُرُ |
| جَعَلْنَا الْجِهَادَ هَمًّا وَاشْتَغَالَنَا | وَلَمْ يُبْلِهْنَا عَنْهُ السَّمَاعُ وَلَا الْخَمْرُ |
| دَمَاءُ الْعَدَا أَشْهَى مِنَ الرَّاحِ ^(٣) عِنْدَنَا | وَوَقَعَ الْمَوَاضِي ^(٤) فِيهِمُ النَّأْيُ وَالْوَتْرُ |
| نُؤَاصِلُهُمْ وَصَلَ الْحَبِيبُ وَهُمْ عَدَا | زِيَارَتُهُمْ يَنْخَطُ عَنَّا بِهَا الْوَزْرُ |

(٢) همرة : رصبة . والوبل : المطر الشديد الضخم القطر .

(١) أزيمة : جمع زمام .

(٤) المواضي : السيوف البازرة .

(٣) الراح : الخمر .

وفي سجننا ابن الفئس خيرُ ملوكهم
أسرناه من حصن العريمة^(١) راغماً
وسل عنهم الوادي بإقليس^(٢) إنه
هم انتشروا فيه لرد رعيننا^(٣)
ونحن أسرنا الجوسلين^(٤) ولم يكن
وكان يظن الغر أنا نبيعه
فلبا استبحنا ملكه وبلاده
كحلناه، نبغى الأجر في فعلنا به
ونحن كسرنا البغدوين^(٥) وما لمن
فسله اللعين الحائن^(٦) الذي
وقد ضاقت الدنيا عليه برحبها
أفى غدره بالخيل بعد يمينه
دعته إلى نكت اليمين وغدره
وقد كان لون^(٧) الخيل شتى فأصبحت
توهم عجزاً حلماً وأنا تنأ
فلبا تمادى غيه وضلاله
برزنا له كالليث فارق غيله
وسرنا إليه حين هاب لقاءنا

وإن لم يكن خيرُ لديهم ولا ير
وقد قتلت فرسانه فهم جزراً
إلى اليوم فيه من دمانهم غدر
فن تربه يوم المعاد لهم نشر
ليخشى من الأيام نائبة تعرو
بمال، وكم ظن به يهلك الغر
ولم يبق مال يستباح ولا تغر
وفي مثل ما قد ناله يحرز الأجر
كسرناه إبلالاً يرجى ولا جبر
له الغدر دين: مابه صنع الغدر
فلم يُنجه بر، ولم ينجحه بحر
بأنجيله بين الأنام له غدر
بذمته النفس الخسيسة والمكر
تعاد إلينا، وهى من دمهم شفر
وما العجز إلا ما أتى الجاهل الغمر
ولم يئنه عن جهله النهى والزجر
وعادته كسر الفرائس والهضر^(٨)
وبان له من بأسنا البؤس والشر

(١) أم موضع . (٢) جزر : مخفف جزر يضمن وهى جمع جزر وهى الناقة المجزوة : الذبجة

(٣) الرنيل : الجماعة المتقدمة من الخيل . (٤) أحد ملوك الفرنج الصليبيين .

(٥) الحائن : الأحمق . (٦) فى الحاشية قلاعن ولده مزهف «وكانت شيات الخيل شتى ...» .

(٧) الهضر : الذكر .

وثِيرَ حشايانا الشروجُ، وقُصْنَا الدُّ روعُ ، وَمَنْصُوبُ الخيامِ لنا قَصْرُ
 ترى الأرضَ مثلَ الأفقِ، وهى نجومُها وإن حَسَدَتْها عَزَّها الأنجمُ الزَّهْرُ
 وهمُ الملوكِ البيضُ والسُّمرُ كالدمى^(١) وهَمَّتْنا البيضُ الصَّوارمُ والسُّمُورُ
 صوارمُنا حمرُ المضاربِ من دَمٍ قوائِمُها من جودنا نَضْرَةُ خُضْرُ
 نسيرُ إلى الأعداءِ^(٢) والطيرُ فوقنا لها القوتُ من أعدائنا ، ولنا النَّصْرُ
 فبأسُ يذوبُ الصَّخْرُ من حرِّ ناره ولُطْفٌ له بالماءِ ينبجسُ^(٣) الصَّخْرُ
 وجيشُ إذا لاقى العدوَّ ظنَّتهم أُسودَ الشَّرى عَنَّتْ لها الأدمُ^(٤) والغُفرُ
 ترى كلَّ شَهِيمٍ فى الوعى مثلَ سَهِيمِها نُفُوداً ، فإ يَئِنَّه خَوْفٌ ولا كُثْرُ
 هم الأسدُ من بيضِ الصَّوارمِ والقنا لهم فى الوعى النَّابُ الحديدةُ والظُّفْرُ
 يرون لهم فى القنلِ خُلداً ، فكيف بالبقاء لِقومِ قتلهم عندهم عُمُرُ
 إذا نُسِبوا كانوا جميعاً بنى أبٍ فطعنهم شَرُّ ، وضربهم هَبْرُ^(٥)
 يظنون أن الكفرَ عصيانُ أمرنا فإ عندهم يوماً لإِنعامنا كُفْرُ
 لنا منهم إقدامهم وولاؤهم ومنّا لهم إكرامهم والندى الغمرُ
 بنا أيدُ الإسلامِ ، وازدادَ عِزَّةُ وذَلْ لنا من بَعْدِ عِزَّتِهِ الكُفْرُ
 قتلنا البرنسَ ، حينَ سارَ بجَهِلِهِ تَحَفُّ به الفُرسانُ والعسكرُ المَجْرُ^(٦)
 ولم يبقَ إلَّا مَنْ أَسْرَدَ ، وكيفَ بالبقاء لمن أُخِنَتْ عليه الظُّبا البُتْرُ^(٧)

(١) الدمى : جمع دمية وهى الصورة المنقشة من الرخام . والتمثال . (٢) فى هامش الديوان : الهيجا .
 (٣) انجيس : تغبر . (٤) الأدم من الظباء : المشربة بإيضا . والأعفر من الظباء : ما يعلو بإيضا حرة .
 (٥) طعن شَرُّ : شديد ضرب . وضرب هبر : يسقط الحرب والهربة : بضمة لم لا عظم فيها .
 (٦) المجر : الجيش العظيم . (٧) أسنة السيوف القاطعة .

فَوَلَّى يَبَارَى عَائِرَاتِ سِهَامِنَا وَفِي سَمْعِهِ مَنْ وَقَعَ أُسَافِنَا وَقُرُ^(١)
وَحَلَّى لَنَا فُرْسَانَهُ وَحُمَاتَهُ فَشَطَرُ لَهُ قَتْلٌ ، وَشَطَرُ لَهُ أَسْرُ
وَمَا تَنْثَنِي عَنْهُ أَعْنَةُ خَيْلِنَا وَلَوْ طَارَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ بِهِ النَّسْرُ
إِلَى أَنْ يَزُورَ الْجَوْسِلِينَ^(٢) مُسَاهِمًا لَهُ فِي دِيَاجٍ ، مَا لِلْيَلْتِنَا بِفَرْ
وَنَزَجَعَ الْقَدَسَ^(٣) الْمُطَهَّرَ مِنْهُمْ وَيُتْلَى بِإِذْنِ اللَّهِ فِي الصَّخْرَةِ الذَّكْرُ
كَأَفْعَالِنَا فِي أَرْضٍ مِنْ حَانَ^(٤) مِنْهُمْ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا فِي مَمَالِكِهِمْ شِبْرُ
إِذَا اسْتَغْلَقَتْ شُمُّ الْحَصُونِ فَعِنْدَنَا مَفَاتِحُهَا : بَيْضُ ، مُضَارِبُهَا حُمْرُ
وَأِنْ بَلَدٌ عَزَّ الْمُلُوكَ مَرَامُهُ وَرُمَانُهُ ، ذَلَّ الصَّعْبُ وَاسْتَسْهَلَ الْوَعْرُ
وَأَضْحَى عَلَيْهِ لِلْسَّهَامِ وَاللَّظْبَا وَوَقَعَ الْمَذَاكِي^(٥) الرُّعْدُ وَالْبَرْقُ وَالْقَطَرُ
بَنَا اسْتَرْجَعَ اللَّهُ الْبِلَادَ وَأَمَّنَ الْعِبَادَ ، فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا قَهَرُ
فَتَحَنَّا الرَّهَآ^(٦) حِينَ اسْتَبَاحَ عِدَاتُنَا حَمَاهَا ، وَسَنَى مُلْكَهَا لَهُمُ الْخِزْرُ^(٧)
جَعَلْنَا طُلَى^(٨) الْفُرْسَانَ أَغْوَادَ بَيْضُنَا وَمَلَكْنَا أَبْكَارَهَا الْفَتَكَةُ الْبِكْرُ
وَنَحْنُ فَتَحْنَا تَلَّ بَاشِرَ^(٩) بَعْدَهَا وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْأَكَاْسِرَةُ الْغُرُ
أَتَى سَاكِنُوهَا بِالْمَفَاتِيحِ طَاعَةً إِلَيْنَا ، وَمَسْرَاهُمْ إِلَى بَابِنَا شَهْرُ
وَمَا كُلُّ مَلِكٍ قَادِرٍ ذُو مَهَابَةٍ وَلَا كُلُّ سَاجٍ يَسْتَتِبُّ لَهُ الْأَمْرُ
وَتَلَّ عِرَازِ^(٩) ، صَبَحَتْهُ جُيُوشُنَا فَلَمْ تَحْمِهِ عَنَّا الرِّجَالُ وَلَا الْجُنْدُ
وَمِنَّا إِلَى بُرْجِ الرَّصَاصِ^(٩) وَلِئِنَّه لَكَالْسِدِّ ، لَكِنِ الرَّصَاصُ لَهُ قِطْرُ^(١٠)

(١) العائر : كل ما أعل العين ، والوقر : نقل في الأذن . (٢) أحد ملوك الصليبيين .

(٣) في الهامش « البيت المقدس » . (٤) حان : هلك .

(٥) المذاكي من الخيل : التي أتى عليها بعد فروعها سنة أو سنتان . (٦) عاصمة إمارة صليبية بالنام .

(٧) سناء : سهله . واختر : القُدور والخديمة . (٨) الطلى : الأعناق .

(٩) موضع بالنام . (١٠) القطر : النحاس الذائب .

وأضحت لا تطاكية^(١) حارم^(٢) شجى وفيها لها والساكين بها حصر
وحصن كقر لا تا وهاب^(٣) تدانيا لنا ، وذراها للأنوق^(٤) به وكر
وفي حصن بأسوطا وقورص ذلت الصعاب لنا ، والنصر يقدمه^(٥) الصبر
وفامية^(٦) والبارة^(٧) استنفذتهما لنا همة من دونها الفرع والغفر^(٨)
وحصن بسر فود^(٩) وأنب^(١٠) سهلت لنا ، واستحال العسر ، وهو لنا يسر
وفي تل عمار^(١١) ، وفي تل خالد^(١٢) وفي حصن سلقين^(١٣) لملكه قصر
وما مثل راوندان^(١٤) حصن وإنه لممتنع ، لو لم يسهل له القسر
وكم مثل هذا من قلاع ومن قرى ومزدرعات^(١٥) لا يحيط بها الحصر
فلما استعدناها من الكفر عنوة ولم يبق في أقطارها لهم أثر
رددنا على أهل الشام رباعهم وأملا كهم ، فارتاح عنهم بها الفقر
وجاءتهم من بعد يأس وفاقية وقد مسهم من فقدها البؤس والضر
ومر عليها الدهر ، والكفر حاكم عليها ، وعمر مر من بعده عمر
فناهم من عودها الخير والغنى كما نالنا من ردها الأجر والشكر
ونحن وضعنا المكس عن كل بلدة فأصبح مسرورا بمتجره السفر
وأصبحت الآفاق من عدنا حمى فكدر قطاها^(١٦) لا يروعا صقر
فكيف تسامينا الملوك إلى العلا وعزمهم سر ، ووقعاتنا جهر

(١) أنطاكية : مدينة كانت قصبة العواصم من الثغور الشامية ، موصوفة بالحسن ، وطيب الهواء ، وغذوبة الماء ، وكثرة الفواكه (ياقوت) .
(٢) حارم : مدينة بالشام .
(٣) الأنوق كصير : العقاب .
(٤) موضع بالشام .
(٥) قدم القوم كعصر : تقدمهم .
(٦) مدينة حصينة من سواحل الشام ، وكورة من كور حصن .
(٧) فرغ الدلو الملقم والمؤنر : منزل للقمر . والغفر : منزل للقمر أيضا . (٨) ازدرع : زرع .
(٩) الطلا : طائر . والكدرى : ضرب من التطلا غير الألوان ، رقت الطهور ، صفرا الحلق .
(١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦)

وإن وعدوا بالغزو نظماً، فهذه رموس أعادهم بأسيا فإنا نثر
سنلقى العدا عنهم بيض صقالها هداياهم، والبستر^(١) يرهفها البتر^(٢)
وما قولنا عن حاجة، بل يسوءنا إذا لم يكن في غزونا لهم أجر
نزاننا ملأى، وما هي ذخرننا الممعد، ولكن الثواب هو الذخر
ملكاً الذي لم تحوهِ كف مالك ولم يعرنا تيه الملوك ولا الكبر
فنحن ملوك البأس والجود، سوقة التواضع، لا بذخ لدينا، ولا نخر
عرنا^(٣) عن الدنيا، على وجدها بنا فمنها لنا وصل، ومنا لها هجر
وأحسن شيء في الدنيا زهد قادر عليها، فإيصيه ملك ولا وفر^(٤)
ولولا سؤال الله عن خلقه الذي رعيناهم حفظاً إذا ضمت الحشر
لملنا عن الدنيا، وقلنا لها: اغربي^(٥) لك الهجر منا، ماتمادي بنا العمر
فأخير ملك، أنت عنه محاسب ومملكة^(٦)، من بعدها الموت والقبر
فقل للملوك الأرض: ما الفخر في الذي تعدونه من فعلكم، بل كذا الفخر

قافية الفاء

(٣٢٥)

وقال :

يأبى احتمال الضيم لى خلق فيه على ما رأبى صلف
سهل العريكة حين تنصفه صعب المقادة حين يعتسف^(٧)

(١) البتر : السيوف الفاطمية . (٢) البتر : القطع . (٣) عرنا : زهد فيه .

(٤) الوفر : الفنى . (٥) اغربي : ابعدي .

(٦) في هامش الديوان « وسلطنة » . (٧) يعتسف : ظله .

خُلِقَ نَمَاهُ أَغْرُ أَرْوَحُ مَيِّمُونَ النِّقِيَّةَ مَاجِدُ أَنْفٍ^(١)
 مِنْ مَعْشِرِ طَابَتْ مَغَارِسُهُمْ فَسَمَا لَهُمْ فَوْقَ السَّهْلِ^(٢) شَرَفُ
 قَوْمٍ إِذَا عُدَّتْ مَنَاقِبُهُمْ كَادَتْ لَهْنَ الشَّمْسُ تَنْكَسِفُ
 لَوْ حَاوَلُوا الْإِفْلَاقَ مَا قَصُرَتْ عَنْهَا أَكْفُهُمْ ، وَلَا ضَعُفُوا
 لَا عَيْبَ فِيهِمْ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ فِي جُودِهِمْ لِعَفَاتِهِمْ^(٣) سَرَفُ
 أَنِّي بِعَلَى فِيهِمْ ، وَهُمْ فَوْقَ الثَّنَاءِ ، وَفَوْقَ مَا أَصْفُ

قافية اللام

(٣٢٦)

وقال :

جُودِي بِمَوْجُودِي عَلَى النِّكَابِ فِي مَالِي أَبِي لِي أَنْ أَعَدَّ بِخَيْلًا
 أَهْبُ الْكَثِيرَ مِنَ الْكَثِيرِ ، فَإِنْ لَحَتْ^(٤) عُودِي وَهَبْتُ مِنَ الْقَلِيلِ قَلِيلًا
 كَيْ لَا أَكْذِبَ فِي رَجَائِي آمَلًا إِنَّ الْبَخِيلَ يُكْذِبُ التَّامِيلًا

(١) النقية : الطبيعة . وأنف كفرح : استكف . والأروع : من يعجبك بحسن وجهه منظره ، أو بشجاعته .
 والميمون : المبارك . ونماه : رضع .
 (٢) السها : نجم .
 (٣) العفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف .
 (٤) لحا العود : قشره .

ما قاله في الحماسة ، ووصف به شجاعته وبأسه

قافية الهمزة

(٣٢٧)

قال :

قَتَلْنَا بِقِتْلَانَا مِنْ الْقَوْمِ مِثْلَهُمْ مَرَارًا ، وَلَكِنْ مَا الدِّمَاءُ سِوَاءُ
وَلَكِنْ شَفِينَا النَّفْسَ مِنْ لَاعِجِ الْأَسَى بِقَتْلِهِمْ ، إِنْ كَانَتْ مِنْهُ شِفَاءُ

قافية الباء

(٣٢٨)

وقال ، وقد عرض له ألم في رجله منعه من الركوب :

رَجُلَايَ وَالسَّبْعُونَ قَدْ أَوْهَنْتَ قُوَايَ عَنْ سَعْيِي إِلَى الْحَرْبِ
وَكُنْتُ إِنْ ثَوَّبَ^(١) دَاعِيَ الْوَعَى لَيْتَهُ بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ
أَشَقُّ بِالسَّيْفِ دُجَى نَقْعِهَا شَقُّ الدِّيَابِجِي مَرْسَلُ الشُّهْبِ
أَنَازِلُ الْأَقْرَانِ يُرْدِيهِمْ مِنْ قَبْلِ ضَرْبِي هَامَهُمْ رُغْبِي
فَلَمْ تَدْعَ مِنِّي اللَّيَالِي سِوَى صَبْرِي عَلَى اللَّأْوَاءِ^(٢) وَالخَطْبِ
أَلْبَى الرِّزَايَا رَابِطَ الْجَاشِ فِي أَجْدَانِهَا مَجْتَمَعَ اللَّبِ
مَا خَاتَمِي عِزِّي ، وَلَا عِزِّي^(٣) صَبْرِي ، وَلَا ارْتَاعَ لَهَا قَلْبِي

(٢) اللأواء : الشدة .

(١) الثوب : الدعاء .

(٣) عزِّي : غلبتي ، فلم يغلبي .

قافية الجيم

(٣٢٩)

وقال ، ما كتبه على طوق خُوذة :

أَنَا تَاجُ فُرْسَانَ الْهِجَاجِ^(١) ، وَمِنْهُمْ
قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ عَجِبَتْ مِنْ
صَبْرٍ إِذَا مَا ضَاقَ مُعْتَرِكُ الْقَنَا^{وود}
وَإِذَا رَجَوْتَهُمْ لَنْصِرَ صَدَقُوا^{وود}
ثَبَّتْ أَوَاحِي^(٢) مُلْكُ كُلِّ مُتَوَجِّجٍ
بَحْرِ تَدَافَعَ فِي لَظَى مُتَوَهِّجٍ
فَرَجَتْ سَيُوفُهُمْ مَضِيقَ الْمُنْهَجِ
بِعَظِيمٍ بِأَسْهَمٍ رَجَاءَ الْمُرْتَجِي

قافية الحاء

(٣٣٠)

وقال :

خَمْسَ عَشْرَةَ نَازَلْتُ الْكِمَاةَ إِلَى
أَخْوَضُهَا كَشَاهِبِ الْقَذْفِ مَبْتَسِمًا
بِصَارِمٍ ، مَنْ رَأَاهُ فِي قَتَامٍ وَعَى
أَغْدُو لِنَارِ الْوَعَى فِي الْحَرْبِ إِنْ نَحِمْتُ
فَسَلْ كِمَاةَ^(٦) الْوَعَى عَنِّي ، لَتَعْلَمَ كَمْ
أَنْ شَبْتُ فِيهَا ، وَخَيْرُ الْخَيْلِ مَا قَرَحَا^(٣)
طَلَقَ الْحَيَا ، وَوَجْهُ الْمَوْتِ قَدْ كَاهَا
أَفْرَى بِهِ الْهَامَ^(٤) ، ظَنَّ الْبَرْقَ قَدْ لَحَا
بِالْبَيْضِ فِي الْبَيْضِ وَالْهَامَاتِ مُقْتَدَحًا^(٥)
كَرْبٍ كَشَفْتُ ، وَكَمْ ضَيَّقَ بِي أَنْفَسَحَا

(١) الهجاء بالكسر : القتال .

(٢) الأخية كأيوة ويشدد ويخفف : عود في حائط أو في حبل يدفن طرناد في الأرض و يبرز طرفه كالحلقة تشد فيها الدابة ، الجمع أخايا أو أواحي . والأخية : الطنب .

(٣) قرح الفرس كمنع : انتهت أسنانه ، فهو قارج ، وذلك عند إكمال خمس سنين .

(٤) القتام : الغبار . والوعى : الحرب . وأفرى : أشق . والهام : جمع هامة : وهي الرأس .

(٥) اقتدح : رام الإبراء . والبيض : جمع بيضة ، تتخذ من الحديد ، وتلبس في الرأس .

(٦) الكمي : الشجاع ، أو لابس السلاح .

قافية الدال

(٣٣١)

وقال من أبيات تقدّمت^(١) :

ولكنني ألقى الحوادثَ وادِّعاً بقلبٍ أريبٍ بأسه يتوقّدُ
أبى على عدلِ الزّمانِ وجوره غنى عن الأعوانِ إن قلَّ مُسعدُ^(٢)
فما هو في خطبٍ وإن راعَ جازعُ مروعٌ ، ولا في حادثٍ متبلّدُ

(٣٣٢)

وقال من قصيدة تقدّم أولها^(٣) :

يا عجباً من وشكٍ بينَ مارَعَتْ^(٤) فيه مطايانا ولا الحادى حدّا
نرى الجمالَ المصحباتِ^(٥) بيننا مُهملاتٍ ، والرجالَ بدداً^(٦)
موقفٍ توديعٍ ترى البيضُ به شهباً ، وهابى النّقع ليلاً أسوداً
وللطعانِ فى الكُماةِ أعيناً تهجى على السردِ^(٧) نجيعاً مُزبداً
فيا له من موقفٍ رقيقه كُتّابُ الأعداءِ ، والواشى الردى
لو لم تكن عادتي الإقدامَ فى أمثاله ، قضيتُ فيه كمدّا
ومنها :

لا تحسبن الرّزءَ أوهى جالدى إن النّسيمَ لا يفيضُ^(٨) الجلمداً
وهل يروعُ الخطبُ قلبَ أروعٍ إن كلبِ^(٩) الدهرُ عليه أسداً^(١٠)

(١) انظر القطعة (١٢٨) صفحة (٦٢) .

(٢) المسعد : المعين .

(٣) راجع ص ٦٦ .

(٤) رغا البعير غاء بالضم : صوت فضج .

(٥) أصحب : اتقاد .

(٦) بددا : متفرقة .

(٧) السرد : اسم جامع للدروع . والتجيع : دم الجوف . (٨) الفض : الكسر بالفرقة . والجلمد : الصخر .

(٩) كلب : سفه .

(١٠) أسد : صار كالأسد .

مَتَى رَأَى الشَّامِتُونَ ضَرِعًا لَنَكِيَةٍ تَعْرِفُنِي عَرَقَ الْمَدَى ^(١)
هُم يَعْلَمُونَ أَنِّي أَصْلَبُ مِنْ صُمِّ الصَّفَا ^(٢)، فَمَا عَدَا مَا بَدَا
هَلْ بَرَّزَنِي الْخَطْبُ سِوَى وَفَرَى الَّذِي كَانَ مُبَاهَاً لِلنَّوَالِ وَالنَّدَى
إِنْ جَمَعُوا الْمَالَ فَأَوْعَوْا أَتَلَقْتُ يَدَى طَرِيفَ مَا حَوَتْ، وَالتَّلْدَا
هُم يَرَوْنَ الْمَالَ ذُخْرًا بَاقِيًا وَإِنَّمَا ذُنُرُ الْفَقَى أَنْ يُحَمَّدَا

قافية السين

(٣٣٣)

وقال ^(٣) :

سَلِّ بِي كِمَاةَ الْوَعَى فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ ^(٤) يَضِيقُ بِالنَّفْسِ فِيهَا صَدْرُ ذِي الْبَاسِ
يَنْبُوكَ بَأْنَى فِي مَضَايِقِهَا ثَبْتُ، إِذَا الْخَوْفُ هَزَّ الشَّاهِقَ الرَّاسِي ^(٥)
أَخْوَضَهَا كِشَاهِبِ الْقَذْفِ، يَصْحَبُنِي عَضْبُ كَهْرٍ سَرَى أَوْضُوهُ مِقْبَاسِ ^(٦)
إِذَا ضَرَبْتُ بِهِ قِرْنًا أَنَا زِلُهُ أَوْحَاهُ ^(٧) عَنْ عَائِدٍ يَغْشَاهُ أَوْ آسِي ^(٨)

قافية الطاء

(٣٣٤)

وقال من قصيدة مضى أكثرها ^(٩) :

وَلَكِنْ قَضَتْ فِينَا اللَّيَالَى بِمَجَورَهَا وَعَادَتْهَا كُفْرُ الْفَضَائِلِ وَالْغَمَطُ
حَكَمَهَا الْمِيزَانَ ، لَادَرَدْرُهَا : فَذُو النَّقْصِ يَسْتَعْلِي ، وَذُو الْفَضْلِ يَخْطُ

(١) الفرع : الخاضع للذليل المستكين . وعرق العظم : أكل ما عليه من اللحم . والمدى : جمع ندية ، وهي السكين .

(٢) الصفا : جمع صفاة ، وهي الحجر الصلد الضخم لا ينبت . وحجر أعم : صلب .

(٣) هذه القطعة رواها أسامة أيضا في كتابه : لباب الآداب ص ١٩٥ . (٤) في لباب الآداب : " معرك " .

(٥) الجبل . (٦) المضرب : السيف . والمقباس : شعلة ارقتبس من معظ النار .

(٧) أرحاه : أعجبه . وفي لباب الآداب « أوجاه » بمعنى زجره ، ونجاه ، وردده . (٨) الآسى : الطيب .

(٩) راجع ص ١٧٤ ، ٧٨ .

وعِنْدِي عَلَى مَارَابَ مِنْ حَدَثَانِهَا صَرِيْمَةٌ عَزِيْمٌ ، مَالِمًا عَقَلْتُ نَشْطُ^(١)
تُهَوِّنُ عِنْدِي الْخُطْبَ ، وَالْخُطْبُ هَائِلٌ وَتَقْبِضُ عَنِّي كَفَّهُ ، وَلَهَا الْبَسْطُ

قافية الفاء

(٣٣٥)

وقال^(٢) :

إِنْ يَحْسُدُوا فِي السَّلَامِ مَنْزِلَتِي مِنَ الْعِزِّ الْمُنِيفِ^(٣)
فَبِمَا أَهَيْنُ النَّفْسَ فِي يَوْمِ الْوَعَى بَيْنَ^(٤) الصَّفُوفِ
فَلَطَالَمَا^(٥) أَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْخُتُوفِ^(٦) عَلَى الْخُتُوفِ
بِعِزْمَةٍ أَمْضَى عَلَى حَدِّ السُّيُوفِ مِنَ السُّيُوفِ

قافية القاف

(٣٣٦)

وقال^(٧) :

قَلْبِي وَصَبْرِي إِنْ فَنَ مِنْ خُلِقَ تَقَاسَمَا صَادِقَيْنِ : لَا افْتَرَقَا
(أَمْشِي الْهُوَيْنِي ، وَالْخُطْبُ فِي طَلْبِي يُوضَعُ طَوْرًا ، وَتَارَةً عَنَقًا)^(٨)
مَا يَطْمَعُ الدَّهْرُ أَنْ أَذِلَّ ، وَلَا تَمَلَأُ قَلْبِي أَهْوَالُهُ فَرَقًا^(٩)

(١) حدثان الدهر : توبه . والبصيرة : العزيمة . وعقل : شد البصر بالعقل . والنشط : الحل .

(٢) هذه القصيدة مما روى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٤ ولباب الآداب ص ١٨٤ .

(٣) المنيف : العالي المشرف ، (٤) في لباب الآداب « يوم » .

(٥) في الخريدة « ولطالما » . (٦) اخطف : الموت .

(٧) هذه القطعة رواها أسامة أيضا في لباب الآداب ص ٢٠٣ .

(٨) ورد هذا البيت في موضعه هذا في لباب الآداب . (لم يرد في أهل الديوان . وأوضح : أسرع . والعنق :

(٩) هذا البيت ساقط في لباب الآداب . السير الفسيح .

أَحْنُو ضُلُوعِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ^(١) عَلَى فُؤَادٍ لَا يَعْرِفُ الْقَلَقَ
لَا يَزِدُّهُ^(٢) خَوْفُ الْحِجَامِ ، وَلَا عَهْدُهُ فِي مُلَبَّةٍ خَفَقَا

(٣٣٧)

وقال

قَالُوا تَرَشَّقَتِ اللَّيَالِي مَاءَهُ وَاغْتَالَه بَعْدَ التَّمَامِ مَحَاقُ
هُوَ جَمْرَةٌ أَفْنَى الزَّمَانِ لَهْيَهَا فَتَضَاءَلَتْ ، وَطَبَأَهَا الْإِحْرَاقُ

قافية اللام

(٣٣٨)

وكتب إليه الملك الصالح^(٣) :

قُلْ لَابِنِ مُنْقِذِ الذِّى قَدْ حَازَ فِي الْفَضْلِ الْكَمَالَ
فَلَدَاكَ قَدْ أَضْحَى الْأَنَا مُ عَلَى فَضَائِلِهِ^(٤) عِيَالًا
وَقَرِيبُهُ عِنْدَ الظُّمَاءِ يَنْسِيهِمُ الْمَاءُ الرُّزْلَالَ
كَالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ ، مَا سَكَنَ الْبَحَارَ ، وَلَا الْجِبَالَ
لَكِنْ يُجَاوِرُ فَيْضَ أَيْمَانٍ ، وَأَحْلَامًا ثِقَالًا :
مَا كَانَ ظَنِّي أَنْ يُحَرِّمَ مِنْهُ لِي السَّحَرَ الْحَلَالَ
كَلَّا ، وَلَا يَشْكُو لِحَمَلِ رَسَائِلِ مَنِي كَلَالًا^(٥)
كَمْ قَدْ بَعَثْنَا نَحْوَكَ الْأَشْعَارَ مُسْرَعَةً عِجَالًا

(٢) الازدهار : الاستخفاف .

في الروضتين : مكرمه .

(١) في لباب الآداب : حادثة .

(٣) النص في الروضتين أيضا : ١١٧ .

(٥) الكلال : الإعياء .

مِثْلَ الْحَسَنِ الْغِيْدِ^(١) تَا هَتْ فِي مُحَاسِنِهَا دَلَالَا
بَذَلْتَ لَكَ الْمُنَوَّعَ ، ثُمَّ مَنَحْتَهَا مِنْكَ ابْتِدَالَا^(٢)
وَصَدَدْتَ عَنْهَا ، حِينَ رَا مَتَّ مِنْ مُحَاسِنِكَ الْوَصَالَا
مَا كَانَ مُرْسَلُهَا ، وَحَقَّقَكَ ، يَسْتَحِقُّ بِهَا الْمَلَالَا
هَلَّا بَذَلْتَ لَنَا مَقَالَا ، حِينَ لَمْ تَبْذُلْ فِعَالَا
مَعَ أَنَّ نُوْلِكَ صَبْرًا فِي الْمُوَدَّةِ وَاحْتِمَالَا
وَنَبْذْلِكَ الْأَخْبَارَ ، إِنْ أَضَحَّتْ قِصَارًا أَوْ طَوَالَا
سَارَتْ سَرَايَانَا لِقِصْدِ الشَّامِ ، تَعْتَسِفُ الرِّمَالَا^(٣)
تَرْجِي إِلَى الْأَعْدَاءِ جُرْدَ الْخَلِيلِ أَتْبَاعًا^(٤) تَوَالِي
تَمْضِي خِفَافًا لِلْغَا رِ^(٥) بِهَا ، وَتَأْتِينَا ثِقَالًا
حَتَّى لَقَدْ رَامَ الْأَعَا دِي مِنْ دِيَارِهِمْ ارْتِحَالَا
وَعَلَى الْوُعَيْرَةِ^(٦) مَعَشَرٌ لَمْ يَعْهَدُوا فِيهَا الْقِتَالَا
لَمَّا نَأَتْ عَمَّنْ يُحْفُ بِهَا يَمِينًا أَوْ شِمَالَا
نَهَضَتْ إِلَيْهَا خِيَانَا مِنْ مِصْرَ تَحْتَمِلُ^(٧) الرِّجَالَا
وَالْبَيْضَ لَامِعَةً ، وَبِيضَ الْهِنْدِ ، وَالْأَسَلَ الثَّهَالَا^(٨)
فَقَدَّتْ كَأَنَّ لَمْ يَعْهَدُوا فِي أَرْضِهَا حَيًّا حِلَالَا^(٩)
هَذَا ، وَفِي تَلِّ الْعُجُو لِ^(١٠) ، مَلَأَنَّ بِالْقَتْلِ التَّلَالَا

- (١) الغيد : جمع غيدا ، وهي المنيخية لنا .
(٢) الابتدال : ضد الصيانة .
(٣) اعتسف الطريق : خطب على غير هداية .
(٤) أتباع : يأتون بعدها خلف بعض .
(٥) ر : الوعيرة : اسم حصن .
(٦) المغار : الإغارة .
(٧) احتمله : حمله .
(٨) التهال : جمع ناهلة وهي المختلفة إلى التهل .
(٩) احتمله : حمله .
(١٠) ملأ : مملأ بالقتل .
(١١) موضع بالشام .

إِذْ مَرَّ مُرَى^(١) لَيْسَ يَلْوِي^(٢) نَحْوَ رُفْقَتِهِ اشْتِغَالًا
وَاسْتِنَاقَ عَسْكَرُنَا لَهُ أَهْلًا يُحِبُّهُمْ وَمَالًا
وَسَرِيَّةُ ابْنِ فُرَيْحٍ الطَّا فِي طَالٍ بِهَا وَصَالًا
سَارَتْ إِلَى أَرْضِ الْخَلِيلِ ، فَلَمْ تَدْعَ فِيهَا خِلَالَ^(٣)
فَلَوْ أَنَّ نُورَ الدِّينِ يَجِيءُ عَلَيْنَا فِيهِمْ مِثَالًا
وَيُسِيرُ الْأَجْنَادَ جَهْرًا ، كَيْ يُنَازِلَهُمْ^(٤) نَزَالًا
وَيَنِي لَنَا ، وَلِأَهْلِ دَوٍّ لَنَّهُ بِمَا قَدْ كَانَ قَالًا
لَرَأَيْتَ لِلْإِفْرَنْجِ طُورًا فِي مَعَاظِلِهَا اعْتِقَالًا
وَتَجَهَّزُوا لِلسَّيْرِ نَحْوَ الْغَرْبِ أَوْ قَصِدُوا الشَّمَالَ
وَإِذَا أَنَّى إِلَّا اطَّارَحًا لِلنَّصِيحَةِ وَاعْتِزَالًا
عُدْنَا بِتَسْلِيمِ الْأُمُورِ لِحُكْمِ خَالِقِنَا تَعَالَى

فأجابه :

يَا أَشْرَفَ الزُّرَّاءِ أَخْلَافًا ، وَأَكْرَمَهُمْ فَعَالًا
وَأَعَزَّهُمْ جَارًا ، وَأَمَّ نَعْمَهُمْ حِمَى ، وَأَجَلَّ آلًا
وَأَعَمَّهُمْ جُودًا ، إِذَا جَادُوا ، وَأَكْثَرَهُمْ نَوَالًا
فَلِذَاكَ قَدْ أَضْحَى الْإِنَّا مُ عَلَى مَكَارِمِهِ عِيَالًا
وَحِمَى الْبِلَادِ بِسَيْفِهِ عَنْ أَنْ تُدَالَ^(٥) ، وَأَنْ تُدَالَ
وَأَحَلَّ بِالْإِفْرَنْجِ فِي بَرٍّ ، وَفِي بَحْرِ نَكَالًا^(٦)

(١) مرى : أحد ملوك الفرنج الصليبيين . (٢) يلوي : ينتظر .

(٣) الخلال : جمع خل بالفتح ، وهو الطريق . (٤) هذه رواية الروضتين . وفي الأصل : تنازلهم .

(٥) أذاته : أهته . والدولة : انقلاب الزمان . وأداله . أى جعل الزمان يتقلب به .

(٦) النكال ما نكلت به غيرك بأن تصنع ما تحذره به .

حَتَّى لَقَدْ سَمِعُوا لِقَاءَ جِيوشِ مِصْرٍ وَالْقِتَالَآ
 نَبَّهَتْ عَبْدًا طَالِمًا نَبَّهَتْهُ ^(١) قَدْرًا وَحَالًا
 وَعَتَبَتْهُ ، فَأَنْلَتْهُ شَرَفًا وَمَجْدًا لَنْ يَنَالَآ
 وَكُسُوتَهُ شَرَفًا ، إِذَا مَا طَاوَلَتْهُ الشُّهْبُ طَالَا ^(٢)
 لَكِنْ ذَاكَ الْعَتَبَ يُشْعِلُ فِي جِوَانِحِهِ اسْتِعْلَا
 أَسْفًا بِلَحْدِ مَالٍ عَنْهُ إِلَى مَسَاءَتِهِ ، وَمَالًا
 وَحِمَاهُ ، وَهُوَ الْحَائِمُ الظَّمَانُ ، أَنْ يَرِدَ الزَّلَالَا
 وَأَجَرَ مَقُولَهُ ^(٣) فَصَرَ نَ الْحَادِثَاتُ لَهُ عَقَالَا
 فَلَوْ اسْتَطَاعَ السَّعَى ، وَهُوَ الْفَرُضُ ، لَمْ يَرْضَ الْمَقَالَا
 لَكِنَّمَا الْأَيَّامُ تُوسِعُنَا مَطَالَا وَاعْتِلَالَا
 وَتُسَوِّفُ الرَّاحَى ، وَتُوْ رُدُّذَا الصَّدَى الظَّمَانُ آلَا ^(٤)
 وَالْدَّهْرُ لَا يَنْفِكُ يَبْرِى ، أَوْ يَرِيشُ لَنَا النَّبَالَا ^(٥)
 وَيَصِدُّنَا عَمَّا نَحْمَا وَلَهُ جِهَارًا وَاغْتِيَالَا ^(٦)
 وَإِذَا حَمِدْنَاهُ عَلَى حَالٍ تَنَكَّرَ وَاسْتَحَالَا ^(٧)
 وَذُنُوبُهُ مَغْفُورَةٌ لَوْ كَاثَرَتْ فِينَا الرَّمَالَا
 بِالْبَصَالِحِ الْمَلِكِ الَّذِي جَمَعَ الْمَهَابَةَ وَالْجَلَالَا
 مَلَكٌ إِذَا زُغْنَا أَقَا ل ، وَإِنْ سَأَلْنَاهُ أَنَا لَا
 فَيُبِيحُ جَاهِلَنَا وَسَائِلَنَا نَوَالَا وَاحْتِمَالَا
 فَاِلَيْهِ مَعْدَرَةُ الْمُقْصِرِ ، مِنْ إِسَاءَتِهِ اسْتِقَالَا

(١) نَبَّهَتْ بِاسْمِهِ : تَوَه .
 (٢) طَاوَلَتْهُ : كُنْتُ أَطُولُ مَعَهُ .
 (٣) أَجَرَ مَقُولَهُ : شَقَّ لِسَانَهُ .
 (٤) الصَّدَى : الْعُطْشُ . وَالْآل : السَّرَابُ .
 (٥) يَرِيشُ : يَنْحَثُ . وَرَاشَ عَلَيْهِ الرِّيشُ : وَالْبَالُ : الدِّهَامُ .
 (٦) اغْتَالَهُ : أَهْلَكَهُ .
 (٧) اسْتَحَال : تَحَوَّلَ وَتَغَيَّرَ .

وبفضل مَالِكِهِ تَعَوَّ ذَا أَنْ يَظُنَّ بِهِ الْمَلَالَا
 أَوْ أَنَّهُ يَشْكُو الْكَلَالَ لَ، لَسَمِعِهِ السُّحْرَ الْحَلَالَا
 وَهُوَ النَّهْضُ بِمَا تَحْمَلُهُ ، وَلَوْ حَمَلَ الْجَبَالَا
 أَمَّا السَّرَايَا حِينَ تَرُجُّ بَعْدَ خِفَّتِهَا ثِقَالَا
 فَكَذَلِكَ عَادَ وَفُودُ بَابِكَ مُثْقَلِينَ نَفْسًا^(١) وَمَالَا
 وَمَسِيرُهَا فِي كُلِّ أَرْضٍ تَبْتَغِي فِيهَا الْمَجَالَا
 فَكَذَلِكَ فَضْلُكَ مِثْلُ عَدْلِكَ فِي الدُّنْيَا سَارًا وَجَالَا
 فَاسْلَمْ لَنَا ، حَتَّى نَرَى لَكَ فِي بَنِي الدُّنْيَا مِثَالَا
 وَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِوَدِّ نُورِ الدِّينِ ، وَالْقَى بِهِ الرِّجَالَا
 فَهُوَ الْمُحَامِي عَنْ بَلَا دِ الشَّامِ جَمْعًا أَنْ تَذَالَا^(٢)
 وَمِيبِدُ أَمْلَاكِ الْفَرَنْجِ وَجَمْعُهُمْ حَالًا فَحَالَا
 مِلْكُ يَتِيهِ الدَّهْرُ وَالِدُنْيَا بِلَوْلِيهِ اخْتِيَالَا
 جَمْعُ الْخِلَالِ الصَّالِحَاتِ فَلَمْ يَدْعُ مِنْهَا خِلَالَا
 فَإِذَا بَدَأَ لِلنَّالِرِ يَنْ رَأَتْ عِيُونُهُمْ ، الْكَمَالَا
 فَيَقِيمَا لِلسُّلَمِينَ حِمَى ، وَلِلدُّنْيَا جَمَالَا

وكتب إليه الملك الصالح من قصيدة تقدم أولها^(٣)

ذَا كَرِينَ الْفَتْحِ الَّذِي فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا ، فَالصَّنْعُ مِنْهُ جَمِيلُ
 لَمْ يَزَلْ فَعَلْنَا لَهُ خَالِصًا ، وَهُوَ لَنَا شَاءَ فِي الْأَنَامِ فَعُولُ

(١) الثَّانِي : مَا أَخْبَرَتْ بِهِ عَنِ الرَّجُلِ . وَنَا الْحَدِيثَ : حَدَّثَ بِهِ وَأَشَاعَهُ .

(٢) أَذَالَهُ : أَهَانَهُ . (٣) انظر صفحة ١٤٠ .

جاءنا بعد ما ذكرناه في كُتُبِ أُنَا كُمْ بِهِنَّ مَنَا الرُّسُولُ
 أَنَّ بَعْضَ الْأَسْطُولِ نَالَ مِنَ الْإِفْرِجِ مَا لَا يَنَالُهُ التَّامِيلُ
 سَارَ فِي قِلَّةٍ ، وَمَا زَالَ بِاللَّهِ ، وَصَدَقَ النَّيَاتِ يَتَنَّى الْقَلِيلُ
 وَبَقَايَا الْأَسْطُولِ لَيْسَ لَهُ بَعْدُ إِلَى سَاحِلِ الشَّامِ وَصُولُ
 فَحَوَى مِنْ عَمَّا وَأَنْظَرُ طُوسَ عِدَّةً لَمْ يُحِطْ بِهَا التَّحْصِيلُ
 جَمَعَ دِيْوَانَهُ^(١) بِهِمْ كَانَتْ الْإِفْرِجُ تَسْطُو عَلَى الْوَرَى وَتَصُولُ
 قِيدَ فِي وَسْطِهِمْ مَقْدَمُهُمْ ، يُهْدَى إِلَيْنَا ، وَجِيدُهُ مَغْلُولُ
 بَعْدَ مَتَوَى جَمَاعَةٍ هَلَكَتْ بِالسَّيْفِ ، مِنْهَا الْغَرِيقُ وَالْمَقْتُولُ
 هَذِهِ نِعْمَةُ الْإِلَهِ وَتَعْدِيدُ أَيَادِي الْإِلَهِ شَيْءٌ يَطُولُ
 فَالْبَغْزُ قَوْلُنَا إِلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ ، فَهُوَ الْمَرْجُوُّ وَالْمَأْمُولُ
 قُلْ لَهُ : كَمْ تُمَاطِلُ الدِّينَ فِي الْكَفَّارِ ، فَاحْذَرُ أَنْ يَغْضَبَ الْمَطُولُ
 سِرِّي إِلَى الْقُدْسِ ، وَاحْتَسِبْ ذَلِكَ فِي اللَّهِ ، فَالْأَسِيرُ مِنْكَ يُشَقَّى الْغَلِيلُ
 وَإِذَا مَا أَبْطَأَ مَسِيرُكَ فَاللَّهُ إِذْنَ حَسْبُنَا ، وَنَعْمَ الْوَكِيلُ

(٣٣٩)

وقال^(٢) .

بُجْهَلٌ فِي الْإِقْدَامِ رَأْيِي مَعَاشِرُ^(٣) أَرَاهُمْ إِذَا قَرُّوا مِنَ الْمَوْتِ أَجْهَلَا
 أَرْجُو الْفَتَى عِنْدَ انْقِضَاءِ حَيَاتِهِ وَإِنْ قَرَّ عَنْ وَرْدِ الْمَنِيَةِ مَرَّحَلَا^(٤)

(١) أنظر طوس : بلاد ساحل بالشام . (٢) الديوية : لقب لطائفة من الصليبيين .

(٣) ذكر أسامة هذه الأبيات أيضا في باب الآداب صفحة ٢٢٥ .

(٤) في أصل الديوان « رأى معاشر » بالإضافة والتصويب للأستاذ الشيخ أحمد شاكر في باب الآداب .

(٥) زحل عن مكانه كنع : زال .

إذا أَنَا هَبْتُ الموتَ في حومةِ الوغَى ^(١) فلا وَجَدْتُ نفسِي من الموتِ مَوْتًا ^(٢)
وإِلَيَّ إذا نازَلْتُ كَبِشَ ^(٣) كَتِيبَةٍ فَلَسْتُ أَبَالِي أَيُّنَا مَاتَ أَوَّلًا

(٣٤٠)

وقال :

قُلْ لِلخَطُوبِ : إِلَيْكَ عَنِّي ، إِنَّ لِي فِي الخَطْبِ عَزْمًا مِثْلَ حَدِّ المُنْصِلِ ^(٤)
لَا يَسْتَكِينُ لِحَادِثٍ مِنْ نَكْبَةٍ طَرَقَتْ ، وَلَا يَعْيا ^(٥) بِأَمْرِ مُشْكِلي
يَلْقَى الخَطُوبَ ، إِذَا دَجَّتْ أَهْوَاهُهَا بِالصَّبْرِ حَتَّى تَضْمَحَلَّ وَتَنْجَلِي
تَنْجَابُ ^(٦) عَنْهُ الحَادِثَاتُ إِذَا عَرَتْ عَنْ قُلُوبِ ثَبِتِ العَزَائِمِ حَوْلَ ^(٧)
قَدْ جَرَّبَ الأَيَّامَ حَتَّى خَلَّتْهُ يُبْدِي لَهُ المَاضِيَ خَفِيَ المُقْبِلِ

قافية الميم

(٣٤١)

وقال :

إِذَا ضَاقَ بِالخَطَى ^(٨) مُعْتَرِكُ الوغَى وَهَالَ الرَّدَى وَقَعَ الظُّلُبُ ^(٩) فِي الجَمَاجِمِ
سَلِ الموتَ عَنِّي ، فَهُوَ يَشْهَدُ أَنِّي عَلَى خَوَاضِهِ فِي الحَرْبِ ثَبِتُ العَزَائِمِ

(٣٤٢)

وقال :

مُعِينِ الدِّينِ ، كَمْ لَكَ طَوْقُ مَنَ بِجِيدِي ، مِثْلَ أَطْوَاقِ الحَمَامِ
تَعَبَّدَنِي لَكَ الإِحْسَانُ طَوْعًا وَفِي الإِحْسَانِ رَقٌّ لِلكَرَامِ

- (١) حومة الوغى : أشد موضع فيه . والوغى : الحرب . (٢) الموتل : الملبأ .
(٣) الكبش : سيد القوم وقائدهم . (٤) المنصل بضمين وككرم : السيف .
(٥) عي بالأمر : لم يتندلوجه مراده ، أو يجزعه ولم يطلق إحكامه .
(٦) انجباب : انكشف . وعرا : غشى . (٧) حول قلب : محتال بصير بقلب الأمور .
(٨) الخطى : الرمح . (٩) الظلُب : جمع غابة ، وهي حد سيف أو سنان أو نحوه .

فصارَ إلى مودَّتِكَ انتسابي على أُنَى العِظَامِي العِصَامِي^(١)
ألمَ تَعْلَمَ بَأَنِي لِانْتِمَانِي إِلَيْكَ رَمَى سَوَادِي^(٢) كُلُّ رَامٍ
ولولا أَنْتَ لمَ يُصْحَبُ^(٣) شِمَائِي لِقَسْرِ^(٤) دُونِ إِعْذَارِ^(٥) الْحُسَامِ
ولكن خَفْتُ من نَارِ الْأَعَادِي عَلَيْكَ فَكُنْتُ إِطْفَاءَ الضَّرَامِ^(٦)

(٣٤٣)

وكتب إليه الملك الصالح :

أَلَا هَكَذَا فِي اللَّهِ تُمَضَى الْعَزَامُ وَتُسْتَنْزَلُ الْأَعْدَاءُ مِنْ طَوْدِ عَزَمِ
وَتُغْزَى جِيوشُ الْكُفْرِ فِي عُقْرِ دَارِهَا وَيُوفَى الْكِرَامُ النَّاذِرُونَ بِنَذَرِهِمْ
نَذَرْنَا مَسِيرَ الْجَيْشِ فِي صَفَرٍ، فَمَا بَعْنَاهُ مِنْ مَصْرِ إِلَى الشَّامِ، قَاطِعًا
وَنَاهِيكَ مِنْ أَرْضِ الْخِفَارِ^(٩) إِذَا التَّظَى وَصَارَتْ عُيُونُ الْمَاءِ كَالْعَيْنِ عِزَّةً^(١٢)
فَمَا هَالَهُ بُعْدُ الدِّيَارِ، وَلَا نَحْنِي يَهْجُرُ^(١٤) وَالْعَصْفُورُ فِي قَعْرِ وَكْرِهِ
وَتَمَضَى لَدَى الْحَرْبِ السَّيُوفُ الصَّوَارِمُ وَلَيْسَ سِوَى سُمْرِ الرِّمَاحِ سَلَامٍ
وَيُوطَا حِمَاهَا، وَالْأَنُوفُ رَوَاغِمُ وَإِنْ بُذِلَتْ فِيهِ النَّفُوسُ الْكَرَامُ
مَضَى نَصْفُهُ، حَتَّى انْتَنَى وَهُوَ غَائِمُ مَفَاوِزِ^(٧) وَخَدَّ الْعَيْسِ^(٨) فَبَيْنَ دَائِمٍ
بِجَنْبِهِ مَشْبُوبُ^(١٠) مِنَ الْقَيْظِ جَاحِمُ^(١١) إِذَا مَا أَتَاهَا الْعَسْكَرُ الْمُتَزَاحِمُ
عَزِمَتْهُ جَهْدُ الظَّمَا وَالسَّمَائِمُ^(١٣) وَبَسَرَى إِلَى الْأَعْدَاءِ، وَالنَّجْمُ نَائِمُ

(١) عظامي عصامي : شريف المنصب والنفس . (٢) السواد : الشخص . (٣) أحصب : أقاد .
وشمس الفرس : استعصى على راحته . (٤) القسر : القهر . (٥) أعذر : أنصف . (٦) أضرم النار : ألهبها .
(٧) المفاوز : جمع مفازة وهي الغلاة لا ماء بها . (٨) العيس : الإبل البيض يحاطل بياضها شقرة . والوخد :
الإسراع . (٩) الخفار : أرض بين فلسطين ومصر ، أولها رخ كلها رمال بيض . (١٠) من شبت النار :
انفقدت . والتظى : تلب . (١١) الجاحم : الجحيم . (١٢) عز الشيء : قل . (١٣) السوموم : الريح
الحارة تكون غالباً بالنهار ، الجلع : الجوع . (١٤) هجر : سافر في الهاجرة ، وهي نصف النهار ، عند زوال الشمس .

إذا ما طوى الرايات وقت مسيره
تبأرى خيولاً ما تزال كأنها
فإن طلبت قصداً تساوين سرعة
هى الدهم^(٣) ألواناً وصبغ عجاذة
تصاحبها علماً بأن سوف نغدى
كما أن وحش الفقر ما زال منهم
خيول إذا ما فارقت مصر تبغى
يسير بها ضرغام^(٥) فى كل مأزق
ورفقتة عين الزمان ، وحائم
مضى طاهر الأتواب من كل ريبة
هنيئاً له يستقى الرحيق^(٩) ، إذا غدت
ولو أننا نبكى على فقد هالك
ولكننا بعنا الإله نفوسنا
تهون علينا أن تُصاب نفوسنا
وما خام^(١٠) إذ لاقى همام وصنوه
وبرقية^(١٢) شاموا السيوف فلم يعش

غدت عوضاً منها الطيور الحوائم
إذا ما هى انقضت نُسور قشاع^(١)
قوادمها^(٢) فى جوها والقوائم
فإن طلبت أعداءها فالأداهم
بها ، وهما فى الكافرين مطاعم
مدى الدهر أعراس لهم وولائم
عداً ، فلها النصر المين ملازم
وما يصحب الضرغام إلا الضراغم^(٦)
ويحى^(٧) ، وإن لاقى المنيّة ، حاتم
شهيداً ، كما تمضى السراة^(٨) الأكارم
نحيه فى الخلد الحسان النواعم
لقلت له منّا الدموع السواجم
ورحناً ، وما منّا على البيع نادم
إذا لم تُصبنا فى الحياة الماتم
عشية أصوات الرجال همائم^(١١)
لبارقها فى ساحة الشام شائم

(١) القشع : المسن من التيسور والضم .
(٢) القوادم : جمع دهما ، وهى السوداء .
(٣) الدهم : جمع دهماء ، وهى السوداء .
(٤) الأذاهم : القيود .
(٥) ضرغام : قائد مصرى آلت إليه الوزارة فى أيام العاضد الفاطمى .
(٦) الضراغم : جمع ضرغام : الأسد .
(٧) أسما : قواد ثلاثة .
(٨) السراة : السادة .
(٩) الرحيق : الخمر ، أو أطيبها .
(١٠) خام عنه يخيم : تكس وجين .
(١١) المهمة : الكلام الخفى وتردد الزئير فى الصدر من الألم وكل صوت معه بحج .
(١٢) برقية : طائفة من الجيش المصرى قدم أصولهم من برقة .

وأفناء^(١) جُنِدٍ لَوْ تَوَجَّهَ جَمْعُهُمْ
وَجَعُ مِمَّا لِيكَ بِأَفْعَالِنَا اقْتَدَوْا
وَسِنْسِ قَدْ شَادُوا الْمَعَالِي بِفَعْلِهِمْ
وَتَعْلَبَةُ^(٢) أَضْحَوْا بِنَا قَدْ تَأَسَّدُوا^(٣)
وَأِنْ جُذَامًا^(٤) لَمْ يَزَلْ قَطُّ مِنْهُمْ
جِيُوشُ أَفْدَنَاهَا اعْتَزَامًا وَنَجْدَةً
إِذَا مَا أَثَارُوا النَّقْعَ ، فَالْتَفَرُّ عَابَسُ
وَلَمَّا وَطُوا أَرْضَ الشَّامِ تَحَالَفَتْ
وَوَاجَهُمْ جَمْعُ الْفَرَنْجِ بِحَمَلَةٍ
فَلَقَوْهُمْ زُرْقَ الْأَسْتَةِ ، وَانْطَوَّأَ
وَمَا زَالَتْ الْحَرْبُ الْعَوَانُ^(٥) أَشْدَّهَا
يُسَبِّهُهُمْ مِنْ لَاحَ جَمْعُهُمْ لَهُ
وَحَسْبُكَ أَنْ لَمْ يَبْقَ فِي الْقَوْمِ فَارِسُ
وَعَادُوا إِلَى سِلِّ السَّيُوفِ ، فَقَطَّعَتْ
فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَاكَ نَجِيرٌ
كَذَلِكَ مَا يَنْفَكُ تَهْدَى إِلَى الْعِدَا
وَتَسْرَى لَهُمْ آرَاؤُنَا وَجِيُوشُنَا

لرُومِيَّةٍ جَالَتْ عَلَيْهَا الْمَقَاسِمُ
فَكَثُّهُمْ بِالْطَّعْنِ وَالضَّرْبِ عَالِمُ
وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الْعَوَالِي^(٦) دَعَاثُمُ
فَمَا لَهُمْ فِي الْمَشْرِكِينَ مُقَاوِمُ
قَدِيمًا لِحَبْلِ الْكُفْرِ بِالشَّامِ جَاذِمُ^(٧)
فَطَاثُنَا مِنْهُمْ ، وَمِنَّا الْعَزَائِمُ
وَأِنْ جَرَّدُوا الْأَسْيَافَ فَالْتَفَرُّ بِأَسْمُ
فَأَضْحَتْ جَمِيعًا عُرْبُهَا وَالْأَعَاجِمُ
تَهَوَّنَ عَلَى الشُّجْعَانِ مِنْهَا الْهَزَائِمُ
عَلَيْهِمْ ، فَلَمْ يَنْجُ مِنْ الْكُفْرِ نَاجِمُ^(٨)
إِذَا مَا تَلَاقَى الْعَسْكَرُ الْمُتَصَادِمُ
بَلَجَّةٍ بِحَرٍّ مُوجَّهَا مُتَلَاطِمُ
مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا وَهُوَ لَارْمِجٍ حَاطِمُ^(٩)
رَعُوسُ ، وَحَزَّتْ لِلْفَرَنْجِ غَلَاظِمُ^(١٠)
وَلَا قِيلَ : هَذَا وَحْدَهُ الْيَوْمَ سَالِمُ
وَاللُّوحِشِ أَعْرَاسُ لَهُمْ وَمَاتَمُ
بِدَاهِيَةِ تَبْيِضُ مِنْهَا الْمَقَادِمُ^(١١)

(١) الأفناء من الناس : الأخطا .

(٢) العوالي : أعالي الزماح .

(٣) جُذَمَ : قطعه . (٤) نعم : ظور .

(٥) الحرب العوان : هي التي قوتل فيها مرة .

(٦) الحطم : الكسر . (٧) التلصص : اللحم بين الرأس والعنق أو رأس الحلقوم .

(٨) مقدم العين كحسن ومعظم : ما يلي الأنف ، ومن الوجه ما استقبلت منه .

نُفِتِلَهُمْ بِالرَّأْيِ طَوْرًا ، وَتَارَةً
وَمَا الْعَازِمُ الْمُحْمَدُ إِلَّا الَّذِي يُرَى
وَقَدْ غَرَّقَ الْكَفَّارَ مِنْهُ بِقَطْرَةٍ
فَكَيْفَ إِذَا سَأَلْتَ عَلَيْهِمْ سُيُولُنَا
وَمَا نَحْنُ بِالْإِسْلَامِ لِلشَّرِكِ هَازِمٌ
فَقُولُوا لِلنَّورِ الدِّينِ ، لَا فُلَّ حُدَّهُ
تَجَهَّزْ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ وَلَا تَهِنْ
فَمَا مِثْلُهَا تُبْدِي احْتِفَالًا بِهِ ، وَلَا
فَعَنْدَكَ مِنْ أَلْطَافِ رَبِّكَ مَا بِهِ
أَعَادَكَ حَيًّا بَعْدَ أَنْ زَعَمَ الْوَرَى
بَوَقْتِ أَصَابِ الْأَرْضِ مَا قَدْ أَصَابَهَا
وَحَيْمٌ جَيْشُ الْكُفْرِ فِي أَرْضِ شَيْزِرٍ
وَقَدْ كَانَ تَارِيخُ الشَّامِ وَهْلَكُهُ
فَقُمْ ، وَاشْكُرْ اللَّهَ الْكَرِيمَ بِنَهْضَةٍ
فَنَحْنُ عَلَى مَا قَدْ عَهَدْتَ : نَزَوُعُهُمْ
وَعَارَاتُنَا لَيْسَتْ تَقْتَرُ^(٦) عَنْهُمْ
وَأَسْطُولُنَا أَضْعَافُ مَا كَانَ سَائِرًا

تَدُوسُهُمْ مِنَ الْمَذَاكِ الصَّلَادِمِ^(١)
مَعَ الْعَزْمِ فِي أَحْوَالِهِ ، وَهُوَ حَازِمٌ
سَحَابُ انْتِقَامٍ عِنْدَنَا مُتْرَاكُمُ
وَجَاشَتْ لَنَا تِلْكَ الْبَعَارُ الْخَضَارِمُ^(٢)
وَلَكِنَّا الْإِيمَانُ لِلْكَفْرِ هَادِمٌ
وَلَا حَكَمَتْ فِيهِ اللَّيَالِي الْغَوَاشِمُ^(٣)
وَتُظْهِرُفُتُورًا أَنْ مَضَتْ مِنْكَ حَارِمُ^(٤)
تُعْضُّ عَلَيْهَا لِلْمُلُوكِ الْأَبَاهِمُ^(٥)
عَلِمْنَا يَقِينًا أَنَّهُ لَكَ رَاحِمُ
بِأَنَّكَ قَدْ لَا قَيْتَ مَا اللَّهُ حَاتِمُ
وَحَلَّتْ بِهَا تِلْكَ الدَّوَاهِي الْعِظَائِمُ
فَسِيقَتْ سَبَايَا ، وَاسْتَحَلَّتْ عَحَارِمُ
وَمَنْ يَحْتَوِيهِ أَنَّهُ لَكَ عَادِمُ
إِلَيْهِمْ ، فَشَكَرُ اللَّهَ لِلخَلْقِ لَازِمُ
وَنَحْلِفُ جَهْدًا أَنَّنَا لَا نُسَالِمُ
وَلَيْسَ يُجِبِّي الْقَوْمَ مِنْهَا الْهَزَائِمُ
إِلَيْهِمْ فَلَا حِصْنٌ لَهُمْ مِنْهُ عَاصِمُ

(١) الصلاد كبرج : الأسد ، والصلب الشديد الحافر . والمذاكي من الخيل : ما أتى عليها بعد قرعها سنة أو سنتان .

(٢) الخضارم : جمع خضرم ، وهو الكثير من كل شيء . (٣) الغشم : الظلم .

(٤) حارم : مديّة بالشام . (٥) الأباهم : جمع إيهام بالكسر (وهذا تناية عن الندم) .

(٦) تقتر : تنقطع وتضعف

وَنَرَجُو بَانَ نَجْتَاَحَ^(١) بِاقِيهِمْ بِهِ
عَلَى أَتْنَا نَلْنَا مِنْ الْمَجْدِ مَا بِهِ
وَلَكُنَّا نَبْغِي الْمَثُوبَةَ جَهْدَنَا
وَنَحْتَمُّ بِالْحُسْنَى الْفَعَالَ، وَإِنَّمَا

فَأَجَابَهُ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةُ :

لَكَ الْفَضْلُ مِنْ دُونِ الْوَرَى وَالْمَكَارِمُ
وَصَلَّتْ، فَأَغْبَيْتَ الْأَنَامَ عَنِ الْحَيَا
وَجُدْتَ عَلَى بُحْلِ الزَّمَانِ، فَأَيْنَ مِنْ
تَكْفَلْتَ لِلْإِسْلَامِ أَنْكَ مَانِعٌ
فَأَصْبَحْتَ تَرَعَى سِرْحَهُ بِصَرِيحَةٍ^(٢)
وَأَيْدَتَهُ بِالْعَدْلِ، وَالْبَذْلِ، وَالتَّقَى
فَعَدَلُ مُزِيلٌ كُلَّ ظُلْمٍ وَجُودُهُ
رَمَيْتَ الْعِدَا بِالْأَسَدِ فِي أَجْمِ الْقَنَا
بِمَثَلِ أُنَى^(٣) السَّيْلِ، ضَاقَ بِهِ الْفَضَا
يُبَارِينَ شُهَبَ الْقَذْفِ يَحْمِلُنْ مِثْلَهَا
سَرَايَا كُوجِ الْبَحْرِ، فِي لَيْلٍ عَثِيرٍ^(٤)
تَسِيرُ جِيُوشُ الطَّيْرِ فَوْقَ جِيُوشِهَا

فَمَنْ حَاتِمٌ، مَا نَالَ ذَا الْفَخْرِ حَاتِمٌ
وَصُلَّتْ، نَفَاخَتْ مِنْ سُطَاكِ الصَّوَارِمِ
نَدَاكَ [السُّكُوبِ^(٥)] الْمُسْتَهْلِ^(٦) الْعَامِ
حِمَاهُ، مَبِيحٌ مَا حَمَى الْكُفْرُ هَادِمٌ
مِنْ الْعَزْمِ، لَمْ تَبْلُغْ مَدَاهَا الْعَزَائِمُ
وَضُرِبَ الطَّلِي^(٧)، وَالصَّالِحَاتُ دَعَائِمُ
وَجُودٌ مُذِيلٌ^(٨) مَا تَصُونُ الْخَوَاتِمُ
عَلَى الْجُرْدِ، تَقْتَادُ الرَّدَى وَهُوَ رَاغِمٌ
وَضَاقَ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْهُ الْمُخَارِمُ^(٩)
مِنْ الْخُتْفِ، لِلْبَاغِي الرَّجِيمِ رَوَاجِمُ
بِهِ مِنْ عَوَالِيهِمْ^(١٠) مَجُومٌ نَوَاجِمُ
هَذَا كُلُّ يَوْمٍ مِنْ عِدَاهَا وَلَائِمٌ

(١) الاجتياح : الإهلاك والاستئصال .

(٢) سقط بالأصل ولعله [السُّكُوبِ] أو كلمة على وزنهما ومعناها . (٣) استهل المطر : اشتد انصبابه .
(٤) من صرم السيف : احتد . (٥) الطل بالضممة : الأعناق . (٦) أذله : أهته .
(٧) اللاتي : السبل يأتي من موضع بعيد . (٨) المخارم : الطرقة . (٩) العثير : التراب .
(١٠) العوال : جمع غالية وهي أعلى القناة ، أو رأسه ، أو النصف الذي يلي السنان .

فَإِنْ خَفَضَ الْفُرْسَانُ لِلطَّعْنِ فِي الْوَعْيِ
تَعَرَّضَ مِنْهَا فَوْقَ (غَزَّة) عَارِضٌ
فَلَانْتَقَعَ سُبْبٌ ، وَالسَّيْفُ بَوَارِقُ
بَوَارِقُ مِنْهَا الْغَوْتُ ، لَا الْغَيْثُ ، يُرْتَجَى
فَلَيْسَ لِرَاجٍ غَيْرَ عَفْوِكَ مَلْجَأُ
تَزَهَّتَ عَنْ أَمْوَالٍ مَنْ أَنْتَ قَاتِلُ
فَنَهَبِكَ أَرْوَاحٌ تَنْفَلُهَا^(٤) الظُّبَا
فَلَا مَوْرِدٌ إِلَّا يَمَازِجُهُ دَمٌ
فَسَيْفُكَ لِلنَّهْمِ الْمَعَانِدِ خَاصِمٌ
خَلَطْتَ السُّطَا بِالْعَدَلِ ، حَتَّى تَأَلَّفَتْ
يَسْنُ أَبُو الْغَارَاتِ غَارَاتِ جُودِهِ
وَيَبْعُثُهَا شُعْتَ النَّوَاصِي^(٥) ، كَأَنَّهَا
تُلْظُ^(٦) بِأَرْضِ الْمَشْرِكِينَ ، كَأَنَّهَا
فَوَيْحَ الْعَدَا مِنْ بَأْسِهَا ، إِنْ مَاسَرَى
فَهُمْ جَزَرٌ^(٧) لِلْبَيْضِ ، وَالْبَيْضُ كَالْذِي
غَزَوْتَهُمْ فِي أَرْضِهِمْ وَبِلَادِهِمْ
فَأَفْنَيْتَهُمْ قَتْلًا وَأَسْرًا بِأَسْرِهِمْ
فَلَمَّا أَبَادْتَهُمْ سَيْوُفُكَ ، وَانْجَلَتْ

رِمَاحَهُمْ انْقَضَتْ عَلَيْهَا الْقَشَاصُ^(٨)
سَحَابُ الْمَنِيَا فَوْقَهُ مُتَرَاكِمٌ
وَاللِّدَمُ وَبَلٌ ، وَالنَّبَاتُ جَمَاجِمٌ
أَشَانِمٌ^(٩) ، لَا يَرَوِي بِهَا الدَّهْرُ شَانِمٌ^(١٠)
وَلَيْسَ لِعَاصٍ لَمْ يُزَيَّبْ ، مِنْكَ عَادِمٌ
فَقَدْ جُهِلَتْ بَيْنَ الْجَيُوشِ الْمُقَاسِمِ
وَسُمِرَ الْعَوَالِي ، وَالْبِلَادُ مَغَانِمٌ
وَلَا مَرْتَعٌ إِلَّا رَعْتَهُ الْمَنَاسِمُ^(١١)
وَعَدْلُكَ لِلشُّكُوى وَلِلْجُورِ شَاكِمٌ^(١٢)
أَسْوَدُ الشَّرَى وَالْمُطْفَلَاتُ الرِّوَانِمُ^(١٣)
عَلَى مَالِهِ ، وَهُوَ الْمَطْبِيعُ الْمُسَالِمُ
ذَابُ الْفَلَا تُرْدَى ، عَلَيْهَا الضَّرَاعِمُ
صَوَادٍ إِلَى وَرْدٍ ، حَوَانٌ^(١٤) حَوَانِمُ
إِلَيْهَا ، وَلَمْ تَسْعُرْ ، رَدَى وَأَدَاهِمُ^(١٥)
سَبَايَا تُهَادَى ، وَالْبِلَادُ مَعَالِمُ
وَجَحْفَلُهُمْ فِي أَرْضِهَا مُتَرَاحِمُ
فَنَاجِيَهُمْ مُسْتَسْلِمٌ أَوْ مُسَالِمُ
عَنِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ ظُلْمَةٌ وَمُظَالِمُ

(١) القشاع: النور. (٢) الأشانم: ضد الأيامن. (٣) من شام البرق: نفاذ إليه أين يقصد وأين يحيط.
(٤) نفله: أعطاه إياه. (٥) المناجم: جمع منجم كجلاس: خف البعير. (٦) خصمه: غلبه. وشاكم: ملجم.
(٧) المطفلات الروانم: يريد بهن الظباء. (٨) النواصي: جمع ناصية وهي قصاص الشعر. واتشعث: تلبد الشعر.
(٩) اللظ: اللوم والإلحاح. (١٠) من حتى ظفروه: عطفه. والحوانم: جمع حاتم، وهو العطشان.
(١١) الأدام: القيود. (١٢) الجزر: جمع جزرة وهي الشاة المذبوحة.
(١٣) الروانم: جمع رواجم. (١٤) حوان: حوانم. (١٥) أدام: أدامهم.

غزوتهم في البحر ، حتى كأنما الأساطيل فيه موجه المتلاطم
 بفُرسانٍ بحرٍ ، فوق دُهم^(١) ، كأنها على الماء طيرٌ ، ما هنَّ قَوادمُ^(٢)
 يصرفها فُرسانها بأعنة جرت ، حيث لم توصل بين الشكائم^(٣)
 إذا دفعوها قلت: فُرسان غارة سَروا بجياد ، ما هنَّ قَوائمُ
 يسوق أساطيل الفرنج اليهم حمامٌ ، وطيرٌ للفرنج أشائمُ
 دماؤهم في البحر حُر سوائح وهامهم في البر سُم^(٤) جوائمُ
 فلم يخف في فج من الأرض هارب ولم ينج في لج من الماء عائمُ
 وعاد الأسارى مُردفين^(٥) ، وسفنهم تُقاد ، كما قاد المهارى الخزانمُ^(٦)
 وقد شمر الملكان في الله ، طالبي رضاه ، بعزم لم تَعقه اللوائمُ
 بجِدٍّ ، هو العصبُ الحسام ، وحده لعادية الأعداء والكفر حاسمُ
 وقاما بنصر الدين ، والله قائمُ بنصرهما ، مادام للسيف قائمُ^(٧)
 وما دون أن يفنى الفرج ، وتفتح البلاد ، سوى أن يمضي العزم عازمُ
 فيا ملكاً ، قد أحمد الله سعيه ونيتَه ، والله بالسِرِّ عالمُ
 تن ثناء ، طبق الأرض نشره هو المسك ، لا ما ضمتته اللطائمُ^(٨)
 ثناء به يحدو الحداة ، وينشد الرواة ، وتشدو في الفصول الحمايمُ
 يسير مع الركبان ، أني تيمموا على أنه في ساحة الحي هاجمُ^(٩)
 أمير الجيوش ، اسمع مقالة بأعج بشرك ، يبدى مثل ما هو كاتمُ

(١) يريد السفن السود . (٢) القوادم : ريشات في مقدم الجناح . (٣) الشكائم : جمع شكية ، وهي في الجناح : الحديدة المعرضة في فم الفرس . (٤) سُم : جمع أسهم ، وهو الأسرود . (٥) من أردت : إذا أركبته خلفك . (٦) الخزانم : جمع خزامة ، وهي حلقة من شعر تجعل في ثقب أنف البعير . (٧) قائم السيف : مقبضه . (٨) اللطائم : جمع لطيمة ، وهي وعاء المسك . (٩) من هجم : إذا دخل بغير إذن .

يَفْضَلُكَ آلَى صَادِقًا : إِنَّ فِكْرَهُ لِعَاصٍ لَهُ فِي نَظْمٍ مَا هُوَ نَاطِمٌ
كَأَنَّ بَدِيعِي شَعْرَهُ وَبَيَانَهُ حُرُوفُ اعْتِلَالٍ ، وَالْهُمُومَ جَوَازِمُ
عَلَى أَنَّهُ كَالْصِّمِّ^(١) : صَبْرًا ، وَقَسْوَةً تَحْزُ الْمُدَى فِي قَلْبِهِ ، وَهُوَ كَاطِمٌ
فَمَا يَعْرِفُ الشُّكُوى وَلَا يَسْتَكِينُ لِلْخُطُوبِ ، وَلَا تُوهِي قَوَاهُ الْعِظَامُ
وَلَوْ كَانَتْ سَحَابًا أَجْرَ لِسَانِهِ^(٢) (أَلَا هَكَذَا فِي اللَّهِ تُخْضَى الْعِزَامُ)
هِيَ السَّحَرُ ، لَا مَسَارَ عَنْ أَرْضِ بَابِلَ هِيَ الدَّرُّ ، لَا مَا أَلْفَتْهُ النَّوَاطِمُ
فَرِيدَةٌ دَهْرٍ ، لِلْقُلُوبِ تَهَافَّتْ عَلَيْهَا ، وَلِلْأَسْمَاعِ فِيهَا تَزَاحَمُ
إِذَا أُشْدِدَتْ فِي مَحْفَلٍ قَالَ سَامِعٌ : أَنْفَقْتُ سِحْرَ ، أَمْ رُقَى ، وَتَمَانُمُ
وَلَوْلَا رَجَاءُ الصَّالِحِ الْمَلِكِ الَّذِي بَدَوْلَتَهُ الدَّهْرُ الْمُقْطَبُ بِاسْمِ
وَأَنَّى أُمِّي النَّفْسَ لَثَمَ بَنَانَهُ وَمَا كَانَ قَبْلِي لِلْسَحَابِ لِأَنِّمُ
فَقِيهَا مَنَآيَا لِلْأَعَادِي قَوَاصِمُ وَفِيهَا بِحَارٌ لِلْعَطَايَا خَضَارِمُ
وَحَطَى رِحَالُ الشُّكْرِ عَنِّي بِبَابِهِ بِحَيْثُ اعْتَدَا الْآمَالِ فِي الْمَالِ حَاكِمُ
وَيَعْجَبُ مِنِّي النَّاسُ ، حَتَّى يَقُولَ مِنْ رَأَيْتَنِي : إِلَى الْجَنَاتِ قَدْ عَادَ آدَمُ
قَضَيْتُ ، لَبْعَدَى عَنْ ذُرَاهُ ، نَدَامَةٌ وَلَا عَجَبُ إِنْ مَاتَ بِالْهَمِّ نَادِمُ
أَتَيْتُكِ ابْنَةُ الْفِكْرِ الْحَسِيرِ^(٣) ، بِوَأَيْتِهَا تَسِيرُ مَسِيرَ الْبَدْرِ ، وَاللَّيْلِ عَاتِمُ
بِمَدْحٍ بَدِيعٍ مِنْ وَلِيِّ مُمَدِّجٍ جَدِيرٍ بِأَنْ يُغْلَى بِهِ السُّومُ سَائِمُ
تَسُومُ^(٤) جَمِيلَ الرَّأْيِ ، لَا الْمَالِ ، إِنَّهُ بِذَوْلٍ لَهُ فِيمَا قَضَتْهُ الْمَكَارِمُ
تَضْمَنُ رَوْضًا ، زَهْرُهُ مَدْحُ مَجْدِكَ الْعَلِيِّ ، وَأَوْرَاقُ الْكِتَابِ كَمَاثِمُ
قُدِّمَتْ ، وَدَامَتْ هَالَةً ، أَنْتَ بِدُرِّهَا وَمُلْكُكَ ، مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ ، دَائِمُ

(١) الصِّم : جمع أصم ، يريد به الحجر .

(٢) أجز لسانه : منه من الكلام .

(٣) من حَسَر إذا أَعْيَا .

(٤) سَام : أراد .

قافية النون

(٣٤٤)

وقال^(١) :

إليك ، فما تَنِي شَرُّوكِ^(٢) شَانِي
ولا تَجَزَعِي من بَغْتَةِ البَيْنِ ، واصْبِرِي
ولا تَحْمِلِي^(٣) هَمَّ اغْتِرَابِي ، فلم أَزَلْ
وفِيًّا ، إِذَا مَا حَانَ جَفْنٌ لِنَظِيرِ
فَلأَسَدٍ غِيْلٌ حَيْثُ حَلَّتْ ، وَإِنَّمَا
ولا تَسْأَلِنِي عن زَمَانِي ؛ فَإِنِّي
ولَكِن ، سَأَلِي عَنِ الزَّمَانِ ، فَإِنَّهُ
رَمَتْنِي اللَّيَالِي بِالْخُطُوبِ جَهَالَةً
فَمَا أَوْهَنْتُ عَظْمِي الرِّزَايَا ، وَلَا هَلَا
وَكَمْ نَكْبَةٍ ظَنَّ الْعِدَا أَنَّهَا الرَّدَى
وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَسْتَكِينُ لِحَادِثِ
وَأِنْ كَانَ دَهْرِي غَالًا^(٤) وَفَرِي فَلَمْ يَغْلُ

وَلَا تَمْلِكِ الْعَيْنُ الْحَسَنُ عِيَانِي
لَعَلَّ التَّنَانِي مُعْتَمِبٌ لَتَدَانِي
غَرِيبَ وِفَاءٍ فِي الْوَرَى وَبَيَانِ
وَلَمْ تَرَعْ كَفُّ صَحْبَةٍ لِبَنَانِ
يَهَابُ التَّنَانِي قَلْبُ كُلِّ جَبَانِ
أُنْزِرُهُ عَنْ شَكْوَى الْخُطُوبِ لِسَانِي
يُحَدِّثُ عَنْ صَبْرِي عَلَى الْحَدَثَانِ
بَصِيرِي عَلَى مَا نَابَنِي^(٥) وَعَرَانِي
بِحُسْنِ اصْطِبَارِي فِي الْمُلَمِّ يَدَانِ
سَمَتَ بِي ، وَأَعْلَتْ فِي الْبَرِيَّةِ شَانِي
وَلَا يَمْلَأُ الْهَوْلُ الْخَوْفُ جَنَانِي
ثَنَانِي ، وَلَا ذِكْرِي بِكُلِّ مَكَانِ

(١) رويت هذه القصيدة في تاريخ دمشق لابن عساكر ٥ : ١٧٤ .

(٢) الشئون : الدموع .

(٣) هذا البيت والبيت الذي بعده وردا في ابن عساكر بعد قوله " فلا أسد "

(٤) في ابن عساكر " نالني " .

(٥) غال : أهلك .

وما كَانِ إِلَّا لِلنَّوَالِ وَلِلتَّحْرِى
وَعَوْنًا لِلْمُهَوِفِ ، وَفِدْيَةً عَانِ^(١)
حُمِدْتُ عَلَى حَالِي يَسَارٍ وَعُسْرَةٍ
وَبَرَزْتُ فِي يَوْمِي نَدَى وَطَعَانِ
وَلَمْ أَذْخِرْ لِلدَّهْرِ ، إِنْ نَابَ أَوْ نَبَا^(٢)
وَلِلخَطْبِ إِلَّا صَارِي وَسِنَانِي
لَأَنَّ جَمِيلَ الذِّكْرِ يَبْقَى لِأَهْلِهِ
وَكُلُّ الذِّى فَوْقَ الْبَسِيطَةِ فَإِنْ

قافية الهاء

(٣٤٥)

وقال :

كَمْ تَغُصُّ الْأَيَّامُ مِنِّي ، وَتَأْبَى
هَمَّتِي أَنْ تَنَالَ مِنِّي مُنَاهَا
أَنَا فِي كِفِّهَا بِكَذُودِ نَارٍ
كَلَّمَا نُكِّسْتَ تَعَالَى سَنَاهَا

(١) العاني : الأسير .

(٢) نبا : فجع .

باب الأدب

قافية الباء

(٣٤٦)

قال :

لا تجزَعَنَّ لخطبٍ فكلُّ دهرٍ خطبٌ
وحادثاتُ الليالي مُملَّةٌ ، ما تُغِبُّ
تَروُحُ سَلَمًا ، وتَغْدُو على الفَتَى ، وهى حَرْبُ
ولا تَضِقْ باصطبارٍ ذَرَعًا ، إذا اشتَدَّ كَرْبُ
فصبرُ يومِكَ مرٌّ وفى غَدٍ هو عَذْبُ
كم صابرَ الدهرِ قومٌ فأدرِكوها ما أَحَبُّوا
وكلُّ نارٍ حريقٍ يُخْشى لظاها سَتَخْبُو

(٣٤٧)

وقال :

أَيْحَسْبُ دَهْرِي . أَيْ جَزَعْتُ ، لِمَا غَالِ مِنْ نَشِيٍّ (١) وَاتَّهَبَ
فَقَدْ أَخْلَصَنِي أَحْدَانُهُ وَبِالنَّارِ يَبْدُو خَلَاصُ الذَّهَبِ
وَمَا حَطَّنِي أَخْذُهُ مَا اسْتَعَادَ ، وَلَا زَادَنِي رِفْعَةُ مَا وَهَبَ
وَمَا لَنَا إِلَّا كَفْضُ الشَّهَابِ ، إِذَا نَكَّسُوهُ اعْتَلَى وَالتَّهَبَ (٢)

(١) التَّهَبَ : المال الأصيل .

(٢) عبر عن هذا الخاطر بالبيت السابق ص ٢٢٩ ، وهو :

أما في كفه بكثرة نار كذا نكت تعالى ساها

(٣٤٨)

وقال :

لأصبرنَّ لدهرى صبرَ مُحْتَسِبٍ حَتَّى يَرَى غَيْرَ مَا قَدْ كَانَ يَحْسَبُهُ
وَأَسْتَمِيتُ لِمَا تَأْتِي الْخَطُوبُ بِهِ لِيَعْلَمَ الْخَطْبُ أَتَى لَسْتُ أَرْهَبُهُ
إِنْ غَالَبَتْنِي عَلَى وَفْرِ نَوَائِبِهِ فَحَسُنُ صَبْرِي فِي الْأَوَاءِ يَغْلِبُهُ^(١)
أَوْ أَبْعِدْتَنِي عَنْ أَهْلِي وَعَنْ وَطَنِي فَأَبْعَدُ الْفَرَجَ الْمَرْجُوَّ أَقْرَبُهُ
وَالدَّهْرُ يَهْدِمُ مَا بَيْنِي ، وَيُخِمُّدُ مَا يُورِي^(٢) ، وَيُبْعِدُ مَا يُدْنِي تَقْلِبُهُ

(٣٤٩)

وقال من أبيات :

دَعْ ذَا ، فَمَا عُدْرُ الْفَتَى فِي غَيْهِ ، وَالْفُودُ^(٣) شَائِبُ
وَالْأَرْزِجِيَّةُ تَمْنَعُ الْكُرْمَاءَ أَنْ يَغْشَوْا الْمَعَايِبَ
وَالْجَهْلُ يَأْبَى أَنْ يَكُونَ لَهُ أَخُو السَّيِّئِ صَاحِبُ

(٣٥٠)

وقال أول قصيدة كتبها إلى الملك الصالح تقدمت^(٤) :

كَفَّ عَنِّي وَائِشْ ، وَأَغْضَى رَقِيبُ وَنَهَانِي عَنْ التَّصَابِي الْمَشِيبُ
وَأُرْتَبِي السُّتُونَ نَهَجِي ، وَقَدْ كَا نَ عَفَا ، وَهُوَ مَهْيَعُ^(٥) مَلْحُوبُ^(٦)
وَانْقَضَتْ شِرَّتِي^(٧) ، وَشَدَّ لِي الْحِلْمُ حُبًّا^(٨) ، لَا يَحِلُّهَا مَا يَرِيبُ

(١) الوفير : الفنى . واللاؤاء : الشدة .

(٢) أوردى اللد : أوقدط .

(٣) الفود : معظم شعر الرأس مما على الأذن .

(٤) انظر صفحة ص ٧ .

(٥) طويق مهيع : بين .

(٦) لعب الطريق : بينه .

(٧) شَرَّق : شاطئ .

(٨) احتبى بالثوب : اشتبل ، أوجع بين ظهره وساقيه بهامة ونحوها . والاسم الحبة ويضم .

وخبرتُ الأيامَ حتى لَقَالَ النَّاسُ : هَذَا هُوَ الْخَيْرُ الْأَرِيبُ
وعزِزْتُ عَلَى أَنِي وَقَدْ جَرَّ بَتْ دَهْرِي ، لم يَهْدِنِي التَّجْرِبُ
وإذا حُمَّتِ الْمَقَادِيرُ أَخْطَأَ السَّمْرُ فِي الرَّأْيِ ، حيثُ كَانَ يُصِيبُ

قافية الحاء

(٣٥١)

وقال^(١) :

لَا تُتَكَنَّ مَرَّ الْعَنَابِ ، فَتَحَتَهُ شَهْدٌ ، جَنَّتَهُ يَدُ الْوِدَادِ النَّاصِحِ
وَتَطَلَّبَ الْمَحْبُوبَ فِي مَكْرُوهِهِ فَالْدُّرُّ يُطَلَّبُ فِي الْأُجَاجِ الْمَالِحِ

(٣٥٢)

وقال :

اصْبِرْ عَلَى مَا تَخْتَشِي ، أَوْ تَرْجِي تَظْفَرُ بِحُسْنِ سَكِينَةٍ وَنَجَاجِ
أَوْ مَا تَرَى السَّارِينَ لِمَا صَابَرُوا ظَلَمَ السُّرَى أَفْضَلًا إِلَى الْإِصْبَاحِ

قافية الخاء

(٣٥٣)

وقال :

تَزَهَتْ نَفْسِي عَنْ مَنْ الرِّجَالِ ، وَإِنْ عَلَتْ بِهِمْ رُبُّ الدُّنْيَا ، وَإِنْ شَمَخُوا
إِذَا الْمَطَامِعُ قَادَتْنِي إِلَى طَمَعِ بُزْرِ^(٢) ، فَمَاذَا أَفَادَ الشَّيْبُ وَالشَّيْخُ

(١) هذان البيتان مما يرويهما مسالك الأبحار لأسامة ١٠ : ٥٠٧ .

(٢) أنزى : عاب ..

(٣٥٤)

وقال :

سِرْعَن بِلَادِهِمْ فَقَدْ سَمِعْتُ بِهَا عَيْسَى مَحُولٌ مُعْرِسِي وَمُنَاخِي ^(١)
وَدَعِ الْأُمَانِي ، إِنَّهَا غَرَارَةٌ وَوَعُودُهَا لِلطَّامِعِينَ أَوَانِي ^(٢)
مَا عِنْدَهَا لِلوَارِدِينَ سَرَابَهَا غَيْرُ الْمَطَالِ بِمَوْعِدٍ مُتْرَانِي

قافية الدال

(٣٥٥)

وقال :

أَنْظُرْ بِعَيْشِكَ ، هَلْ تَرَى أَحَدًا يُلُومُ عَلَى الْمَوَدَّةِ
لِتَرَى أَخْلَاءَ الرَّخَا ءِ عِدًّا ، إِذَا نَابَتْكَ شِدَّةٌ
وَلِكُلِّ مَا تَنْتَابِي وَتَمُوسَى إِنْ صَبَرْتَ ، مَدَى وَمُدَّةٌ

(٣٥٦)

وقال :

عِنْدِي لِلْأَيَّامِ إِنْ أَقْبَاتِ عَلَى فَعْلٍ الْخَيْرِ وَالْجُودِ
وَلِنْ تَوَلَّيْتُ ، فَقَرَّادِي ، كَمَا عَلِمْتَ ، فِي اللَّأْوَاءِ ^(٣) ، جُلُودِ
يُصَابِرُ الْأَيَّامَ ، أَوْ تَنْقُضِي خُطُوبَهُنَّ الْبَيْضُ وَالسُّودُ

(١) معزى : من عزس القوم زلوا في آخر الليل للاستراحة . والمناخ في الأصل : مبرك الإبل . والمحول

المكان الجلب .

(٢) الأوانى : جمع أخية ومى عود في حائط أو في جبل يدفن طارفا . في الأرض و يبرز طرذ كالخلفة تشد فيها الذابة .

(٣) اللاؤاء : الشدة .

(٣٥٧)

وقال :

تَيْقَظُ ، فَمَنْ يَشَاكَ يَسْهَرُ لَيْلَهُ وَقَدْ يَخْدَعُ الْبِقْظَانُ مَنْ هُوَ رَاقِدُ
وَلَا تَحْتَقِرْ كَيْدَ الضَّعِيفِ ، فَإِنَّمَا تَقْدُ شِفَارَ الْمَرْهَقَاتِ الْمَبَارِدُ
وَتُلْقَى الْأَسْوَدُ بِالْخَدِيعَةِ فِي الرَّبَى ^(١) وَلَوْ جُوهَرْتُ لَمْ يَنْجُ مِنْهُنَّ صَائِدُ
وَإِهْمَالُ مَا يُخْشَى مِنَ الْأَمْرِ مُهْلِكُ وَمَصْرَعُ رِضْوَانٍ بِمَا قُلْتُ شَاهِدُ

(٣٥٨)

وقال ^(٢)

سَاقَتْكَ وَفَرَى ^(٣) فِي اكْتِسَابِ مَكَارِمِ أَظَلُّ ^(٤) بِهَا بَعْدَ الْمَمَاتِ مَخْلَدًا
وَأَسْعَى إِلَى الْهِجَاءِ ، لَا أَرْهَبُ الرَّدَى وَلَا أَتُخْشَى عَامِلًا ^(٥) وَمَهْنَدًا
بِكُلِّ فِتْنَى يَلْقَى الْمُنِيَّةَ ضَاحِكًا ^(٦) كَأَنَّ لَهُ فِي الْقَتْلِ ^(٧) عَيْشًا مُجَدِّدًا
فَإِنْ نَلْتُ مَا أَرْجُو فِالْجُودِ ^(٨) ، ثُمَّ لِي وَإِنْ مِتُّ خَلَفْتُ الثَّنَاءَ الْمُؤَبَّدَا

(١) الرَبَى جمع زبية : حفرة للأسد .

(٢) هذه القطعة رواها أسامة أيضا في كتابه : لباب الآداب ص ٢٠٢

(٣) في لباب الآداب " مال " .

(٤) في المصدر نفسه " أعيش " .

(٥) شامل التزمج : صدره . والمهتد : السيف .

(٦) في المصدر السابق " باسم " .

(٧) » » " في الموت " .

(٨) » » » " ظلمجد " .

(٣٥٩)

وقال :

لا ترغبن فيمن إذا شاهدته وخبرته ، لم تُلَفِه بالشاهد
ومتى أردت تكثراً بدونه فاعلم بأنك لم تزد عن واحد

(٣٦٠)

وقال :

تلق ذوى الحاجات بالبشر ، إنه إلى كرماء الناس أشهى من الجدا^(١)
عسى من يرحى سبيك اليوم يغتنى فتصيح فيمن ترتجى سبيه^(٢) غداً

(٣٦١)

وقال :

ارض الخمول ، تعش به في نجوة مما تخاف ، ومن معاندة العدا
دون المعالي عدوة^(٣) إن خضتها متفحماً^(٤) أوردت مهجتك الردى
وإذا سلمت ونلت أيسر بغية منها جعلت لك البرية حسداً
فاستمع نصيحة من يكاد لعله بالدهر يدرى اليوم بالآتي غداً

(٣٦٢)

وقال :

ما كف كفى عن جودى بموجودى نواب ، وملأت لحث^(٥) عودى
في اليسر أبذل ميسورى ، وأبذل فى عسرى لطالب رفى شطر موجودى

(١) الجدا : العطية .

(٢) السيب : العطاء .

(٣) العدو : المكان المرتفع .

(٤)

متفحماً : من تعم في الأمر : رى نفسه فيه بخاة بلا روية .

(٥) لحا العود : قنره .

قافية الراء

(٣٦٣)

وقال :

إِنْ فَاجَأَتْكَ اللَّيَالِي بِمَا يَسُوءُ ، فَصَبِرًا
فَالدهرُ يُرهِقُ عُسْرًا وَيُبْنِعُ الْعُسْرَ يُسْرًا
لَوْ دَامَ مَا سَاءَ مِنْهُ لَدَامَ مَا كَانَتْ سَرًّا

(٣٦٤)

وقال ^(١) :

إِنِّي الْخَطُوبَ إِذَا طَرَفَنَ بَقْلِبٍ مُحْتَسِبٍ صَبُورٍ
فَسَيَنْقِضِي زَمَنُ الْهَمِّ مِثْلَ مَا انْقَضَى زَمَنُ السُّرُورِ
فَمَنْ الْحَالِ دَوَامٌ حَالٍ فِي مَدَى الْعَمْرِ الْقَصِيرِ

(٣٦٥)

وقال ^(٢) :

أَسْتَرْهُمُومَكَ بِالتَّجَمُّلِ ^(٣) ، وَاصْطَبِرْ إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْحَوَادِثِ يَصْبِرُ
كَالشَّمْعِ ، يُظْهِرُ نُورَهُ مُتَجَمِّلًا خَوْفَ الشَّمَاتِ ، وَفِيهِ نَارٌ تُسَعِّرُ

(١) هذا الشعر ما روى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٤ ، وياقوت ٥ : ٢٦٤ .

(٢) هذا الشعر ما روى لأسامة في المسالك ١٠ : ٥٠٨ .

(٣) التجمّل : التصبر .

(٣٦٦)

وقال :

لا تَأْمَنْنَ كَيْدَ الْعَدُوِّ ، فَأَمْنُ كَيْدِهِمْ غَرَرٌ^(١)
كُنْ مِنْهُ إِنْ كَانَ الْقَوِيُّ ، أَوْ الضَّعِيفُ ، عَلَى حَذَرٍ
فَالْمَاءُ يُطْفِئُ النَّارَ طَبْعًا ، فِي الصَّفَاءِ وَفِي الْكَدْرِ

(٣٦٧)

وقال :

عَشْ وَاحِدًا ، أَوْ فَالْتَمَسْ لَكَ صَاحِبًا فِي مَحْتَدِي وَرَعٍ وَطِيبِ نِجَارٍ^(٢)
وَاحِدًا مَصَاحِبَةَ السَّفِيهِ ، فَشَرُّ مَا جَلَبَ النَّدَامَةَ صَحْبَةُ الْأَشْرَارِ
وَالنَّاسُ كَالْأَشْجَارِ : هَذِي يُجْتَنَى مِنْهَا النَّارُ ، وَذِي وَقُودُ النَّارِ

قافية السين

(٣٦٨)

وقال :

يَقُولُونَ لِي : أَفْنَيْتَ كُلَّ ذَخِيرَةٍ وَأَنْفَقْتَ مَا لَا تَجُودُ بِهِ النَّفْسُ
فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَرَقْتُ مَا جَمَعْتُ يَدَيَّ وَأَرْجُو غَدًا يَأْتِي بِمَا أَذْهَبَ الْأَمْسُ

(١) غَرَرَتْهُ : عرضها للهلكة . والاسم الفرر .

(٢) المحمد : الأصل والطبع . والتجار : الأصل .

قافية الشين

(٣٦٩)

وقال :

إِيَّاكَ وَالسُّلْطَانَ لَا يُدْنِيكَ مِنْ أَبْوَابِهِ مُتَكَسِّبٌ وَمَعَاشُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّهُمْ ، عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ ، نَارٌ ، وَنَحْنُ قَرَاشُ

قافية الضاد

(٣٧٠)

وقال :

كُلُّ مُسْتَقْبَلٍ مِنَ الْهَمِّ يُنْسَى إِذَا مَضَى
وَالَّذِي سَاءَ مِنْ زَمَا نِكَ سَهْلٌ مَعَ الرِّضَا
وَأَخُو الْحَزْمِ مَنْ إِذَا أَعْضَلَ الْأَمْرُ فَوْضَا

(٣٧١)

وقال :

أَصْبَحْتُ كَالنَّسْرِ خَانَتَهُ قَوَادِمُهُ لَا تَسْتَقِلُّ^(١) جَنَاحَاهُ إِذَا نَهَضَا
أَرْوَحُ مِنْ نَائِبَاتٍ لَا تُغَبُّ وَمِنْ هُمُومٍ عَيْشٍ كَمَا لَا اشْتَهَى غَرَضَا
لَكِنِّي قَدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ^(٢) فَمَا يَرَانِي لِحَطْبِ نَابٍ مُنْقَبَضَا
أَلْقَى الْحَوَادِثَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ ، وَمَقْدُورَ الْقَضَاءِ بِتَسْلِيمٍ لَهُ وَرِضَا
عِلْمًا بِتَغْيِيرِ أَحْوَالِ الزَّمَانِ ، فَكَمْ رَأَيْتُ مُبْرَمَ أَمْرِ عَادَ مُتَقَضَا

(١) استقله : حمله ورضه . واستقل الطائر : ارتفع .

(٢) حلب فلان الدهر أشطره : مر به خيره وشره .

قافية العين

(٣٧٢)

وقال :

لا تَسْكُنْ لِلَّهِمْ ، وابنِ جِماحَه بعزيمةٍ في الخطبِ لا تَضَعُضُ
فإذا أتى ماليس يُدْفَعُ فالقَه بالصبر ، فهو دواءٌ مالا يُدْفَعُ

قافية الفاء

(٣٧٣)

وقال :

قل للذين يسرهم ما ساءنا : لا زایلنکم حسرةً وتلهفُ
شملي ، بحمدِ الله بعد تَشْتِ وتفرق ، متجمعٌ متالفُ
والمالُ إنْ غالَ الزمانُ تِلادَه وسلتُ ، سدَّ مكانه المستطرفُ

قافية اللام

(٣٧٤)

وقال :

إلى كم ترنجي عطفَ الملولِ وتستجدي نوالاً من بخیلِ
كأنك في الذي حاولت ساعِ لجمعِ صُحى نهارك بالأصيلِ
لقد أوقعت قلبك في عناء كبيرٍ في رجاءٍ جداً^(١) قليلِ

(١) الجدا : العطة .

وفي الأطماع للمعترِ دُلُّ وحسن البأس عزُّ للذليل
فلا تعصِ النهى؛ فالخزمُ ناهٍ لملك عن طلابِ المستحيل
تناسوا، أو نسوا عهدى، ومالوا إلى بحد الهوى كلَّ الممِيل
ولمَّا أن رأوا حسني قبيحًا رأوا غمطَ الجميل من الجميل
سلوا، وتبدلوا بك، فاسلُ عنهم ودع ما رابَ منهم للبديل
ولا تتطلبِ الأعواضَ عنهم فكلُّ الناسِ من أبناءِ جيل
ولا تجزعِ لغدرٍ من خليلٍ فقد نُسَخَ الوفاءُ من الخليل
وأغضِ على القذى عينًا، وسكنِ حشاك على جوى الهمِّ الدخيل

(٣٧٥)

وقال :

ولمَّني لعصاة العواذل، لا أرى على شعث^(١) الخللان مستبدلاً لخللاً
ضنينٌ بمن صاحبتُ، أحسبُ أنه إذا بان، لا ألقى له أبداً مثلاً

(٣٧٦)

وقال :

أيها الربيعُ المحيلُ جدَّ بي عنك الرحيلُ
لستَ بالدارِ، ولا فيكَ لمن يضحى مَقِيلُ^(٢)
غابَ عني الرشدُ في قَصْدِيكَ والرأى الأصيلُ
نملطه كانت، ولطفُ الله ما زالَ يُقِيلُ

(١) شعث : تغير .

(٢) ضنى كسى : أصابه الشمس . وقال يقيل : نام في وسط النهار . ونام المكان : مقيل .

ما مُقامُ الحرِّ في أرَضٍ بها النَّاسُ قليلُ
بلدٍ فيه عزيزُ القومِ مقهورٌ ذليلُ
لستُ أرجوكَ وقد لا حَتَّ لعنَى المحوِّلِ
إنما يرتادُ أرضَ المَحَلِّ مغرورٌ جهولُ

(٣٧٧)

وقال ^(١) :

أَنْ ^(٢) غَضَّ دَهْرٌ مِنْ جَمَاحِيٍّ ، أَوْ ثَنَى عَنَانِي ، أَوْ زَلَّتْ بِأَنْعَمِي النَّعْلُ
تَظَاهَرَ قَوْمٌ بِالشَّمَاتِ ، جَهَالَةٌ وَكَمْ إْحَنَةٌ ^(٣) فِي الصَّدْرِ أَرْزَاهُ ^(٤) الْجَهْلُ
وَهَلْ أَنَا إِلَّا السَّيْفُ فَلَلْ حِمْدَهُ قِرَاعُ الْأَعَادِي ، ثُمَّ أَرْهَفَهُ الصَّقْلُ

(٣٧٨)

وقال :

تَوَالَى إِلَى السَّائِلُونَ ، وَإِنِّي لَأَنْفُ أَلَا يُدْرِكُ السُّؤْلَ سَائِلِي
وَلَكِنْ مُسْتَوْرِي كَظَاهِرِ حَالِهِمْ فَاحِيلِي ، وَالْحِظُّ حَرْبُ الْفَضَائِلِ
وَلَوْ بَسَطْتُ أَيْدِي الْحَوَادِثِ مِنْ يَدِي تَلَقَّتْهُمْ قَبْلَ السُّؤَالِ بَنَائِلِي

(١) روى هذا الشعر في تحفة القصر ١ : ١٠١ وياقوت ٥ : ١٩٩ .

(٢) رواية الخريدة وياقوت « لئن غَضَّ » . (٣) الإحانة : الحقد والغضب .

(٤) في الخريدة « أَرْزَاهَا » .

وقال :

علامَ أخضعُ في الدنيا لمن رفعتُ وما بأيديهمُ رزقي ولا أجلي
ما قدر الله لا أستطيعُ أدفعه وما لهم في سوى المقدور من عملٍ

(٣٨٠)

وقال :

إن سرَّ أعدائي أن عَصَّني دهرِي بما أذهب من مالي
فهمتي بالنجم معقودة ما حطها ما حال من حالي
كالنار إن نكسها قابسٌ لم يتنكس نورها العالی

قافية الميم

(٣٨١)

وقال :

سلوتُ عن كلِّ حالٍ كنتُ ذا شغفٍ بها ، ولم أسلُ في حالٍ عن الكرمِ
ما غالَ دهرِي وفري في تقلبه إلا جعلتُ الندى سِتراً على العدمِ

(٣٨٢)

وقال :

لنا هجمة^(١) للحق إن ناب ، والفري وللجار ما تنفكُ نهبا^(٢) مقسما
إذا هي لم يعجل إلى الضيف درها أدر الإيمان من عراقها النما

(١) الهجمة من الإبل أولها أربعون إلى ما زادت . (٢) النهب : الغنيمة .

قافية النون

(٣٨٣)

وقال :

لَا تُودَعَنَّ سَمْعَ أَخٍ شَكِيَّةٌ فَالْقَلْبُ أُولَىٰ بِالَّذِي أَجَنَّا^(١)
وَكُلُّ مَا نَشْكُوهُ مِنْ زَمَانِنَا نَزُولُ عَنْهُ ، أَوْ يَزُولُ عَنَّْا

قافية الهاء

(٣٨٤)

وقال :

ظَلَمْتُ شَعْرِي ، وَلَيْسَ الظُّلْمُ مِنْ شَيْمِي يُطِيعُنِي حِينَ أَدْعُوهُ ، وَأَعْصِيهِ
يَهُمُّ أَنْ يَذْكُرَ الْقَوْمَ اللَّثَامَ بِمَا فِيهِمْ ، فَازْجُرْهُ عَنْهُمْ ، وَأُنْثِيهِ
وَلَيْسَ مِنْ خُلُقِي ثَلَبُ الْغَنَى ، وَإِنْ جَنَى ، وَلَا ذِكْرُ ذِي نَقْصٍ بِمَا فِيهِ

قافية اليا

(٣٨٥)

وقال :

لَمَّا رَأَيْتُ صُرُوفَ هَذَا الدَّهْرِ تَلْعَبُ بِالْبِرَايَا
يَعْلُو بِهَا هَذَا ، وَيَهْطُ ذَا ، وَقَصْرُهُمُ^(٢) الْمُنَايَا

(٢) قصرهم : غايتهم .

(١) أجن : ستر .

ورأيتُه مُسترجِعاً تَزَرَ المواهب والعطايا
مُتغَايِرَ الأحوالِ مَخْتَلِفَ الضَّرَائِبِ^(١) والسَّجَايَا
لا نِعْمَةً فِيهِ تَدُو مُ ، ولا تَدُومُ بِهِ الْبَلَايَا
لَمْ أُعْطِ فِيهِ بِفَائِدَةٍ ، وَلَمْ أَخْشَ الرِّزَايَا

(١) الضَّرَائِبُ : جَمْعُ ضَرِيَّةٍ وَهِيَ الطَّيْمَةُ .

في الشواهد والأمثال ، وما ينسج على هذا المنوال

قافية الباء

(٣٨٦)

قال :

لو صبرنا على البلاء احتساباً لرجونا عنه جزيل الثواب
غير أن اضطبارنا صبر عجز واضطرار ، كذاك صبر الدواب
فلحى^(١) الله أنفساً ترتضى العيش ، إذا كان فيه ذل الرقاب

(٣٨٧)

وقال :

حسبي من العيش خير العيش يدركه سواي بي ، ولي الأوصاب^(٢) والنصب
كأني البو^(٣) تستمرى^(٤) العجول^(٥) به ولأنا لسواه الدر والحلب

(٣٨٨)

وقال^(٦) :

[بعداً لمن]^(٧) شره أنعمي ، يصيب ولا يرى مكان الأعادي من ذوى النسب
[كالنار تحرق]^(٧) طبعاً ، لا تميز بين المندل^(٨) الرطب ، في الإحراق ، والخطب

(١) لحى الله فلانا : قبحه ولمه . (٢) الوصب : المرض . والنصب : الإعياء والتعب .

(٣) البو : جلد الجوار يحشى تبناً ، فيقرب من أم الفصيل ، فتعطف عليه ، فتدتر .

(٤) من مرى الناقة : مسح ضرعها لتدر .

(٥) العجول : الثكلى والواله من الإبل .

(٦) البتان من مختارات المسالك لأسماع (١٠ : ٥٠٦) .

(٧) سقط بالأصل . والتكلمة من مسالك الأبصار .

(٨) المندل : العمود ، أو أجوده .

(٣٨٩)

وقال :

أَلَفْتُ الكَجَاوَةَ^(١) بعد الثُّغُور ، وطَابَتْ ، وما خَلَّتْهَا لى تَطِيبُ
وَصَرَفُ الزَّمَانِ ، كما قَدْ عَلِمْتَ ، أَمَنَّكَ اللهُ مِنْهُ ، عَجِيبُ
يُعِيدُ صَدِيقَكَ ، وهو الْعَدُوُّ وَيَنْبِئُ بِغِيضِكَ وهو الْحَبِيبُ

(٣٩٠)

وقال :

أما ترى المَاجِدَ الْمُفْضَالَ تَرْفَعُهُ أَيَّامُهُ ، وهو بِالْإِحْسَانِ مُقْتَرِبُ
طَوْعِ الْقِيَادِ كُفْصَنِ الْبَانِ يَجْذِبُهُ مَرُّ النَّسِيمِ ، على ضَعْفٍ ، فيَنْجَذِبُ

(٣٩١)

وقال وقد رأى نَمَلًا يَجْذِبُ زَهْرَةً ، كَلِمًا أَخَذَتْهَا نَمْلَةً انْتَزَعَتْهَا مِنْهَا أُخْرَى :
شَاهَدْتُ نَمَلًا قَدْ مَجْذَبَ زَهْرَةً ذَا قَدْ تَمَلَّكَهَا ، وَهَذَا يَسْلِبُ
مِثْلَ الْمُلُوكِ تَجَاذَبُوا الدُّنْيَا ، فَكَأَنَّ حَصَلَتْ لِمُغْلُوبٍ وَلَا مَنْ يَغْلِبُ

قافية الجيم

(٣٩٢)

وقال :

يَا آلِفَ الْهَمِّ ، لَا تَقْنَطْ ، فَأَيَّاسُ مَا تَكُونُ يَا تَيْكَ لُطْفُ اللهِ بِالْفَرَجِ
ثِقْ بِالَّذِي يَسْمَعُ النَّجْوَى ، وَيُنْجِي مِنَ الْبَلَاءِ ، وَيَسْتَنْقِذُ الْغَرَقَى مِنَ الْجَحِيمِ

(١) الكجاجة (بالفارسية) : أخودج . فلهذا يريد هنا : الاتزواء والبعد عن الناس .

(٣٩٣)

وقال :

ثَقَلِي إِذَا نَادَيْتَنِي لِمَلَّةٍ أَجْدَى مِنَ الْمَتَسَرِّعِ الْهَلْبَاجِ^(١)
إِنَّ الْأَنَاءَ مِنَ الْخَيْرِ بِمَا أَنِّي تَغْنِيكَ عَنْ سَيْرٍ ، وَعَنْ إِدْلَاجِ^(٢)
مَا فِي شَرَارِ النَّارِ نَفْعٌ يُرْتَجَى وَالْجَمْرُ فِيهِ فَضِيلَةُ الْإِنْصَاجِ

قافية الحاء

(٣٩٤)

وقال

لَوْلَا الَّذِي بَحَرَتِ الْأَقْلَامُ قَبْلُ بِهِ مَا نَالَ ذُو الْجَهْلِ ، دُونَ الْحَازِمِ ، الْمَنَعَا
لَكِنَّ اللَّحْظَ مِيزَانًا تَرَفَّعَ ذُو النِّقْصَانِ فِي وَزْنِهِ ، وَانْحَطَّ مِنْ رِبْحَاهَا

قافية الدال

(٣٩٥)

وقال^(٣) :

قَالُوا : نَهْتَهُ الْأَرْبَعُونَ عَنِ الصَّبَا وَأَخُو الْمَشِيبِ يَجُورُ ثَمَّتَ يَهْتَدِي
لَمْ ضَلَّ^(٤) فِي لَيْلِ الشَّبَابِ ، فَدَلَّهُ وَضَحُّ الْمَشِيبِ عَلَى الطَّرِيقِ الْأَفْصَدِ
وَإِذَا عَدَدْتُ سَنِيَّ ثُمَّ نَقَصْتُهَا زَمَنَ الْهَمُومِ فَتِلْكَ سَاعَةُ مَوْلَدِي

(١) في القاموس : الهلجاجة : الأحمق .

(٢) الدلج : السير من أول الليل .

(٣) هذا الشعر مما روى في خريدة القصر ١ : ١٠٠ ، ومعجم الأدباء ٥ : ١٩٥ ، ومسالك الأبحار ١٠ : ٥١٠ .

(٤) رواية بأقوت وخريدة القصر « جار » .

(٣٩٦)

وقال :

أصبحتُ في زمنٍ يشبُّ لجوره فودُ الحنين، ويهرمُ المولودُ
وإذا شكونا اليومَ، ثم أتى غدٌ قلنا : ألا ياليتَ أمسِ يعودُ

(٣٩٧)

وقال :

ودع أخا العزم مصرًا، لالميس، وخضُ بالسَّاحاتِ بحارَ المهمة البيد^(١)
وسرعن الأرض تنبؤ الكرام، فقد طال انتظارُ الجنى من يأسِ العودِ

(٣٩٨)

وقال :

صديقُ لي، تنكَّر بعد ودِّ وأُمَّ القدرِ في الدنيا ولودُ
أراه مَلالَهُ حَسَنِي قبيحًا فصَدَ، وأيسرُ القدرِ الصُّدودُ
وذمَّ اليومَ ما حمدته مني نَجارِبُهُ ، وأمسٍ به شهيدُ
ولستُ ألومُهُ فيما أتاهُ أَسَاءَ ، فراهُ الفعلُ الحميدُ
وقد يَمِيدُ المريضُ الماءَ مرًا بفيه ، وهو سلسالُ برودُ

(١) المهمة : المغاظة البعيدة . واليد : جمع يدا . وهي الغلاة .

(٣٩٩)

وقال :

مَضَتْ لِدَاتِي^(١) وَإِخْوَانِي ، وَأَفْرَدَنِي دَهْرِي ، فَعَشْتُ وَحِيدًا مَيِّتًا كَدَا
وَمَا أُرَى لِي بِحُسْنِ الصَّبْرِ بَعْدَهُمْ وَإِنْ تَجَلَّدْتُ خَوْفَ الشَّامِتِينَ ، يَدَا
وَالْقَبْرِ أَرْفُقُ مَسْكُونٍ وَنَكَرُهُ إِذْ كَانَ يَسْكُنُهُ الْإِنْسَانُ مِنْفَرِدًا

(٤٠٠)

وقال :

تَنْظُرُ الْعَاجِزَ الْحَظُوظُ فَيَسْتَعْلِي ، وَتَعْمَى عَنْ حَازِمٍ مَحْدُودٍ^(٢)
فِي اعْتِلَاءِ الشَّرَارِ عَنْ رَاكِدٍ الْجَمْرِ دَلِيلٌ أَنَّ الْعُلَا بِالْجُدُودِ^(٣)

قافية الراء

(٤٠١)

وقال :

إِنْ يَسْتَرُوا وَجْهَ إِحْسَانِي بِكُفْرِهِمْ فَالشَّمْسُ أَدْنَى سَجَابٍ عَنْ^(٤) يَسْتَرَهَا
وَإِنْ هُمْ كَدَّرُوا صَفْوَى بَغْيِهِمْ فَالْعَيْنُ أَدْنَى الْقَذَى^(٥) فِيهَا يَكْدِرُهَا

(٤٠٢)

وقال :

إِنْ كُنْتُ فِي مَصْرَ مَجْهُولًا ، وَقَدْ شَهَرْتُ فَضَائِلِي بَيْنَ بَدْوِ النَّاسِ وَالْحَضَرِ
فَمَا عَلَى الشَّمْسِ مِنْ عَارٍ تُعَابُ بِهِ إِذَا اخْتَفَى ضَوْؤُهَا عَنْ غَيْرِ ذِي بَصَرٍ

(١) اللدات : جمع لدة ، وهو الترب . (٢) المحدود : المحروم والمنوع من الخير .
(٣) الجدد : الحظوظ . (٤) عن : ظهر . (٥) القذى : ما يقع في العين .

(٤٠٣)

وقال :

كفى حزنًا أن الحوادث قصرت يدى ولساني عن نوال وعن أمر
فما يحثني الأعداء بأسى وسطوتي ولا يرتجى الإخوان نفى ولا نصري
إذا نابهم خطب فكل استطاعتي تلهب^(١) أنفاس أحر من الجمر
ولا خير في الدنيا بما لي ولو صفت إذا كان لا يرجى لنفع ولا ضرر

(٤٠٤)

وقال^(٢) :

سهل على العارِف بالدهر ماناب من مُستضعِب الأمرِ
وكل ما استُعِظَم من حادث مُستَصغِر في جانب الصبرِ

(٤٠٥)

وقال^(٣) :

أنظر إلى حسن صبرِ الشمع ، يُظهر لـ رآئين نورًا ، وفيه النارُ تسعرُ
كذا الكريم : تراه ضاحكًا جدلاً وقلبه بدخيل الهم^(٣) مُفطرُ

(١) في هامش الديوان "تفرم" رواية .

(٢) هذان البيتان مما روى لأشامة في الخريدة ١: ١٠١ ، وياقوت ٥ : ١٩٩ .

(٣) رواية ياقوت "الهم" .

(٤٠٦)

وقال :

اضبر على ما كرهت تحط بما تهوى ، فما جازع بمعدور
إن اصطبار الجنين في ظلم الأحـ شاء أفضى به إلى الشر

(٤٠٧)

وقال :

إني لأعرف من وجه العدو وإن أبدى المداواة^(١) ، ما تخفى ضمائره
كالخط يلحظه القارى ، فيوصل معناه إلى قلبه في الوقت ناظره

قافية الزاى

(٤٠٨)

وقال :

اضبرتلى ما ترجيه ، وتفضل من جارك شاو العلا سبقا وتبرزا
فالبر أحرق بالنيران مضطبرا على لظاها ، إلى أن عاد إبريزا^(٢)

(١) المداواة : المداواة .

(٢) البر : فوات الذهب . والإبريز : الذهب الخالص .

قافية السين

(٤٠٩)

وقال :

اصبرِ إِذَا تَابَ خُطْبٌ، وانتظرِ فَرَجًا يأتي به اللهُ بعدَ الرِّيثِ^(١) واليَّاسِ
إنَّ اصْطِبَارَ ابْنَةِ العُنُقُودِ، إِذْ حَاسَتْ في ظُلْمَةِ القَارِ، أَدَاها إلى الكَاسِ

(٤١٠)

وقال :

الضَّرُّ في أَيَّامِنَا هَذِهِ كاللَّيْلِ يَغْشَى سَائِرَ النَّاسِ
وَكُلُّهُمْ رَاضٍ، وَفَوْقَ الرِّضَا يُبَاغِيهِ الطَّاعِمِ وَالكَاسِي
وَدُونَ مَا يَرْجُوهُ مَا يَبْعُ يَلْقَى وَجُوهَ النَّاسِ بِالْيَاسِ

قافية الطاء

(٤١١)

وقال :

أَرَانِي أَسْتَطِيلُ مَدَى حَيَاتِي وما في مَفْرِقٍ للشَّيْبِ وَخَطُ
وَلَوْ أَسْقَطْتُ مِنْهُ زَمَانٌ هُمِّي لَقَالَ النَّاسُ : هَذَا الشَّخْصُ سَقَطُ

(١) الريث : الإبطاء .

قافية العين

(٤١٢)

وقال :

لا تُخَدَعَنَّ بِأَطْمَاعٍ تُزَنِّعُهَا لَكَ الْمُنَى بِحَدِيثِ الْمَيْنِ^(١) وَتُخَدِّعُ
فَلَوْ كَشَفْتَ عَنِ الْمَوْتِ بِأَجْمَعِهِمْ وَجَدْتَ هُلْكَهُمْ فِي الْحَرِصِ وَالطَّمَعِ

(٤١٣)

وقال :

وَمُمَازِقِ^(٢) رَجُعُ النَّدَاءِ جَوَابُهُ فَإِذَا عَرَا خَطْبُ فَأَبْعَدُ مَنْ دُعَى
مِثْلُ الصَّدَى ، يَخْفَى عَلَى مَكَانِهِ أَبَدًا ، وَيَمْلَأُ بِالْإِجَابَةِ مِسْمَعِي

قافية القاف

(٤١٤)

وقال :

قَوْمٌ يَمُوتُ النَّاسُ عِنْدَهُمْ ضُرًّا ، وَهُمْ مِنْهُمْ عَلَى فَرَقِ^(٣)
كَالْبَحْرِ يَهْلِكُ فِيهِ رَاكِبُهُ عَطَشًا ، وَيَخْشَى الْمَوْتَ بِالْفَرَقِ

(١) المين : الكذب .

(٢) مُمَازِق : لم يتخلصه .

(٣) الفرق : الخوف .

(٤١٥)

وقال :

لنا صديقٌ يَغُرُّ الأصدقاءَ، وما رأيتُهُ قَطُّ في وَدِّ امرئٍ صَدَقًا
صديقُهُ أبداً منه على وَجَلٍ^(١) كراكب البحرِ، يَخْشَى دهرَهُ الغَرَقَا

(٤١٦)

وقال :

لا تَقْرَبَنَّ بابَ سُلْطَانٍ، وإنْ مَلَأَتْ هِبَاتُهُ غَيْرَ مَمْنُونٍ بها الطَّرَقَا
فَإِنَّ أبوابَهُمْ كَالْبَحْرِ : رَاكِبُهُ مَرُوعُ الْقَلْبِ، يَخْشَى دهرَهُ الغَرَقَا

(٤١٧)

وقال :

أُسْتُرْ بِصَبْرِكَ ما تُخْفِيهِ من كَمَدٍ وإنْ أَذَابَ حَشَاكَ الهمُّ والحُرْقُ
كَالشَّمْعِ يُظْهِرُ أنوارَ التَّجَمُّلِ، والدُّ مَوْعٌ مِنْهَلَةٌ ، والجَسْمُ مُحْتَرِقُ

قافية الكاف

(٤١٨)

من رُزْقِ الصَّبْرِ نال بُغْيَتُهُ ولاحظتُهُ السَّعُودُ في الفَلَكِ
إِنَّ اضْطِبَارَ الزُّجَاجِ لِلْسَّبكِ والنَّ سِرَانِ أدناه من فَمِ الْمَلِكِ

(١) الوجَل : الخوف .

قافيه اللام

(٤١٩)

وقال ^(١) :

أُنْظُرْ إِلَى صَرْفِ دَهْرِي ، كَيْفَ عَوَّدَنِي بَعْدَ الْمَشِيبِ سِوَى عَادَاتِي الْأَوَّلِ
وَفِي تَغَايِيرِ صَرْفِ الدَّهْرِ مَعْتَبَرٌ وَأَيُّ حَالٍ عَلَى الْأَيَّامِ لَمْ تَحُلْ
قَدْ كُنْتُ مِسْعَرَ حَرْبٍ ، كُلَّمَا اخْتَدْتُ أَضْرَمْتُهَا بِاقْتِدَاجِ الْبَيْضِ فِي الْقَائِلِ ^(٢)
هَمِّي مَنَازِلَةُ الْأَقْرَانِ ، أَحْسَبُهُمْ فَرَائِسِي ، فَهَمُّ مَنَى عَلَى وَجَلِ
أَمْضَى عَلَى الْهَوْلِ مِنْ لَيْلٍ ، وَأَهْجُمُ مِنْ سَبِيلٍ ، وَأَقْدُمُ فِي الْهَيْجَاءِ مِنْ أَجَلِ
فَصَرْتُ كَالْعَادَةِ الْمِكْسَالِ : مُضْجَعُهَا عَلَى الْحَشَا يَا وَرَاءَ السَّجْفِ ^(٣) وَالْكِكَلِ
قَدْ كَدْتُ أَغْنَى مِنْ طَوْلِ النَّوَاءِ كَمَا يُصْدِي الْمَهْنَدُ طَوْلُ الْمَكِثِ فِي الْخِلَالِ ^(٤)
أَرْوَحُ بَعْدَ دُرُوعِ الْحَرْبِ فِي حُلِي مِنْ الدَّبِيقِ ^(٥) فَبُؤْسًا لِي وَلِلْحُلَلِ
وَمَا الرَّفَاهَةُ مِنْ رَأْيِي وَلَا أَرْبَى وَلَا التَّنْعَمُ مِنْ هَمِّي وَلَا شُغْلِي
وَلَسْتُ أَهْوَى ^(٦) بُلُوغَ الْمَجْدِ فِي رَفَةٍ وَلَا الْعُلَادُونَ حِطَمَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ

(١) رويت هذه القصيدة لأسامة في تاريخ دمشق لابن عساكر : ٥ : ١٧٤ .

(٢) الذَّلَال : الجماعات من الناس . والقلة بالغم : أكل الرأس والجمع قتل . والبيض : السيوف . وسعر الحرب :

أوقدوا . (٣) السجف : السر .

(٤) الخلعة : جفن السيف انثنى بالأندم والجمع خلال

(٥) الدبيق : كأمير بلد بمصر منها الثياب الدبيقية .

(٦) في هامش الديوان « أرضى » .

(٤٢٠)

وقال ^(١) :

إذا ما عرا خطبٌ من الدهرِ فاصطبرْ فإنَّ اللَّياليَ بالخطوبِ حواملُ
فكلُّ ^(٢) الذي يأتي به الدهرُ زائلٌ سريعاً ، فلا تجزع لما هو زائلُ

(٤٢١)

وقال :

كُلُّ شيءٍ تراه في هذه الدنْيا يا خيالُ إذا انتهت يزولُ
ما يدومُ النعيمُ فيها ، ولا البؤسُ مناعُ الدنيا مناعٌ قليلُ
والذي يصرفُ الهمومَ إذا ما ضقت ذرعاً بهنَّ صبرٌ جميلُ

(٤٢٢)

وقال ^(٣) :

إني وثقتُ بأمرٍ غرَّني أُملي فيه ، وقد قيل : كم من واثقٍ خجلِ
عادت إلى الأمانِ منه آيسةٌ فيا حياءَ المنى من خيبة الأملِ

(١) روى اليتان في تاريخ ابن عساكر ٥ : ١٧٤ .

(٢) رواية ابن عساكر « وكل » .

(٣) روى هذان اليتان في مسالك الأضرار ١٠ : ٥٠٨ .

(٤٢٣)

وقال :

لا دَرَّ دُرُّكَ من رَجَاءٍ كاذِبٍ يَفْتَرُنَا بِوَرُودٍ لَامِعٍ آهِ^(١)
أَبْدًا يُسَوِّفًا بِنُصْرَةٍ خَاذِلٍ ووفاء خَوَّانٍ ، وَعَظْفَةٍ قَالٍ^(٢)
وَنَرَى سَبِيلَ الرُّشْدِ ، لَكِن مَالَنَا عَزَمُ مع الأَهْوَاءِ والآمالِ

(٤٢٤)

وقال :

لا تَعْتَبِنِ مَنْ مَلَّ ، إِنَّ عَنَابَهُ كَثِيفٌ^(٣) مُعَوِّجٌ الظَّلَالِ المَائِلِ
يَلْقَى العِتَابَ بِسَمْعٍ لَاهٍ صَادِفٍ^(٤) ويرى الخُضُوعَ بِطَرَفٍ سَاهٍ غَافِلِ
فَإِذَا أَقْتَدَيْتَ دَلِيلَ قُبُجٍ فَعَالِهِ دَفَعَ العِيَابَ بِجُبَّةِ المتجَاهِلِ

(٤٢٥)

وقال :

لا يُؤَسِّفُنْكَ مَا غَالَ الزَّمَانُ ، فَا يَرْضَى بِمَا^(٥) غَالَ : مَنْ وَفَّرِ وَمِنْ مَالِ
وَإِنَّمَا هُوَ بِالتَّدرِجِ يَنْقُلُنَا نَقَلَ المُخَادَعِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالِ
وَلَيْسَ يَرْضَى بِمَا دُونَ النُّفُوسِ . وَمَا تُفْدَى إِذَا غَالَهَا ، حَاشَاكَ ، بِالْغَالِي

(٢) القال : المبعوض .

(١) الآل : السراب .

(٣) تقفه : سراه .

(٥) في الأصل (إذا) تحريف .

(٤) صدق : أعرض .

(٤٢٦)

وقال :

يا جاعلَ الأشغالِ عُدْ رَأً في مُدافَعِي ومَطَرٍ
شُغلي إِلَيْكَ إِذَا اشْتَغَلْتُ ، فَإِذَا^(١) فَرِغْتَ فَأَنْتَ مَشِي

(٤٢٧)

وقال :

إِلَى كَمْ أَجُوبُ الْأَرْضَ مَالِي مُعَرَّسٌ وَلَا لِمُسِيرِي فِي الْبِلَادِ قُفُولُ
كَأَنِّي فِي الدُّنْيَا قَدَاةٌ بِمَقْلَةٍ تَرَدَّدُ فِي أَرْجَائِهَا ، وَتَجُولُ
أَشِيمُ بِهَا بَرَقَ الْحَيَا^(٢) ، وَهُوَ خُلْبٌ وَأُرْتَادُ أَرْضَ الرُّوضِ ، وَهِيَ مَحُولُ
وَمَا مِنْ تَكَالُيفِ الْحَيَاةِ وَبُؤْسِهَا خَلَاصٌ بِغَيْرِ الْمَوْتِ ، وَهُوَ مَهُولُ

(٤٢٨)

وقال :

زَهَّدَنِي فِي الْعَقْلِ أَتَى أَرَى عَنَايَةَ الْأَيَّامِ بِالْجَهْلِ
وَالدَّهْرِ كَالْمِيزَانِ : ذُو الْقَضْلِ يَنْحَطُّ ، وَذُو النِّقْصَانِ يَسْتَعْلِي

(٤٢٩)

وقال :

رَفَعُ الْحُظُوظِ لِمَنْ أَصَبَنَ ، وَحَطُّ مَنْ أَخْطَأَنَهُ ، فِيهِ يَحَارُ الْعَاقِلُ
يُعْطَى الْغَنَى ، وَيُحْرَمُ النَّدْبُ^(٣) الْفَقِي كَالِدَيْكَ تُوجَّ ، وَالْبُرَاةُ عَوَاطِلُ

(١) فِي الْأَمَلِ (فَإِذَا) . تَحْرِيفٌ .

(٢) الْحَيَا : الْمَطَرُ . وَالْخُلْبُ : الْمَطْمَعُ الْخُلْفُ .

(٣) النَّدْبُ : الْخُفْيَةُ فِي الْحَاجَةِ الْطَرِيفِ الْجَبِيبِ .

قافيه الميم

(٤٣٠)

وقال^(١) :

بِـ مَوْلَى صَحْبِهِ مُذْهَبَ الْعُمَرِ^(٢) ، فلم يَرَّعْ حُرْمَتِي وَذِمَامِي
ظَنَنْتِي ظِلَّهُ أَصَاحِبُهُ الدَّهْرَ عَلَى غَيْرِ نَائِلٍ وَاحْتِرَامٍ
فَاقْتَرَفْنَا كَأَنَّهُ كَانَ طَيْفًا وَكَأَنِّي رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ

(٤٣١)

وقال :

لَوْ كَانَ رِزْقُ الْفَقَى بِقُوَّتِهِ نَازَلَتْ ضَارِي الْأُسُودِ فِي الْأَجَمِ
لَكُنْتَهُ عَنْ مَشِيئَةٍ سَبَقَتْ فِي الْخَلْقِ تَجَرِي فِيهِمْ عَلَى الْقَسَمِ

(٤٣٢)

وقال :

لَحَى اللَّهُ أَرْضًا يَرْشُفُ الْمَرْءُ رِزْقَهُ بِهَا مُكْرَهَا رَشَفَ الدُّعَافِ مِنَ السَّمِّ
تُسَيِّبُ حَبَاتِ الْقُلُوبِ بِجَوْرِهَا وَتُهْرَمُ إِنْسَانِ الْعَيُونِ مِنَ الْهَمِّ

(١) رويت هذه الأبيات الثلاثة في الخريدة ١ : ١٠٦ ومسالك الأبصار ١٠ : ٥٠٧ .

(٢) أى العمر القاهب .

(٤٣٣)

وقال :

لَا تَأْسَفَنَّ لِذَاهِبٍ أَوْ فَاتٍ يُرَجَى ، وَلَا تُتْبِعْهُ زَفْرَةً نَادِمٍ
وَاصْبِرْ عَلَى الْحَدَثَانِ صَبْرَ مُسْلِمٍ مُتَيَقِّنٍ أَنْ لَيْسَ مِنْهُ بَسَائِلِمٌ
فَفَضَارَةٌ الدُّنْيَا كَظَلِّ زَائِلٍ وَالْعَيْشُ فِيهَا مِثْلُ حُلْمِ النَّائِمِ
وَالدَّهْرُ يَمْنَحُ ، ثُمَّ يَمْنَعُ نَزْرًا مَا أُعْطِيَ ، وَيَنْجُلُ بِالشَّرِّ الدَّائِمِ
وَالنَّاسُ مَنْ لَمْ يَصْطَبِرْ لِمَعَاوِهِ صَبْرَ الرِّضَا صَبْرَ اصْطِبَارِ الرَّاعِمِ

(٤٣٤)

وقال :

قُلْ لِلرَّجَاءِ : إِلَيْكَ ، قَدْ أَتَعَبْتَنِي بَعْدَ الْكَرَامِ
قَدْ عَمَّ دَاءُ الْبُخْلِ ، حَتَّى شَاعَ فِي كُلِّ الْأَنَامِ
فَاكْفُهُم بِالْبُخْلِ مُقْفَلَةً عَلَى سُحْتِ^(١) الْخُطَامِ
فِي الْأَمِّ تَرْتَادُ الْحَوَّلَ ، وَتَرْتَجَى رَى الْجَهَامِ^(٢)

(٤٣٥)

وقال :

يَا أُنْحَى الشَّاكِي لِمَا أَشْكُوهُ وَالْحَامِلَ هَمِّي
وَنَسِيبَ الْوُدِّ لِأَنَسِيبَةِ آبَاءِ وَعَمِّ

(١) السحت : الحرام .

(٢) الجهام : السحاب لآما ، فيه .

ظلمتني دولةُ العد ل ، فن يكشف ظلمي
ومتى يحكم لي بالعد ل ، والحاكم خصمي

(٤٣٦)

وقال :

لأتطلعن لسانَ شكوى بائحٍ ضجراً على سرِّ الفؤاد الكاتم
واعلم بأن جميع ما فيه بنو الله نيا يزول زوال حلم النائم

قافيه النون

(٤٣٧)

وقال :

اصطبر للزمان إن حاف حيناً أو تلقاك بالخاف حيناً
إن صبر الكليم^(١) وهو طريد الـ مخوف أفضى به إلى طور سيناً

(٤٣٨)

وقال :

من مل فاهجره ، فقد أبدى لك اليأس المينا
أعيا شماس أنحى التلؤن والملال الرائضينا^(٢)
لن يرجع الفخار بعد تلافه بالكسير طينا

(١) الكليم : موسى عليه السلام .

(٢) الشماس : عدم الاقياد . وراض الفرس : ذلله .

(٤٣٩)

وقال :

يا شاربَ الخمرِ بعدَ النّسكِ والدينِ وبعدَ ما تَابَ عما رابَ مُذَ حينِ
أفسدتَ دينَكَ، والسبعونَ أفسدتَ الدنيا، فليستَ بذى دُنيا ولادينِ
ولإنّما أنتَ نَحَارُ تَكسّرُ، لا يُرجى لنفجٍ ، ولا يُعتدُّ في الطّينِ

(٤٤٠)

وقال :

كم تقصّدُ المساجدينَ الفاضلينَ، وكم تعلّمُ الكرماءَ البُخلَ يازمَنُ
إذا تَوالتْ عليهم نائباتُك، واجتاحت^(١) فواضِلَ ما يُولونه المحنُ
فكيفَ بالجوْدِ والأحداثِ تُسلبُ ما يُولى به العرفُ، أو تُسدَى به المننُ
شُغلَ الزّمانَ بأهلِ النقصِ يرفعُهم حتّى يُثْمَرَ للسُّرَّاتِ ما نخزنوا
ألهاهُ عن كُرماءِ النَّاسِ، فهو على ذوى المكارمِ والأفضالِ مضطَغِنُ^(٢)

قافية الهاء

(٤٤١)

وقال :

لا تَحْضَنْ رَغْباً ولا رَهْباً، فما المرجوُ والمخشيُ إلّا الله
ما قد قضاهُ اللهُ مالَكَ من يدٍ يدِفاعه ، وسواهُ لا تخشاهُ

(١) الاجتناب : الاستئصال والإهلاك .

(٢) اضطغن : انطوى على الحقد .

(٤٤٢)

وقال :

نَلْتُ فِي مَصْرَ كُلِّ مَا يَرْجَى الْآ مَلُ : لِمَنْ رَفْعَةٍ ، وَمَالٍ ، وَجَاهٍ
فَاسْتَرَدْتُ مَا خَوَّلَنِي ^(١) ، وَمَا أَسْرَعَ نَقْصَ الْأُمُورِ عِنْدَ التَّنَاهِي
كَنتُ فِيهَا كَأَنِّي فِي مَنَامٍ زَالَ مِنْهُ مَا سَرَّ عِنْدَ انْبِهَايِ

(١) خوله الله مالا : أ طاء .

في الكبر والمشيب وخلع رداء الشباب القشيب

قافية الباء

(٤٤٣)

قال :

وشائمة برقاً بفودى راعها وما كل برق لاح يؤذن بالخصب
رأت شعراتٍ أخلقت بعد جدّة ونفساً سلت بعد الغواية في الحب
فقلت : هناك الشيبُ عن مَرَج الصبا وردّاك بعد الجونِ دهرُك بالعصب^(١)
فقلت : نعم أصبحت طوع عواذلى وأصبحت لا أصبو للهو ولا أصبي
ولا عجب : ليلٌ تبلج بخره وحلمٌ رمى شيطانَ جهلى بالشهب
وهمٌ ورى بين الجوانح زنده أضاء له في مفرقٍ لامع اللهب

(٤٤٤)

وقال :

أما ترى الشيبَ قد ردّاك بعد دجى فوديك ، واهاً لِدَاك الليل ، بالعصب
وأسمعتك الليالى فى مواظها أنّ ابنَ سبعين من ورد على قُرب
أعرضتُ عن صَبَوَاتٍ كنتُ ذا شغفٍ بها ، وجانبتُ ما يُدنى من الرّيب
وسرّتُ طوعَ النهى ، تُرضى أنا قى فى سبرى ، ومرى فى شدى وفى خبى^(٢)

(١) الجون : الأسود . والعصب : ضرب من البرود يظهر أنه أبيض .

(٢) الشدة : العدو . والخب : ضرب منه .

(٢٤٥)

وقال^(١):

لو كان صدّ مغاضباً^(٢) ومُعَاتِباً أَعْتَبْتُهُ^(٣) ، ووضعتُ خَدَيَّ تَائِباً
 لكن رَأَى تلك النَّضَارَةَ قد ذَوَتْ^(٤) لما غَدَا ماءُ الشَّيْبَةِ نَاضِباً^(٥)
 وتَعَاقَبُ الأَيَّامِ أَعْقَبَ لِمَتِي^(٦) من حَالِكٍ جَنْدِلٍ^(٧) شَكِيرٍ^(٨) شَابِياً
 ورَأَى النُّهْيَ بعد الغَوَايَةِ صَاحِجِي فَنَنِي العِنَانَ ، يُرِيقُ^(٩) غَيْرِي صَاحِبَا
 وأَبِيهِ ، مَا ظَلَمَ المَشِيبُ ، وإِنَّهُ أَمَلِي ؛ فَقُلْتُ: عَسَاهُ عَنِّي رَاغِبَا
 أَنَا كَالدُّجَى ، لما انْتَهَى نَشْرَتُ لَهُ أَيْدِي الصَّبَاحِ من الضِّيَاءِ ذَوَابِ
 خَمْسُونَ من عُمرِي مضَتْ لم أَتَّعِظْ فِيهَا ، كَأَنِّي كُنْتُ عنها غَائِبَا
 لم أَنتَمِعْ بِجِبَارِي فِيهَا عَلَى أَنِّي لَقِيتُ من الزَّمانِ عَجَائِبَا
 وَأَتَتْ عَلَى بِمَصَرٍ عَشْرٍ بَعْدَهَا كَانَتْ عِظَاءً كُلُّهَا وَتَجَارِبَا
 شَاهَدْتُ من لَعِبِ الزَّمانِ بِأَهْلِهِ وَتَقَلُّبِ الدُّنْيَا الرُّقُوبِ^(١٠) عَجَائِبَا

قافية التاء

(٤٤٦)

وقال :

صحاً ، وللجهلِ أوقاتٌ ومِيقَاتُ وللغَوَايَاتِ والأَهْوَاءِ غَايَاتُ
 رَأَى المَشِيبَ كَيْبُضَ الهِنْدِ لَامِعَةً لها عَلَى فَوْدِهِ الغَرِيبِ^(١١) إِصْلَاحَاتُ^(١٢)

(١) روى ياقوت في معجم الأدياب ٥: ١٩٧ وانخرودة ١: ١٠٠ البيت الأول والأبيات من الثالث إلى السادس .
 (٢) في ياقوت وانخرودة « معاتباً ومناضياً » . (٣) أَعْتَبْتُهُ : طلبت إليه العتي وهي الرضا .
 (٤) ذوى الغصن : ذبل . (٥) نضب الماء : ناز . (٦) النَمَةُ : الشعر المجاوز شمة الأذن .
 (٧) الجندل : الشعر الكثير الملتف . (٨) الشكير : الشعر اللين الرقيق . (٩) يريق : يري .
 (١٠) الرقوب : التي لا يعيش لها ولد . (١١) الغريب : الشديد السواد . (١٢) أصلت السيف : جرده .

فراجعَ الحلمَ ، وانجابت ^(١) غوايتهُ وفي النهى للهوى المُردي نِهاياتُ
والشيبُ شهبُ رمت شيطانَ شرته ^(٢) فأقصَدته ^(٣) ، وكم تجو الرميَّاتُ
لله دُرُ الصِّبا ، لو دَامَ رونقهُ فما كأوقاته في العمرِ أوقاتُ
ولارعى الشَّيبَ من زورٍ ^(٤) إذا نزل السَّمْنَى نأتُ ، وسرت عنه المسرَّاتُ
طوالعُ الشَّيبِ إن رآقتك واضحةٌ طلائعُ قدَمتهن المنيَّاتُ

(٤٤٧)

وقال :

مالى رأيتُ الثلجَ عَمَّ شيبُهُ قُلِّلَ ^(٥) الرِّيا ، فزهت بحسن نَبَاتِها
رَاقَ العيونَ ، وشيبُ فودى راعها حتى كانَ الشَّيبَ ونخزُ ^(٦) قذَّاتِها

قافية الجيم

(٤٤٨)

وقال :

دغ ما نهى الشَّيبُ والسبعون عنه ، فترَ بأك : الصِّبا ، والشَّابُ الغضُّ قد درَجَا ^(٧)
واعترضت من فتك أخذان الصِّبا ورعًا ومن جهالة أيام الشَّابِ حجا
عذرت ، إذ جرت في ليل الشَّابِ ، فهلَّ عذُرٌ ، وشيبك قد أذكى لك السُّرجَا
وما أساءت بك الأيامُ إذ جعلت فوديك دُرًا ، وكانا ^(٨) قبله سبجًا ^(٩)

(٢) شرة الشباب : نشاطه .

(٤) الزور : الزائر .

(٦) الوخز : الطعن لا يكون آنذا .

(٨) في الأصل (كانت) تحريف .

(١) انخراب : انكشف .

(٣) أقصد فلانا : طعنه فلم يحطه .

(٥) قلل : جمع قلة وهي أعلى الجبل والريوة .

(٧) درج : مات .

(٩) السبج : خرز ، لعله أسود .

فاية الدال

(٤٤٩)

وقال ، وقد غسل رأسه في بركة ، فرأى شعرا أبيض قد سقط من رأسه
على وجه الماء :

أرى شعراتٍ يَتَبَذَنُ^(١) ، كأنها على الماء صَدْعٌ في الزجاجة بادِ
وعهدى بها فيما مَضَى ، وكأنها على الفِضَّة البيضاء نقشٌ سَوَادُ

(٤٥٠)

وقال :

إذا ما جَلَا اللَّيْلُ النهارُ بنُورِهِ تعقَّبَهُ ليلٌ أحمُ^(٢) رَكُودُ
فألى أرى ليلَ الشابِّ إذا جَلَا وجاء نهارُ الشيبِ لَيْسَ يَعُودُ

(٤٥١)

وقال

نَظَرْتُ بياضَ مفارقٍ ، فاسترجعتُ أسفاً ، وقالت : أين ذاك الأسودُ
قلت : اضمحلَّ ، فأطرقتُ ، وتنفَّستُ نفساً تُصعِّده حشاً تَتَوَقَّدُ
قالت : قَهْلٌ من مَوَعِدِ للقائنا فأرى نذيرَ البين ، قلت : المَوَعِدُ^(٣)

(١) الانتباز : التحي . (٢) الأحم : الأسود من كل شيء .

(٣) يريد بالموعد يوم القيامة .

قافية الراء

(٤٥٢)

وقال :

يقولون : جارَ عليك المشيبُ ومن ذا يُجِيرُ^(١) إذا الشيبُ جَارَا
وما كنتُ مغتبطاً بالشباب وهل كان إلا رداءً مُعارَا
ولسكتي ساءنى فقده فواهاً له ، أئى همُّ أثارَا
وما ساءنى أن أحالَ الزمانُ لئلى نهاراً ، وجهلى وقَارَا
ولكن يقولون : عصرُ الشباب يكونُ لكلِّ سرورٍ قَرَارَا
وما زلتُ منذُ تردّيته تَخَابِطُ ليلٍ أعانى العنَارَا
أكابدُ دهرًا يُشيبُ الوليدَ وهماً يَشُبُّ بأحشائى نارَا
فوجدى أئى فارقته ولم أبلُ^(٢) ما يزعمون اختِيارَا

(٤٥٣)

وقال :

تَصَامَمْتُ عن لَوَمِ العذولِ ، كَأَنَّمَا رَمَى الوجدُ يومَ البينِ سَمْعِي بِالْوَقْرِ^(٣)
وقد كنتُ معذوراً بآفَةٍ^(٤) الصَّبَا فهل لى بَعْدَ الشَّيْبِ فى الجَهْلِ من عَذْرِ
وغيرُ ملومٍ مدلجٌ^(٥) ضَلَّ ، إِنَّمَا يُلَامُ إِذَا مَا ضَلَّ فى وَضَحِ الفَجْرِ

(١) أجار : أَمَدَ . (٢) أبلو : أَخْبَرَ . (٣) الوقر : ذهاب السمع .
(٤) آفة الصبا : ميمته وأدليته . (٥) التلج : السير من أول الليل .

(٤٥٤)

وقال :

رَأَيْتُ مَا تَلْفِظُ الْمَوْسَى ، فَاسْفَنَى إِذْ عَادَ حَالِكُهُ كَالْتَّلَجِ مَشُورًا
فَقُلْتُ إِذْ رَأَيْتَنِي تَغْيِيرُ صَبْغَتِهِ : سَبْحَانَ مَنْ رَدَّ ذَاكَ اللَّذَّ كَافُورًا^(١)

(٤٥٥)

وقال :

إِذَا تَقَوَّسَ ظَهْرُ الْمَرْءِ مِنْ كِبَرٍ فَعَادَ كَالْقَوْسِ يَمْشِي ، وَالْعَصَا الْوَتْرُ
فَالَمُوتُ أَرْوَحُ آتٍ يَسْتَرْجِيهِ وَالْعَيْشُ فِيهِ لَهُ التَّعْذِيبُ وَالضَّرَرُ

(٤٥٦)

وقال :

إِذَا عَادَ ظَهْرُ الْمَرْءِ كَالْقَوْسِ ، وَالْعَصَا لَهُ حِينَ يَمْشِي ، وَهِيَ تَقْدُمُهُ ، وَتَرُ
وَمَلَّ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَطُولَهَا وَأَضْعَفُهُ مِنْ بَعْدِ قُوَّتِهِ الْكِبَرُ
فَإِنَّ لَهُ فِي الْمَوْتِ أَعْظَمَ رَاحَةٍ وَأَمَّا مَنْ الْمَوْتِ الَّذِي كَانَ يُنْتَظَرُ

(١) اللذ : العنبر . والكافور : طيب خشبه أبيض هش .

قافية القاف

(٤٥٧)

وقال :

لِدَيَّ وإِخْوَانُ الشَّبَابِ مَضَوْا قَبْلِي ، وَكَمْ مِنْ بَعْدِهِمْ أَبْقَى
كُنَّا كَأَفْرَاسِ الرِّهَانِ جَرَوْا فِي غَايَةِ ، فَتَقَدَّمُوا سَبْقًا
وَهُمْ إِذَا بَلَّغُوا الْمَدَى وَقَفُوا حَتَّى تَضُمَّ الْحَلْبَةُ^(١) الْخَلْقًا

(٤٥٨)

وقال :

تَلَجَّ النَّبَاتُ فِرَاقَ لَوْنٍ مَشْبِيهِ فَعَلَامَ لَوْنِ الشَّيْبِ لَيْسَ يَرُوقُ
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْتَ ذَا دَاخٍ إِلَى طَيْبِ السَّرُورِ ، وَذَاكَ عَنْهُ يَعُوقُ
وَإِذَا أَخُو الشَّيْبِ اسْتَجَابَ لِلذَّةِ وَمَسْرَّةٍ ، فَسُرُورُهُ مَسْرُوقُ

قافية اللام

(٤٥٩)

وقال :

لَمْ تَتْرِكِ السَّبْعُونَ فِي إِقْبَالِهَا مِنِّي سِوَى مَا لَا عَلَيْهِ مُعَوَّلُ
حَتَّى إِذَا مَا عَامُهَا عَنِّي انْقَضَى وَوُطِئَتْ فِي الْعَامِ الَّذِي يُسْتَقْبَلُ

(١) الحلبة : مجال الخليل للسياق .

حَطَمْتُ قَوَايَ، وَأَوْهَنْتُ مِنْ نَهَضَتِي وَكَذًا بَمَنْ طَلَبَ السَّلَامَةَ تَفَعَّلُ
كَمْ قَدْ شَهِدْتُ مِنَ الْحُرُوبِ؛ فَلَيْتَنِي فِي بَعْضِهَا مِنْ قَبْلِ نَكْسِي أُقْتَلُ
وَالْقَتْلُ أَحْسَنُ بِالْفَتَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْلَى، وَيُفْنِيَهُ الزَّمَانُ، وَأَجْمَلُ
وَأَبْيَكُ مَا أَجْمَعْتُ عَنْ خَوْضِ الرَّدَى فِي الْحَرْبِ، يَشْهَدُ لِي بِذَلِكَ الْمُنْصَلُ^(١)
وَإِذَا قَضَاءُ اللَّهِ أَنْحَرَنِي إِلَى أَجَلِي الْمُؤَقَّتِ لِي فَمَاذَا أُنْعَلُ

(٤٦٠)

وقال :

وَضَحَّ الصَّبَاحُ لِنَاطِرِ الْمُنَاطِلِ فَلِإِلَامٍ تُوَضِّعُ فِي الطَّرِيقِ الْمَجْهَلِ^(٢)
أَوْ مَا نَهَتْكَ السَّنُّ عَنْ مَرَحِ الصَّبَا وَالْخَوْضِ فِي غَيِّ الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
تَزَّهَ بِيَاضَ الشَّيْبِ عَنْ دَنَسِ الْهَوَى فَقَدْ ارْتَدَيْتَ الدَّرَجَةَ غَيْرَ مُفْصَّلِ
وَاعْفِ الْعَذُولَ عَنِ الْمَلَامِ، فَلَوْمَهُ غَيْرُ الْمَلَمِّ يَسْمَعُ مَنْ لَمْ يَجْهَلِ

(٤٦١)

وقال :

نَضًا^(٣) صَبِغُ الشَّبَابِ، فَلَسْتُ أَدْرَى لَصِبِغِ حَالٍ، أَمْ تَغْيِيرِ حَالِ
وَمَا أَبْيَضَ الْغَرَابُ الْجَوْنَ إِلَّا لِنَعْبَ بَانْتِقَالِ وَارْتِحَالِ

(١) المنصل : السيف . (٢) أرض مجهل كقوله : لا يهتدى فيها . وأوضع : أسرع في سيرة .

(٣) نضا : ذهب .

(٤٦٢)

وقال :

إن ضَعُفْتَ عن حَمَلٍ ثَقِيلٍ رَجُلِي وَرَأَيْتُ عِثَارُهَا فِي السَّهْلِ
أَمْشَى كَمَا يَمْشَى الْوَجِي^(١) فِي الْوَحْلِ مَشَى الْأَسِيرِ مُثْقَلًا بِالْكَبْلِ^(٢)
فَلِلْعَصَا عِنْدِي عُذْرُ الْمُبْلَى^(٣) إِنْ عَجَزْتُ ، أَوْ ضَعُفْتُ عَنْ حَمَلِي

قافية الميم

(٤٦٣)

وقال :

قَالَتْ وَأَحْزَنَهَا بَيَاضُ مَفَارِقِي : مَاذَا ؟ فَقُلْتُ : تَرْيِكُهُ^(٤) الْآيَامُ
فَبَكَتْ ، وَقَالَتْ : هَلْ لَهَا مِنْ وَارِدٍ أَوْ رَائِدٍ يَوْمًا ؟ فَقُلْتُ : حَبَابِي

(٤٦٤)

وقال :

أَنْظُرْ إِلَى لَعِبِ الزَّمَانِ بِأَهْلِهِ فَكَانَتْهُمْ وَكَأَنَّهُ أَحْلَامُ
قَدْ كَانَ كَنَفِي مَأْلَفًا لِمَهْنَدٍ تُعْرَى^(٥) الْقُلُوبُ لَهُ وَتُعْرَى^(٦) الْهَامُ
وَلَا سَمِيرَ لَدُنِ الْكَعُوبِ ، وَجَارُهُ^(٧) حَيْثُ اسْتَمَرَ الْفِكْرُ وَالْأَوْهَامُ

(١) الوجي : الحفا . وجي كرضى وجي فهو وج وجي . (٢) الكبل : القيد .

(٣) أبلاء عذرا : أداء إليه فقبله . (٤) التريكة : روضة يُعْقَلُ عن رعيها .

(٥) تُعْرَى من العروى وهي : الرعدة . (٦) فراد يفريه : شقته .

(٧) الوجار في الأصل : حجر المضيغ وغيرها .

تَزَالُ الأبطالُ عَنِّي ، مثلها فَرَّتْ من الأسدِ المصورِ نَعَامُ
فَرَجَعْتُ أَحْمَلُ بعدَ سبعينَ العصا فَأَعَجِبْ لما تَأْتِي به الأَيَّامُ
وَإِذَا الحِمَامُ أبى مُعَاجِلَةَ الفَتَى لِحَيَاتِهِ . لَا تُكْذِبَنَّ ^(١) ، حِمَامُ

(٤٦٥)

وقال مخاطبا لصديق :

من مُبْلَغُ عَنِّي فلا نَ الدِّينِ ، والأنباءُ تَنَمُّ
أَنْنى هَجَرْتُكَ لَا كَظْمِكَ طَائِعًا ، لَكِنِ برَغْمِي
أَوْهَتْ خُطوبُ الدهرِ من هِمَمِي ، وَفَلَّتْ حَدَّ عَزْمِي
وَرَمَنِي الأَيَّامُ عَن قَوْسِي ، فَأَرَدْتَنِي بِسَهْمِي
وَعَدَا الدِّينَ بِهِمْ أَسَ لِي الهَمُّ حِينَ يُلْمُ ، هَمِّي

(٤٦٦)

وقال ، وقد رزق ابنة ، سماها أم فروة ، بعد أن تجاوز أربعاً وسبعين سنة
أَفَكَّرُ في قُرْبَةٍ ما تُلاقى من الدُّنيا فتَغْشَانِي الهُمومُ
وَتَصْعَدُ زُفْرِي أَسْفًا ، لعلِّي بما يَلْقَى مِنَ البُؤْسِ اليَتِيمُ
وَقَدْ أودَعْتُهَا رَبًّا كَرِيمًا وما يَنْسَى وديعَتَه الكَرِيمُ

(١) كَذَبَ الرجلُ : أَخْبَرَ بالكذب .

قافية النون

(٤٦٧)

وقال في المعنى أيضا :

لَمَّا نَخْطِنِي السَّبْعُونَ مُعْرِضَةً وساور الضعف بعد الأبد^(١) أركانِي
وَأَدْخَلْتَ كَانِي فِي شُكْرِي وَفِي صِفَتِي واسترجع الدهر ما قد كان أعطاني
رُزِقْتَ فَرَوَةً ، وَالسَّبْعُونَ تُخْبِرُهَا أن سوف تَلْتِمُ عن قُرْبٍ ، وَتَنْعَانِي
وَهِيَ الضَّعِيفَةُ ، مَا تَنْفُكُ كَاسِفَةً ذَلِيلَةً ، تَمْتَرِي^(٢) دُمْعِي وَأَحْزَانِي
مَا كَانَ ، عَمَّا سَنَلَقَاهُ وَعَنْ جَزَعِي لَمَّا سَنَلَقَاهُ ، أَغْنَاهَا وَأَغْنَانِي

(٤٦٨)

وقال :

حَمَلْتُ ثِقْلِي فِي السَّهْلِ الْعَصَا وَنَبَتْ بِي ، حِينَ حَاوَلْتُ الْحَزُونََا
وَإِذَا رَجَلِي خَائِتْنِي ، فَلَا لَوْمْ عِنْدِي لِلْعَصَا فِي أَنْ تَخُونَا

(٤٦٩)

وقال ، وكتبها بخط يده :

نُكِّسْتُ فِي الْخَلْقِ ، وَحَطَّنِي السَّ بَعُونَ لَمَّا أَنْ عَلَتْ سِنِّي
وَغَيَّرْتَ خَطِّي ، فَاضْحَى كَمَا تَرَى ، وَكَمْ قَدْ غَيَّرْتَ مِنِّي
وَالْمَوْتُ فِيهِ رَاحَةٌ مِنْ أَذَى اللَّهِ نِيَا ، فَمَا أَغْفَلَهُ عَنِّي

(٢) امتري الشيء : استخرجه .

(١) الأبد : الفتوة .

قافية الهاء

(٤٧٠)

وقال :

نَظَرْتُ مُبِیْضَ فَوْدِي ، فَبَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ : مَا الَّذِي بَعْدِي عَرَاهُ
قُلْتُ : هَذِي صِبْغَةُ اللَّهِ ، وَمَنْ يَصْبُغُ الْأَسْوَدَ مِیْضًا سِوَاهُ

(٤٧١)

وقال :

حَمَلْتُ ثِقْلِي بَعْدَ مَا شَبَّتُ الْعَصَا فَتَحَمَّلَنِي تَحْمَلُ الْمُتَكَرِّرِ
وَمَشَتْ بِهَمْشَى الْحَسِيرِ ^(١) بِوَقْرِهِ ^(٢) لَا يَسْتَقِلُّ ^(٣) ، مَقْبِداً بِعِثَارِهِ
مَا آدَهَا ^(٤) ثِقْلِي ، وَلَكِنْ ثِقْلُ مَا أَبَقَ الشَّبَابُ عَلَيَّ مِنْ أَوْزَارِهِ
وَرَجَايَ مَعْقُودٌ بِمَنْ أَعْطَى أَخَا السَّبْعِينَ عُهْدَةً ^(٥) عَتَقَهُ مِنْ نَارِهِ

(١) حسر كعرب وفرح : أعيا ، فهو حسير .

(٢) الوقرب بالكسر : الحمل الثقيل .

(٣) يستقل : ينهض .

(٤) آده الأمر : بلغ منه المجهود .

(٥) العهدة : كتاب البيع .

في الزهد والاعتبار ، والمواعظ والإنذار

قافية الباء

(٤٧٢)

قال :

يَا رَبِّ حُسْنُ رَجَائِي فِيكَ حَسَنًا لِي تَضْيِيعَ وَقْتِي فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ
وَأَنْتَ قُلْتَ لِمَنْ أَضْحَى عَلَى ثِقَةٍ بِحَسَنِ عَفْوِكَ : إِنِّي عِنْدَ ظَنِّكَ بِي

قافية التاء

(٤٧٣)

وقال :

يَا غَافِلِينَ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ ، أَفَيْقُوا ، فَلَا تُسَوِّمُ هَبَاتُ
مَاذَا السَّكُونُ إِلَى دُنْيَا حَوَادِثِهَا لَهَا عَلَى الْخَلْقِ غَدَوَاتٌ وَعَدَوَاتُ
كَيْفَ الْبَقَاءُ بِدَارٍ لِلْفَنَاءِ بِهَا عَلَى الْخَلَائِقِ كَرَاتٌ وَغَارَاتُ
وَأَنْتَ ، يَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ ، مَالِكٌ فِي الدُّ نِيَا مِنَ النَّاسِ غَيْرِ الْبَعْدِ مَنَاجَا
يَسْرَكَ الْبَشَرُ مِنْهُمْ حِينَ تُبْصِرُهُمْ وَلَوْ خَبَّرْتَ لِسَاءَ تِلْكَ الطَّوَيَّاتِ
فَاقْطَعْ حَبَالَكَ مِنْ كُلِّ الْأَنَامِ ، فَهَمَّ فِي كُلِّ حَالٍ مَنْ دَانُوا حَبَالَاتِ^(١)

(١) حباله ككتابة : انصيدة .

واحدَر من النَّاسِ ، إني قد خَبَرْتَهُمْ^(١) ولا يَغْرَنكَ خَبْرٌ^(٢) فيه إِخْبَاتٌ^(٣)
لا تَرْجُهُمْ فِي مِلَّةَاتِ الزَّمَانِ ؛ فَمَا تُلِمُّ إِلَّا مِنْ النَّاسِ الْمِلَّةَاتُ
وَكُلُّهُمْ ، وَهُمْ الْأَحْيَاءُ ، إِنْ بُعِثُوا^(٤) عَلَى الْحَيَاءِ وَفَعَلَ الْخَبَرِ ، أَمْوَاتُ
وَقَدْ سَمِعْنَا أَنَّ الْأَرْضَ كَانَ بِهَا نَاسٌ كِرَامٌ ، وَلَكِنْ قَبْلَ : قَدَمَاتُوا
وَلَسْتُ أَدْرِي صَحِيحًا مَا تَضَمَّنَتْ الْكِتَابُ الْقَدِيمَةُ أَمْ فِيهَا ضَمَانَاتٌ^(٥)
وَأَغْلَبُ الظَّنَّ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ جَمَعُوا لِلْبَاخِلِينَ حَدِيثَ الْبُهْتِ^(٦) : أَيْ هَاتُوا
لَوْ كَانَ مَا جَمَعُوا يَبْقَى لَهُمْ لَقَضَتْ عَلَيْهِمْ بِالْمُؤَسَاةِ الْمُرُوءَاتُ
فَكَيْفَ ، وَهِيَ عَوَارٍ تُسْتَرَدُّ ، وَأَفْيَاءُ^(٧) تُنْقَلُّهَا فِي النَّاسِ دَوْلَاتُ

قافية الحاء

(٤٧٤)

وقال :

لا تَرْتَجِ الْخَلْقَ ، فَالْأَبْوَابُ مُرْتَجَّةٌ دُونَ الْحُطَامِ ، وَبَابُ اللَّهِ مَفْتُوحٌ
وَالرِّزْقُ لَوْ كَانَ فِي أَيْدِي الْأَنَامِ أَبْوَا أَنْ يَشْرَبَ الْمَاءَ مِنْ طُوفَانِهِ نَوْحٌ
لَكُنْهُ فِي يَدَيَّ مَنْ فَضَلَهُ أَبَدًا لِلطَّاعِينَ وَالْعَاصِينَ مَمْنُوحٌ

(١) الخب : الخداع .

(٢) أخبت : خشم وتواضع .

(٣) بعث على الشيء : حمله على فعله .

(٤) الضمة بالضم وكسابة وسحابة : المرض .

(٥) البهت بالضم : الكذب .

(٦) أفياء : جمع فيء وهو الظل .

قافية الدال

(٤٧٥)

وقال :

مُذْ بَصَّرْتَنِي تَجَارِي ، وَنَبَّهَنِي خُبْرِي بدهري ، فَقَدْتُ العِيشَةَ الرِّغْدَا
كَأَنِّي كُنْتُ فِي حُلُمٍ ، فَأَيْقَظَنِي خَوْفِي ، وَآلَى عَلَى جَفْنِي لَارْقَدَا

(٤٧٦)

وقال :

عَجَزْتُ عَنِ الدُّنْيَا ، فَمَا لِي مِنْ يَدٍ بِهَا ، وَلِيَ الْإِيدُ^(١) الْمُسَاعِدُ وَالْيَدُ
وَلَكِنِّي لَمْ أَسْأَلْ عَنْهَا ، فَأَرْعَوِي وَلَا نِلْتُ مِنْهَا مَا أَوْدُ ، وَأَقْصِدُ
شَقِيتُ بِمَا أَحْرَزْتُهُ : مِنْ فَضَائِلٍ بِأَيْسَرِهَا يَحْطَى الشَّقِيُّ وَيَسْعَدُ
وَفِي النَّفْسِ ، إِنْ نَاجَيْتُهَا بِاطْرَاحِهَا وَبِالزُّهْدِ فِيهَا ، فَتَرَةً وَتَرْدُ
فِيَارِبَ أَلْهَمَهَا الرِّشَادَ بَتَرِكِهَا فَإِنَّكَ تَهْدِي مِنْ تَشَاءُ وَتُرْشِدُ

(٤٧٧)

وكتب على حائط مسجد ، بظاهر منبج ، وهو متوجه إلى الحجاز :

زَلْنَا بِهِ ، حَتَّى إِذَا يَوْمُنَا انْقَضَى رَحَلْنَا عَلَى الْعَيْسِ النَّجَائِبِ وَالْجُرْدِ^(٢)
نُؤْمُ بِهَا الْبَيْتَ الْعَتِيقَ ، وَنَبْتَغِي مِنَ النَّارِ عِتْقًا جَاءَ فِي سَابِقِ الْوَعْدِ
فِيَا مَنْ قَصَدْنَا بَيْتَهُ وَنِيَّهِ بِكَ الْعَوْدُ ، يَا مَوْلَايَ ، مِنْ خَيْبَةِ الْقَصْدِ

(١) الأيد : القوة .

(٢) فرس أجرد : قصير الشعر رفيعه . والعيس : الإبل البيض يحالط بياضها شقرة .

(٤٧٨)

وقال من قصيدة تقدمت^(١) :

أما رأوا تقأب الدنيا بنا وفتكها بمن إليها أخلدا^(٢)
 كم نسفت أيدي الخطوب جبلا وصيرت لجئة بحر تمدا^(٣)
 ولم أعادت ذا ثراء مفعما وذا قيل وعديد مفردا
 علمت ما لم يعلموا ، ونظرت عيناى دهرى مضدرا وموردا
 فما رأيت غير ظل زائل كل يمد نحوه ، جهلا ، يدا

(٤٧٩)

وقال^(٤) :

مُثَوِّبَةُ الْفَاقِدِ عَنْ فَقْدِهِ بِصَبْرِهِ أَنْفَعُ مِنْ وَجْدِهِ
 يَبْكِيهِ مِنْ حُزْنٍ عَلَيْهِ ، فَهَلْ يَطْمَعُ فِي التَّخْلِيدِ مِنْ بَعْدِهِ
 مَا حِيلَةَ النَّاسِ ؟ ! وَهَلْ مِنْ يَدٍ لَهُمْ بِدْفَعِ الْمَوْتِ أَوْ صَدِّهِ
 وَرُودُهُ لَا بَدَّ مِنْهُ ، فَلَمْ^(٥) تُنْكِرْ مَا لَا بَدَّ مِنْ وَرْدِهِ^(٦)
 سِهَامُهُ لَمْ يَسْتَطِعْ رَدَّهَا دَاوُدُ بِالْحَكَمِ مِنْ سَرْدِهِ

(١) أول القصيدة : أنهم فيكم لاني وأنجدا وما أفاد سلوة إذ فندا راجع ص ٦٦ .

(٢) أخذ إليه : مال .

(٣) الحمد : الماء القليل .

(٤) رويت هذه القصيدة في خريدة القصر ١٠٤٠ .

(٥) رواية انخريدة " فما " .

(٦) ينظر فيه إلى قول المتنبي : نحن بنو الموتى ، فما بالنا نغاف ما لا بد من ورده

ولا سليمان ابنه ردها بملكه والحشد من جنده
عدل تساوى الخلق فيه ، فما يميزُ المالك عن عبده
كلُّ له حدٌ ، إذا ما انتهى إليه وأفاه على حده
تجمعنا الأرض ، فكلُّ (١) امرئ في لحده كالطفل في مهده
أما ترى ورادنا (٢) عرسوا (٣) بمنزل دانٍ على بعده
تبوءوا الأرض ، ولم يخبروا عن حرّ منوَاهم ولا برده
لحادٍث أسكتهم أمسكوا عن ابتداء القوم أو رده
لو نطقوا قالوا : التقي خيرُما تزود المرء إلى لحده
فارجع إلى الله ، وثق بالذي وآفأك في الصّادق من وعده
للصّابرين الأجر ، والأمن من عذابه ، والفوز في خُله

(٤٨٠)

وقال :

تبارك اسمك ، كم من آيةٍ شهدت بأنك الواحد المستعلّى الصمد
ما يصبغ الأسود الغريب غيرك مُبيضًا ، ولا يتعاطى صبغه أحدٌ

(١) في الحرية " وكل " .

(٢) في المصدر منه " أسلفنا " .

(٣) عرس القوم في المنزل : إذا تزولوا .

قافية الراء

(٤٨١)

وَكَتَبَ عَلَى حَائِطِ دَارِ بَصُورٍ^(١) :

احْذَرِ مِنَ الدُّنْيَا ، وَلَا تَغْتَرَّ بِالْعُمْرِ الْقَصِيرِ
وَانْظُرْ إِلَى آثَارِ مَنْ صَرَعَتْهُ مَنَا بِالْغُرُورِ
عَمِّرُوا ، وَشَادُوا مَا تَرَا هُ : مِنَ الْمَنَازِلِ وَالْقُصُورِ
وَتَحَوَّلُوا مِنْ بَعْدِ سُكْنَاهَا إِلَى سُكْنَى الْقُبُورِ

(٤٨٢)

وقال :

لَا تَغْطِ بِسُرُورٍ دِي ، يَا ، مَا يَدُومُ بِهَا سُورُ
وَكَذَلِكَ لَا تَجْزَعُ لِحَا دَلَّةَ تَضِيقُ بِهَا الصُّدُورُ
بِجَمِيعِ مَا فِيهِ الْآنَا مُ ، أَلَيْسَ آخِرُهُ الْقُبُورُ

(٤٨٣)

وقال :

أَرَى الْعَيْنَ تَسْتَحْلِي الْكَرَى ، وَأَمَامَهَا كَرَى لَيْسَ تَقْضِيهِ إِلَى دَاعِي الْحَشْرِ
وَلَيْسَ يَنَامُ الْخَائِفُونَ ، فَالَهَا تَنَامُ عَلَى عَظَمِ الْخَافَةِ وَالذَّعْرِ

(١) روى هذا الشعر في كتاب الروضتين ١ : ١٢٧ ، وقد ذكر أن أسامة كتب هذا الشعر بمدينة صور حين دخل دار ابن أبي عقيل محمد بن عبد الله بن عياض صاحب صور ، فأراها تهدمت ، وتغيرت زخرفها ، فكتب هذه الأبيات على لوح من رخام .

(٤٨٤)

وقال :

دنيائى ناشِرةٌ^(١) ، فإن فارقتُها طوعاً ، وإلا فارقتني كإِرها
 إنّا لنُنْزِرُ سوءَ عاقبة الورى فيها ، ونهواها على إنكارها
 كلُّ بها كلفٌ ، ومن يزهد يكن فى زُهدِه متكلفاً متكارها
 أذكرتُ نفسي مضرع الآباء من قَبلي ، فإِأَصْغَتْ إلى إِذْكارها
 وعجبتُ منها ، كيف لم يجرِ الذى خُلِقَتْ لَهُ يوماً على أَفكارها
 والموتُ إن لم يأتِ فى إِمسانها وافى مع الإِصباح فى إِبْكارها
 وأمامها السُفرُ البعيدُ ، وقطعهُ بالسِرِّ ، لا يَقْرُومُها^(٢) وبِكارها^(٣)
 والذهرُ يطرُقُ بالخطوبِ ، ومالنا بعوانِها^(٤) أَيْدٍ ، ولا أَبْكارها
 والترُّبُ أوكبارُ الأنامِ ، وكُنّا كالطيرِ ، رائحةٌ إلى أوكارها

(٢٨٥)

وقال . وكتبها على حائطِ مسجد سَبْرين ، بظاهِرِ مدينة حلب^(٥)

لك الحمد يا مولاي . كم لك منةٌ على ، وفضلاً^(١) لا يقومُ به شُكرى
 نزلت بهذا المسجد العام قافلاً من الغزو ، موفوراً التَّصيب من الأجر

(١) نشرت المرأة : استعصت على زوجها .

(٢) القرم : بالفتح الفعل ، وجمعه قروم .

(٣) البكرة بفتح وسكون ويحرك : الجماعة الفتيّة من الإبل ج بكاء .

(٤) الموان من النساء : من كان لها زوج . والأيد : الشدة والقوة .

(٥) روى هذا الشعر فى الروضتين ١ : ٢٧٠ ، وقد كتبها أسامة سنة ٥٥٧ هـ .

(٥) هذه رواية الأصل فى الروضتين " وفضل " .

ومنه رحلت العيس في عالمي الذي مضى نحو بيت الله ذي الركن والحجر
فأذيت مفروضي، وأسقطت نفل ما تحملت من وزر السنين على ظهري

(٤٨٦)

وقال :

أيها الظالم ، مهلاً أنت بالحاكم غر
كل ما استعذبت من جورك تعذيب وجر
ليس يلقي دعوة المظلوم دون الله ستر
تخف الله ، فإني يخفي عليه منه سر
يجمع الظالم والمظلوم بعد الموت حشر
حيث لا يمنع سلطان ، ولا يسمع عذر
أو ما ينهك عن ظلمك موت ، ثم قبر
بعض ما فيه من أهوال فيه لك زجر

قافية الطاء

(٤٨٧)

وقال :

الناس كالطير ، والدنيا شباكهم وهم بها بين ركاض ومخبط^(١)
والموت قناصهم ، يأتي على مهل إهلكهم بين مذبوح ومغبط^(٢)

(١) الخبط - السير على غير هدى . (٢) اعتبط الذبحة : نحرها من غير علة ، وهي سمية فنية .

وقد شَغَانَا بِدُنْيَانَا وَزُخْرِهَا فَالْخَلْقُ مَا بَيْنَ مَحْزُونٍ وَمُغْتَبِطٍ
هَذَا يُسْرٌ بِحَالٍ لَا تَدُومُ ، وَذَا يَبْكِي عَلَى الْقَوْتِ مِنْ دُنْيَاهُ وَالْقَرْطِ
وَلَيْسَ يَسْوَى ^(١) الَّذِي نَالَ الْمُلُوكَ مِنَ الدَّ نِيَا ، فَدَعَّ غَيْرَهُمْ ، كَفًّا مِنَ الْعَبْطِ ^(٢)

(٤٨٨)

وقال :

مَا زِلْتُ فِي غِبْطَةٍ عَيْشِي عَالِمًا أَن سَيُزُولُ بِالْهَمِّ مَا غَبَطَ ^(٣)
وَأَنَّ صَرْفَ الدَّهْرِ يَأْتِي بِالَّذِي سَاءَ اعْتِدَادًا ، وَبِمَا سَرَّ غَاظَ
بَيْنَا الْفَتَى تَعَلُّوْا بِهِ جُدُودَهُ إِذْ أَسْلَمَتْهُ لَارْزَايَا ، فَهَبَطَ
حَتَّى يَرْقَّ حَاسِدٌ لِحَالِهِ مِنْ بَعْدِ مَا نَافَسَ فِيهَا ، وَغَبَطَ ^(٤)

قافية العين

(٤٨٩)

وقال :

مَنْ مَبْلَغُ الْمُعْتَرِّ ^(٥) وَالْقَانِعِ وَابْنِ السَّبِيلِ النَّازِحِ النَّازِعِ ^(٦)
أَنَّ النَّدَى قَدَمَاتِ ، فَاسْتَعْصِمُوا بِالْيَاسِ ، مِنْ دَانٍ ، وَمَنْ شَاسِعِ

(١) يسوى : يساوى . (٢) العبط : البحر اليابس القديم .

(٣) غبط : مر . والغبطة : النعمة والسرور .

(٤) غبط هنا بمعنى حسد ، يقال غبط الرجل يغبطه غبطاً وغبطة : حسده .

(٥) المعتَر : الضيف الزائر ، والمتعرض للسؤال من غير طلب . (٦) النازع : المشتتا

لا يبدلن ذو فاقة وجهه
ما يظفر الرأجي ندى كفه
هل ينفع الظامي إذا ما طما
لله در اليأس من ناصح
ولا سقى الأطماع صوب الحيا
لا ترجون خافاً ، فكل الورى
وما حوت أيديهم فهو في
قد سمعوا بالجود ، لكنه
وكلهم إن أنت كشفتهم
فدعهم ، واطلب من الله ما
فما يقطع من واصل
قد قسم الأرزاق بين الورى
كلهم يأتيه من رزقه
لكنهم من حرصهم قد عموا
لو أيقنوا أن لهم رازقاً
ولا لما يرفع من خافض
ما طلبوا من غير معط ، ولا

لذي ثراء باخل باخع^(١)
بغير ذل الخاشع الخاضع
أجاج بحر ليس بالناسع^(٢)
ليس بغيرار ، ولا خادع
فإنها مهلكة الطامع
يقبض كف المانع الجامع
مثل لمة^(٣) الأسد الجائع
لبخلهم ما لذ للسامع
مثل سراب القيع^(٤) اللامع
ضنوا به : من فضله الواسع
ولا لما يوصل من قاطع
في متعب ساع ، وفي وادع
كفاية ، لو كان بالقانع
عن الطريق المهيح^(٥) الشارع
ليس لما يعطيه من مانع
ولا لما يخفض من رافع
دعوا إذا اضطروا سوى السامع

(١) الباخع : المبالغ ، يريد المفرط في البخل .

(٢) الناسع : المبالغ ، يريد المفرط في البخل .

(٣) اللمة : الأرض مهلة مطمنة انفرجت عنها الجبال

(٤) القيع : اللمة المشرقة على الخلق .

(٥) المهيح : البين .

والآكام ، ج قيع ، وقية وقبان .

وقال :

أَيُّهَا الْغَافِلُ ، كَمْ هَذَا الْهَجُوعُ أَعْلَنَ الدَّاعِي ، فَهَلْ أَنْتَ سَمِيعُ
أَنْتَ عَمَّا هُوَ آتٍ غَافِلٌ وَكَأَنَّ قَدْ فَاجَأَ الْخَطْبُ الْفَطِيعُ
نَحْنُ فِرْعُ لِأَصُولٍ ذَهَبَتْ كَمْ تُرَى مِنْ بَعْدِهَا تَبَقَى الْفُرُوعُ
وَزُرُوعٌ لِلنَّايَا ، حُصِدَتْ بِيَدِهَا قَبْلَنَا مِنْ زُرُوعُ
بَادِرِ الْخَوْفِ ، وَقَدَّمَ صَالِحًا مَا لِمَنْ مَاتَ إِلَى الدُّنْيَا رُجُوعُ
نَحْنُ سَفَرٌ سَارِمَنَا سَلَفٌ وَعَلَى آثَارِهِمْ يَمْضِي الْجَمِيعُ
وَالِى الْمُورِدِ مِيعَادُهُمْ يَلْتَقِي فِيهِ بَطْئٌ وَسَرِيعُ
أَمَّنَا الدُّنْيَا رَقُوبٌ^(١) ، يَسْتَوِي عِنْدَهَا فِي الْفَقْدِ كَهْلٌ وَرَضِيعُ
مَارَأَيْنَا ثَاكِلًا مِنْ قَبَاهَا مَا لَهَا فِي إِثْرِ مَفْقُودٍ دُمُوعُ
كُنَّا مِنْهَا ، وَمَنَا كَلَّهَا فَهِيَ لَا تَشِيعُ أَوْ نَحْنُ صَرِيعُ
بِئْسَ الْأُمُّ رَمَتْ أَوْلَادَهَا بَرَزَايَاهَا ، أَلَا بِئْسَ الصَّنِيعُ
مَا هَنَاهُمْ فَوْقَهَا نَوْمُهُمْ فَهُمْ فِيهَا إِلَى الْحَشْرِ هُجُوعُ
أَبَدًا تَجْفُو عَلَيْنَا ، وَلَنَا نَحْوَهَا الدَّهْرُ حَيْنٌ وَنَزُوعُ
هِيَ لَيْلَى ، وَالْوَرَى أَجْمَعُهُمْ قَيْسُهَا ، كُلُّ بِهَا صَبٌّ وَلُوعُ
جَدٌّ يَامْطُوبُ ، مِنْ جَدٍّ نَجَا إِنَّ ذَا الطَّالِبِ مِدْرَاكُ تَبُوعُ

(١) رَقُوبٌ : لَا يَبْقَى لَهَا وَلَدٌ .

ليس يُجَبِّىَ الجَحْفَلُ الجَرَّارُ من يده الطُولى ، ولا الحصنُ المنيعُ
يأخذُ السلطانَ ذَا الجمعِ ، فلا يدفعُ السلطانُ عنه ، والجموعُ
ليسَ يرعى حرمةَ الجارِ ، ولا يُنقِذُ الشَّاسِعَ فى البُعدِ الشُّسُوعُ^(١)
ما مع السَّبعينَ تسويفُ ، فلا ينجِدُكَ الأملُ اِِراهِى الخُدُوعُ
قد تَحَمَّلتَ على ضعفِكَ من ثقلِ أوزارك مالا تَسْتَطِيعُ
وَتَقَصَّصْتَ^(٢) عنكَ أيامَ الصُّبا وعلى مفرتك الشَّيبُ الشُّنُيعُ
ثم أَفْضَتْ مدَّةُ الشَّيبِ إلى هريم يُعقِبُه الموتُ الدَّرِيعُ
صَوَّحَ^(٣) المرعى ، فإذا ترتجى بعد ما صَوَّحَ مرعاك المَرِيعُ^(٤)
هل ترى إلَّا هشيماً ذاوياً تَجْتَوِيهِ^(٥) العينُ إن وَلَّى الربيعُ

تافية القاف

(٤٩١)

وقال ، وقد تتابعت الزلازل بحماسة^(٦) .

أَيُّهَا الغَافِلُونَ عَنْ سَكْرَةِ الْمَوْتِ ، وَإِذْ لَا يَسُوعُ فِي الْخَلْقِ رَيْقُ
كَمْ إِلَى كَمْ هَذَا التَّشَاغُلُ وَالْغَفْلَةُ ، حَارَ السَّارَى ، وَضَلَّ الطَّرِيقُ
إِنَّمَا هَزَّتِ الزَّلَازِلُ هَذَى الْآرِضِ ، بِالْغَافِلِينَ ، كَيْ يَسْتَهْفِقُوا

(١) الشُّسُوعُ : البعد . (٢) من القصور وهو البعد . (٣) صَوَّحَ : جَفَّ .

(٤) المَرِيعُ : الخصب . (٥) اجْتَوَاهُ : كَرِهَهُ .

(٦) كان ابتداء هذه الزلازل ، كافى الرومانيين (١ : ١٠٥) فى شهر رجب سنة إحدى وخمسين وخمسة مائة ، وهلك بها نحو من عشرة آلاف نسمة .

قافية الكاف

(٤٩٢)

وقال :

سلوتُ عن صَبَوَاتٍ كُنْتُ ذَا شَعَفٍ بها ، ومِلْتُ إلى الإِخْبَاتِ^(١) والنُّسُكِ
لكنْ لِقَلْبِي مِنْ تَذْكَارِهَا قَلَقٌ ونزوةٌ ، كاختبِاطِ الطَّيْرِ فِي الشَّرَكِ
هَدَى عَقَابِيلُ^(٢) دَاءٌ ، كَانَ يَمْطُنُنِي ولم أزل مُشْفِعًا مِنْهُ عَلَى الْهُلُكِ
حَتَّى إِذَا الشَّيْبُ رَدَانِي تَصَرَّمْ ذَا لَكَ الدَّاءُ عَنْ شَائِبِ الْفُودَيْنِ مُحْتَكِ^(٣)

قافية اللام

(٤٩٣)

وقال :

أرى الموتَ يَسْتَقْرِئُ^(٤) النَّفُوسَ ، وَلَا أَرَى سِوَى مَانِعٍ مَا فِي يَدَيْهِ بَخِيلِ
فِيَا عَجَبًا لِلْبَاخِلِينَ ، وَإِنَّمَا قَلِيلُهُمْ لِلْإِرْثِ بَعْدَ قَلِيلِ

(١) الإِخْبَات : الخسوع لله والخشوع . (٢) العَقَابِيل : بقايا العلة .

(٣) حَكَتِ الدَّنْ وَحَكَتِ الْأُمُور : عاد مجرباً فاحتك ، ورجل عتكت ومحك .

(٤) يَسْتَقْرِئُ : يَتَنَجَّى .

قافية الميم

(٤٩٤)

وقال :

إذا ما عرّا مالا أطيقُ دَفَاعَه وأرْمَضَنِي^(١) الْفَكْرُ الْمَسِيدُ^(٢) وَالْهَمُّ
دَعَوْتُ الَّذِي نَادَاهُ مُوسَى لِدَفْعِ مَا يَحَازِرُ مِنْ فِرْعَوْنَ، فَانْفَرَقَ الْيَمُّ^(٣)
وَنَادَيْتُ مَنْ نَادَاهُ ذُو النُّونِ وَائِقًا بِهِ فِي ظِلَامِ الْبَحْرِ، فَانْكَشَفَ الْغَمُّ^(٤)

(٤٩٥)

وقال من قصيدة تقدمت^(٥) :

فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ دَارٌ سِوَى جَنَّةِ عَدْنٍ ، أَوْ لَطَا تَضَرَّمُ^(٦)
وَالْمَوْعِدُ الْحَشْرُ، وَتُجْزَى عَنِ الْأَ عَمَالٍ ، وَالْغَبْنُ لِمَنْ يَنْدُمُ
وَيُنْصَفُ الْمَظْلُومُ مِنْ خَصْمِهِ وَيَسْتَوِي السُّلْطَانُ وَالْمُعْدِمُ
وَيُشَخَّصُ الْخَلْقُ إِلَى حَاكِمٍ يُحْكَمُ فِيهِمْ بِالَّذِي يَعْلَمُ
وَلِلَّيَالِي وَاعْظُ صَامِتٌ يُسْمَعُنَا ، لَوْ أَنَّنَا نَقْهَمُ
وَالنَّاسُ فِي الدُّنْيَا نِيَامٌ، وَمَا أَسْرَعَ مَا يَسْتَبْقِظُ النَّوْمُ
وَيَقْدَمُ الْخَلْقُ عَلَى وَزْرِ مَا تَقَلَّدُوا أَوْ أَجَرِ مَا قَدَّمُوا

(١) أرمضه : أوجعه وأحرقه .

(٢) المذهب : المذوق .

(٣) راجع القرآن الكريم سورة الشعراء ، الآية ٦٣ . (٤) راجع القرآن الكريم سورة الأنبياء ، الآية ٨٧ و ٨٨ .

(٥) لعل أول القصيدة قوله ، ما أنصفوا في الحب إذ حكموا ... راجع القطعة (٩١) ص ٤٤ .

ثم انتقل من الغزل إلى المديح فقال : ومير إلى بحر خضم له ... راجع القطعة (٣١٨) ص ١٩٣ .

(٦) ضرم كفرح . اشتد حرقه .

(٤٩٦)

وقال في الزلازل المتتابعة بحماسة^(١) :

نمنا عن الموت والمعاد، فأصبحنا نَظُنُّ اليقينَ أحلاماً
فحزَّكتنا هذى الزلازلُ أنْ تيقظوا ، كم ينأى من نأما

(٤٩٧)

وقال .

فروض الأمر راضياً جف بالكانِ القلم
ليس في الرزق حيلة إنما الرزق بالقسم
دل رزق الضعيف وهو كالحم على وضم
وافتقار القوي ترهبه الأسد في الأجم
أن للخلق خالقاً لا مرداً له حكم

(٤٩٨)

وقال .

أوبقت^(٢) نفسك يا ظلو م بما احتقت^(٣) من المظالم
أظننت أن المال لا يفنى ، وأن الملك دائم
ميهات ، أنت وما جمعت كلاً كما أحلام نائم

(١) احتقب : أدنو .

(٢) أوبق : أهلك .

(٣) انظر ما سبق ص ٢٨٧ .

تَفْنِي ، وَيَفْنِي ، وَالَّذِي يَبْقَى الْخَطَايَا وَالْمَأْتَمِ
وَعِثَا يُنَاقِشُكَ الْحَسَابَ عَلَى الْحَقِيرِ مِنَ الْجَرَائِمِ
مَلِكُ تُنَاجِيهِ الْقُلُوبُ بُ مِنْ الذُّنُوبِ بِمَا تُكَاتِمُ
عَدْلُ الْقَضَاءِ ، بِكُلِّ مَا تُخْفِي صُدُورُ الْخَلْقِ عَالَمِ .

(٤٩٩)

وقال :

مَاذَا الْوُقُوفُ عَلَى دَارٍ بِذِي سَلَمٍ عِجَاءً ، أَوْ قَدْ عَرَاهَا عَارِضُ الْبَكَمِ
أَحَالَهَا الدَّهْرُ عَمَّا كُنْتَ تَعْهَدُهُ وَغَالٍ مُسْتَوِطِنِهَا غَائِلُ الْأُمَمِ
حَتَّى لَقَدْ أَظْلَمْتُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَلَقَدْ غَنَوُا^(١) بِهَا ، وَهُمْ الْأَقَارُ فِي الظُّلَمِ
بَلُّوا كَمَا بَلَيْتَ آثَارَهُمْ ، وَلَكُمْ أُنْبِئِي دِيَارًا وَأَهْلًا سَالَفُ الْقَدَمِ
أَمَلِي الزَّمَانُ لَهُمْ حِينًا ، وَغَرَّهُمْ مَا خُوِّلُوهُ مِنَ الدُّنْيَا ، فَلَمْ يَدُمْ^(٢)
مَضُوءًا ، وَمَا اسْتَصْحَبُوا مَالًا وَلَا نَعَاءً وَنُوقِشُوا عَنْ حِسَابِ الْمَالِ وَالنَّعَمِ
لَمْ يَحْصُلُوا حِينَ وَاقَاهُمْ حِمَامُهُمْ مِنْ كُلِّ مَا حَصَلُوا إِلَّا عَلَى النَّدَمِ
وَصَبُوءِ النَّاسِ بِالدُّنْيَا وَشُغْلِهِمْ عَمَّا سَبَقَ بِمَا يَفْنَى مِنَ اللَّعَمِ^(٣)

قافية النون

(٥٠٠)

وقال :

لَا تَغِطُنْ أَهْلَ بَيْتِ سَرَّهْمُ زَمْنٍ فَسَوْفَ يَطْرُقُهُمْ بِالْهَمِّ وَالْحَزَنِ
يُعِيرُهُمْ كُلُّ دُنْيَاهُمْ ، وَيَنْهَبُ مَا أَعَارَهُمْ بِيَدِ الْآفَاتِ وَالْمَحَنِ

(١) غنى بالمكان كرمى : أقام به .

(٢) أمل له في غيه : أطال وأمهل .

(٣) اللم : الجنون .

حتى يروحوا بلا شيء ، كما خلِقُوا كأنَّ ما خُوِّلَوه أُمِسَ لم يكن
لا يصحبُ المرءَ مما كان يملكه في ظُلمةِ اللَّحْدِ إِلَّا خِرْقَةُ الكَفَنِ
يُسْتَنْزَعُ المالُ منه ، ثم يُسألُ عن جميعه ، يا لها من حَسرةِ الغَينِ^(١)

قافية الهاء

(٥٠١)

وقال^(٢) :

أيها المغرورُ ، مهلاً بلَغَ العَمرُ مداهُ
كَمْ عَسَى من جاوزَ السَّبعينَ يَبقى ، كَمْ عساهُ
أَنسَبَتَ اللهُ^(٣) ، أُمَّ أَمَّكَ اللهُ لَظَاهُ
[تَظَلُّمٌ]^(٤) النَّاسَ لِمَن تَرجوه ، أو تُخشَى سَطاَهُ
أنتَ كالنَّورِ : يَصلى النَّارَ في نَفْعٍ سِوَاهُ

(٥٠٢)

وقال :

أَفِ لِلدُّنْيَا ، فَا أَوْبَا^(٥) جَنَاهَا لَيْسَ يَخْلُو مَنْ رَأَاهَا مِنْ أَذَاهَا
خَدَعَتْنَا بِأَبَاطِيلِ المُنَى فارتَكَسْنَا^(٦) فِي هَوَانَا لِهَوَاهَا
وَاسْمَا لَتَنَا بِوَعْدٍ كاذِبٍ فتمسَّكْنَا بِوَاهٍ مِنْ عُرَاهَا

(٢) رويت هذه القطعة في خريدة القصر ١ : ١٠٥ .

(٤) سقط بالأصل والتكلمة من الخريدة .

(٦) ارتكس : انتكس ووقع .

(١) غبه غيبا ويحرك : خدعه .

(٣) في الخريدة « أنسبت الموت » .

(٥) وبشت الأرض : كثرفها المرض .

وَعَدْتَنَّا بِاللَّهِ ^(١) لِأَهِيَّةٍ فَاشْتَغَلْنَا بِتَقَاضِينَا لَهَا
 وَهِيَ إِن جَادَ بَنَزَرٍ بِوُمُهَا غَدُهَا مُسْتَرْجِعٌ تَزَرَّ جَدَاهَا ^(٢)
 بَنَسْتُ الْأُمَّ رَقُوبٌ ^(٣) أَكْثَرْتُ وَلَدَهَا ، ثُمَّ رَمْتَهُمْ بِقِلَاحَا ^(٤)
 وَغَدًا تَنْقُلُنَا مِنْهَا إِلَى مُظْلِمِ الْأَرْجَاءِ ضَنْكَ ^(٥) مِنْ ثَرَاهَا
 وَالَّذِي يَتَّبِعُنَا مِنْ سُخْتِهَا ^(٦) تَبَعَاتٌ مُوَبَقَاتٌ ^(٧) مِنْ شَذَاهَا ^(٨)
 وَتَحْوزُ الْمَالَ بِالْإِرْثِ ، وَمَا حَازَتْ الْمِيرَاثَ مِنْ أُمَّ سِوَاهَا
 فَإِذَا اللَّهُ رَعَى وَالِدَةً ذَاتَ بَرٍّ وَحَسَبٍ ، لَا رَعَاهَا
 أَوْرَدْتَنَا النَّارَ ، لَا مَأْوَى لَنَا مِنْ لَظَاهَا ، وَيُحَمِّصُ لَظَاهَا
 أَمَرْتَنَا بِالْمَعَاصِي ، فَإِذَا وَفَّقَ اللَّهُ امْرَأً مِنْهَا عَصَاهَا
 آهَ مِنْ تَقْرِيطِنَا ، شُغْلًا بَهَا عَنْ فَعَالِ الْخَيْرِ وَالطَّاعَةِ ، آهَا

(١) اللّٰهى : العطايا . (٢) الجدا : العطية . (٣) الرقوب : التى لا يبق لها ولد .
 (٤) القلى : البغض . (٥) الضنك : الضيق . (٦) السحت : ما خبث من المكاسب فلم عنه الدار . (٧) موبقات : مهلكات .
 (٨) الشذى : الأذى . (٩) صلى النار : قامى حرها . والالطى : لذب النار .

باب المراثي

قافية الباء

(٥٠٣)

قال :

قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ ، لَكِنْ خِلْتُهُ مَثَلًا : أَنْ اللَّيَالِي يَصْذَنُ الصَّبْرَ بِالْخَرْبِ^(١)
وَأَنْ أَيْدِيهَا شَلَّتْ ، وَلَا انْبَسَطَتْ إِذَا ضَرَبَتْ كَسْرُنَ النَّبْعِ^(٢) بِالْغَرْبِ^(٣)
حَتَّى رَأَيْتُ النَّعَامَ الرِّيدَ^(٤) قَدْ قَتَلَتْ اسْدَ الْعَرِينِ ، فَيَا لِلنَّاسِ لِلْعَجَبِ
كَأَنَّ سَقَبَ^(٥) الْمَنَايَا وَسَطَ جَمْعِهِمْ رَغَا ، فَاتُوا جَمِيعًا جِيرَةَ الصَّقَبِ^(٦)
لَمْ تُغْنِ نَجْدَتُهُمْ^(٧) ، إِذْ حَانَ^(٨) يَوْمُهُمْ عَنْهُمْ ، وَلَمْ تَحْمَهُمْ مِنْ سَطْوَةِ النَّوْبِ

(٥٠٤)

وقال ، وكتب بها من مصر إلى أخيه عز الدولة ، وقد ماتت له بنتٌ بشير ، وهو ذائب عنها بدمشق ، وأعمامها وأخوها غيب :

وَيَخِ الْغَرِيبَةَ ، وَالْدِّيَارُ دِيَارُهَا لَمْ تَرْتَحِلْ عَنْهَا ، وَلَمْ تَتَغَرَّبِ
مَاتَتْ غَرِيبَةً وَحْدَةً : مِنْ تَرِبِهَا وَشَقِيقِهَا ، وَمِنْ الْعُمُومَةِ ، وَالْأَبِ
فَهِيَ الْوَحِيدَةُ ، وَالْأَقَارِبُ حَوْلَهَا وَهِيَ الْبَعِيدَةُ فِي الْمَحَلِّ الْأَقْرَبِ
فَإِذَا تَضَرَّمَ^(٩) فِي الْجَوَانِحِ ذِكْرُهَا قَالَ الْأَسَى : بِاللَّهِ يَا عَيْنُ اسْكُنِي

(١) الحرب محركة : ذكر الحباري . والشطر مقتبس من المتنبي .

(٢) النبع : شجر للقسي وللسمام ينبت في قلة الجبل .

(٣) الغرب بالتحريك : شجر . وهو مقتبس من المتنبي أيضا .

(٤) الريدة بالضم : لون إلى الغبرة . (٥) السقب : ولد الناقة .

(٦) الصقب : القرب . (٧) النجدة : الشجاعة .

(٨) حان : جاء وقتهم . (٩) تضرمت النار : اشتعلت .

(٥٠٥)

وقال في ولده أبى بكر ، وقد توفى صغيرا :

لَهْفَ نَفْسِي لِـلِـلَّالِ طَالِعِ مَا اسْتَوَى فِي أَفَقِهِ حَتَّى غَرَبَ
لَوْ رَأَى مَا حَلَّ بِي مِنْ بَعْدِهِ مِنْ هُمُومٍ غَشِيَتْ بِي وَكُرْبَ
لَبَكَّى لِي تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى وَبَكَاءِ الْمَيِّتِ لِلْحَيِّ عَجَبَ
أَنَا مَيِّتٌ مِثْلُهُ ، لَكِنَّهُ مُسْتَرِيحٌ ، وَمَمَاتِي فِي تَعَبِ

(٥٠٦)

وقال :

يَا نَفْسُ ، أَيْنَ جَمِيلُ صَبٍ بَرِّكَ حِينَ تَطْرُقُ الْخُطُوبُ
أَيْنَ احْتِمَالِكَ مَا تَكَا دُ الرَّاسِيَاتُ لَهُ تَذُوبُ
وَبَاتُ جَاشِكَ حِينَ تَضْطَرُّ الْجَوَانِحُ وَالْقُلُوبُ
مَاذَا دَهَاكَ ، إِلَى مَنْ هَذَا التَّأْسُفُ وَالنَّحِيبُ
كَيْفَ اسْتَرْلَكَ^(١) بَعْدَ صَدِّ قِ يَقِينِكَ الْأَمَلُ الْكَذُوبُ
أَرْجَوْتُ أَنْ سِيرُدُ مِنْ غَالِ الرَّدَى دَمْعُ سَكُوبُ
أَمْ خِلْتُ أَنَّ نَوَائِبَ اللَّهِ نِيَا لَغَيْرِكَ لَا تَنُوبُ
هِيَاةً ، كُلَّ الْخَلْقِ مِنْ نَكَبَاتِهَا لَهُمْ نَصِيبُ
وَبِكَلِّ قَلْبٍ مِنْ حَوَا دِهَا ، وَأَسْمُهَا تَذُوبُ^(٢)
مَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ لَهُ حَيِّبُ

(١) زلت قدمه : زلقت . واستزلته غيره .

(٢) تذوب : جمع ندبة ، وهي أثر الجرح الباقي على الجلد .

لكن يُسَلِّي النَّفْسَ أَنْ لَحَاقَنَا بِهِمْ قَرِيبٌ
وإليهم ، من بَعْدِ غَيْبَتِهِمْ ، وإن طالت ، نَتُوبُ

(٥٠٧)

ومن قصيدة الملك الصالح المتقدمة ^(١) :

لَهَفَ نَفْسِي عَلَى دِيَارِ مِنَ السُّكَّانِ أَقْوَتْ ^(٢) ، فَلَيْسَ فِيهَا عَرِيبٌ ^(٣)
وَلَكَمْ حَاطَهَا ، فَأَنْتَسَتْهُ أَوْطَا نَ صِبَاهُ وَالْأَهْلَ يَوْمًا ، غَرِيبٌ
فَاحْتَسَبَ مَا أَصَابَ قَوْمَكَ مَجْدَ الدِّينِ ، وَاصْبِرْ ، فَالْحَادِثَاتُ ضُرُوبُ
هَكَذَا الدَّهْرُ : حَكْمُهُ الْجَوْرُ ، وَالْقَصْدُ ، وَفِيهِ الْمَكْرُوهُ ، وَالْمَحْبُوبُ
إِنْ تَخَصَّصْكُمْ نَوَائِبُ مَا زَا لَتْ لَكُمْ دُونَ مَنْ سِوَاكُمْ تَتُوبُ
فَكَذَلِكَ الْقَنَاءُ : يُكْسِرُ يَوْمَ الرَّوْعِ مِنْهَا صَدْرُ ، وَتَبْقَى كُعُوبُ

قافية التاء

(٥٠٨)

وقال :

يَا دَهْرُ ، كَمْ هَذَا التَّفَرُّ قُ ، وَالتَّغَرُّبُ ، وَالشَّتَاتُ
أَبْدًا عَلَى سَيْرٍ كَأَنَّ الشَّمْسَ ، لَيْسَ لَهَا ثَبَاتُ
مَتَقَلَّلُ الْعَزَمَاتِ كَالْمَطْلُوبِ أَفْرَقَهُ ^(٤) الْبَيَّاتُ
نَاوٍ عَنِ الْأَهْلِينَ وَالْأَوْطَانِ ، وَالْأَتْرَابِ ^(٥) مَاتُوا

(٢) أقوت الدار : خلت .

(١) راجع ص ١٥٣ و ١٦٤ .

(٣) ما فيها عريب : ما فيها أحد . (٤) أفرقه : أفرقه . (٥) الأتراب : جمع ترب ، وهو من ولد ملك .

وَلَيْسَ عَيْشُ الْمَرْءِ فَإِذَا رَقَهُ الْأَحِبَّةُ وَاللَّدَاتُ
فَالْأَمَّ أَشَقَى بِالْبَقَا ، وَكَمْ تُعَذِّبُنِي الْحَيَاةُ

قافية الراء

(٥٠٩)

وقال في ولده أبي بكر :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو رَوْعِي^(١) وَرَزِيَّتِي وَحُرْقَةَ أَحْشَانِي لَفَقْدِ أَبِي بَكْرٍ
خَلَا نَظَرِي مِنْهُ ، وَكَانَ سَوَادَهُ وَلَمْ يَخُلْ مِنْ حَزْنِي وَوَجَدِي بِهِ صَدْرِي
خَشِبْتُ عَلَيْهِ الْيَتَمَ ، لَكَنَّ مُنْكَلَهُ وَلَوْعَتَهُ لَمْ يَخْطُرَا لِي عَلَى فِكْرِي
فِيالْيَتَةِ لَاقَى الَّذِي كُنْتُ أَخْتَشِي عَلَيْهِ ، وَأَتَى دُونَهُ صَاحِبُ الْقَبْرِ
فَمَا فِي حَيَاتِي بَعْدَهُ لِي رَاحَةٌ فَيَا طَوَّلَ حَزْنِي إِنْ تَطَاوَلَ بِي عُمْرِي
وَلَمْ تُسَلِّنِي الْيَوْمَ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا سُلِّوِي بِمَا أَرْجُو مِنَ الْأَجْرِ فِي الصَّبْرِ

(٥١٠)

وقال فيه :

أُعَاتِبُ فِيكَ الدَّهْرَ ، لَوْ أَعْتَبَ^(٢) الدَّهْرُ وَأَسْأَلُ عَنْ نَهْجِ السُّلُوكِ ، وَقَدْ بَدَأَ
وَأَسْتَنْجِدُ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ ، وَلَا صَبْرُ وَكَيْفَ التَّسْلِي ، وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ
لَعَنِي ، إِلَّا أَنْتَ مَسْلَكُهُ رَمْتَنِي فِي عَشْرِ الثَّمَانِينَ نَكْبَةً
إِذَا مَا انْقَضَى أَمْرٌ بِسَوْءِ أَمْرٍ عَلَى حِينِ أَقْبَى الدَّهْرِ قَوْمِي ، وَاتَزَلَّ
لَهُمْ ذِرْوَةُ الْعِلْيَاءِ وَالْعَدَدُ الدَّهْرُ^(٣)

(١) الروعة : الفزع .

(٢) أعتب : أعطى العني ، وهي الرضا

(٣) الدهر : الكثير من كل . . .

إذا حاربوا فالأسدُ تمحي عرينها
تبيحُ وتمحي منذ كانت سيوفهم :
مضوا ، وانطوت دنياهم ، وتصرمت
فلم يبقَ إلّا ذكرهم ، وتأسفي
وأصبحت لا آلَ يُلبون دعوتي
كأني من غير التراب ، فليس لي
رزئتُ أبا بكرٍ ، على شغفي به
لسيع مضت من عمره ، غاله الردى
وقلت : عتيق من خطوب زمانه
فعاجله قبل التمام حامه
ويأمرني فيه الأخلاء بالآسي^(١)
يقولون : كم هذا البكاء ، ولو بدا
وكنت أظنّ الدمع يُرْدُ غلّي
أبا بكر ، ما وجدى عليك بمنقض
أطلت على الليل ، حتى كأنما
وإني لأستدعي الكرى ، وهونافر
اعلّ خيالاً منك يطرُق مضجعي
تملك الأفكارُ لي كلّ ليلةٍ

وإن سالموا كان التبتّل والدّكر
يُباح بها تغرّ ، ويحمي بها تغرّ
كانهم ما عمروا ، ولها نشر
عليهم ، ولن يبقِ التأسف ، والدّكر
ولا وطن آوى إليه ، ولا وفر
من الأرض ذات العريض دون الوري شبر
فيا لهفتاً ، ما ذا جنى الحادث البكر
وكنت أرحي أن يطول به العمر
عتيق بهذا يخبر الفأل والزجر
ولا عجب ، قد يُخَصِّد^(٢) الغصن النّصر
وهيات ، مالي بالآسي بعده خبر
ضمير الذي بي ، رَقَّ لي ، وبكى الصخر
إلى أن بدا لي أن دمع الآسي بحر
طوال الليالي ، ما انقضى اليوم والشهر
زمان ليلاً كلّهُ ، ماله بخر
به من جفوني أن يلم بها دعر
فاشكوا إليه ما رمان به الدهر
وتؤنسني أشباهك الأنجم الزهر

(١) خضد العود : كسره .
(٢) جمع أسوة : وهي القدرة .

إِذَا لَجَّ بِي شَوْقُ أُتَيْتُكَ زَائِرًا
وَمَا الْقُرْبُ مِنْ قَبْرِ أَجْنَكَ نَافِعِي
أَقُولُ لِنَفْسِي ، حِينَ جَدَّ نِزَاعُهَا :
أَلَسْنَا بَنَى الْمَوْتَى ، إِلَيْهِمْ مَأَلْنَا
فَنَحْنُ كَسَفَرٍ عَرَّسُوا ، وَوَرَاءَهُمْ
مِنَ الْأَرْضِ أَتَشْنُنَا ، وَفِيهَا مَعَادُنَا
هِيَ الْأُمُّ ، لَا بَرٌّ لَدَيْهَا ، وَرَدُّنَا
ثُكُولٌ ، وَلَا دَمْعٌ لَهَا لِأَثَرِ هَالِكٍ
أَضَلَّ الْوَرَى حُبَّ الْحَيَاةِ ، فَحَازِمٌ
فَلَا يَأْمَنُ غَدْرَ اللَّيَالِي أَمِنْ
تُعِيرُ ، وَبِالْقَسْرِ الْعَنِيفِ ارْتِجَاعُهَا
وَنَحْنُ عَائِيهَا عَاكِفُونَ ، وَابَسَ فِي
فَا بَالُنَا فِي سَكْرَةٍ مِنْ طَلَامِهَا
مَضَى مِنْ مَضَى مِمَّنْ حَبَّتْ ، فَأَكْثَرَتْ
وَمَا نَالَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ مِنَ الْغِنَى
يُحَاسِبُ عَنْ قِطْمِيرِهِ^(٦) وَنَقِيرِهِ^(٧)

فَارْجِعْ كَالْخَبُولِ دَلَّهَ السِّحْرُ
إِذَا كَانَتْ فِيمَا بَيْنَنَا لِلثَّرَى سِتْرُ
عَلَيْكَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ ، إِنَّ أَمَكْنَ الصَّبْرُ
بَلَا مَرِيَّةٍ ، وَالْفَرْعُ يَجْذِبُهُ النَّجْرُ^(١)
رِفَاقٌ ، إِذَا وَافَوْهُمْ رَحَلَ السَّفَرُ
وَمِنْهَا يَكُونُ النَّشْرُ ، وَالْبَعْثُ وَالْحَشْرُ
إِلَى بَطْنِهَا بَعْدَ الْوِلَادِ هُوَ الْبَرُّ
وَكُلُّ رَقُوبٍ^(٢) تَاكُلُ دَمْعَهَا هَمْرٌ^(٣)
خَيْرٌ سِوَاءٍ فِي الضَّلَالَةِ وَالْغَرِّ
وَإِنْ امْهَلْتَهُ ، إِنَّ إِمَهَالَهَا خَيْرٌ^(٤)
وَلَا خَيْرَ فِي عَارِيَّةٍ رَدَّهَا الْقَسْرُ
مَوَاهِبًا عُقْبَى تَسْرُ ، وَلَا يُسْرُ
وَمَنْ نَالَهَا مَنَّا يَزِيدُ بِهِ الشُّكْرُ
وَرَاحَتُهُ مِنْ كُلِّ مَا جَمَعَتْ صَفْرُ
عَنْ^(٥) الْفَقْرِ ، فِي يَوْمِ الْمَعَادِ هُوَ الْفَقْرُ
وَلَمْ يَتَّبِعْهُ مِنْهُ كُثْرٌ وَلَا تَزْرُ

(١) النجر : الأصل كالنجار بكسر النون وضعها .

(٢) الرقوب كصبور : المرأة التي لا يبق لها ولد أو مات ولدها .

(٣) همر : منمر .

(٤) الختر : الخديعة .

(٥) في الأصل (هو) واصل ما اختارناه أول .

(٦) القطمير : القشرة الرقيقة التي على النواة بين النواة .

(٧) النقير : النقطة في ظهر النواة والنمر .

وهذا هو أُنْحَسِرُ الميْنُ ، فإِنا لنا
وقد كانَ في آبائنا زاجرٌ لنا
تفانوا ، فبطُن الارِضِ مِنْ بَعْدِ وَحْشَةٍ
وقد دَرَسْتَ آثارَهُمْ وَقُبُورَهُمْ
فهل لي في هَذِي المِوَاعِظِ وَاعِظُ
يَحْتُ عَلَى الصَّبْرِ الجَمِيلِ ، فَإِنَّهُ
وَمَنْ نَزَعَتْ أَيْدِي المِنيَةِ مِنْ يَدَي
حِراصٌ عَلَى أَمْرِ عِوَاقِبِهِ خُسْرُ
يُبَصِّرُنَا ، لو كانَ يردُّعُنَا الزَّجْرُ
بِهِم أَهْلُ مَسْتَأْسٍ ، وَخَلَا الظَّهْرُ
كَمَا دَرَسُوا فِيهَا ، فَلَيْسَ لَهَا أَثَرُ^(١)
يُردُّ مَا يَخْفَى مِنَ الكَمِّ الصَّدْرُ
يُنَالُ بِهِ حُسْنُ المِوَعِظَةِ وَالْأَجْرُ
هُوَ الذَّنْحُ لِي ، فِي يَوْمٍ يَنْفَعُنِي الذَّنْحُ

(٥١١)

وقال فيه :

أزورُ قَبْرَكَ مُشْتاقاً ، فيحِبُّنِي
فأَنْتَ ، وَدُمُوعِي مِنْ جَوَى كَبْدِي
ماهِلَ فَوْقَكَ مِنْ تَرْبٍ وَأَنْجَارِ
تَفِيضُ ، فَأَعْجِبْ لِمَاءِ فَاضٍ مِنْ نَارِ

قافية الزاى

(٥١٢)

وقال :

تَخَرَّمَتْ^(٢) الأَيَّامُ أَهْلَ مودَّتِي
وَأَفْرَدْتُ مِنْهُمْ ، فَارْتِياحِي لِفَقْدِهِمْ
فَنَفْسِي عَنْ أُنْسِ المِسرَاتِ نَاشِرُ
عَلَيْهَا ، إِلَى أَنْ نَأْهَلَا وَهِيَ بَارِزُ
فَقَدْ أَبْرَزَتْ لِحِوَاثِ ، لَيْسَ لِي
كِرْوَعَةٍ تُكَلِّي أَوْجَعْتُهَا الجِنازُ
بَرَّتْهُمْ بِكَارِي القَوْسِ ، جَدَّ الذِي انْحَنَى

(١) الأثر بضم الهمزة : ماء الوجه وروقه .

(٢) تخرَّمَتْ الأَيَّامُ : أَخَذَتْهُمْ وَاسْتَأْصَلَتْهُمْ .

قافية العين

(٥١٣)

وقال ^(١) ووصله كتاب بموت صديق :

صَبْرِي عَلَى فَقْدِ إِخْوَانِي وَفُرْقَتِهِمْ غَدْرٌ، وَأَجَلُ بِي مِنْ صَبْرِي الْجَزَعُ
تَقَاسَمْتُهُمْ نَوَى شَطَّتْ بِهِمْ، وَرَدَّى فَالْحَى كَلِمَتِ، مَا فِي قُرْبِهِ طَمَعُ
وَأَصْبَحَتْ وَحْشَةُ الْغِبَاءِ ^(٢) دُونَهُمْ مِنْ بَعْدِ أُنْسِي بِهِمْ، وَالشَّمْلُ مَجْمَعُ
وَعِشْتُ مُنْفَرِدًا مِنْهُمْ، وَأَقْسَمَ مَا يَكَادُ مُنْفَرِدٌ بِالْعَيْشِ يَنْتَفِعُ

(٥١٤)

وقال :

وَقَفْتُ عَلَى رَسْمٍ بَيِّدَاءَ بَلْقَعٍ ^(٣) خَلِي مِنَ النَّادِي صَمُوتٌ إِذَا دَعَى
نَبَتْ عَنْهُ عَيْنِي، ثُمَّ قَالَ لَهَا الْهَوَى : هِيَ الدَّارُ، فَاسْتَمَرَى شُتُونُكَ ^(٤)، وَادْمَعَى
وَلَا تُنْكِرِي لِلدَّهْرِ إِخْلَاقَ ^(٥) جِدَّةٍ وَتَسْتَيْتِ أَلْفَ، وَإِحْشَاشَ مَجْمَعٍ
فَالْمَوْتُ سَكَّانَ الدِّيَارِ، وَلِلْبَلَى مَنَازِلُهُمْ، وَشَمْلُهُمْ لِلتَّصَدُّعِ
فَصَبْرًا فَإِنْ عَزَّتْ ^(٦) نَوَائِبُ دَهْرِنَا وَأَحْدَانُهُ حُسْنَ التَّصَبُّرِ فَاجْزَعِ

قافية الفاء

(٥١٥)

وقال في ولده أبي بكر ^(٧) :

أَزُورُ قَبْرَكَ ، وَالْأَشْجَانُ تَمْنَعُنِي أَنْ أَهْتَدِيَ لَطَرِيقِي حِينَ أَنْصَرِفُ
فَا أَرَى غَيْرَ أَجَارٍ مُنْضَدَّةٍ قَدْ احْتَوَتْكَ، وَمَاوَى الدُّرَّةِ الصَّدْفُ

(١) هذه القصيدة مما روى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٤ .

(٢) الغبراء : الأرض . (٣) البلقع : الأرض القفر .

(٤) مَرَى الشئ : استخرجه . والشئون : الدموع . (٥) أخلق الجديدي : أبلاه .

(٦) عزه : غلبه . (٧) هذه القصيدة مما روى لأسامة في خريدة القصر ١ : ١٠٥ .

فانثني ، لست أدري أين منقلبي كأنني حائر^(١) في الليل مُعتسف^(٢)
 إن قصر العمر بي عن أن أرى خلفاً له ، ففي الأجر عند الله لي خلف
 أقول للنفس إذ جد النزاع بها : يا نفس ويحك ، أين الأهل والسلف
 ليس هذا سبيل الخلق أجمعهم وكلهم بورود الموت مُعترف
 كم ذا التأسف ، أم كم ذا الحنين ، وهل يرد من قد حواه قبره الأسف

قافية الكاف

(٥١٦)

وقال^(٣) :

أصبحتُ لأشكو الخطوبَ ، وإثماً أشكو زماناً لم يدع لي مُشكئ
 أفنى أخلائي وأهل مودتي وأباد إخوان الصفاء وأهلكا
 عاشوا براحتهم ، ومث لفقدهم فعلى يبكي ، لا عليهم ، من بكي
 بقيت بعدهم كأنني حائر بمفازة ، لم يلق فيها مسلكاً

(٥١٧)

وقال في ولده أبي بكر :

وسّع صبري عن عتيق الإسي^(٤) من بعد ما ضاق بي المسلكُ
 أسلمته ، إذ لم أجد لي يداً بدفع من يطلب ما يملكُ

(١) في الخريدة (خائف) . (٢) المعتسف : الخابط على غير هدى .

(٣) هذا الشعر روى لأسامة في خريدة القصر ١ : ١٠٤ . (٤) الإسي : جمع إسوة وهي القدوة .

عاريةً كانت ، وما كلُّ ما يُعارُ ، يُستَقْنَى ^(١) ، ويُستَمَلَكُ
أعاره مُشترطاً رده والشرط ما بين الوري أملك

قافية اللام

(٥١٨)

وقال فيه :

كيف أنساكَ يا أبا بكرٍ ، ام كيف اصطباري ؟ ما عنك صبري جميلُ
أنت ، حيث اتجهتُ ، في أسودنى عيني وقلبي ، ممثلاً ، لا تزولُ
وعلام الأسي ؟ ونحن كسفَرٍ بعضنا سائرُ ، وبعضُ نزولُ
عرس الأولون ، والآخرا لئلا لي إليهم عما قليل يؤولُ
وإلى حيث عرس الساف الأول لُ ميعادنا ، ومنه القفولُ

(٥١٩)

وقال أيضا فيه :

أحدثتُ عنك بالسُّلوانِ نفسي وهل تسلو موهنة نكولُ
إذا ناجيتها بالصبرِ حنت كما حنت إلى بو عجول ^(٢)
إذا نظرتُ إليه أنكرته وتعطفها الصبابة والغليلُ
ولي في الموتِ يأسٌ مُستينٌ ولكن حالٌ وجدى لا تحولُ
أحنُّ إلى أبي بكرٍ ، وما لي إلى رؤياه في الدنيا سبيلُ

(١) الفنية بالضم والكسر : ما اكتسب ، الجمع قنى . وفقى المال : اكتسبه .

(٢) البو : جلد الحواريمشى بنا فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فندر . والهجول : الواله من الإبل .

فيا لله من يأسٍ مُبينٍ يخالفُ حاله الصبرُ الجميلُ
يغالبني على عقلي حنينٌ إليه ، لا تُغالبُهُ العقولُ
فإنسيني يقينَ اليأسِ منه كما تُنسى مُعاقَرها الشَّمولُ^(١)
ويَلحاني العَدولُ، وليس يدرى بما أُخفي من الكَمَدِ العَدولُ
إذا نامَ الخَلْقُ أراحَ^(٢) همي وأسهرَ ليلي الحزنُ الدَّخيلُ
كَأنَّ نجومَ ليلي مَوثِقَاتُ فليستُ من أَمَاكِنِهَا تَزولُ
وما في الصُّبْحِ لى رَوحٌ^(٣)، ولكن به يتعلَّلُ الدَّنِفُ^(٤) العَلِيلُ
نَهَارِي لا يَلأُمُّني سُلُوٌّ ويلي لا يُفارِقني العويلُ

(٥٢٠)

وقال فيه :

لعمرك ما يُنسيني الدَّهْرُ روعتي^(٥) يَفقدُ أبي بكرٍ حياتي، ولا يُسلي
خَشِيتُ عليه اليُتمَ بعدى، فليتني رُميتُ بما أَخشى، ولم أُرَمَ بالشُّكلِ
فكلُّ بعيدٍ يُرتجى جَمْعُ شَمْلِهِ وَبَعْدُ المنايا غيرُ مُجْتَمِعِ الشَّمْلِ

(٥٢١)

وقال ، يندب وطنه وأهله الهالكين في الزلازل بحصن شيزد^(٦) :

حيًّا رُبوعك ، من رُبِّي ومنازلِ سَارِي الغَمامِ بكلِّ هامٍ هَامِلِ
وسَقَتِكَ يادَارَ الهوى بعد النَّوى وَطَفَاءُ^(٨) تَسْفَحُ بالهتُونِ الهاطِلِ

(١) الشَّمول : الخمر . ومعاقرها : المدين على شربها .

(٢) أراح الحزن همي : أى أعاد الحزن همي على عشية ، من أراح الراعي الإبل على أهلها .

(٣) الروح . الراحة . (٤) تعلل بالأمر : تشاغل به . والدنف : المريض .

(٥) الروعة : الفزعة . (٦) انظر ما سبق ص ٢٨٧ . (٧) هملت عينه : فاضت .

(٨) صحابة وطفاء : مسترخية لكثرة ماها ، أو هي الدائمة السح .

حَتَّى تُرَوِّضَ^(١) كُلَّ مَا حِجِلٍ عَافٍ ، وَتُرَوِّى كُلَّ ذَاوِ ذَابِلٍ
أَبْكِيكَ ، أَمْ أَبْكِي زَمَانِي فِيكَ ، أَمْ شَرَحَ الشَّبَابِ الرَّاحِلِ
مَاقْدَرُ دَمْعِي أَنْ يَقْسِمَهُ الْأَسَى
أَنْفَقْتُهُ سَرَفًا ، وَهَا أَنَا مَائِلٌ
وَإِذَا فَرَعْتُ إِلَى الْعَزَاءِ دَعْوَتُ مَنْ
أَيْنَ الطَّبَاءِ عَهْدَتِهِنَّ كَوَانِسًا
التَّافَرَتُ مِنَ الْأَنْبَسِ تَكْرُمًا
مَنْ كُلِّ مَكْرُوهِ اللَّقَاءِ مُنَازِلٍ
مُتَمَنِّعٌ صَعِبٌ عَلَى أَعْدَانِهِ
عَزَّوْا عَلَى الدُّنْيَا ، وَخَالَفَ فِعْلُهُمْ
حَتَّى إِذَا اغْتَالَتْهُمْ بِخَطْوِيهَا
دَرَسَتْ مَنَازِلَهُمْ ، وَأَوْحَشَ مِنْهُمْ
وَاهًا لَهُمْ مِنْ عَالِمٍ وَمَعَالِمٍ
كَانُوا شَبِيَّ فِي صَدْرِ كُلِّ مُعَانِدٍ
غَوْنًا لِلْمُهِوِّفِ ، وَمُلْجَأًا لِأَجْيَاءِ
ذَهَبُوا ذَهَابَ الْأَمْسِ مَا مِنْ مُخْبِرٍ
وَبَقِيَتْ بَعْدَهُمْ حَلِيفَ كَلَابَةِ
سَعَدُوا بِرَاحَتِهِمْ ، وَهَا أَنَا بَعْدَهُمْ
فَاعْجَبْ لَشَقْوَةٍ مُتَعَبٍ بِمُقَامِهِ

عَافٍ ، وَتُرَوِّى كُلَّ ذَاوِ ذَابِلٍ
أَهْلِيكَ ، أَمْ شَرَحَ الشَّبَابِ الرَّاحِلِ
وَالْوَجْدُ بَيْنَ أَحِبَّةٍ وَمَنَازِلِ
فِي مَاحِلٍ ، أَبْكِي بِحُفْنِ مَاحِلٍ^(٢)
لَا يَسْتَجِيبُ ، وَرُمْتُ نَصْرَةَ خَاذِلِ
بِكَ فِي ظِلَالِ السَّمْهَرِيِّ الذَّابِلِ^(٣)
وَالْأَنْسَاتُ بِكُلِّ لَيْثٍ بِأَسَلِ
رَحِبِ الْفَنَاءِ لَطَارِقٍ أَوْ نَازِلِ
سَهْلِ الْمَقَادَةِ لِلخَلِيلِ الْوَاصِلِ
أَفْعَالَهَا ، فَبَغَتْهُمْ بِغَوَائِلِ^(٤)
وَرَمَتْهُمْ بِجَوَادِثِ وَزَلَزِلِ
مَأْنُوسُ أُنْدِيَةِ وَعَزُّ مُحَافِلِ
وَمُنْعَاتِ عَقَائِلِ وَمَعَاقِلِ
وَقَذَى يَجُولُ بَعَيْنِ كُلِّ مُحَاوِلِ
وَجَوَارِ رَبِّ جَرَائِرِ وَطَوَائِلِ^(٥)
عَنْهُمْ ، وَزَالُوا كَالظَّلَالِ الزَّائِلِ
مُسْتَوْرَةٍ بِخُجْمِلِ^(٦) وَتَحَامِلِ
فِي شَقْوَةٍ تُضْنِي ، وَهَمٌّ دَاخِلِ
مَنْ بَعْدَ أَسْرَتِهِ ، وَرَاحَةُ رَاحِلِ

(١) رَوِّضَ الْمَكَانَ : جَعَلَهُ رَوْضَةً . (٢) يَرِيدُ بِمَاحِلِ الْأَوَّلِ : الْمَنْزِلَ الْجَدْبَ . وَبِمَاحِلِ الثَّانِيَةِ الْجَامِدَ الَّذِي لَا يَدْمَعُ .

(٣) كَنَسَ الظَّالِمِي : دَخَلَ فِي كَنَاسِهِ وَهُوَ مُسْتَرْدٌّ فِي الشَّجَرِ . وَالسَّمْهَرِيُّ : الرِّيحُ الصَّالِبُ . وَالذَّابِلُ : الرِّقِيْقُ .

(٤) الْغَوَائِلُ : الدَّوَاهِي . (٥) الْجَرِيرَةُ : الْجَنَائِيَةُ . وَالطَّائِلَةُ : التَّرَةِ (٦) التَّجْمِلُ : التَّصْبِيرُ .

دَعَا ، فَأَنْتَ عَلَى الْحَوَادِثِ مَرَوَةٌ^(١) تَلْقَى الرِّزَايَا عُلَا كَالْجَاهِلِ
وَاصْبِرْ ، فَمَا فِيمَا أَصَابَكَ وَصْمَةٌ كُلُّ الْوَرَى غَرَضٌ لِسَهْمِ النَّابِلِ^(٢)

قافية النون

(٥٢٢)

وقال في المعنى أيضا :

حَامِئِ الْأَيْكِ^(٣) هَيَّجُنْ أَشْجَانَا
كَمْ ذَا الْحَيْنِ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ؟! أَمَا
هَلْ ذَا الْعَوِيلُ عَلَى غَيْرِ الْمَدِيلِ^(٤) ، وَهَلْ
مَا وَجَدُ صَادِحَةً فِي كُلِّ شَارِقَةٍ
كَمَا وَجَدْتُ عَلَى قَوْمِي تَحَوَّنَهُمْ
إِذَا نَهَى الصَّبْرُ دَمْعِي عِنْدَ ذِكْرِهِمْ
قَالُوا : تَأَسَّ ، وَمَا قَالُوا بِمَنْ ، وَإِذَا
مَا حَدَّثَنِي بِالسُّلُوبِ بَعْدَهُمْ
مَا اسْتَدْرَجَ الْمَوْتُ قَوْمِي فِي هَلَاكِهِمْ
فَكُنْتُ أَصْبِرُ عَنْهُمْ صَبْرَ مُحْتَسِبٍ
وَأَقْتَدِي بِالْوَرَى قَبْلِي ، فَكَمْ فَقَدُوا
فَلَيْكَ أَصْدُقْنَا بَنَّا وَأَشْجَانَا
أَفَادَكُنْ قَدِيمُ الْعَهْدِ نِسْيَانَا
فَقِيدَكُنْ أَعَزُّ الْخَلْقِ فَقْدَانَا
تُرْجِعُ النَّوْحَ فِي الْأَفْنَانِ أَلْحَانَا
رَيْبُ الْمَنُونِ وَدَهْرُ طَالٍ مَا خَانَا
قَالَ الْأَسَى : فَضْ ، وَجُدْ سَخَا وَتَهْتَانَا
أَفَرِدْتُ بِالرُّزْءِ مَا أَنْفَكَ أُسْوَانَا^(٥)
نَفْسِي ، وَلَا حَانَ سُلُوَانِي وَلَا آتَانَا
وَلَا تَخَرَّمَهُمْ^(٦) مَتْنِي وَوُحْدَانَا
وَأَحْمَلُ الْخَطْبَ فِيهِمْ عَزَّ أَوْ هَانَا
أَخَا ، وَكَمْ فَارَقُوا أَهْلًا وَجِيرَانَا

(٢) النَّابِل : صَاحِبُ النَّبَالِ . وَالْوَصْمَةُ : الْعَارُ .

(١) الْمَرَوَةُ : هَجَارَةٌ بِيضٌ بَرَّاقَةٌ .

(٣) الْأَيْكُ : الشَّجَرُ الْمُلْتَفُّ السَّكْبَرُ .

(٤) الْمَدِيلُ : فَرْخٌ حَامٍ زَعَمُوا أَنَّ جَارِحًا مِنَ الطَّيْرِ صَادَهُ فَا مِنْ حَامَةٍ إِلَّا وَهِيَ تَبْكِي عَلَيْهِ .

(٦) تَخَرَّمَهُمْ : اسْتَصَلَّهُمْ .

(٥) الْأُسْوَانُ : الْحَزِينُ .

لَكِنَّ سَقَبَ^(١) الْمَنَآيَا وَسَطَ جَمْعِهِمْ رَغَا ، نَفَرُوا عَلَى الْأَذْفَانِ إِذْعَانًا
وَفَاجَأَتْهُمْ مِنْ الْأَيَّامِ قَارِعَةٌ سَقَتْهُمْ بِكُتُوسِ الْمَوْتِ ذَيْفَانًا^(٢)
مَاتُوا جَمِيعًا كَرَجَجِ الطَّرْفِ ، وَانْقَرَضُوا هَلْ مَا تَرَى تَارِكٌ لِلْعَيْنِ إِنْسَانًا
أَعَزَّزَ عَلَى بَهِيمٍ مِنْ مَعَشَرٍ صَبْرٌ عِنْدَ الْحَفِظَةِ إِنَّ ذُو لُؤْتَةَ^(٣) لَنَا
لَمْ يَتْرِكِ الدَّهْرُ لِي مِنْ بَعْدِ فَقْدِهِمْ قَلْبًا أَجْشَمُهُ صَبْرًا وَسَلَوَانًا
فَلَوْ رَأَوْنِي لَقَالُوا : مَاتَ أَسْعَدُنَا وَعَاشَ لِلَّهِمُ وَالْأَحْزَانِ أَشْقَانَا
لَمْ يَتْرِكِ الْمَوْتُ مِنْهُمْ مَنْ يُخَبِّرُنِي عَنْهُمْ ، فَبُوضِحَ مَا لَأَقْوَهُ تَيْيَانًا
بَادُوا جَمِيعًا ، وَمَا شَادُوا ، فَوَا عَجَبًا لِلخَطْبِ ، أَهْلَكَ عُمَرَاءَ وَعُمَرَاءَ
هَذِي قُصُورُهُمْ أَمْسَتْ قُبُورُهُمْ كَذَاكَ كَانُوا بِهَا مِنْ قَبْلِ سُكَّانًا
وَمَجَّ الزَّلَازِلُ ، أَفْنَتْ مَعَشِرِي ، فَإِذَا ذَكَرْتُهُمْ ، خِلْتَنِي فِي الْقَوْمِ سَكَرَانًا
يَنِي أَبِي ، إِنْ تَيْلُدُوا ، أَنْ عَدَا زَمَنٌ عَلَيْكُمْ دُونَ هَذَا الْخَلْقِ عُدُونًا
فَلَنْ يَبِيدَ جَوَى^(٤) قَلْبِي وَلَا كَمَدِي عَلَيْكُمْ أَوْ يُبِيدَ الدَّهْرُ نَهْلَانًا^(٥)
أَفْسَدْتُمْ عَمْرِي الْبَاقِيَ عَلَى ، فَمَا أَنْفَكُ فِيهِ كَثِيبَ الْقَلْبِ وَلَهَانًا
أَفْرَدْتُ مِنْكُمْ ، وَمَا يَصْفُو لِمَنْفَرِدٍ عَيْشُ ، وَلَوْ نَالَ مِنْ رِضْوَانِ رِضْوَانًا
فَلَيْتَنِي مَعَهُمْ ، أَوْلَيْتَ أَنَّهُمْ بَقُوا ، وَمَا بَيْنَنَا بَاقٍ كَمَا كَانَا
لَقِيتُ مِنْهُمْ تَبَارِجَ^(٦) الْعُقُوقِ ، كَمَا لَقِيتُ مِنْ بَعْدِهِمْ هَمًّا وَأَحْزَانًا

(١) السقب : ولد الناقة . (٢) الذيفان : بفتح الذال وبكسرهما : السم القاتل .

(٣) اللؤة بالضم : الاسترخاء والبطء والضعف . وهو مجزيت لقريط بن أنيف النعبري .

إذا لقام بنصرى معشر عشن عند الحفيظة إن ذو لؤة لانا

(الحاسة ١٤)

(٥) نهلان : جيل .

(٤) الجوى : شدة الوجد .

(٦) تبارج العقوق : شدة .

لَوْلَا شِمَاتُ الْأَعَادَى عِنْدَ ذِكْرِهِمْ
أُرْدُ فَيَضَ دُمُوعِي فِي مَسَالِكِهَا
لَا أَلْتَقَى الدَّهْرَ مِنْ بَعْدِ الزَّلَازِلِ مَا
أُنْخَسَتْ عَلَى مَعْشَرِي الْأَدْنَى، فَاصْطَلَمَتْ^(١)
كَمْ رَامَ مَا أَدْرَكَتُهُ مِنْهُمْ مَلَكٌ
لَمْ يَحْمِمْهُمْ حِصْنُهُمْ مِنْهَا ، وَلَا رَهْبَتْ
أَتَاهُمْ قَدْرٌ لَمْ يُنْجِهِمْ حَذَرٌ
إِنْ أَقْفَرَتْ شِيزَرُ مِنْهُمْ ، فَهَمَّ جَعَلُوا
هُمْ حَمَوْهَا ، فَلَوْ شَاهَدَتْهَا ، وَهُمْ
كَانُوا لِمَنْ خَافَ ظُلْمًا أَوْ سَطَا مَلِكٌ
عَلَوْا بِمَجْدِهِمْ سَيْفَ بَنِي زَيْنٍ
كَانُوا مَلَاذًا لِأَيْتَامٍ وَأَرْمَالَةٍ
إِذَا أَتَيْتَهُمْ أَلْفَيْتَ شَطْرَهُمْ
تَرَاهُمْ فِي الْوَعَى أَسْدًا ، وَيَوْمَ نَدَى
حَاولْتُ كِتْمَانَ بَنِي بَعْدَ فَقْدِهِمْ
لَعَلَّ مَنْ يَعْرِفُ الْأَمْرَ الَّذِي بَعْدَتْ
يَقُولُ بِالظَّنِّ ، إِذْ لَمْ يَدْرِ مَا خُلِقِي
أَسْمَاءُ لَمْ يَسُوْهُ فَقَدْ مَعْشِرُهُ

لَغَادَرْتُ أَدْمُعِي فِي الْأَرْضِ غُدْرَانًا
فَتَسْتَحِيلُ مِيَاهَ الدَّمْعِ نِيرَانًا
بَقِيْتُ إِلَّا كَسِيرَ الْقَلْبِ حَيْرَانًا
مِنْهُمْ كَهَوْلًا ، وَشَبَابًا ، وَوَلَدَانًا
فَعَادَ بِالْيَأْسِ مِمَّا رَامَ لَهْفَانًا
بِأَسَا تَنَازَرَهُ^(٢) الْأَقْرَانُ أَزْمَانًا
مِنْهُ ، وَهَلْ حَذَرٌ مُنْجٍ لِمَنْ حَاذَ^(٣)
مُنْجَعِ أَسْوَارِهَا بَيْضًا وَخُرْصَانًا^(٤)
بِهَا ، لِشَاهِدَتِ آسَادًا وَخَفَقَانًا^(٥)
كَهْفًا ، وَلِلْجَانِي الْمَطْلُوبِ جِيرَانًا
كَمَا عُلْتُ شِيزَرُ فِي الْعِزِّ غَمْدَانًا^(٦)
وَبَائِسٍ فَاقِدِ أَهْلًا وَأَوْطَانًا
مُسْتَرْفِدِينَ^(٧) وَزُورَارًا وَضَيْفَانًا
غِيثًا هَتُونًا ، وَفِي الظُّلُمَاءِ رُهْبَانًا
فَلَمْ يُطِقْ قَلْبِي الْحَزُونَ كِتْمَانًا
بَعْدَ التَّصَاقُفِ مِنْ جَرَّاهُ دَارَانًا
وَلَا مُحَافَظَتِي مِنْ حَانَ^(٨) أَوْ بَانًا :
كَمْ أَوْغَرُوا صَدْرَهُ غِيظًا وَأَضْغَانًا^(٨)

(١) اصطبله : استأصله .

(٢) تناذروا : أُنذِر بعضهم بعضًا .

(٣) حان : هلك .

(٤) البيض : السيوف . والخُرْصَان : الرماح .

(٥) الخفان : مأسدة .

(٦) سيف بن ذي يزن : أحد ملوك اليمن . وغمدان : قصر ضخم باليمن .

(٧) مسترفدين : طالين للرفد ، وهو العطاء والصلوة .

(٨) الأضغان : جمع أضغ ، وهو الحقد .

وما درى أنَّ فى قلبى لفقدهمُ نارا تَلْطَى ، وفى الأجفانِ طوفانا
 بنو أبى ، وبنو عمى ، دَمى دُمهم وإنَّ أرونى مُناواةً وشَنَاناً^(١)
 كانوا جَناحى ، فَصَنَتَهُ^(٢) الخطوبُ ، وإخـوانى ، فلم تُبَقِ لى الأيامِ إخوانا
 كانوا سُيوفى ، إذا نازلتُ حادثةً وجُتّى ، حين ألقى الخطبَ عُريانا
 بهم أصولُ على الأمرِ المهولِ ، إذا عرا ، وألقى عبوس الدهرِ جذلانا
 فكيف بالصبرِ لى عنهم ، وقد نظّموا دَمعى على فقْدِهِم دُرّاً ومَرَجانا
 يُطَيِّبُ النَّفْسَ عنهم أَنَّهُم رَحَلُوا وخَلَفُونى على الآثارِ بَعْلانا^(٣)
 سقى نِزْرى أودِعُوهُ رَحمةً ملأتْ مئوى قُبُورِهِم رَوْحاً ورِنْجاناً
 وألبسَ اللهُ هَاتِيكَ العظامَ ، وإنَّ بَلينَ تحتَ الثرى ، عفواً وغُفراناً

(٥٢٣)

وقال :

حَسْبى من العيشِ ، كم لاقِيتُ فيه أذى أَقلُّهُ فَقَدْ أترابى وخُلَّانى
 لم يَبَقْ لى مُشْتَكى بِثِ أَحْمَلُهُ هَمّى ، ولا مَنْ إذا استصرختُ لَبَّانى
 وَصَمَّ عَنّى صدى صوتى ، وأفردنى ظَلّى ، ومَلَّ الكَرَى والطيفُ غِشيانى
 وما نظرتُ إلى ما كان يُبْهِجُنى إلّا شِجَانى ، وآسَانى^(٤) ، وأبْكَانى

(١) الشَّان : البغض .

(٢) الخصى : حلق الشَّعر .

(٣) المِجْلان : التاكُل والواله .

(٤) شِجاء : حزنه والأسا : الحزن .

(٥٢٤)

وقال :

نَاحَتْ ؛ فَبَاحَتْ فِي فُرُوعِ الْبَانِ عَنْ لَوْعَتِي وَعَنْ جَوَى أَحْزَانِي
بِخَيْلَةِ الْعَيْنَيْنِ بِالدَّمْعِ ، وَلِي عَيْنٌ تَجُودُ بِالنَّجِيعِ ^(١) الْقَانِي
إِذَا دَعَتْ أَجْبَتْهَا بَرُوعَةٌ ^(٢) وَرَقٌ ^(٣) تَدَاعَتْ فِي ذُرَا الْأَغْصَانِ
وَحَسَرْتَنِي أَنَّ الزَّمَانَ غَالَ مَنْ كُنْتُ إِذَا دَعَوْتُهُ لِبَّانِي

أخر ما تضمنته الأبواب المذكورة من شعره

(١) النجيع : دم الجوف .

(٢) البروعة : الفرعة .

(٣) الورق : جمع ورقاء ، وهي الجملة .

مسمّطات من شعره أفردت عن الأبواب المذكورة

(٥٢٥)

قال مسمطا^(١) شعرا لقيس بن ذريح :

كعهديكَ باناتُ الحمى فوقَ كُنْهِها
ودارُ الهوى تحمى العدا سرحَ سربها
أقولُ، وسمرُ الخطِّ مجبُّ لحبِّها :
سقى طللَ الدار التي أتمُّ بها حَنائِمَ^(٢) وبلِّ صيفُ وربيعُ
بِدَارِكَ ما بى : من بلى الشوقِ، والهوى
وبى ما بىها : من وحشةِ الينِّ، والنوى
سأروى ثراها من دُموعى إن ارتوى
وخيماتُك اللاتي بمنعرجِ اللوى بِلينِ بلى لم تبْلِهِنَّ رُبوعُ
وما الجورُ عن نهجِ السُّلُوِّ أعاجنى
على ذى أثافٍ^(٣) كالحمَامِ الدَّواجِنِ
ولكنَّ وفاءً ، ورْدَهُ غيرُ آجِنِ^(٤)
ولو لم يَهْجِنِ الطَّاعِنُونَ لهاجِنِي حاتمُ ورقٌ فى الدِّيارِ وقُوعُ

(١) التسميط : أبيات تجمعها فافية واحدة مخالفة لقوافي الأبيات .

(٢) الحنائم : السحاب السود .

(٣) الأثافى : جمع أثفية ، وهى الحجر يوضع عليه القدر .

(٤) الآجِن : الماء المتغير العلم واللون .

هَوَاتِفُ يَذْكُرْنَ الشَّجَى أَخَا الْجَوَى
زَمَانَ التَّدَانِي قَبْلَ رَافِعَةِ النَّوَى
وَطِيبَ لِيَالِهِ الْحَمِيدَةِ بِاللَّوَى
تَدَاعَيْنِ، فَاسْتَبْكَيْنِ مَنْ كَانَ ذَا هَوَى
نَوَائِحُ لَمْ تَذْرِفْ لَهَبَ دُمُوعُ
إِذَا مَا نَسِيمُ هَبَّ مِنْ جَانِبِ الْحَمَى
أَقُولُ، وَأَشْوَاقِي تَزِيدُ تَضَرُّمًا:
عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو بِهِمْ ، وَلَعَلَّهَا
وَإِنِّ انْهَمَالَ الدَّمْعُ يَا لَيْلُ كَلَّمَا ذَكَرْتُكَ وَحْدَى خَالِيًا لَسَرِيعُ
وَلَوْ عَادَ يَوْمٌ مِنْكَ يَا لَيْلَ ، قَدْ خَلَا
يُعْمِرِي أَوْ شَرَحَ الشَّبِيهَةَ مَا ذَلَا
وَقَدْ عَزَقَتْ نَفْسِي عَنِ الْمَجَرِّ وَالْقَلَى
وَسَوْفَ أَسْلَى النَّفْسَ عَنْكَ ، كَمَا سَلَا عَنْ الْبَلَدِ النَّائِي الْخَوْفُ تَزْيِيعُ^(١)
أَيَرْجُو لِي اللَّاحِي مِنْ الْحَبِّ مَخْلَصًا
وَقَائِي إِذَا مَا رُضْنُهُ بِالْأَمْسَى عَصَى
وَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالْحَصَى فَلِقَ الْحَصَى
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو نِيَّةً شَقَّتْ الْعَصَا هِيَ الْيَوْمَ شَتَّى ، وَهِيَ أَمْسٍ جَمِيعُ

(١) التزيع : الغريب ، كالتنازع .

أَطَاعَتْ بِنَا لَيْلَى اقْتِرَاءَ التَّكَذُّبِ
 وَصَدُّ التَّجَنِّي غَيْرُ صَدِّ التَّعَبِ^(١)
 فَيَا لَكَ مِنْ دَهْرٍ كَثِيرٍ التَّقَلُّبِ
 مَضَى زَمْنٌ ، وَالنَّاسُ يَسْتَشْفِعُونَ بِي فَهَلْ لِي إِلَى لَيْلَى الْفُ شَنِيعُ
 الْأَنْغَبَةِ^(٢) مِنْ بَرْدِ أَنْيَابِهَا الْعُلَى
 وَرَدُّ زَمَانٍ كَالْأَهْلَةِ يُجْتَلَى
 فَقُولَا لَهَا : جَادَتْكِ وَاهِيَةُ الْكُلَى^(٣)
 أَرَا جِعَةً يَا لَيْلَى أَيَامُنَا الْأُلَى بِذِي الرِّمْتِ^(٤) أَمْ لَا ، مَا لَهْنِ رُجُوعُ
 أَعَاذَتْنِي ، مَالِي ، هُدَيْتِ ، وَمَالِكَ
 لَقَدْ سَاءَ فَنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكَ
 ذَرِينِي ، فَلَوْ مِ صَلَّةٍ مِنْ ضَلَالِكَ
 لَعَمْرُكَ ، إِنِّي يَوْمَ جِرْعَاءِ^(٥) مَالِكٍ لَعَاصٍ لَامِرِ الْعَاذِلَاتِ مُضْيعُ
 أَعِذْ ذِكْرَهَا ، أَحْبِبْ إِلَيَّ بِذِكْرَهَا
 وَدَعْ ذَنْبَهَا ، فَالْحُبُّ مُبْدٍ لِعِذْرَهَا
 فَمَا زِلْتُ فِي حَالِي وَفَانِي وَغَدْرَهَا
 إِذَا أَمَرْتَنِي الْعَاذِلَاتُ بِهَجْرَهَا هَفَّتْ كَيْدٌ عَمَّا يَقْلُنَ صَدِيعُ^(٦)

(١) تجنى عليه : أذى ذنباً لم يفعله . والتعب : مخاطبة الأدلّال . (٢) النّبة : الجرعة ويضم ، أو الفتح ليرة والضم للامم .

(٣) كلية السحاب : أسفله . (٤) الرمت في الأصل : مرعى للإبل من الحمض ، وشجر يشبه النضى ، وهذا مكان .

(٥) الجرعاء : الأرض ذات الحزوة تشاكل الرمل ، أو الكتيب جانب منه رمل وجانب حجارة .

(٦) هفا : ذهب في إثر الشيء . موصدع : مشقوقة .

يَزِيدُ هَوَى لَيْلَى رِضَاَهَا، وَعَتْبُهَا
وَبُعْدُ نَوَاهَا، إِن تَنَاءَتْ، وَقُرْبُهَا
وَلَمْ يَنْهِنِي صَدَقُ اللّوَا حِي، وَكَذْبُهَا
وَكَيْفَ أَطِيعَ الْعَاذِلَاتِ، وَحُبُّهَا يُورِقْنِي، وَالْعَاذِلَاتُ هُجُوعُ

(٥٢٦)

وقال يسمط شعرا للمجنون :

أَيَا لَأَنَّمِي فِي وَقْفَةِ الْمُتَلَوِّذِ^(١)
عَلَى عَرَصَاتِ الدَّارِ، بِالْحَمَرِ مُحْتَدِي
أَقْلَبُ فِي عِرْقَانِهَا النَّاطِرَ الْقَدِي
لِعَمْرُكَ ، إِنَّ الْبَيْتَ بِالظَّاهِرِ الَّذِي مَرَرْتُ ، فَلَمْ أُثِمَّ بِهِ ، لِي شَائِقُ
يُرَاجِعُ قَلْبِي عِنْدَ رُؤْيَاهُ جَهْلَهُ
وَيَرْكَبُ صَعْبَ الْأَمْرِ فِيهِ وَسَهْلَهُ
وَيَسْفَحُ فِيهِ مَذْمَعِي مُسْتَهْلَهُ
وَلِإِنِّ مُرُورِي ، لَا أَكَلِّمُ أَهْلَهُ أَشَدُّ مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي أَنَا ذَائِقُ
وَفِي ذَلِكَ الْبَيْتِ الَّذِي أَتَعَزَّلُ
حِذَارَ وَشَاةِ الْحَيِّ أَدْمَاءَ مُغْزِلِ^(٢)
يَجِدُّ هَوَاهَا بِالنَّفُوسِ وَتَهْزِلُ
وَبِالْخَرْجِ مِنْ أَعْلَى الْجَنِينَةِ مَزْلُ فِسِيحٍ ، شَجِي صَدْرِي بِهِ مُتَضَائِقُ

(١) لآذبه : لجا ، ولاوذة ملاوذة : استتر .

(٢) الأدمة في الغلباء : لون مشرب بياضا . وغاية مغزل : ذات غزال .

سَاعِلِينَ ، وَالْمَصْدُورُ لَا بَدَّ يَنْفُثُ
صَمَانَةً^(١) حُبَّ بِالْجَوَانِحِ تَضْبِثُ^(٢)
يُقَاسِمُنِي صَبْرِي عَلَيْهَا وَيَحْتُثُ
وَمَاذَا عَسَى الْوَاشُونَ أَنْ يَخْدَتُوا سِوَى أَنْ يَقُولُوا : إِنِّي لَكَ عَاشِقُ
هَوَى فِي عَفَافٍ لَمْ تُدْنَسْهُ رِيبةُ
كَمَا كَانَ يَهْوَى قَيْسُ لُبْنَى وَتَوْبَةُ
أَقُولُ ، وَلِلْوَاثِي سَهَامٌ مُصِيبَةٌ :
أَجَلٌ ، صَدَقَ الْوَاشُونَ ، أَنْتِ حَبِيبَةٌ إِلَيَّ ، وَإِنْ لَمْ تَصِفْ مِنْكِ الْخَلَائِقُ
سَاخِضُ لِلطَّيْفِ الْمَلَمِ بَعْتِكُمْ
وَالصِّقُ خَدَيَّ فِي الدِّيارِ بِتُرْبِكُمْ
وَمَا زِلْتُ فِي حَالِي نَوَاتِكُمْ وَقُرْبِكُمْ
يَضُمُّ عَلَى اللَّيْلِ أَوْصَالَ حَرِّكُمْ كَمَا ضَمَّ أَطْرَافَ الْقَمِيصِ الْبَنَاتُ^(٣)
هِيَ الدَّارُ ، مَنْ لِي أَنْ أُسَوِّفَ^(٤) تُرَابَهَا
وَأَبْكِي لَيَالِينَا بِهَا وَانْقِلَابَهَا
وَسُمْرًا بِهَا نَحْيُ الْأَعَادِي قِبَابَهَا
كَأَنَّ عَلَى أُنْيَابِهَا الْخُمْرَ شَابَهَا بِمَاءِ النَّدى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ غَابِقُ^(٥)

(١) الضمّة بالضم ، وكسحاب ومخابة : المرض .

(٢) ضبث به يضبث : قبض عليه بكفه .

(٣) البنية : جيب القميص .

(٤) السوف : الشم .

(٥) الذبوق : ما يشرب بالعشى — غبق : مقاء ذلك .

نَأَوَا ، وَعَسَى تَدُنُو بِهِمْ نِيَّةً ، عَسَى
بِشْمِسٍ تَرَدَّتْ فِي الظَّهْرِ حِنْدَسَا ^(١)
كَأَنَّ فِيهَا الرُّوضُ لَيْلًا تَنْفَسَا
وَمَا ذُقْنَاهُ إِلَّا بَعِينِي تَفْرَسَا كَمَا شِيمَ مِنْ أَعْلَى السَّحَابَةِ بَارِقُ

(٥٢٧)

وقال مصرعا قصيدة مهيأ ^(٢) :

أَسَاءَتْهَا لِلْبَيْنِ وَهُوَ عَجُولُ
تَأَنَّ ، فَمَا هَذَا الْمَسِيرُ قُفُولُ
وَقُلْ لِي ، فَإِنَّ الْمُسْتَهَامَ سَوُولُ
لِمَنْ طَالَعَاتُ فِي السَّرَابِ أَفُولُ يَقُومُهَا الْحَادُونَ ، وَهِيَ تَمِيلُ
تَجَانَفْنَ عَنْ وَغْتِ الطَّرِيقِ وَسَهْلِهِ ^(٣)
وَأَعْرَضْنَ عَنْ خَضْبِ الْمَرَادِ ^(٤) وَمَحْلِهِ
فَهِنَّ عَلَى جَوْرِ الْغَرَامِ وَعَدْلِهِ
نَوَاصِلُ ^(٥) مِنْ «جَوِّ» ^(٦) خَوَاضِ مِثْلِهِ صُعُودُ عَلَى حَكَمِ الطَّرِيقِ ^(٧) تَزُولُ

(١) الخندس : الظلمة . (٢) رويت هذه القصيدة في جمهرة الإسلام ج ٢ ص ٢٥٥ مخطوطة دار الكتب
٩٣٢٣ أدب وذكرها تحت الباب الثالث من الخمس . وقصيدة مهيأ ربدوانه المطبوع بدار الكتب ٣ : ١٨٨ .
(٣) في الجمهرة . مهله . تحريف . وتجانف : تمايل . والوعث : الطريق العسر .
(٤) المراد : موضع الارتداد وهو طلب الكلاء . (٥) في الجمهرة «فواصل» تحريف . ونصل : نرج .
(٦) جو : موضع . (٧) في ديوان مهيأ (الزمان) .

إِذَا أَجْفَلْتُ فِي الْبَيْدِ جُفْلَ نَعَامِهَا
 كَأَنَّ أَقَاعِي الرَّمْلِ تُخِي زِمَامِهَا
 ثَنَّتْ لَيْتَهَا ^(١) تَحَوَّ الصَّبَا وَانْتَسَامِهَا
 هَوَاهَا وَرَاهَا ، وَالسَّرَى عَنْ ^(٢) أَمَامِهَا فَهَنَ صَحِيحَاتُ النَّوَظِرِ حَوْلُ
 بِهَا مِثْلَ مَا بِالظَّاعِنِينَ كَابَةً
 وَصَبْرُهُمَا بَعْدَ الْفِرَاقِ خِلَابَةً ^(٣)
 وَلِلشَّوْقِ مِنْهَا ، مَا ^(٤) دَعَاها ، إِجَابَةً
 تَضَاعَى ^(٥) ، وَفِي قَرِطِ التَّضَاعَى صَبَابَةٌ وَتَرَعُو ، وَفِي طُولِ الرِّغَاءِ غَلِيلُ
 أَهْلَةٌ بِيَدٍ ، وَالْأَهْلَةُ فَوْقَهَا
 إِذَا لَحَتْ أَجْبَالَ سَلَمَى وَرَوَقَهَا ^(٦)
 كَفَى شَوْقُهَا شَلَّ ^(٧) الْحُدَاةَ وَسَوْقَهَا
 تُرَادُّ عَلَى "نَجْدٍ" ، وَيَجْذِبُ شَوْقُهَا مَظْلَّ عِرَاقِي الثَّرَى وَمَقِيلُ
 أَلَّا قَلْبًا تَصْفُو مَعَ الْبَيْنِ عَيْشَةً
 وَفِي الشَّوْقِ لِلنَّائِي هُمُومٌ مُطِيشَةٌ
 وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانَ الْمُفَارِقِ بَيْشَةٌ ^(٨)
 وَمَا جَهَلْتُ أَنَّ "الْعِرَاقَ" ^(٩) مَعِيشَةٌ وَرَوْضُ تَرْبِيَةِ صَبَا وَقَبُولُ ^(١٠)

- (١) الليت بالكسر : صفحة العنق .
 (٢) في الديوان (من) .
 (٣) خلبه : خدعه .
 (٤) في الجهرة (إاذ) .
 (٥) تضاعى : تصيح .
 (٦) الروق : مقدم البيت ورواقه .
 (٧) الشل : الطرد ، وفي الجهرة نس ، ونسأه : زجره ، وسأه : (٨) واد بطريق اليمامة مأسدة .
 (٩) في الديوان (الجاز) .
 (١٠) القبول : ربح الصبا .

وفي الركب مسلوبُ العِزاءِ فقيدُهُ
 يزيدُ إذا هبَّ النَّسيمُ وقُودُهُ
 وما كلُّ أسبابِ الغرامِ تقوده
 ولكنَّ سحرًا "بَابِلِيًّا" عَقُودُهُ تُحَلِّلُ ألبابُ به وعُقُول
 وقد حَمَلَتْ لَدَنَ القِوَامِ رشيَقَه
 حكى المسكُ فاه، والمدامَةُ ريقَه
 فأضْحَى بِهَا نَائِي المحلِّ سحيقَه
 نجائبُ إنَّ ضَلَّ الحِمَامُ طريقَه إِلَى أَنفُسِ العُشَّاقِ فَهِيَ دَلِيلُ
 وَإِنِّي لِأَشْكُو مِنْ فِرَاقِكَ هَرَّةً
 وَرَوْعَةً شَوْقٍ لِلْحِشَا ^(١) مُسْتَفِزَّةً
 وَقَدْ وَقَرَّتْ فِي الْقَلْبِ عَيْسُكَ حَزَّةً
 حَمَلَنَ وَجُوهًا فِي الْخُدُورِ أَعِزَّةً وَكُلُّ عَزِيزٍ يَوْمَ رُخَنٍ دَلِيلُ
 كَتَمْتُ هَوَى ظَمِيَاءٍ كَتَمَانَ مُعَانٍ
 وَنَهَنَتْ دَمْعًا عَاصِبًا غَيْرَ مُذَعِنٍ
 وَقَدْ قَالَتْ الْأَطْعَانُ لِلْسَّلْوَةِ : اظْغَنِي
 قَسَمَنَ ^(٣) الْعُقُولَ فِي السُّتُورِ ^(٤) بِأَعْيُنٍ قَوَاتِلَ ، لَا يُوْدَى ^(٥) لَهْنٌ قَنِيلُ

(١) في الجمهرة (في الحشا) . (٢) الغامياء من الشفاه : الدابة في سمرة .

(٣) هذه رواية الديوان ، وفي الأصل (يسمن) تحريف .

(٤) في الجمهرة (كاستور) . تحريف . (٥) يودي : تدفع دية .

مَحَبُّ إِذَا مَا اللَّيْلُ غَارَتْ نَجْمُهُ
 تَأَوَّبَهُ^(١) بَثُّ الْهَوَى وَهُومُهُ^(٢)
 وَفِي الْخِدرِ بَدْرٌ أَفْلٌ ، لَا يَرِيهِ^(٣)
 وَفِيهِنَّ حَاجَاتُ وَدَيْنٌ غَرِيْمُهُ مَلِيٌّ^(٤) ، وَلَكِنَّ الْمَلُولَ^(٥) مَطْوُلُ
 لُبَانَةٌ^(٦) نَفْسٍ مُسْتَمِرٌّ عَنَاوُهَا
 عِيَاءٌ عَلَى مَرٍّ اللَّيَالِي دَوَاوُهَا
 قَضَى حُبًّا أَلَا يَصَابُ شِفَاوُهَا
 يَخِفُّ عَلَى أَهْلِ الْقِبَابِ قَضَاوُهَا لَنَا ، وَهِيَ مَنْ فِي الرِّقَابِ ثَقِيلُ
 وَقَفْتُ عَلَى رِيحٍ لَظْمِيَاءٍ أَقْفَرَا
 سَقَتَهُ دُمُوعِي مَا أَرَاضَ وَنَوْرَا
 فَقُلْتُ لِحَدَنِي الْخَلِيَيْنِ أَعْنُرَا
 أَبِي الرَّكْبُ «بِالْيَضَاءِ» إِلَّا تَنَكَّرَا^(٧) وَقَدْ تُعْرِفُ الْآثَارُ ، وَهِيَ مُحُولُ
 سَأَلْتُ سَيَالَاتِ^(٨) الْحَمَى ، قَتَمَائِلَتِ
 كَمُوحَدَةٍ مِنْ جَبَرَةٍ قَدْ تَزَايَلَتِ
 فِقَاضَتِ دُمُوعٌ كَالْغُرُوبِ تَسَاجَلَتِ^(٩)
 وَلَمَّا وَقَفْنَا بِالذِّيَارِ تَسَاكَلَتِ^(١٠) جُسُومٌ بَرَاهَنَ الْبَلَى وَطُلُولُ

(٢) ورد هذا الشطر في الجمهرة متأخرا عن تاليه .

(٤) الملى : الفنى .

(٦) اللبانه : الحاجة .

(٨) الليال كسحاب : ما طال من السر :

(١٠) في الديوان (تشابهت) .

(١) تأويه : أناه ليلا .

(٣) لا يريه : لا يبرحه .

(٥) في الديوان (الملى) .

(٧) هذه رواية الديوان . وفي الأصل (تذكرا) .

(٩) في الجمهرة «تسايت» والغروب جمع غرب وهو الدلو .

دَعَانَا الْهُوَى وَاسْتَوْقَفْتَنَا الْمَعَارِفُ
وَأَدَمَى الْحَشَا ، وَالشَّوْقُ لِلْكَلَمِ^(١) قَارِفُ
حَمَائِمُ وَرِقٍ فِي الْغُصُونِ هَوَاتِفُ
فَبَاكِ بَدَاءٍ بَيْنَ جَنِيهِ عَارِفُ وَبَاكِ بِمَا جَرَّ الْفِرَاقُ جَهُولُ
نَعَمْ ، هَذِهِ الْأَطْلَالُ ، قَفَرُ قَارِبِجٍ^(٢)
وَجَدَّدَ بِهَا عَهْدَ الْمَشُوقِ الْمَوْدِعِ
سَأَسْتَقِي ثَرَاها الرِّىَّ مِنْ سُحْبِ أَدْمِي
وَأَسْأَلُ عَنْ ظَمِيَاءِ^(٣) صَمَاءٍ لَا تَعِي فَارَضَى^(٤) بِمَا قَالَتْ ، وَلَيْسَ تَقُولُ
تُصَدِّقُ ظَمِيَاءَ الْعُدُولِ إِذَا اقْتَرَى
وَأَكْذِبُ سَمِيَّ فِي هَوَاهَا وَمَا أَرَى
وَأُقْنِعُ مِنْهَا بِالْخِيَالِ إِذَا سَرَى
وَيُعْجِبُنِي مِنْهَا بُزْنُهَا الْكَرَى دُنُوٌّ إِلَى طُولِ الْبِعَادِ يَتَوَلَّى
مَلَلْتُ ، فَكَا تَدُنِي إِلَيْكَ شَفَاعَةٌ
وَعِنْدَكَ لِلْوَاشِينَ سَمْعٌ وَطَاعَةٌ
وَحَفِظْتُ عَهْدَ الْغَادِرِينَ إِضَاعَةً
وَمَا أَنْتِ يَا ظَمِيَاءُ إِلَّا يَرَاعَةٌ^(٥) تَمِيلُ مَعَ الْأُرَوَاجِ حَيْثُ تَمِيلُ

(١) الكَلَمُ : الجرح . والقَرْفُ : التَّكْسُّ فِي الْمَرَضِ . (٢) رَجَعَ كَتَعَ : وَقَفَ وَانْتَظَرَ وَتَحَبَّسَ .

(٣) الظَّمِيَاءُ : مَنْ الشِّفَاءُ : الْمَذَابِلَةُ فِي سَمَرَةٍ .

(٤) فِي الْأَمَلِ « قَرَضَى » . وَرَوَاهُ هَذَا الْبَيْتُ مُضْطَرِبَةً فِي دِيوانِ مَهيار . (٥) الْبِرَاعَةُ : الْقَصَبَةُ .

لَأَنْتِ لِنَفْسِي دَاوُّهَا وَدَوَّاءُهَا
وَرَاخِئُهَا، لَوْ نَلَّتْهَا وَشَفَاؤُهَا
إِذَا بِنْتُ ضَاقَتْ أَرْضُهَا وَسَمَاؤُهَا
فَإِنْ كَانَ سُؤْلًا لِلنَّفُوسِ بِلَاؤُهَا فَإِنَّكَ لَلْبَلَاؤِ ، وَإِنَّكَ سُؤْلُ

(٥٢٨)

وَقَالَ يُسَمِّطُ قَصِيدَتَهُ الْمِمْيَةَ الَّتِي تَقَدَّمَتْ فِي مَظَانِّهَا مِنْ هَذَا الدِّيَّانِ ^(١) :

تَوْهْمٌ مَا أَرَانِي الدَّهْرُ ، أَمْ حُلْمٌ
وَصَبُوءٌ كُلُّ هَذَا الْوَجْدُ أَمْ لَمَمٌ ^(٢)
أَحْيَيْتُ قَوْمًا ، وَإِفْرَاطُ الْهَوَى نَدَمٌ

وَلَوْ ، فَلَبَّ رَجَوْنَا عَدْلَهُمْ ظَلُمُوا فَلَيْتَهُمْ حَكَمُوا فِينَا بِمَا عَلِمُوا

سَاوَى حُضُورَهُمْ عِنْدِي مَغْيِبُهُمْ
وَصَشْتُهُمْ فِيهِمَا عَمَّا يَبْهِيهِمْ
وَمُنْذُ قَالَ الْوَرَى : هَذَا حَيِّبُهُمْ

مَا مَرَّ يَوْمًا بِفِكْرِي مَا يَرِيهِمْ وَلَا سَعَتْ بِي إِلَى مَا سَاءَهُمْ قَدَمٌ

كَمْ رُضْتُ نَفْسِي بِالسُّلُوفِ ، فَاثْمَنَنْتُ
وَكَمْ أَضَاعُوا مَوَاقِيقَ الْهَوَى ، وَرَعَتْ
فَمَا نَقَمْتُ عَلَيْهِمْ غَدْرَةً ، فَضَعْتُ ^(٣)

وَلَا أَضَعْتُ لَهُمْ عَهْدًا ، وَلَا أَطْلَعْتُ عَلَى وَدَائِهِمْ فِي صَدْرِي التَّهَمُ

(١) ضما : اختبا واستتر .

(٢) الم : الجنون .

(٣) راجع ص ٤٠

مِنْ فَرَطٍ وَجَدِي بِهِمْ أَحَبُّتُ غَدَرَهُمْ
 وَاللَّوْمُ فِيهِمْ لَسَمِعِي مِنْهُ ذِكْرَهُمْ
 وَصَنْتُ حَتَّى عَنْ الْأَوْهَامِ سِرَّهُمْ
 فَلَيْتَ شِعْرِي بِمَا اسْتَوْجَبْتُ هَجْرَهُمْ مَلُّوا ، فَصَدَّهُمْ عَنْ وَضَلَى السَّامُ
 مَا صَرَّحُوا لِي بِأَسْبَابِ الْقَلَى ، وَكُنُوا
 إِلَّا وَقَالَ الْهَوَى : مَهْلًا ، سِوَاكَ عَنَّا
 وَكَلَّمَا أَهْمَلُوا حَفَظَ الْهَوَى ، وَوَنُوا
 حَفَظْتُ مَاضِيَعُوا ، أَغْضَبْتُ حِينَ جَنُوا وَفَيْتُ إِذْ غَدَرُوا ، وَاصَلْتُ إِذْ صَرَمُوا
 كَمْ قَدْ سَعَيْتُ حَرِيصًا فِي مُرَادِهِمْ
 وَنَمْ رَعَيْتُ هَوَاهُمْ فِي بَعَادِهِمْ
 فَمِنْ أَصْبَحْتُ طَوْعًا فِي قِيَادِهِمْ
 حُرِمْتُ مَا كُنْتُ أَرْجُو مِنْ وَدَادِهِمْ مَا الرِّزْقُ إِلَّا الَّذِي تَجْرِي بِهِ الْقِسْمُ
 أَوْطَنُهُمْ خَابٌ ^(١) قَلْبِي ، دُونَ مَوْطِنِهِمْ
 فَأَخْرَجُوا ^(٢) بِالتَّجَنِّي رَحْبَ مَسْكِنِهِمْ
 حَتَّى لَعْنَدُ مُسَيِّبِهِمْ وَمُحْسِنِهِمْ
 مُحَاسِنِي ، مُنْذُ مَلُونِي ، بِأَعْيُنِهِمْ قَذَى ، وَذِكْرِي فِي آذَانِهِمْ صَمٌّ
 هُمْ أَبَاحُوا الضَّنَى جِسْمِي ، وَكَانَ حِمِّي
 وَأَمْطَرُوا مُقْلَتِي بَعْدَ الدَّمُوعِ دَمًا
 وَمَا رَعَوَا فِي الْهَوَى عَهْدًا وَلَا ذِمًّا
 وَبَعْدُ ، لَوْ قِيلَ لِي : مَاذَا تُحِبُّ ، وَمَا مُنَاكَ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا ، لَقُلْتُ هُمْ

(١) اخلب : لحية رفيقة تصل بين الأضلاع ، أو الكبد .

(٢) أخرجوا : ضيقوا .

رَاعُوا قَوَادِي الْهَجْرَانِ حِينَ أَمِنَ
 وَكَانَ بِالْوَصْلِ مِنْهُمْ ، لَوْ رَعَوْهُ ، قِنٌ ^(١)
 وَلَوْ تَعَوَّضَ عَنْهُمْ بِالشَّبَابِ غِنٍ
 هُمُ مَجَالُ الْكَرَى مِنْ مُقَاتَلَتِي ، وَمِنْ قَلْبِي مَحَلُّ الْمُنَى ، جَارُوا ، أَوْ اجْتَرَمُوا
 لَمْ يَتْرِكِ الْوَجْدُ لِي فِي غَيْرِهِمْ أَمَلًا
 وَلَمْ أُطِغْ فِيهِمْ نُضْحًا وَلَا عَدَلًا
 وَبَعْدَ مَا أَشْعُرُونِي فِي الْهَوَى خَبَلًا
 تَبَدَّلُوا بِي ، وَلَا أَبْنَى بِهِمْ بَدَلًا حَسْبِي بِهِمْ ، أَنْصِفُوا فِي الْحُكْمِ ، أَوْ ظَلَمُوا
 فَقُلْ لِسَارِي الدَّبَجِ تَهْدِيهِ ظَلْمَتُهُ
 وَاللَّيْلُ كَالْبَحْرِ ، تَعْلُو الْأَرْضَ جُمَّتُهُ ^(٢)
 تُغْرِى الْفَلَاحَ وَالدَّبَجِ وَالْهَوْلَ عَزَمَتُهُ
 يَا رَاكِبًا تَقْطَعُ الْبِيدَاءَ هَمَّتُهُ وَالْعَيْسُ تَعَجِزُ عَمَّا تَدْرِكُ الْهَمُّ
 إِذَا وَصَلْتَ ، وَقَاكَ اللَّهُ مَهْلَكَةً
 وَذَادَ عَنْكَ الرَّدَى ، إِنْ خَضْتَ مَعْرَكَةً
 فَمَا سَلِمْتَ فَقَدْ مُلِكْتَ مَمْلَكَةً
 بَلِّغْ أَمِيرِي مَعِينَ الدِّينِ مَأْلَكَةً ^(٣) مِنْ نَازِحِ الدَّارِ لَكِنْ وَدَّهْ أُمُّ ^(٤)

(١) قِن : خَلِيقٌ وَجَدِيرٌ .

(٢) الْبَلْمُ : الْكَثِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، كَالْبَلْمِ . وَمِنْ الظَّهْرِ وَالْمَاءِ ، مَعْظَمُهُ : بِكَمِّهِ .

(٣) الْمَأْلَكَةُ : الرِّسَالَةُ .

(٤) الْأُمُّ : الْقَرِيبُ . وَفِي هَذَا الدِّيْوَانِ أَنَّ أَسَامَةَ أَسْقَطَ هَذَا بَيْتًا لَمْ يَرْضَهُ تَصْرِيمُهُ . وَالْبَيْتُ هُوَ :

وَقُلْ لَهُ أَنْتَ خَيْرُ التُّرْكِ ، فَضْلُكَ الْحَيَاءُ ، وَالدِّينُ ، وَالْإِقْدَامُ ، وَالْكَرَمُ

(وَانْظُرِ الْقِطْعَةَ ٢٦٦ مِنْ هَذَا الدِّيْوَانِ صَفْحَةَ ١٤٦) .

لَمَّا وَلَيْتَ الرَّعَايَا سَرَّ كُلِّ وَلِيٍّ
وَسُسْتَهُمُ بِالتَّقَى فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
تُمْغِضِي الْقَضَايَا بِلَا حَيْفٍ وَلَا زَلَلٍ
وَأَنْتَ أَعْدَلُ مَنْ يُشْكَى إِلَيْهِ ، وَلِيٍّ شَكِيَّةً أَنْتَ فِيهَا الْخُصْمُ وَالْحَكَمُ

فَاسْمَعِ قَضِيَّةً مَأْخُوذَةً بِجُلَّتْنَاهِ (١)
وَفَاؤُهُ لَكَ أَرَدَاهُ بِغُلَّتْنَاهِ (٢)
وَلَمْ يَكُنْ عَالِمًا فِي طَبِّ عِلَّتِهِ
هَلْ فِي الْقَضِيَّةِ يَا مَنْ فَضْلُ دَوْلَتِهِ وَعَدْلُ سِيرَتِهِ بَيْنَ الْوَرَى عِلْمٌ
أَمْ فِي كَرِيمِ السَّجَايَا ، وَهِيَ قَدْ فُقِدَتْ
أَمْ فِي الْعَلَا ، وَهِيَ بِالْعُدْوَانِ قَدْ عُدِمَتْ
وَسَاءَ هَا ، فَلَحَتْ (٣) ، مِنْ بَعْدِ مَا حَمِدَتْ
تَضْيِيعُ وَاجِبٍ حَتَّى بَعْدَ مَا شَهِدَتْ بِهِ النَّصِيحَةُ ، وَالْإِخْلَاصُ ، وَالْحِدْمُ

يَا لَهْفَ نَفْسِي ، وَلَهْفُ طَالَمَا شَفَّتْ
لَمْ تُغْنِ عَنِّي تَجَارِيبي وَمَعْرِقِي
حَتَّى اغْتَرَرْتُ بِأَمَالٍ مَزْنَحَرَفَةٍ
وَمَا ظَنَنْتُكَ تَنْسَى حَقَّ مَعْرِفِي إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمُّ

(١) الخلة بالضم : الصداقة المخصصة لا لخلل فيها .

(٢) الغلة : حرارة الحب .

(٣) لحاء : لامة .

يَا مَنْ إِذَا اسْتَأْذَنَ السَّاعَى عَلَيْهِ أَذْنٌ
 إِذَا الْغَدِيرُ أَقَامَ الْمَاءُ فِيهِ أَجْنٌ ^(١)
 وَلَمْ يَطْلُ مَكْتُ مِثَاقِي، فَكَيْفَ أُسْنٌ ^(٢)
 وَلَا اعْتَقَدْتُ الَّذِي بَنَى وَبَيْنَكَ: مَنْ وَدَّ، وَإِنْ أَجْلَبَ ^(٣) الْأَعْدَاءُ، يَنْصَرُّ
 وَكَمْ رَمَانِي الْعِدَا بَغِيًّا بِإِفْكَهِمْ ^(٤)
 فَلَمْ أَرْقَ، وَلَمْ أَفْرُقْ ^(٥) لِبَغِيهِمْ
 وَكَمْ سَعَوْا بِي، فَلَمْ أَحْفَلْ بِسَعِيهِمْ
 لَكِنْ ثِقَاتُكَ مَا زَالُوا بِغَشِيهِمْ حَتَّى اسْتَوَتْ عِنْدَكَ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
 مَا كَانَ أَبْعَدَهُمْ فَهَمًّا، وَأَجْهَلَهُمْ
 مَالُوا، وَمَالُوا ^(٦) عَلَى مَنْ كَانَ مَوَلَهُمْ
 وَقَبْلَهُ خَوَلَا كَانُوا نَفْوَ لَهُمْ ^(٧)
 بَاعُواكَ بِالْبَخْسِ، يَرْجُونَ الْغَنَى، وَلَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ عَدَمُوكَ، الْوَيْلُ وَالْعَدَمُ
 كَيْفَ اغْتَرَرْتُ بِهِمْ فِيمَا أَمَرْتَهُمْ
 حَتَّى كَانَتْ يَوْمًا مَا خَبَرْتَهُمْ
 وَغَوْرُهُمْ كَانَ يَبْدُو لَوْ سَبَرْتَهُمْ ^(٨)
 وَاللَّهِ مَا نَصَحُوا، لَمَّا اسْتَشَرْتَهُمْ وَكُلُّهُمْ ذُو هَوًى فِي الرَّأْيِ مِنْهُمْ
 كَانَ التَّحَامُلُ مِنْهُمْ فِي إِشَارَتِهِمْ
 وَالتَّقْصُصُ فِي دِينِهِمْ أَوْ فِي عِبَارَتِهِمْ
 وَكُلُّ ذَلِكَ نَوْعٌ مِنْ تَجَارَتِهِمْ
 كَمْ حَرَفُوا مِنْ مَقَالٍ فِي سِفَارَتِهِمْ وَكَمْ سَعَوْا بِفَسَادٍ، ضَلَّ سَعِيَهُمْ

(١) أجْن الماء: تغير طعمه ولونه. (٢) أسن: أجن. (٣) أجلب: توعده بشرًا.
 (٤) الإنك: الكذب. (٥) فرق كفرج: فرج. (٦) مالوا عليه: اجتمعوا.
 (٧) الخول: العيود. وخوله: أعطاه مفضلًا. (٨) السبر: امتحان غور البحر وغيره.

قالوا : الأميرُ وفيَّ بالعهود ؛ فلذ
 بذى الحمية^(١) ، إن خطبُ ألم ، وعذ
 والوصفُ في السمع قبلَ الإمتحانِ يلد
 أين الحمية ، والنفسُ الأبيّة ، إذ ساموكَ خُطّةُ خسفٍ عارُها يصمُّ ؟!
 لما رأيتَ لصرفِ الدّهرِ واءِظةً
 للخيرِ والشرِّ ما تنفكُ حافظّةً
 حتى تَشيعَ سماعاً أو ملاحظّةً
 هلا أنفتَ حياءً أو محافظّةً^(٢) من فعل ما أنكرته العُربُ والعجمُ ؟!
 أثبتَ فينا ، وما اقتادتك موجدّة^(٣)
 إساءةً هي للإحسانِ مُفسدةً
 أغربت^(٤) فيها ، بجاءت وهي مُفردةً
 أسلمتنا ، وسيوفُ الهندِ مغمدةً ولم يروِ سنانَ السمهري^(٥) دُم
 ما شُبتُ حُسنَ ظنوني فيك بالثّهم
 ولم تمرّ بفكرى نَجلةُ النّدم
 وأن إفك الأعداى مُخفّر^(٦) ذمّى
 وكنتُ أحسبُ من والاك في حرم لا يعتريه به شيبٌ ولا هَرَم

(١) الحمية : الأثمة .

(٢) المحافظة : الذب عن المحارم .

(٣) الموجدّة : الغضب .

(٤) أغربت : أزل بالغريب .

(٥) السمهري : الرع الصلب .

(٦) مخفّر ذمى : ناقض عهدي .

يَأْوِي إِلَى حُسْنِ عَهْدٍ مِنْكَ مَا بَتَدَلَا
 وَلَا ابْتَغَى بِصَدِيقٍ صَادِقٍ بَدَلَا
 وَلَا رَأَى الْخَلْلَ مِنْهُ سَاعَةً مَلَلَا
 وَأَنْ جَارَكَ جَارٌ لِلْسَمَوَى ، لَا يَخْشَى الْأَعَادَى ، وَلَا تَغْتَالَهُ النَّقَمُ^(١)
 إِسَاءَةً جَثَمَهَا ، وَاللَّهُ يَغْفُرُهَا
 يُذِيعُهَا الدَّهْرُ فِي الدُّنْيَا ، وَيُنْشُرُهَا
 وَالْخَلْقُ أَجْمَعُ يَا بَاهَا ، وَيُنْكِرُهَا
 هَبْنَا جَنِينًا ذُنُوبًا لَا يُكْفِرُهَا عُذْرٌ ، فَإِذَا جَنَى الْأَطْفَالُ وَالْحُرُمُ
 مَا زِلْتَ فِي كُلِّ حَالٍ مُحْسِنًا وَرِعًا
 تَرَى الْإِسَاءَةَ فِي وَجْهِ الْعَلَا طَبْعًا^(٢)
 لَكِنْ فَعَلَكَ فِيهِمْ جَاءَ مُبْتَدَعًا
 الْقَتِيلَ فِي يَدِ الْإِفْرَنْجِ مُتَبِعًا رِضًا عِدَا يُسْخِطُ الرَّحْمَنَ فَعِلَهُمْ
 أَخْفَى الْهَوَى عَنْكَ بَعْدَ الْكُشْفِ أَمْرَهُمْ
 حَتَّى لَا تُنْكِرْتَ يَا مُخْدَوِعٌ مَكْرَهُمْ
 وَسَوْفَ تَعْرِفُ بَعْدَ الْفَوْتِ غَدْرَهُمْ
 هُمْ الْأَعَادَى ، وَقَالَ اللَّهُ شَرَّهُمْ وَهُمْ ، بَزَعَهُمُ ، الْأَعْوَانُ وَالْخَلْدُمُ

(١) أسقط أسامة بعد هذا البيت بيتا لم يسطه وهو :

وما طمان بأول من أسامة بالـ « سوفاء » ، لكن جرى بالكائن القلم

(واظر القصيدة ٢٦٦ ص ١٤٧) .

(٢) الطبع : الوح الشديد والميب .

ما أنصفوك ، أتوا ما لست تجهله
 وما استقلوا^(١) بعبي أنت تجهله
 وخالفوا كل خير كنت تفعله
 إذا نهضت إلى مجد تؤله^(٢) تقاعدوا ، فإذا شيدته هدموا
 صدقتهم ، وعهود القوم كاذبة
 وكل أحلامهم في الغدير عازبة^(٣)
 لغير دولتك الغراء طالبة
 وإن عرتك من الأيام نائبة فكلهم للذي يبيك مبتسم
 ضلالة قد أظلمت غوايتها
 ودولة رفعت بالغدير رايتها
 دنت لكفرانها النعمى نهايتها
 حتى إذا ما انجلت عنهم غيايتها بجذعزمك ، وهو الصارم الخدم^(٤)
 وأصبحوا في نعيم ما له خطر
 ما يعترى عيشهم بؤس ولا ضرر
 ولم يزع سرحهم^(٥) خوف ولا حذر
 رشفت آجن عيش ، كله كدر ووردتهم من نذاك الساسل الشيم^(٦)

(١) لا يستقل بالأمر : لا يطيعه .

(٢) أنل ماله : أصله .

(٣) عازبة : بعيدة .

(٤) غيابة كل شيء : ما سترك منه . والخدم : القاطع .

(٥) السرح : فناء الدار .

(٦) الشيم : البارد .

أَحْلَتَهُمْ غَلَطًا أَعْلَى ذُرَا الْأَفُقِ
فَلَمْ يَرَوْا حَقَّ تِلْكَ الْأَنْعَمِ الدَّفْقِ
وَعَامِلُوكَ بَغِشَ الْغِلِّ وَالْمَلَقِ
وَلِإِنْ أَنَا هُمْ بِقَوْلٍ عَنْكَ مُحَلِّقٍ وَأَشِ ، فَذَاكَ الَّذِي يُجْبَى وَيُحْتَرَمُ

أَخَفُوا مِنَ الْغِلِّ مَا أَخَفَوْهُ ، ثُمَّ عَلَنَ
وَأَضْمَرُوا مَحْنًا مِنْ غِشِّهِمْ وَلِإِحْنٍ ^(١)
وَأَنْكَرُوا نِعْمًا طَوَّقَهُمْ ، وَمَنْ
وَكُلٌّ مِنْ مَلَتْ عَنْهُ قَرْبُوه ، وَمَنْ وَالَاكَ فَهُوَ الَّذِي يُقْصَى وَيُهْتَضَمُ ^(٢)

مَا زِلْتَ فِي وَدَّهِمْ تَجْرَى عَلَى سَنَنِ
وَهُمْ بِذَاكَ فِيَا لِلَّهِ لِلْغَبَنِ
أَعْوَانُ عَادِيَةِ الْأَيَّامِ وَالزَّمَنِ
بَغْيًا وَكُفْرًا لِمَا أُولَيْتَ مِنْ مَنْ وَمَرَاتِعِ الْبَغْيِ ، لَوْلَا جَهْلُهُمْ ، وَخِمُ

أَخْفَيْتَ بِأَدَى مَسَاوِيهِمْ لَتَسْتَرْهُمْ
وَلَوْ كَشَفْتَهُمْ لَمْ تَرْضَ مَكْسِرَهُمْ ^(٣)
فَاكْشِفْ بِجَنِّكَ مَا أَخَفُوا لَتُنْكِرَهُمْ
جَرِيَهُمْ مِثْلَ تَجْرِي لَتُخْبِرَهُمْ فَلِلرَّجَالِ - إِذَا مَا جَرَّبُوا - قِيمُ

(٢) الانهزام : الظلم .

(١) الإحْن : جمع إحنة ، وهى الحقد والغضب .

(٣) المكسر : المخبر والأصل .

مازلتُ، منذ كنتُ، في عينِ العدوِّ قَذَى
 يرى محليَّ فوق النجمِ مُنْتَبِذَا^(١)
 فسلمهمُ بي تَرَدُّهمُ من جَوَى وأذى
 هل فيهمُ رجلٌ يُغْنِي غَنَايَ، إِذَا جَلَّى الحوادثُ حَدَّ السَّيْفِ والقَلَمِ

أَمْ فيهمُ من يُجَلِّي حِنْدَسَ الشُّبَّةِ
 يَعْزِمُ أَرْوَعَ^(٢) مَدْرَأَكُ لِمَطْلَبِهِ
 ماضٍ على الهولِ مُسْتَوِطٍ^(٣) لِمَرْكِه
 أَمْ فيهمُ مَنْ لَهُ فِي الخَطْبِ ضَاقٌ بِهِ ذَرْعُ الرِّجَالِ يَدٌ يَسْطُو بِهَا وَفُّمُ

عرفتَ غَشْمُهُمْ فِي السَّرِّ والعَلَنِ
 وَأَنْتَ نِيَّاتِهِمْ مَلَأَيْ مِنَ الدَّرَنِ^(٤)
 وَلَمْ تَزَلْ عَاكِفًا مِنْهُمْ عَلَى وَثْنٍ^(٥)
 لَكِنَّ رَأْيَكَ أَذْنَاهُمْ وَأَبْعَدَنِي فَلَيْتَ أَنَا بِقَدْرِ الحُبِّ نَقْتَسِمُ

لَمَّا خَلَطْتَ يَقِينَ الْوُدِّ بِالشُّبَّةِ
 رَعَيْتَ عَهْدِي بِطَرْفٍ غَيْرِ مُنْتَبِهٍ
 وَمَلْتَ بِالْوُدِّ عَنْ مَلْحُوبٍ^(٦) مَذْهَبِهِ
 وَمَا سَخَطْتُ بِعَادِي، إِذْ رَضَيْتَ بِهِ وَلَا بِالْجُرْحِ، إِذَا أَرْضَاكُمُ، أَلَمْ

(١) الانباز : التبعي .

(٢) الأروع : من يعجبك بحسنه ، أو بشجاعته .

(٣) استوطاه : وجده وطياً ، أى على حالة لينة .

(٤) الدرن : الوحش .

(٥) الوثن : الصنم .

(٦) الحب الطريق : بيته .

لَا تَحْسَبَنَّ الرَّزَايَا ضَعُفَ جِلْدِي
 وَلَا النَّوَى عَنْ دَمَشِقٍ فَتَّ فِي عَضْدِي
 أَنِّي نَوَى اللَّيْثُ فَهُوَ الْخَيْسُ ^(١) لِلْأَسَدِ
 وَلَسْتُ أَسَى عَلَى التَّرْحَالِ عَنْ بَلَدٍ شُهْبُ الْبُرَاةِ سِوَاةٍ فِيهِ وَالرَّحْمُ ^(٢)
 أَقُولُ إِذْ فَاتَ حَزِي عِزْمَةُ الرَّشْدِ
 وَقَدْ بَدَالِي مَا لَمْ يَجْرِ فِي خِلْدِي:
 لِلَّهِ دَرْكٌ ، لَوْلَا الْغَبْنُ ، مِنْ بَلَدٍ
 تَعَلَّقْتُ بِجِبَالِ الشَّمْسِ مِنْ يَدِي ثُمَّ أَنْتَنَتْ ، وَهِيَ صِفْرٌ ^(٣) ، مِلْؤُهَا نَدَمٌ
 كَمْ عَزَّنِي ^(٤) أَمَلِي فِيهِ ، وَسَوْفِي ^(٥)
 وَكَمْ وَثِقْتُ بِمِعَادٍ فَأَخْلَفَنِي
 حَتَّى تَلَاشَى رَجَائِي فِيهِ ، ثُمَّ قَنِي
 لَكِنْ فِرَاقُكَ آسَانِي ، وَأَسْفَنِي فِي الْجَوَانِحِ نَارٌ مِنْهُ تَضْطَرِمُ
 وَمِثْلُ وَجْدِي لُبْعْدِي عَنْكَ لَمْ أَجِدْ
 وَكَمْ شَجِيتُ بِتَرْحَالٍ وَمُفْتَقَدٍ ^(٦)
 فَمَا تَنْكَرَ لِي صَبْرِي وَلَا جِلْدِي
 فَاسْلَمْ ، فَمَا عِشْتَ لِي فَالذَّهْرُ طَوَّعَ يَدِي وَكُلُّ مَا نَالَنِي مِنْ بُؤْسِهِ نَعَمُ

(١) الخيس بالكسر : موضع الأسد ، كالثيبة .

(٢) البازي : ضرب من الصقور . والثبة : يياض يصلحه سواد . والرحم : جمع رنحة ، وهو طائر ضعيف .

(٤) عزه : غلبه .

(٣) صفر : خالية .

(٦) انتفده : طلبه عند غيبته .

(٥) سوفى : مطلقى .

نجز ديوان الأمير: مؤيد الدولة أسامة بن منقذ (رحمه الله) ،
بحمد الله ومنه ، لتسع بقين من صفر ، سنة ثمان وثمانين وستمائة .
كتبه الفقير إلى الله تعالى عبد العزيز بن أحمد العجمي ،
حامدا لله على نعمة ، ومصليا على نبيه محمد وآله ، ومسلما .

الفهارس

١

فهرس القوافي

مرتب على أغراضه الشعرية

في الغزل

الباء

| الصفحة | البحر | |
|--------|--------------|------------------------------|
| ٥١ | البحر الكامل | صاحبهم بترفق ما أصبحوا |
| ٥١ | البحر الكامل | بنفسي قريب الدار والهجر دونه |
| ٥٢ | البحر الكامل | حتى متى أنا شائم |
| ٥٢ | البحر الكامل | نشدتكما يا مدعئين سلوة |
| ٥٣ | البحر الكامل | قمر إذا عاتبته |
| ٥٣ | البحر الكامل | ذكر الوفاء خيالك المتئاب |
| ٥٤ | البحر الكامل | نفسي بزهرة دنياها معذبة |
| ٥٤ | البحر الكامل | واعص اصطبارك إن تكفل أنه |
| ٥٤ | البحر الكامل | ليس طرفي جارا لقلبي ولكن |
| ٥٥ | البحر الكامل | أطع الهوى واعص المعاتب |
| ٥٥ | البحر الكامل | من زين الاقحوان الرطب بالشنب |
| ٥٦ | البحر الكامل | مهفهف يخجل بدر الدجى |
| ٥٦ | البحر الكامل | أدعو على ظلمي فيغضب من |
| ٥٧ | البحر الكامل | لا تكثرن عتاب من لم يعتب |
| ٥٧ | البحر الكامل | كف عنى واش وأغضى رقيب |
| | | فأجابه : |
| | | بابي شخصك الذي لا يغيب |

التاء

| | | |
|----|--------------|-----------------------------|
| ٥٨ | البحر الكامل | فاليأس ينقض كل ما أبرمته |
| | | يا معمل الآمال دع خدع المنى |

البحر الصفحة

الجيم

وقائل رأبه ضلالي عن نهجي والحب ما له نهج الخفيف ٥٩

الحاء

نفسى فدت بدر تمام إذا
باح بشكوى ما به فاستراح
أرته غرته في الهجر مصلحتي
عقائل الحى أم سرب المها سنا
عائني بالجد أو بالزاح الخفيف ٥٩
فهل عليه في الهوى من جناح الخفيف ٦٠
جهلاً فأفسد مني كل ما صلحا البسيط ٦١
أفسدن ما كان بالسوان قد صلحا البسيط ٦١

الدال

حتام أرغب في مودة زاهد
إن خان عهدك من توده
يا ملولاً قلما يرعى
مروع بالقل والصد ليس له
لا تحسبن اللوم أجدى
قل لمن لم يرع عهدي
حال عما عهده من ودادي
وأروم قرب الدار من متباعد الكامل ٦٢
ونأى فلا يحزنك فقدته الكامل ٦٣
لمن يهواه عهداً الرمل ٦٤
صبر على الهجر والأعراض يسعده البسيط ٦٤
بل زاده كلفاً ووجداً الكامل ٦٥
والذي ضيع ودّي الرمل ٦٥
واعتدى في قطيعتي وبعادي الخفيف ٦٦

الراء

كم إلى كم أكاثم الناس
أيرجع لي شرخ الشباب وعصره
ما هاج هذا الشوق غير الذكر
دعاني إلى هجري بثينة حقبة
ويح العواذل لا خلاق لهم
يا حاضراً بفؤاد ناء غائب
وها لليل خلعتني من طيبه
هبوني كما زعموا مذنباً
يا جائراً وهواي يعذره
ما حيلتي في الملول يظلمني
وجدي ويظهر الخفيف ٦٦
وكيف رجوع الليل قد لاح فجره الطويل ٦٦
وزورة الطيف سرى من مصر الرجز ٦٧
من الدهر خوفي هجرها آخر الدهر الطويل ٦٨
وهموا ولم تصدقهم الفكر السريع ٦٩
والنجم أقرب من ملول حاضر الكامل ٦٩
متفياً في ظل طير طائر الكامل ٧٠
أسأت وقد جئت أستغفر المتقارب ٧٠
منك الذنوب ومنى العذر السريع ٧٠
وليس إن جار منه لي جار المنسرح ٧١

البحر الصفحة

- لا صبر لي عن بدر تم مشرق
أنا أفدي مغرى بصدي وهجري
من عاذر لي ومن للصب يعذره
حتام قلبي بالكآبة مكمد
من عذيري من شادن لم أطلق عند
قالوا اتسلو عن حبيب
ظبي تغار الشمس من حسنه
- أضحى له البين المشت سرارا الكامل ٧١
وهو شمسي ضحى وفي الليل بدري الخفيف ٧١
من ناقض العهد ينساني وأذكره البسيط ٧٢
باك وجهي للتجمل مسفر الكامل ٧٢
مع النسك والتعلم صبرا الخفيف ٧٢
ك قلت لا والله ، عمري الكامل ٧٣
ماء الحيا من خده يقطر الكامل ٧٣

الشين

- لا ترتج النجح من مواعده
فهي صباح ينجاب عن غبش المنسرح ٧٣

الصاد

- يا من مودته سحاب زائل
وعهوده في الحب ظل قالص الكامل ٧٤
يا غادرين إلام ينسي هجركم
وملالكم أملي بجذ ناكص الكامل ٧٤

الضاد

- صدّ عني وأعرضا
وتناسى الذي مضى الخفيف ٧٤

الطاء

- لك أن أطيعك راضياً أو ساخطا
وأصون شرك راجياً أو قانطا الكامل ٧٥
يقر بالذنب يجنيه فأحسبه
قد جاء مستدركاً بالعدر ما فرطا البسيط ٧٥

الظاء

- أحفظتم قلبي بغدركم
والقلب أدنى الغدر يحفظه السريع ٧٦

العين

- يا موعدي بالوصل وعدا لا يرى
فيه المؤمل للتقاضي موضعاً الكامل ٧٦

البحر الصفحة

أطعم هوى عصاء وهو يضلني وما أنا فيها للنهي بمطيع الطويل ٧٦

الفاء

أطاع ما قاله الواشي وما هرقا فعاد ينكر منا كل ما عرفا البسيط ٧٧
ومهفوف بي من قسور جفونه سكر يقصر عنه سكر القرقف، الكامل ٧٨
لا تغترر بنحول خصر أهيف فاللوت في حد الحسام المرفف الكامل ٧٨
مستغفر الذنب إن عدت إساءته وكلمها في الحشا يدمي وينقرف البسيط ٧٨
قل للوائم كفوا عن ملاكمك فإنه يستثير الهمم والأسفا البسيط ٧٩
باحث بسرك أدمع تكف فاللام تنكر وهي تعترف السريع ٧٩
ما بالملافة حين تعرض من خفا إن لم تخن فابلغ رضاك من الجفا الكامل ٨٠

القاف

حتى متى يا قلب لا تستفيق حسبك قد حملت ما لا تطيق الرجز ٨١
قمر إذا عاتبته شغفا به غرس الحياء بوجنتيه شفيقا الكامل ٨١
انظر شاتة عاذلي وسروره بكسوف بدري واشتهار محاقه الكامل ٨١
يثينه ما أعرضت عنك ملالة ولا أنا عما تعلمين مفق الطويل ٨٢
لله ليلتنا التي رجبت لنا فيها المرة في مجال ضيق الكامل ٨٢
يا لاثمي انظر الى قمر في الأرض في وجناته شفق السريع ٨٢
وغزال في فيه راح ودر وعقيق رطب ومسك فتيق الخفيف ٨٣

الكاف

عاديتني حين عاديت الورى فيكا هجر القل والتجني كان يكفيكا البسيط ٨٣

اللام

أما في الهوى حاكم يعدل ولا من يكف ولا يعدل المتقارب ٨٤
قالوا: فلاك وملا فقلت: حاشا وكلا المجتث ٨٦
كم ذا التجني وكثرة العلل لا تأمنوا من حوادث الملل المنرح ٨٦
قل للملول الذي أعيا تلونه ترى ملالك هذا غير ملول البسيط ٨٦
كيف الخلاص لقلبي من يدي قمر أسير ناظره بالوجد مغلول البسيط ٨٧

البحر الصفحة

- غدرا فودي غير متقل السريع ٨٧
 لأكرمها عن عرضة اللوم والعذل الطويل ٨٧
 فما الذي أطمع عدالي السريع ٨٨
 واسأل معالمها بدمع سائل الكامل ٨٨
 فأسد فاه العذب بالقليل السريع ٨٩
 وفي على فمه يقبله السريع ٨٩
 كئان فيض المدمع الهامل السريع ٨٩

أحبابنا إن كان هجركم
 يلومونني في حب ليل وإنني
 ما خطر السلوان في بالي
 وإذا مررت على الديار فقف بها
 نفسي القداء لمن يعاتبني
 نفسي القداء لمن يعاتبني
 كتمت بشي غير ان لم أطق

الميم

- فليتهم حكموا فينا بما علموا البسيط ٩٠
 وناصر العاشقين متهم المنسرح ٩٠
 فقواك تضعف عن صدور دائم الكامل ٩٢
 ما عسى دولة الصبا أن تدوما الخفيف ٩٢
 وجسم مشعر سقما الوافر ٩٢
 وضاع ودي في الظن والتهمة المنسرح ٩٣
 وخافراً حرمة الدمام البسيط ٩٣
 إلى هواكم وفاء لست أسأله البسيط ٩٣
 وبع فما الحب في حال بمكتمم البسيط ٩٤
 سلوا وقلبي بهم مغرم السريع ٩٤
 ف رقيه لي منه قسما الكامل ٩٥
 يغضب أن أدعو على ظلمي السريع ٩٥
 وألزموني الذنب والجاني هم الرجز ٩٦

ولوافلما رجونا عدلهم ظلموا
 أقصر فلومي في حبه لم
 لا تستعر جلدأ على هجرانهم
 قل لمن ناء بالجمال علينا
 جفون تستهل دما
 مل وأبدى تهمة السأم
 يا ناسياً عشرة التصافي
 يرينني ما أرى منكم ويعطفني
 أجب دواعي الهوى بالأدمع السجم
 ما أنصفوا في الحب إذ حكموا
 قسما بمن لم يبق خو
 قولاً لذا الغضببان يا ظالما
 لما رأوا وجدي بهم تجرموا

النون

- وبارق مسم أم برق مزن الوافر ٩٦
 والياس منك الى السلوان الجاني البسيط ٩٧
 على قد لج في صدي وهجراني البسيط ٩٨
 إليه وفاء بالأخاء ضنين الطويل ٩٨
 ويا مبيح الدمع أجفاني السريع ٩٨
 وأدفع بالشك عنك اليقينا المتقارب ٩٩
 يا مرشدي عن منهج السلوان الكامل ٩٩

عيا ما أرى ام بدر دجن
 إصلاح قلبك اعياني فأحياني
 يا رب خذ بيدي من ظلم مقتدر
 إذا أوحشتني جفوة الخلل ردي
 بالله يا مغرى بهجراني
 إلى كم أرجم فيك الظنونا
 زدني جوى يا حبه وأضلني

البحر الصفحة

- أيا هاجراً كلما زدت في
يا معرضاً راضياً وغضبانا
يا فتنة عرضت لي بعد ما عزفت
أحببتها في عتقوان الصبا
خضوعي له زاد هجرانه المتقارب ٩٩
وهاجري هاجعاً ويقظانا المنسرح ١٠٠
نفسى عن اللهو واقتاد الهوى رسنى البسيط ١٠٠
وقلت إن الشيب يسلينى السريع ١٠٠

الهاء

- يا هلالاً إذا تبدى يراه الـ
قل لمن أوحش بالهجر
تحفى عليّ ذنوبه في حبه
نبئت انهم بعد العباد نسوا
حوري لا يمل رآؤه منه الخفيف ١٠١
جفوني من كراها الرمل ١٠١
ويرى ذنوبي قبل أن أجنيها الكامل ١٠٢
عهدي وقالوا مضى أمس بما فيه البسيط ١٠٢

الياء

- يغالطني فيكم هواي فأنثي
يا سائلي عما بيه
يا قمر أعجب ما فيه
إليكم على إنكار ما قد بدا ليا الطويل ١٠٣
سر المحب علانيه الكامل ١٠٣
در بديع النظم في فيه السريع ١٠٣

٢

شكوى الفراق ووصف الحنين والاشتياق

الباء

- أأحبابنا من غاب عمن يوده
ألمياء إن شططت بنا الدار عنة
يا آمري بالصبر إ
يا دهر مالك لا يصد
علام يا دهر بالعدوان تحبسنى
رمتنا الليالي بافتراق مشئت
إلى الله أشكو عيشة قد تنكدت
إلى كم أعني بالسرى والسبابس
أميت مثل الشمع يشرق نوره
فسيان عندي بعده واقترابه الطويل ١٠٤
فداراك أجفاني القريحة والخلب الطويل ١٠٤
ن البين موعده الغروب الكامل ١٠٥
ك عن إساءتي العتاب الكامل ١٠٥
في غير جنسي ولم أفتقد ولم أغب البسيط ١٠٦
أشت وأنأى من فراق المحصب الطويل ١٠٦
علي ودهراً قد ألحت نوائبه الطويل ١٠٦
ويصدع شملي بالنوى والنوابس الطويل ١٠٧
والنصار في أحشائه تلهب الطويل ١٠٧

الجيم

- لم ينهه العذل لكن زاده لهجا
والعذل مما يزيد المستهام شجى البسيط ١٠٧

الحاء

- كتم الجوى القلب القريح فأذاعه الدمع الفضوح الكامل ١٠٨
يا نازحين واصطباري والأسى يحم ذا دمعي وهذا ينزح الكامل ١١٠

الذال

- يا دار إن بخلت على مغناك سارية العهد الكامل ١١٠
أنظن صبرك منجداً إن أنجدوا هيات ليس لمستهام مسعد الكامل ١١١
ما ينكر الأخلاء من كمدي لا جزعي مسعدي ولا جلدي المنسرح ١١٢
دعوني أبح ما مثل وجدي يجحد عسى جمرات في الجوانح تحمد الطويل ١١٢
أيلام مسلوب الفؤاد فقيده جحد الغرام فأنبتته شهوده الكامل ١١٣
ولما تصافينا وأخلص ودنا ورد بيأس كاشع وحسود الطويل ١١٣
أسير إلى أرض الأعادي وفي الحشا لبغضهم نار تلظى وقودها الطويل ١١٤
إذا مر ذراكم بقلبي تضايقت ضلوعي عما تحتهن من الوجد الطويل ١١٤
عليك بالصبر يا قلبي فإن خفيت سبيله عنك فاسأل عنه من فقدا البسيط ١١٤
هب أن مصر جنان الخلد ما اشتهدت النفوس فيها من اللذات موجود البسيط ١١٥
بنفسي بعيد الدار بي من فراقه جوى أو رآه البعد رق لي البعد الطويل ١١٥
تناءت بنا عن أرض نجد وأمله نوى غربة كالصدع في الحجر الصلد الطويل ١١٥
أقول لعيني يوم توديعهم وقد جرت بنجيع فوق خدي مزبد الطويل ١١٦
قد مرنت قلوبنا على النوى فما تشكي من أليم الوجد الرجز ١١٦
أنهم فيكم لاثمي وأنجدا وما أفاد سلوة إذ فندا الرجز ١١٦

الذال

- صدوه وهو صدى الفؤاد إليهم ظام يحوم عليهم ويلود ١١٨

الراء

- لا غرو إن هجر الخيال الزائر ما يستزير الطيف طرف ساهر الكامل ١١٨
تناءوا وما شطت بنا عنهم الدار ومالت بهم عنا خطوب وأقدار الطويل ١١٩
ما أنت أول من تناءت داره فعلام قلبك ليس تحبو ناره الكامل ١٢٠
أطاع الهوى من بعدهم وعصى الصبر فليس له نهى عليه ولا أمر الطويل ١٢٢

البحر الصفحة

| | | | |
|-----|---------|---------------------------------------|----------------------------------|
| ١٢٤ | الطويل | سوى أنسي باق ولبى حاضر | أحبابنا ما أشتكي بعد بعدكم |
| ١٢٤ | البيط | بكاء عن لذة التوديع والنظر | يا عين في ساعة التوديع يشغلك الـ |
| ١٢٥ | البيط | ولا أجالتك خلواتي بأفكاري | يا مصر ما درت في وهمي ولا خلدي |
| ١٢٥ | الكامل | يا غائبين رجاي طيب العيش مذ بنتم غرور | يا دمع أنجدني على بعدهم |
| ١٢٥ | البيط | فقد ترى قلة أنصاري | إلى الله أشكو فرقة دميت لها |
| ١٢٦ | الطويل | جفوني وأذكت بالهموم ضميري | وجدد وجدي بعد ما كان قد عفا |
| ١٢٦ | الطويل | وراجعني حلمي ووازنسي صبري | كأنني عجلول أو نكول إذا جرى |
| ١٢٧ | الطويل | بسمعي عن غير اعتاد لكم ذكر | ناوأ فأنتك منهم الذكر |
| ١٢٧ | المنسرح | ومثلهم لقلبك الفكر المنسرح | غرضت من الهجران والشمّل جامع |
| ١٢٧ | الطويل | ولم يتعمدنا بفرقتنا الدهر | وصف الصبر لي جهول بأمرى |
| ١٢٧ | الحفيف | فارغ البال من همومي وفكري | |

الضاد

| | | | |
|-----|--------|----------------------|---------------------------|
| ١٢٨ | الكامل | ودعته حذرا بطرف معرض | في ذلك الحي المعرض لي هوى |
|-----|--------|----------------------|---------------------------|

الطاء

| | | | |
|-----|--------|------------------------------|--------------------------------|
| ١٢٨ | الطويل | ومنية نفسي أنصفوني أو اشتطوا | أجيرة قلبي إن تدانوا وإن شطوا |
| ١٣١ | الطويل | مساغاً ولا طول البكاء يميّطه | إلى الله أشكو من جوى لم أجد له |

العين

| | | | |
|-----|--------|-----------------------------|---------------------------|
| ١٣١ | الكامل | نفس تقوم له حنايا أضلعي | أحبابنا لي عند خطرة ذكركم |
| ١٣٢ | البيط | وفي التجارب بعد ألغي ما يزع | يا قلب دهم فقد جربت غدرهم |
| ١٣٢ | الرجز | بالنوى مروعا | إلى متى أمسي وأضحى |
| ١٣٢ | الكامل | ومضان ذاك البارق اللماع | أرأيت بين معاطف الأجرع |
| ١٣٢ | الكامل | شوق دعا أفلا أجب الداعي | ما أنكروا من عزمتي وزماعي |

الغين

| | | | |
|-----|--------|------------------------|---------------------------|
| ١٣٣ | الكامل | يصغي إلى نصح ووعظ بالغ | يا لائم المشتاق دعه فقلما |
|-----|--------|------------------------|---------------------------|

البحر الصفحة

الفاء

- أسير نحو بلاد لا أسر بها
يا لائم المشتاق تعني
أحبابنا من لي لو
أذكرهم الود إن صدوا وإن صدفوا
ما منهم لك معاض ولا خلف
- إذا تبدت لعيني هيجت أسفي البسيط ١٣٣
ف المشوق الصب عنف الكامل ١٣٤
دام التداني والجفا الرجز ١٣٤
إن الكرام إذا استعطفتهم عطفوا البسيط ١٣٥
فكيف يصير عنهم قلبك الكلف البسيط ١٣٦

القاف

- لو أحسنوا في ملكنا أو أعتقوا
يا قلب كم يستخفك القلق
ماذا يروعك من وجدي ومن قلقي
ولما وقفنا للوداع عشية
ألف القل وأجاب داعية النوى
رفقا بقلب الصب رفقا
أقول للعين في يوم الفراق وقد
من مبلغ النائي المقيم تحية
أحبابنا ما لي إلى الصبر عنكم
إن تقطع الأيام منك علائقي
طالت يد البين في تفريق ألفتنا
بالخور أهلك يا بشين وأهلنا
كم ترزمني وكم تحني يا ناق
ليت من يسأل جيران النقا
أشتاقكم فإذا نظرت إليكم
خليلي زورابي رويقة إنني
- لصفا لهم من ودنا ما رنقوا الكامل ١٣٧
غير جميل بمثلك الخرق المنسرح ١٣٨
أم ما يريك من أجفاني الدفق البسيط ١٣٩
وطرفي وقلبي أدمع وخفوق الطويل ١٤٠
فليت منه بهجرة وفراق الكامل ١٤٠
هو دونكم بالبين يشقى الكامل ١٤٠
فاضت بدمع على الخدين مستبق البسيط ١٤٠
من راحل شاك جوى أشواقه الكامل ١٤١
دليل وقد ضلت على طريقه الطويل ١٤١
فأنا المواصل بالوداد الصادق الكامل ١٤١
فيا لها قصر من جمع ما افترقا البسيط ١٤٢
بالأبرقين فأين أين الملتقى الكامل ١٤٢
حسبك قد هجت الجوى والأشواق السريع ١٤٢
هل لنا بعد افتراق ملتقى الرمل ١٤٣
زاد الدنو صبابتي وتشوقي الكامل ١٤٣
اليها على قرب الزيارة شيق الطويل ١٤٣

الكاف

- ناقت دهرى فوجهي ضاحك جذل
يا قلب مت كمدا على
- طلق وقلبي كئيب مكمد باك البسيط ١٤٤
من غبت عنه وغاب عنك الكامل ١٤٤

اللام

- لا ذنب للصب المشوق إذا بدت
أسراره يوم النوى للعدل الكامل ١٤٤

البحر الصفحة

- نفسي الفداء لمن قبلته عجلا
ونازح في فؤادي من هواه صدى
بنفسي عدول لام فيكم فرد لي
والبين يعجب من وجدي ومن عجل
لم يرو غلته بالعل والنهل البسيط ١٤٥
بذكركم روح الحياة عدول الطويل ١٤٥

الميم

- ما استجهلتك معالم ورسوم
إن لم تطيقا يوم رامة
إن لم أبح بهواك قلن لوائمي
أحبابنا مذ أفردتني منكم
قل للذين نأوا والقلب دارهم
كم قد جزعت لبين من فارقه
وهاج لي الشوق القديم حمامة
سهرت بخزيرت فطال ليلي
ما لي وللجبل الأغر وإنما
إلا ليعلن شرك المكتوم الكامل ١٤٦
أن تسعدا فذرا الملامة الكامل ١٤٧
ذا مبطل ما الكتم شيمة هائم الكامل ١٤٨
صروف الليالي أفردتني بالهم الطويل ١٤٨
وجداننا كل شيء بعدكم عدم البسيط ١٤٨
وصبرت عنه والحشا يتضرم الكامل ١٤٩
على غصن في غيضة تترنم الطويل ١٤٩
علي ولم يطل ليل النيام الوافر ١٤٩
كل الهوى جبل أشم بهيم الكامل ١٤٩

النون

- ما يريد الشوق من قلب معنى
يا ناق شطت دارهم فحني
اعلمت ما فعلت به أجفانه
أهكذا أنا باقي العمر مغترب
أين السرور من المروع بالنوى
قسم الهوى دهر المروع بالنوى
منصور دارك أضحت منك موحشة
وقد أفردتني الحادثات فليس لي
ذكر الآلاف والوصل فحنا الرمل ١٥٠
وأعلنني الوجد الذي تجنى الرجز ١٥١
سحت فباحث بالهوى أشجانه الكامل ١٥٢
ناء عن الأهل والأوطان والسكن البسيط ١٥٤
أبدأ فلا وطن ولا خلان الكامل ١٥٤
شطرين بين شثونه وشجونه الكامل ١٥٤
قد أقفرت بعد سكان وجيران البسيط ١٥٥
أنيس ولا في طارق الخطب أعوان الطويل ١٥٥

الهاء

- سلا قلبه ما غال حسن سلوه
ألا من لصاد والموارد حمة
بكاء مثلي من وشك النوى سفه
يا قلب رفقا بما أبقيت من جلدي
ما وجد من فارق أحبابه
بأبي هوى فارقه ولثله
ورده في الهوى وغلوه الطويل ١٥٥
له علل من بردها لم يروه الطويل ١٥٦
وأمر صبري بعد البين مشبه البسيط ١٥٦
كم ذا الحنين إلى من أنت مثواه البسيط ١٥٧
كوجد من فارق روح الحياة السريع ١٥٧
لو كان يوجد مثله خلق الهوى الكامل ١٥٨

المكاتبات والمعاتبات

الهمزة

لئن غربت شمسي المنيرة في النوى فليلي وصبحي في الظلام سواء الطويل ١٥٩

الباء

لم يبق لي في هواكم أرب سلوتكم والقلوب تنقلب المنسرح ١٥٩
وقد كنت أرجو أن أراك وبيننا مفاوز أذناها الشناخيب والسهب الطويل ١٦٠
تبذل حتى قد مللت عتابه وأعرضت عنه لا أريد اقترابه الطويل ١٦٠
أيا نازحاً لم أحتسب بعد داره وقد كان لو نلت المنى قربه حسبي الطويل ١٦٠
يا من به سلوتي عن كل مفتقد ومن مودته أدنى من النسب البسيط ١٦١
أيا غائباً يدنيه شوقي على النوى لأنت إلى قلبي من الفكر أقرب الطويل ١٦١
وما سكنت نفسي إلى الصبر عنكم ولا رضيت بعد السديار من القرب الطويل ١٦٢
لئن فرق الدهر المشتت شملنا فأصبحت في شرق وأمست في غرب الطويل ١٦٤
أبا البركات لي مولى جواد مواهبه كمنهل السحاب الوافر ١٦٤
لي صديق أفضي إليه بسري وخبايا صدري ومكنون قلبي المديد ١٦٤

التاء

وما أشكو تلون أهل ودي ولو أجدت شكيتهم شكوت الوافر ١٦٥

الثاء

أيا منقذي والحادثات تنوشي ودافع همي إذ ترادف بعثه الطويل ١٦٥

البحر الصفحة

يا ثانياً للنفس وهـ و لناظري أعز ثالث الرجز ١٦٦

الذال

يا من هواه على التنا ئي والتداني في ازدياد الكامل ١٦٧
أسكن قلبي والمهامه بيننا وإنسان عيني والمزار بعيد الطويل ١٦٨
أبا حسن وافى كتابك شاهرا صوارم عتب كل صفح لها حد الطويل ١٦٨
ألا أبلغنا عني أناساً صحبتهم فما حفظوا عهداً ولا راعوا الودا الطويل ١٦٨

الراء

أحبابنا خطب التفرق شاغل عن العتب لكن جاش بالكمد الصدر الطويل ١٦٩
وكتاب منك فاجأني كشير جاء بالظفر المديد ١٧٠
يا بعيداً أحله الشوق قلبي وناظري الخفيف ١٧٠
يكائر ماء الرزم عند أذكاركم دموعي ولكن ذا برود وذو قطر الطويل ١٧٠
أشمس الدولة اسمع بث شوق يضيق بمثله ذرع الصبور الوافر ١٧١
أحبابنا ما مصر بعدكم مصر ولكنها قفر إليكم بها فقر الطويل ١٧١
تذكره أحبابه الأنجم الزهر فيا ويحه ماذا به صنع الذكر الطويل ١٧١
لأشكرن اهتماماً منك يذكركني في البعد حتى كأنني مصقب الدار البسيط ١٧٢
أصبحت بعدك يا شقيق النفس في بحر من الهم المبرح زاخر الكامل ١٧٣

السين

كتابي ولولا أن يأسي قد نهي اشتياقي لذاب الطرس من حر أنفاسي الطويل ١٧٣

العين

ما لي وللشفعاء فيما أرتجي من حسن رأيك في وهو شفيعي الكامل ١٧٤

البحر الصفحة

نظام الدين لا سقيا لخطب رمانا بالنوى بعد اجتماع الوافر ١٧٤

الفاء

مواصلتي كنيي إليك تزيدني إليك اشتياقا بل عليك تأسفا الطويل ١٧٤
وابتزني رأي عز الدين مستلما من بعد ما عملي إحسانه وضا الطويل ١٧٥
لكنني أشكو قوارص من تلقائهم قلبي لها يحف السريع ١٧٦

القاف

يا بن الألى جمع الفخار لبيتهم ما شتتوه من العطاء وفرقا الكامل ١٧٧
إيهأ بحقك مجد الدين تعلم أن الصبر عنك أو السلوان من خلقي البسيط ١٧٩
أحبابنا هلا سبقتم بوصلنا صروف الليالي قبل أن نفرقا الطويل ١٨٠
بعدت مسافة بيننا وتوحشت حتى على طيف الخيال الطارق الكامل ١٨١
أبا حسن لولا التعلل بالئى قضى كمدا قلب إليك مشوق الطويل ١٨١
لا تقدن نصيحتي بشقاق وأبيك ما السلوان من أخلاقي الكامل ١٨١
أتظن أني بعد بعدك باقي أجزي عن الأشواق بالأشواق الكامل ١٨٣
يا راكب الشدنية الغيداق ومتابع الزملان بالإعناق الكامل ١٨٣
قد كنت أحسب أن أمد منتهى أمد الفراق الكامل ١٨٥
ضياء الدين ما شوق دعاني فأسمعني بمصر من العراق الوافر ١٨٥
كم إلى كم يلحى المحب المشوق وهو من سكرة الهوى لا يفى الخفيف ١٨٦
نظام الدين كم فارقت خلا وكم صليت حشاي لظى اشتياق الوافر ١٨٧
أبا الحارث أسلم من حوادث دهرنا ومن حر أنفاس المشوق المفارق الطويل ١٨٧

اللام

أبا حسن قدرا بعد بعدكم على القلب هم ما أراه يزول الطويل ١٨٨

البحر الصفحة

- ١٨٨ بفتح سبل اللقاء الزجر والقال البسيط
 ١٨٩ وما استقلت بكم للين أجمال البسيط
 ١٨٩ وصدقت لي في علياء آمال البسيط
 ١٩٠ أنا بالهجر والنوى مشغول الخفيف

وافي كتابك مفتوحاً فبشرني
 أبا المظفر أشواق مبرحة
 يا خير من علقت كفي مودته
 أين سمعي عما يقول العذول

الميم

- ١٩١ أغرى الزمان بكم عرامه الكامل
 ١٩١ سرت سرى الطيف من مصر إلى الشام البسيط
 ١٩٣ وما كذا يفعل الإخوان والخدم البسيط
 ١٩٤ حتى يخلصه السلطان والحكم البسيط
 ١٩٤ وبالمودة منكم إنها رحم البسيط
 ١٩٦ والعيس تعجز عما تدرك الهمم البسيط
 ١٩٩ يغني ندى كفه عن وابل الديم البسيط

أبني السرى والبيد لا
 وكيف أشكر من أسدى إلى يدا
 قصرت في خدمي تقصير معترف
 يلط بالدين من مولاه مسلمه
 أقسمت بالجود منا إنه قسم
 يا راكباً تقطع البيداء همته
 يا ناصر الدين يا بن الاكرمين ومن

النون

- ٢٠٠ أوطانها ونبت به أوطانه الكامل
 ٢٠٠ حنين ألوف بان عنها قرينها الطويل
 ٢٠١ عني عوادي الهم والأشجان الكامل
 ٢٠١ وفي شيزر أحبابه وشجونه الطويل

هذا كتاب فتى أحلته النوى
 أحسن إليكم والمهامه بيننا
 نفسي الفداء لمن أدود بذكره
 وإن امرأ أضحى بإربل داره

الهاء

- ٢٠١ وإن أغب صدعني معرضاً ولها البسيط

إن ألقه سره قربي وآتسه

الياء

- ٢٠٢ قدحت زناداً في الجوانح واريا الكامل

وافي كتابك معلناً بملامة

٤

الأوصاف

الباء

رقصت أرضه عشية غنى الر عد في الجو والكريم طروب الخفيف ٢٠٣

الذال

وصاحب لا تمل الدهر صحبته يشقى لنفمي ويسعى سعى مجتهد البسيط ٢٠٣

العين

أنيسي في ليل القطيعة مشهي نحولا وتسهيذا ولونا وأدمعا الطويل ٢٠٤
ومفردة تبكي إذا جن ليلها خفاتا وفي أحشائها النار واللذع الطويل ٢٠٤

القاف

وصل عنك المموم إن طرقت بينت كرم في الكأس تأتلق المنسرح ٢٠٤
أعجب لمحتجب عن كل ذي نظر صحبته الدهر لم أسبر خلائقه البسيط ٢٠٥

الميم

وافتك حالكة السواد يخالها صبغ الشباب الناظر المتوسم الكامل ٢٠٥

٥

الملح

الباء

قولا لريم في حلة العرب إليك أشكوما يصنع اسمك بي المنسرح ٢٠٦

البحر الصفحة

الشاء

متى أرى الطوبان قد مهدت حيطانه السود المحارث السريع ٢٠٧

الراء

شبهة حبات القلوب لك الهوى وهل لفؤاد عن سويدائه صبر الطويل ٢٠٧
انظر إلى الأيام كيف تقودنا قرأ إلى الإقرار بالأقدار الكامل ٢٠٧

الشين

أميرنا زاهد والناس قد زهدوا له فكل على الطاعات منكش البسيط ٢٠٨

الصاد

رمان مصر كأنه ذرة أكله شاخص من الغصص السريع ٢٠٨

القاف

إذا صاحبت عمراً في طريق فقد سايرت ظلك في الطريق الوافر ٢٠٨

اللام

عابوا هوى شادن في رجله قصر من سكر الحاظه في مشبه ثمل البسيط ٢٠٩

الميم

نزلت بأرض بالوا وهي حصن علا حتى تمنطق بالنجوم الوافر ٢٠٩
عتيق كاهلال إذا تبدي لساري الليل من تحت الغيوم الوافر ٢١٠

النون

يا ساكني جنة رضوان خازنها العيش في روج وريحان البسيط ٢١٠
وصفوا لي بغداد حيناً فلما جثها جثت أحسن البلدان الخفيف ٢١١

المديح

الباء

- لقد عم جود الأفضل السيد الورى
وأغنى غناء الغيث حيث يصبوب الطويل ٢١٢
غرني لامع السراب وهذا البحر
ر دوني عذب المياه شروب الخفيف ٢١٢
يا أخلاي بالشأم لئن غبتم
فشوقي إليكم لا يغيب الخفيف ٢١٤

الجيم

- يا منتهى الأمل امتدت مطارحه
ويا حمى من إليه في الخطوب لجأ البسيط ٢١٧

الحاء

- فيا أخا العزم يطوي اليد متصلنا
في سيره عن مسير العاصفات وحى البسيط ٢١٨

الذال

- كناس سرب المها عريسة الأسد
فكيف بالوصل للمستهتر الكمد البسيط ٢١٨

الراء

- يا منقذي ويد الزمان تنوشي
ومقيل جدي وهو كاب عائر الكامل ٢١٩
كل يوم فتح مبین ونصر
واعتلاء على الأعادي وقهر الخفيف ٢٢٠
صديق لنا كالليل يستر الد
خان وييدي النور للمتور الطويل ٢٢١
يا من يهين المال في كسب العلا
ويرى الثناء أجل ذخر يذخر الكامل ٢٢١
لكن مكانسي من أنعم الملك الصالح لا تهدي له الغير المنسرح ٢٢٢
سأرحل عن جنابك غير قال
بشكر يفغم الأفاق نشر الوافر ٢٢٣

السين

- لله درك من فتى أبدت به
أيامنا بشر الزمان العابس الكامل ٢٢٣

البحر الصفحة

الطاء

ومن علقته بالصالح الملك كفه
فليس له دون العلا والغنى شرط الطويل ٢٢٤

العين

لئن شئت أيدي الحوادث شملنا
فإليك بنت الفكر من بعد المدى
فجود أبي الغارات للشمل جامع الطويل ٢٢٨
تهدي فشرها بحسن سماع الكامل ٢٢٨

الفاء

هو الجواد الذي يلقاه مادحه
من كان لي من حماء خيس ذي لبد
وإن غلافك ما أثنى وما وصفا البسيط ٢٢٩
ضار ولي من نداه روضة أنف البسيط ٢٢٩
في كل سمع بدا من حسنه طرف البسيط ٢٣١
لكم سبيل الأمانى وانجلي الأسف البسيط ٢٣٣
أسعنا لمعاني درها صدف البسيط ٢٣٥
دع ذا وقل لبني الآمال قد وضحت
علومك البحر غمرا ليس تنتزف

القاف

تهمي مواهبه والسحب جامدة
مثل منهل أنعم الملك الصا
فمن يديه مصاب الوابل الغدق البسيط ٢٣٨
لح يروي دان به وسحيق الخفيف ٢٣٨

اللام

أبا تراب دهرنا جاهل
أبا حسن في طي كل مساء
يرفع للشبه ذوي الجهل السريع ٢٣٩
ومن مواهبه كالعارض المظل البسيط ٢٤٠
من الله صنع للعباد جميل الطويل ٢٣٩
ب وذخري إن غال وفري غول الخفيف ٢٤١
حسي ما نولت من مال السريع ٢٤٢
بخلاف أحكام المليك العادل الكامل ٢٤٢
فتي التجي إليه من الخط
زدني علا لا أرتضي باللهي
والجور في حكم الصباية جائز

الميم

وسر إلى بحر خضم له
من عزمه سيف وغى مخذم السريع ٢٤٣

البحر الصفحة

| | | |
|-----|---------------------------------------|----------------------------|
| ٢٤٣ | سات لأمر عرا ومهم ألم المتقارب | دعوتك يا عمر المكرم |
| ٢٤٤ | قضاء فرضك عما فات من خلعي البسيط | لو استطعت ولو ملكت أمري في |
| ٢٤٤ | أخلاقك الغر يا ذا البأس والنعم البسيط | خلق تحلى به سلمان بينك من |
| ٢٤٩ | سهل فما في منه من السريع | يا منعماً مورد إحسانه |

٧

الافتخار

| | | |
|-----|--|--------------------------------|
| ٢٥٠ | ضلالاً لما ظنوا وهل يكسد التبر الطويل | أظن العدا أن ارتحالي ضائري |
| ٢٥١ | لتحيا بنا الدنيا : ويفتخر العصر الطويل | أبى الله إلا أن يكون لنا الأمر |

الفاء

| | | |
|-----|-----------------------------|--------------------------|
| ٢٥٦ | فيه على ما رايني صلف السريع | يأبى احتمال الضيم لي خلق |
|-----|-----------------------------|--------------------------|

اللام

| | | |
|-----|---------------------------------|-----------------------------|
| ٢٥٧ | مالي أبى لي أن أعد بخيلا الكامل | جودي بموجودي على النكبات في |
|-----|---------------------------------|-----------------------------|

٨

الحماسة

الهمزة

| | | |
|-----|-----------------------------------|-----------------------------|
| ٢٥٨ | مراراً ولكن ما الدماء سواء الطويل | قتلنا بقتلنا من القوم مثلهم |
|-----|-----------------------------------|-----------------------------|

الباء

| | | |
|-----|------------------------------|-------------------------|
| ٢٥٨ | قواي عن سعي الى الحرب السريع | رجلاي والسبعون قد أوهنت |
|-----|------------------------------|-------------------------|

الجيم

| | | |
|-----|-------------------------------|------------------------------|
| ٢٥٩ | ثبتت أواخي ملك كل متوج الكامل | أنا تاج فرسان الهياج ومن بهم |
|-----|-------------------------------|------------------------------|

البحر الصفحة

الحاء

لخمس عشرة نازلت الكهامة إلى أن شبت فيها وخير الخيل ما قرحا البسيط ٢٥٩

الذال

ولكنني ألقى الحوادث وادعا بقلب أريب بأسه يتوقد الطويل ٢٥٩
يا عجباً من وشك بين ما رغت فيه مطايانا ولا الحادي حدا الرجز ٢٦٠

السين

سل بي كهامة الوغى في كل معركة يضيق بالنفس فيها صدر ذي الباس البسيط ٢٦١

الطاء

ولكن قضت فينا الليالي بجورها وعادتها كفر الفضائل والغمط الطويل ٢٦١

الفاء

إن يحسدوا في السلم منز لتي من العز المنيف الكامل ٢٦٢

القاف

قلبي وصبري إلفان مذ خلقا تقاسما صادقين لا افترقا المنرح ٢٦٢
قالوا ترشفت الليالي مائه واغتاله بعد التمام محاق الكامل ٢٦٣

اللام

قل لابن منقذ الذي قد حاز في الفضل الكمالا الكامل ٢٦٣
يا أشرف الوزراء أخلاقا وأكرمهم فعالا الكامل ٢٦٥
يجهل في الإقدام رأيي معاشر أراهم إذا فروا من الموت أجهلا الطويل ٢٦٨
قل للخطوب إليك عني إن لي في الخطب عزماً مثل حد المنصل الكامل ٢٦٩

الميم

إذا ضاق بالخطى معترك الوغى وهال الردى وقع الظبا في الجاحم الطويل ٢٦٩

البحر الصفحة

- معين السدين كم لك طوق من
ألا هكذا في الله تمضي العزائم
لك الفضل من دون الورى والمكارم
- بجيدى مثل أطواق الحمام الوافر ٢٦٩
وتمضي لدى الحرب السيوف الصوارم الطويل ٢٧٠
فمن حاتم ما نال ذا الفخر حاتم الطويل ٢٧٤

النون

- إليك فما تنشي شئونك شاني
ولا تملك العين الحسان عناني الطويل ٢٧٨

الهاء

- كم تغص الأيام منى وتأيى
همتي أن تنال منى مناها الخفيف ٢٧٩

٩

الأدب

- لا تجزعن لخطب
أعجب دهرى أنى جزع
لأصبرن لدهرى صبر محتب
دع ذا فما عذر الفتى
كف عني واش واغضى رقيب
- فكل دهرك خطب المجتث ٢٨٠
ت، لما غال من نشبي وانتهب المتقارب ٢٨٠
حتى يرى غير ما قد كان يحبه البسيط ٢٨١
في غيه والفود شائب الكامل ٢٨١
ونانني عن التصابي المشيب الخفيف ٢٨١

الحاء

- لا تنكرون مر العتاب فتحته
أصبر على ما تخشني أو تترجي
- شهد جتته يد الوداد الناصح الكامل ٢٨٢
تظفر بحسن سكينه ونجاح الكامل ٢٨٢

الخاء

- نزهدت نفسي عن من الرجال وإن
سر عن بلادهم فقد سئمت بها
- علت بهم رتب الدنيا وإن شمعخوا البسيط ٢٨٢
عيسى محول معرسي ومناخي الكامل ٢٨٣

الذال

- انظر بعيشك هل ترى
أحدأ يدوم على المودة الكامل ٢٨٣

البحر الصفحة

| | | |
|-----|--------------------------------------|-----------------------------|
| ٢٨٣ | على فعل الخير والجلود السريع | عندي للأيام إن أقبلت |
| ٢٨٤ | وقد يخذع اليقظان من هورائد الطويل | تيقظ فمن يشناك يسهر ليله |
| ٢٨٤ | أظلم بها بعد الميات مخلدا الطويل | سأنفق وفري في اكتساب مكارم |
| ٢٨٥ | وخبرته لم تلفه بالشاهد الكامل | لا ترغبن فيمن إذا شاهده |
| ٢٨٥ | إلى كرماء الناس أشهى من الجدا الطويل | تلقى ذوى الجاحات بالبشر إنه |
| ٢٨٥ | مما تخاف ومن معاندة العدا الكامل | ارض الخمول تعش به في نجوة |
| ٢٨٥ | نوائب وملها لحت عودي البسيط | ما كف كفي عن جودي بموجودي |

الراء

| | | |
|-----|-----------------------------------|-------------------------------|
| ٢٨٦ | بما يسوء فصبرا المجتث | إن فاجأتك الليالي |
| ٢٨٦ | قن بقلب محتسب صبور الكامل | ألقى الخطوب إذا طر |
| ٢٨٦ | إن الكريم على الحوادث يصبر الكامل | استرهمومك بالتجمل واصطبر |
| ٢٨٧ | و فامن كيدهم غرر الكامل | لا تأمنن كيد العد |
| ٢٨٧ | في عتدى ورع وطيب نجار الكامل | عش واحداً أو فالتمس لك صاحباً |

السين

| | | |
|-----|-------------------------------------|--------------------------|
| ٢٨٧ | وأنفقت مالا لا تجود به النفس الطويل | يقولون لي أفنيت كل ذخيرة |
|-----|-------------------------------------|--------------------------|

الشين

| | | |
|-----|----------------------------|--|
| ٢٨٨ | أبوابه متكسب ومعاشر الكامل | إياك والسلطان لا يدنيك من |
| ٢٨٨ | مضى الخفيف | كل مستقبل من الهـمـ ينسى إذا |
| ٢٨٨ | إذا نهضا البسيط | أصبحت كالنسر خاتنه قواده لا تستقل جناحاه |

العين

| | | |
|-----|---------------------------------|--------------------------|
| ٢٨٩ | بعزيمة في الخطب لا تتضعع الكامل | لا تستكن للهم واثن جماعه |
|-----|---------------------------------|--------------------------|

الفاء

| | | |
|-----|------------------------------|-------------------------|
| ٢٨٩ | لا زايلتكم حسرة وتلهف الكامل | قل للذين يسرهم ما ساءنا |
|-----|------------------------------|-------------------------|

البحر الصفحة

اللام

| | | | |
|-----|--------|----------------------------|------------------------------|
| ٢٨٩ | الوافر | وتستجدي نوالا من بخيل | إلى كم ترتجي عطف الملول |
| ٢٩٠ | الطويل | على شعث الخلان مستبدلا خلا | وإني لعصاء العواذل لا أرى |
| ٢٩٠ | الرميل | جد بي عنك الرحيل | أيها الربع المحيل |
| ٢٩١ | الطويل | عناني أو زلت بأخصي النعل | أئن غص دهر من جماحي أوئني |
| ٢٩١ | الطويل | لأنف ألا يدرك السؤل سائلي | توالى إلى السائلون وإني |
| ٢٩٢ | البسيط | وما بأيديهم رزقي ولا أجلي | علام أخضع في الدنيا لمن رفعت |
| ٢٩٢ | السريع | دهري بما أذهب من مالي | إن سر أعدائي أن عضني |

الميم

| | | | |
|-----|--------|-----------------------------|-----------------------------|
| ٢٩٢ | البسيط | بها ولم أسل في حال عن الكرم | سلوت عن كل حال كنت ذا شغف |
| ٢٩٢ | الطويل | وللجار ما تنفك نهبا مقسما | لنا هجمة للحق إن ناب والقرى |

النون

| | | | |
|-----|-------|------------------------------|----------------------|
| ٢٩٣ | الرجز | فالقلب أولى بالذي أجنا الرجز | لا تودعن سمع أخ شكية |
|-----|-------|------------------------------|----------------------|

الهاء

| | | | |
|-----|--------|---------------------|---|
| ٢٩٣ | البسيط | أدعوه وأعصيه البسيط | ظلمت شعري وليس الظلم من شيمي يطيعني حين |
|-----|--------|---------------------|---|

الياء

| | | | |
|-----|--------|-----------------------------------|---------------|
| ٢٩٣ | الكامل | هـ هذا الدهر تلعب بالبرايا الكامل | لما رأيت صروف |
|-----|--------|-----------------------------------|---------------|

١٠

الشواهد والأمثال

الباء

| | | | |
|-----|--------|-------------------------------|-----------------------------|
| ٢٩٥ | الخفيف | لرجونا عنه جزيل الثواب الخفيف | لو صبرنا على البلاء احتسابا |
|-----|--------|-------------------------------|-----------------------------|

البحر الصفحة

| | | | |
|-----|----------|-------------------------------|-------------------------------|
| ٢٩٥ | البيسط | سواي بي ولي الأوصاب والنصب | حسبي من العيش خير العيش يدركه |
| ٢٩٥ | البيسط | يرى مكان الأعادي من ذوي النسب | بعدا لمن شرع أعمى يصيب ولا |
| ٢٩٦ | المتقارب | ر وطابت وما خلقتها لي تطيب | ألفت الكجاة بعد النفو |
| ٢٩٦ | البيسط | أيامه وهو بالإحسان مقترب | أما ترى الماجد المفضال ترفعه |
| ٢٩٦ | الكامل | ذا قد تملكها وهذا يسلب | شاهدت غلا قد تجاذب زهرة |

الجيم

| | | | |
|-----|--------|----------------------------|-------------------------------|
| ٢٩٦ | البيسط | تكون يأتيك لطف الله بالفرج | يا الف المهم لا تقنط فأياس ما |
| ٢٩٧ | الكامل | أجدي من المتسرع الهلباج | ثقل إذا ناديتني للممة |

الحاء

| | | | |
|-----|--------|-----------------------------------|------------------------------|
| ٢٩٧ | البيسط | ما نال ذو الجهل دون الحازم المنحا | لولا الذي جرت الأقلام قبل به |
|-----|--------|-----------------------------------|------------------------------|

الدال

| | | | |
|-----|--------|---|-------------------------------|
| ٢٩٧ | الكامل | وأخو المشيب يحور ثمت يهتدي | قالوا نمته الأربعون عن الصبا |
| ٢٩٨ | الكامل | فود الجنين ويهرم المولود | أصبحت في زمن يشيب لجوره |
| ٢٩٨ | البيسط | بالسباحات بحار المهمة البيد | ودع أخا العزم مصرأ لا ليس وخض |
| ٢٩٨ | الوافر | وأم الغدر في الدنيا ولود | صديق لي تنكر بعد ود |
| ٢٩٩ | البيسط | دهري فعشت وحيداً ميتاً كمدا | مضت لداتي وإخواني وأفردني |
| ٢٩٩ | الخفيف | تنظر العاجز الحظوظ فيستعـلي وتعمى عن حازم معدود | |

الراء

| | | | |
|-----|---------|------------------------------|----------------------------------|
| ٢٩٩ | البيسط | فالشمس أدنى سحب عن يسترها | أن يسترها وجه إحساني بكفرهم |
| ٢٩٩ | البيسط | فضائي بين بدو الناس والحضر | إن كنت في مصر مجهولاً وقد شهرت |
| ٣٠٠ | الطويل | يدي ولساني عن نوال وعن أمر | كفى حزناً أن الحوادث قصرت |
| ٣٠٠ | السرير | ما ناب من مستعصب الأمر | سهل على العارف بالدهر |
| ٣٠٠ | البيسط | ثين نوراً وفيه النار تستعر | انظر إلى حسن صبر الشمع يظهر للرا |
| ٣٠١ | المنسرح | تهوى فما جازع بمعذور المنسرح | اصبر على ما كرهت تحفظ بما |
| ٣٠١ | البيسط | أبدى المداجاة ما تحفى ضائره | إنني لأعرف من وجه العدو وإن |

الزاي

أصبرت نل ما ترجيه وتفضل من جارك شأو العلا سبقا وتبريزا البسيط ٣٠١

السين

أصبر إذا ناب خطب وانتظر فرجا يأتي به الله بعد الريث والياس البسيط ٣٠٢
الضر في أيامنا هذه كالليل يغشى سائر الناس السريع ٣٠٢

الطاء

أراني أستطبل مدى حياتي وما في مفرقي للشيب وخط الوافر ٣٠٢

العين

لا تحزعن بأطاع تزخرها لك المنى بحديث المين والخذع البسيط ٣٠٣
وماذق رجع النداء جوابه فإذا عرا خطب فأبعد من دعى الكامل ٣٠٣

القاف

قوم يموت الناس عندهم ضراً وهم منهم على فرق السريع ٣٠٣
لنا صديق يغر الأصدقاء وما رأيته قط في ود امرئ صدقا البسيط ٣٠٤
لا تقربن باب سلطان وإن ملأت هباته غير ممنون به الطرقا البسيط ٣٠٤
استر بصرك ما تخفيه من كمد وإن أذاب حشاك الهم والحرق البسيط ٣٠٤

الكاف

من رزق الصبر نال بغيته ولاحظته السعود في الفلك المنسرح ٣٠٤

اللام

انظر إلى صرف دهري كيف عودني بعد المشيب سوى عاداتي الأول البسيط ٣٠٥
إذا ما عرا خطب من الدهر فاصطبر فإن الليالي بالخطوب حوامل الطويل ٣٠٦
كل شيء تراه في هذه الدنيا خيال إذا انتهت يزول الخفيف ٣٠٦
إنني وثقت بأمر غربي أملي فيه وقد قيل كم من واثق خجل البسيط ٣٠٦
لا در درك من رجاء كاذب يغترنا بورود لامع آل الكامل ٣٠٧

البحر الصفحة

| | | | |
|-----|--------|-----------------------------|------------------------------|
| ٣٠٧ | الكامل | كثفاف معوج الظلال المائل | لا تعتين من مل ان عتابه |
| ٣٠٧ | البسيط | يرضى بما غال من وفر ومن مال | لا يؤسفنك ما غال الزمان فما |
| ٣٠٨ | الكامل | في مدافعتي ومطلي | يا جاعل الاشغال عذرا |
| ٣٠٨ | الطويل | ولا لسيري في البلاد قفول | إلى كم أجوب الأرض ما لي معرس |
| ٣٠٨ | السرير | عناية الأيام بالجهل السريع | زهدني في العقل أنى أرى |
| ٣٠٨ | الكامل | أخطائه فيه يحار العاقل | رفع الخطوط لمن أصبن وخط من |

الميم

| | | | |
|-----|---------|------------------------------|--------------------------------|
| ٣٠٩ | الخفيف | فلم يرع حرمتي وذمامي | لي مولى صحبته مذهب العمر |
| ٣٠٩ | المنسرح | نازلت ضاري الأسود في الأجم | لو كان رزق الفتى بقوته |
| ٣٠٩ | الطويل | بها مكرها رشف الذعاف من السم | لحى الله أرضاً يرشف المرء رزقه |
| ٣١٠ | الكامل | يرجى ولا تتبعه زفرة نادم | لا تأسفن للذهب أو فائت |
| ٣١٠ | الكامل | أتعبتني بعد الكرام | قل للرجاء إليك قد |
| ٣١٠ | الكامل | والحامل همي | يا أخي الشاكي لما أشكوه |
| ٣١١ | الكامل | ضجراً على سر الفؤاد الكاتم | لا تطلعن لسان شكوى بائع |

النون

| | | | |
|-----|--------|----------------------------|--------------------------------|
| ٣١١ | الخفيف | أو تلقاك بالخاوف حيناً | اصطبر للزمان إن حاف حيناً |
| ٣١١ | الكامل | أبدى لك اليأس المينا | من مل فاهجره فقد |
| ٣١٢ | البسيط | وبعد ما تاب عما راب مذ حين | يا شارب الخمر بعد النسك والدين |
| ٣١٢ | البسيط | تعلم الكرماء البخل يا زمن | كم تقصد الماجدين الفاضلين وكم |

الهاء

| | | | |
|-----|--------|----------------------|---------------------------------|
| ٣١٢ | الكامل | جو والمخشي إلا الله | لا تخضعن رغبا ولا رهبا فما المر |
| ٣١٣ | الخفيف | مل من رفعة ومال وجاء | نلت في مصر كل ما يرتجى الا |

١١

الكبر والمشيب

الباء

| | | | |
|-----|--------|----------------------------|--------------------------|
| ٣١٤ | الطويل | وما كل برق لاح يؤذن بالخصب | وشائمة برقاً بفودي راعها |
|-----|--------|----------------------------|--------------------------|

البحر الصفحة

- أما ترى الشيب قد رداك بعد دجى
فوديك واهما لذاك الليل بالعصب البسيط ٣١٤
لو كان صد مغاضبا ومعاتبا
أعتبه ووضعته خدي تائبها الكامل ٣١٥

التاء

- صحبا وللجهل أوقات وميقات
وللغوايات والأهواء غايات البسيط ٣١٥
ما لي رأيت الثلج عمم شيبه
قلل الربا فزهت بحسن نباتها الكامل ٣١٦

الجيم

- دع ما نهى الشيب والسبعون عنه فتر
باك الصبا والشباب الغض قد درجا البسيط ٣١٦

الذال

- أرى شعرات يتبذرن كأنها
على الماء صدع في الزجاجاة باد الطويل ٣١٧
إذا ما جلا الليل النهار بنوره
تعتبه ليل أحمر ركود الطويل ٣١٧
نظرت بياض مفارقي فاسترجعت
أسفا وقالت أين ذاك الاسود الكامل ٣١٧

الراء

- يقولون جار عليك المشيب
ومن ذا يجير إذا الشيب جارا المتقارب ٣١٨
تصامت عن لوم العذول كأنما
رمى الوجد يوم البين سمعي بالوفر الطويل ٣١٨
رأيت ما تلفظ الموسى فأسفني
إذ عاد حاله كالثلج مثنورا البسيط ٣١٩
إذا تقوس ظهر المرء من كبر
فعاد كالقوس يمشي والعصا الوتر البسيط ٣١٩
إذا عاد ظهر المرء كالقوس والعصا
له حين يمشي وهي تقدمه وتر الطويل ٣١٩

القاف

- لدتي وإخوان الشباب مضوا
قبي وكم من بعدهم أبقي السريع ٣٢٠
ثلج النبات فراق لون مشبه
فعلام لون الشيب ليس يروق الكامل ٣٢٠

اللام

- لم تترك السبعون في إقبالها
مني سوى ما لا عليه معول الكامل ٣٢٠

البحر الصفحة

| | | | |
|-----|--------|-----------------------------|--------------------------|
| ٣٢١ | الكامل | فإلام توضع في الطريق المجهل | وضح الصباح لناظر المتأمل |
| ٣٢١ | الوافر | لصبغ حال أم تغيير حال | نضا صبغ الشباب فلست أدري |
| ٣٢٢ | الرجز | ورابتي عثارها في السهل | إن ضعفت عن حمل ثقلي رجلي |

الميم

| | | | |
|-----|--------|--------------------------|---------------------------|
| ٣٢٢ | الكامل | ماذا فقلت تريكة الأيام | قالت وأحزنها بياض مفارقي |
| ٣٢٢ | الكامل | فكأنهم وكأنه أحلام | انظر إلى لعب الزمان بأهله |
| ٣٢٣ | الكامل | ن الدين والأنباء تنمي | من مبلغ عني فلا |
| ٣٢٣ | الوافر | من الدنيا فتغشاني الهموم | أفكر في فرية ما تلاقي |

النون

| | | | |
|-----|--------|-------------------------------|----------------------------|
| ٣٢٤ | البيسط | وساور الضعف بعد الأيد أركانني | لما تحطتني السبعون معرضة |
| ٣٢٤ | الرمل | ونيت بي حين حاولت الحزونا | حملت ثقلي في السهل العصا |
| ٣٢٤ | السريع | ون لما ان علت سنى | نكست في الخلق وحطتني السبع |

الهاء

| | | | |
|-----|--------|---------------------------|----------------------------|
| ٣٢٥ | الرمل | ثم قالت ما الذي بعدي عراه | نظرت مبيض فودي فبكت |
| ٣٢٥ | الكامل | فتحملته تحمل المتكاره | حملت ثقلي بعد ما شبت العصا |

١٢

الزهد والمواعظ

الباء

| | | | |
|-----|--------|---------------------------|----------------------------|
| ٣٢٦ | البيسط | تضيع وقتني في لهو وفي لعب | يا رب حسن رجائي فيك حسن لي |
|-----|--------|---------------------------|----------------------------|

التاء

| | | | |
|-----|--------|-----------------------|-------------------------------|
| ٣٢٦ | البيسط | له أفيقوا فللنوم هيات | يا غافلين عن الأمر الذي خلقوا |
|-----|--------|-----------------------|-------------------------------|

الحاء

لا ترتج الخلق فالأبواب مرتجة دون الخطام وباب الله مفتوح البسيط ٣٢٧

الدال

مذ بصرتني تجاريي ونهني خبري بدهري فقدت العيشة الرغدا البسيط ٣٢٨
عجزت عن الدنيا فما لي من يد بها ولا الأيد المساعد واليد الطويل ٣٢٨
نزلنا به حتى إذا يومنا انتضى رحلنا على العيس النجائب والجرد الطويل ٣٢٨
أما رأوا تقلب الدنيا بنا وفتكها بمن إليها اخلدا الرجز ٣٢٩
مثوبة الفاقد عن فقدته بصره انتفع من وجده السريع ٣٢٩
تبارك اسمك كم من آية شهدت بأنك الواحد المستعلي الصمد البسيط ٣٢٩

الراء

احذر من الدنيا ولا تغتر بالعمر القصير الكامل ٣٣١
لا تغتبط بسرور دنيا ما يدوم بها سرور الكامل ٣٣١
أرى العين تستحلي الكرى وأمامها كرى ليس تقضيه الى داعي الخشر الكامل ٣٣١
دنياي ناشزة فإن فارقتها طوعاً وإلا فارقتني كارها الكامل ٣٣٢
لك الحمد يا مولاي كم لك منة علي وفضلاً لا يتوم به شكري الطويل ٣٣٢
أيها الظالم مهلاً أنت بالحاكم غر الرمل ٣٣٣

الطاء

الناس كالطير والدنيا شباكهم وهم بها بين ركاض وغتبط البسيط ٣٣٣
ما زلت في غبطة عيش علماً أن سيزول بالهموم ما غبط الرجز ٣٣٤

العين

من مبلغ المعتر والقانع وأبن السبيل النازح النازع السريع ٣٣٤
أيها الغافل كم هذا المحجوع أعلن الداعي فهل أنت سميع الرمل ٣٣٦

القاف

أيها الغافلون عن سكرة المو ت وإذ لا يسوغ في الخلق ريق الخفيف ٣٣٧

البحر الصفحة

الكاف

سلوت عن صبوات كنت ذا شغف بها وملت إلى الإخبات والنسك البسيط ٣٣٨

اللام

أرى الموت يستقري النفوس ولا أرى سوى مانع ما في يديه بخيل الطويل ٣٣٨

الميم

إذا ما عرامالا أطيح دفاعه وأرمضني الفكر المسهد والهـم الطويل ٣٣٩
فليس بعد الموت دار سوى جنة عدن أو لظاً تضرع السريع ٣٣٩
نمنا عن الموت والمعاد فأصبح لنا نظن اليقين أحلاما الخفيف ٣٤٠
فوض الأمر راضيا جف بالكائن القلم الخفيف ٣٤٠
أو بقت نفسك يا ظلو م بما احتقبت من المظالم الكامل ٣٤٠
ماذا الوقوف على دار بذي سلم عجماء أو قد عراها عارض البكم البسيط ٣٤١

النون

لا تغبطن أهل بيت سرهم زمن فسوف يطرقهم بالهم والحزن البسيط ٣٤١
أيها المغرور مهلا بلغ العمر مداه الرمل ٣٤٢
أف للنديا فما أوبا جناها ليس يخلو من رآها من أذاها الرمل ٣٤٢

١٣

المراثي

الباء

قد كنت أسمع لكن خلته مثلا أن الليالي يصدن الصقر بالخرب البسيط ٣٤٤
ويح الغريبة والسديار ديارها لم تر تحل عنها ولم تتغرب الكامل ٣٤٤
لهف نفسي لهلال طالع ما استوى في أفقه حتى غرب الرمل ٣٤٥
يا نفس أين جميل صـ ببرك حين تطرقك الخطوب الكامل ٣٤٥

البحر الصفحة

لهف نفسي على ديار من الد - كان أقوت فليس فيها عريب الخفيف ٣٤٦

التاء

يا دهر، كم هذا التفر ق والتغرب والشتات الكامل ٣٤٦

الراء

إلى الله أشكو روعتي ورزيتي وحرقة أحشائي لفقد أبي بكر الطويل ٣٤٧
أعاتب فيك الدهر لو أعتب الدهر وأستجد الصبر الجميل ولا صبر الطويل ٣٤٧
أزور قبرك مشتاقاً فيحجن ما هيل فوقك من ترب وأحجار البسيط ٣٥٠

الزاي

تخرمت الأيام أهل مودتي فنفسي عن أنس المسرات ناشز الطويل ٣٥٠

العين

صبري على فقد إخواني وفرتهم غدر وأجمل بي من صبري الجزع البسيط ٣٥١
وقفت على رسم ببداء بلقع خلي من النادي صموت إذا دعى الطويل ٣٥١

الفاء

أزور قبرك والأشجان تمنعني أن أهتدي لطريق حين أنصرف البسيط ٣٥١

الكاف

أصبحت لا أشكو الخطوب وإنما أشكو زماناً لم يدع لي مشتكى الكامل ٣٥٢
وسم صبري عن عتيق الأسى من بعد ما ضاق بي المسلك السريع ٣٥٢

اللام

كيف أنساك يا أبا بكر أم كيف اضطباري ما عنك صبري جميل الخفيف ٣٥٣
أحدث عنك بالسوان نفسي وهل تسلو موهة تكول الوافر ٣٥٣

البحر الصفحة

| | | | |
|-----|--------|-----------------------------|-----------------------------|
| ٣٥٤ | الطويل | يفقد أبي بكر حياتي ولا يسلي | لعمرك ما ينسيني الدهر روعتي |
| ٣٥٤ | الكامل | ساري الغمام بكل هام هامل | حيا ربوعك من ربي ومنازل |

النون

| | | | |
|-----|--------|--------------------------|--------------------------------|
| ٣٥٦ | البيسط | فليبك أصدقنا بنا وأشجانا | حمام الأيك هيجتن أشجانا |
| ٣٥٩ | البيسط | أقله فقد أترابي وخلاني | حسبي من العيش كم لاقيت فيه أذى |
| ٣٦٠ | | عن لوعتي وعن جوى أحزاني | ناحت فباحث في فروع البان |

المسمطات

| | | |
|-----|--------|-----------------------------|
| ٣٦١ | الطويل | كعهدك بانات الحمى فوق كثيها |
| ٣٦٤ | الطويل | أيا لاثمي في وقفة التلوز |
| ٣٦٦ | الطويل | أسائتها للبين وهي عجول |
| ٣٧١ | البيسط | توهم ما أراني الدهر أم حلم |

(٢)

فهرس الاعلام

(س)

ابن سبراي ٥٨ .
السموول ١٩٧ .

(أ)

أحمد بن علي بن الزبير (القاضي الرشيد)
٤٢١/١٢١ .

(ش)

شمس الدولة عبد الرحمن ابن أخي
١٩٩/١٨٧/١٧١/١٥٩ .
شوق (جارية) ٢٠٦ .

(ب)

أبو بكر بن أسامة ٣٥٣/٣٥٢/٣٥١/٣٤٧/٣٤٥ .
بهاء الدولة بن منقذ أخو أسامة
١٧٣/١٧٠/١٦٧/١٦٥ .

(ص)

أبو صالح بن المهذب ٢٠٦ .

(ت)

تاج الدولة عبد الله بن منقذ (ابن عم أسامة) ١٩٨ .

(ج)

ابن الجباب = عبد العزيز .

(ح)

حاتم (قائد) ٢٧١ .

حيلرة بن نجم الكاتب ٢٣٩ .

(ز)

زيد بن محمد نقيب الطالبين ١٨٥/١٨٩/١٩٣

(ض)

ضياء الدين = زيد بن محمد

(ط)

طمان ١٩٧ .

(ع)

الأفضل عباس ١١٦/١٩٩/٢٢٨ .

عبد العزيز بن الحسين (ابن الجباب) ١٣٢ .

عتيق ٢١٠ .

عز الدولة أخى أسامة ١٥٩/١٦١/١٦٧

١٦٨/١٨١/١٨٨/١٨٠/٣٤٤/٣٤٤ .

(ف)

فخر الملك بن طليب (أمير) ٢٠٧ .

(ق)

أبو القاسم بن المغربي ١٧٣ .

القاضي الرشيد = أحمد بن علي .

القيسان (ابن الملوح وابن ذريح) ١٣٩ .

قيس بن ذريح ٣٦١ .

(م)

معد الدين (أمير) ٢٥١ .

مجنون ليل ٣٦٤ .

المحسن بن الحسين بن أبي المضاء

١٦٢/١٧٤/١٨٧ .

مرهف بن أسامة ١٧٤ .

معين الدولة أنر ٢٢٠ .

الملك الصالح ٥٧/٨٨/١٢٧/١٢٨/١٣٥

١٦١/١٦٢/١٨٦/١٩٠/١٩٣/٢٠٣/٢١٢

٢٢٢/٢٢٤/٢٢٨/٢٤٧/٢٤٧/٢٥١/٢٦٣

٢٦٧/٢٧٠/٢٨١/٣٤٦ .

(ن)

نظام الدين (الوزير) = المحسن بن الحسين .

الفهرس

| | | |
|-----|-------|---|
| ٥ | | مقدمة |
| ٤١ | | ديوان أسامة |
| ٤٧ | | مقدمة صاحب الديوان |
| ٥١ | | باب الغزل |
| ١٠٤ | | ما قاله في شكوى الفراق ، ووصف الحنين والاشتياق |
| ١٥٩ | | ما قاله في المكاتبات ، وما يخطر في سلكها من المعاتبات |
| ٢٠٣ | | باب الأوصاف |
| ٢١٢ | | باب المديح |
| ٢٥٠ | | ما قاله مفتخراً ، وتمدح به متأثراً |
| ٢٨٠ | | باب الأدب |
| ٢٩٥ | | في الشواهد والأمثال ، وما ينسج على هذا المنوال |
| ٣١٤ | | في الكبر والمشيب ، وخلع رداء الشباب القشيب |
| ٣٢٦ | | في الزهد والاعتبار ، والمواعظ والإنذار |
| ٣٤٤ | | باب المراثى |
| ٣٦١ | | مسمطات من شعره أفردت عن الأبواب المذكورة |
| ٣٨٣ | | فهرس القوافي |
| ٤١٤ | | فهرس الاعلام |
| ٤١٦ | | الفهرس |